الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم: العقيدة و مقارنة الأديان

الرقم الترتيبي:...../2004م

رقم التسجيل:...../.....

الوصل بين العقيدة والشريعة في الإسلام

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في العقيدة

إعداد الطالبة:

حبيبة هيدخ

إشراف الدكتور:

عبد المجيد النجار

أمام اللجنة:

الإسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
.....	.....	.....
.....	.....	.....
.....	.....	.....
.....	.....	.....
.....	.....	.....

السنة الجامعية: 2004/2003م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

	الصفحة
مقدمة :.....	أ
الفصل الأول : أسباب ظهور الفصل بين العقيدة و الشريعة.....	**1**
تمهيد :	**2**
المبحث الأول :الأسباب المنهجية :.....	**3**
أ-تدوين العلوم.....	**4**
ب-التعليم.....	**6**
المبحث الثاني :تأزم الفكر العقدي والفقهي و ازدواجية المرجعية في أخذ أمور الدين.....	**13**
أ- في المجال العقدي.....	**14**
ب- في المجال الفقهي.....	**21**
المبحث الثالث :التصوف السلبي :.....	**26**
أ-مفهوم التصوف.....	**27**
ب-انحراف التصوف و تأثيره على الفصل بين العقيدة و الشريعة..	**30**
المبحث الرابع : الفكر الإرجائي :.....	**50**
أ-تعريف الإرجاء و سبب ظهوره.....	**51**
ب-الأدلة التي اعتمدها المرجئة في تأخير العمل على الإيمان و الرد عليها.....	**52**
جـ-تأثير الإرجاء على الفصل بين العقيدة و الشريعة.....	**57**
المبحث الرابع :الفكر العلماني :.....	**60**
أ- العلمانية و مفهومها و مسارها في العالم الإسلامي...	**62**
ب- نتائج العلمانية في بلاد المسلمين، و تأثيرها على الفصل بين العقيدة و الشريعة.....	**72**
الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في الوصل بين العقيدة و الشريعة	**99**
تمهيد :.....	**100**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :الوصل نتهج جميع الأنبياء:..... 101

أ-مفهوم الإسلام 103

ب-دعوة الرسل و الأنبياء إلى الإسلام عقيدة و شريعة... 109

المبحث الثاني :التأطير العقدي للأحكام الشرعية :..... 131

أ-إحاطتها بالإيمان بالله و الإيمان باليوم الآخر..... 132

ب-إتباعها بالحديث عن الكون..... 142

المبحث الثالث :الترغيب و الترهيب : 145

أ-مفهوم الترغيب و الترهيب..... 146

ب-نماذج من آيات الترغيب و الترهيب في الوصل بين العقيدة والشريعة..... 150

المبحث الرابع :إظهار الأبعاد المقصدية للأحكام الشرعية:..... 162

أ-تقصيد الأحكام الشرعية في القرآن الكريم..... 163

ب-إظهار حكم بعض الأحكام الشرعية ووصلها بين العقيدة والشريعة..... 167

الفصل الثالث :الوصل بين العقيدة و العبادات، و العقيدة و المعاملات في القرآن الكريم:..... 176

تمهيد :..... 177

المبحث الأول :الوصل بين العقيدة و العبادات :..... 178

أولا : مفهوم العبادة وصلتها بالعقيدة..... 179

ثانيا : الصلاة و صلتها بالعقيدة..... 191

1-تعريف الصلاة..... 191

2-مقاصد الصلاة..... 194

3-التأطير العقدي للصلاة في القرآن الكريم..... 202

4-الصلاة و الحديث عن الكون..... 208

5-تأثير الصلاة على الإيمان..... 210

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :الوصل بين العقيدة و المعاملات :	214
أولا : العقيدة و صلتها بالمعاملات (التأثير و التأثر).....	215
ثانيا : بعض الأحكام الأسرية ووصلها بالعقيدة في القرآن..	219
أ-مشروعية الأسرة وعلاجها :	219
1-الحكمة من مشروعية البناء الأسري في الإسلام.....	219
2-علاج القرآن لبعض المشاكل التي تعترض الأسرة.....	224
ب-بعض أحكام الطلاق ووصلها بالعقيدة في القرآن الكريم.....	230
1-الحكمة من مشروعية العدة.....	230
2-أحكام العدة و الإيمان بالله و اليوم الآخر.....	232
3-الطلاق و الحديث عن الكون.....	236
4-الطلاق و القضاء و القدر.....	240
5-الطلاق و الترغيب و الترهيب.....	245
6-الطلاق و التقوى.....	247
7-البعد الحضاري لوصل أحكام الطلاق بالعقيدة..	252
الفصل الرابع :جهود بعض علماء المسلمين في الوصل بين العقيدة و الشريعة ..	257
تمهيد :.....	258
المبحث الأول :أبو حامد الغزالي :.....	260
أولا : حياته و سيرته العلمية.....	261
ثانيا : إصلاحاته و علاقتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة.	269
1-رده على الفلاسفة.....	271
2-إصلاح التصوف.....	275
3-رده على الباطنية.....	287
4-موقفه من علم الكلام و الفقه.....	292
5- الوصل بين العقيدة و الشريعة في الإحياء.....	299

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :محمد الغزالي : 313
أولا : حياته و سيرته العلمية..... 314
ثانيا : إصلاحاته و علاقتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة. 328
1-إصلاح التعليم..... 328
2-تصحيح المفاهيم العقدية المنحرفة..... 339
3-رده على العلمانية..... 353
الخاتمة : 368
.....
الفهارس :.....
فهرس الآيات : 374
فهرس الأحاديث : 375
فهرس الأعلام : 407
..... 410
قائمة المصادر والمراجع 420
فهرس الموضوعات 431

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمـــد لله الذي كرمنا بنعمة الإسلام و زين دروبنا بهدي النبي محمد – صلى الله عليه و سلم – و أرشدنا إلى اقتفاء طريق العلماء و أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله – صلى الله عليه و سلم – تسليما كثيرا .

و بعد :

تـــتكون البنية الإسلامية من العقيدة و الشريعة ،و إذا أردنا تحديد مفهوم العقـــيدة وجدنا أن هذا المصطلح ليس قرآنيا و إنما وضعه علماء المسلمين للتعبير عن مجموع المبادئ و القيم التي يعتنقها الإنسان المسلم فيما يتعلق بالألوهية ، و الإنسان و الكون، و علاقة كل هذه الكليات ببعضها . و الذي يقابل مصطلح العقيدة في القرآن الكريم هو مصطلح الإيمان .

أما الشريعة فقد ذهب العلماء إلى أن من معانيها : كل ما سنه الله لعباده مـــن الأحكـــام الاعتقادية و العملية و الأخلاقية ، و منها أيضا أنها العلم المتعلق بالأحكـــام الفرعية – و هو ما سأعتمده في دراستي –. و حين نعود إلى القرآن الكـــريم تبدو لنا العلاقة متلاحمة و متكاملة بين العقيدة و الشريعة ، لا استقلال لمحور عن الآخر و إنما نجد الحديث عن الكون و هو يبني السلوك ، و الحديث عن الـــيوم الآخر و هو يوجه الاقتصاد ، و الحديث عن التوحيد و هو يبني الإحسان إلى الغير ، و لكن العقل المسلم هو الذي فصل بين هذه الأجزاء .

فحين أخذ المسلمون الأوائل هذا الدين كلا متكاملا و لم يجزئوا نصوص القـــرآن الكريم حققوا أرقى مظاهر الحضارة الإنسانية ، إلا أن الناظر إلى ما آل إلـــيه وضـــع الأمة من تقصير في أخذ أحكام الدين و تفريط في جوانبه العملية وتراجع حضاري بشكل عام ، يدرك أنه قد حدث خلل في فهم نصوص القرآن الكـــريم و الســـنة النـــبوية و هـــو ما يتأكد لنا بمراجعتنا لتراث الفكر العقدي و الفقهي، إذ نسجل حدوث انفصال بين العقيدة و الشريعة .

فـــنلاحظ اهتمام علم العقيدة بالعرض التجريدي لأمور غالبها لا صلة له بحياتنا مما أفقده جانبه التربوي الذي يعد من أهم مقاصد العقيدة الإسلامية و في المقابل اتجه الفقه إلى أن يكون أحكاما مجردة ، افتراضية في غالب الأحيان تعرض بطـــريقة جافـــة بعيدة عن الصياغة القرآنية لأحكام الدين ، مما نتج عنه فقدانها الجانب الإلزامي للتطبيق الواقعي .

فجـــاء اختـــياري لموضوعي الموسوم :" الوصل بين العقيدة و الشريعة في الإسلام " إجابة على مجموعة من الأسئلة :

1 – مـــا أســـباب ظاهرة الانفصال بين العقيدة و الشريعة ،و النفاذ إلى حقيقة الانحرافات في المفاهيم العقدية التي أدت إلى ذلك ؟

2 – كـــيف يمكـــن الـــرد على خطر الادعاءات العلمانية ضد الشريعة الإسلامية و التي تعد من أهم أسباب الفصل في وقتنا الراهن ؟

3 – مـــا العلاقة الموجودة بين العقيدة و العبادات ،و العقيدة و المعاملات و كيف يمكن الاستفادة من ذلك في التمسك بالإسلام و الدعوة إليه ؟

كما تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف تتمحور حول :

1 – إضـــافة هـــذا الجهد الفكري إلى جهود الباحثين الذين يسعون إلى إعـــادة تفعيل الصلة بين العقيدة والشريعة، و التقليل من آفات ظاهرة الانفصال بينهما .

2 – محاولـــة الوصـــول إلى مـــنهج القرآن الكريم في الوصل بين العقيدة والشريعة .

3 – عـــرض جهـــود بعض العلماء المسلمين من القدماء و المحدثين ،حتى يتســـنى لـــنا إظهار البعد الحضاري لارتباط العقيدة بالشريعة من خلال أفكارهم وفهمهم للقرآن الكريم ،و تحليلهم أسباب التراجع الحضاري عند المسلمين .

و قد اعتمدت المنهج التحليلي. حيث عمدت إلى وصف أسباب الظاهـــرة و تحليـــلها و نقدها في كثير من الأحيان ، كما وجدت أن الموضوع يســـتدعي الاستفادة من منهج التفسير الموضوعي التجميعي لتحديد منهج القرآن الكريم في الوصل بين العقيدة و الشريعة و كذا النماذج التي تناولتها بالدراسة .

و قد قسمت الموضوع إلى: مقدمة و أربعة فصول و خاتمة .

استعرضت في الفصل الأول : أسباب الفصل بين العقيدة و الشريعة قديما وحديثا ،و قد حصرتها في النقاط التالية :

أ – الأسباب المنهجية .

ب – تـــأزم الفكر العقدي و الفقهي ، و ازدواجية المرجعية في أخذ أمور الدين .

ج – التصوف السلبي .

د-الفكر الإرجائي.

هـــ- الفكر العلماني .

أمـــا الفصل الثاني : فخصصته لمنهج القرآن الكريم في الوصل بين العقيدة والشـــريعة ، حاولـــت فيه أن أبين ضرورة الربط بينهما من خلال عناصر أربعة أساسية هي :

أ – الوصل منهج جميع الأنبياء .

ب – التأطير العقدي لأحكام الشريعة .

جـــ – الترغيب و الترهيب .

د – إظهار الأبعاد المقصدية لأحكام الشريعة .

أما الفصل الثالث : فأفردته للوصل بين العقيدة و العبادات، و العقيدة و المعاملات .وكان هدفي أن أبين علاقة التأثير و التأثر بين العقيدة و العبادات

و العقـــيدة و المعاملات ، كما حاولت أن أقدم فيه دراسة موسعة لموضوعين : الأول في مجال العبادات : الصلاة ، و الثاني في مجال المعاملات : أحكام الطلاق .

وسبب تحديدي لهذين العنصرين، سعة موضوع الأطروحة إذ يصعب عرض جمـــيع المواضيع المتصلة بالإشكالية فرأيت أنهما من أهم ما نحتاج إليه في حياتنا .فجاء في مبحثين :

الأول : الوصل بين العقيدة و العبادات .

الثاني : الوصل بين العقيدة و المعاملات .

و أخـــيرا الفصـــل الرابع : و خصصته لجهود عالمين من أعلام الفكر الإسلامي يشـــهد لهمـــا بالثقافة الموسوعية و النظرة الشمولية المتكاملة للإسلام ، و هما : الغزالي القديم والغزالي الحديث .

و قـــد قدمت فيه نقدهما للتراث الفكري الإسلامي الذي قاد إلى ظاهرة الانفصـــال و رؤيـــتهما لكيفية إعادة وصل الشريعة بالعقيدة . و هذا اقتضى أن يكون في مبحثين :

المبحـــث الأول : تمحور حول جهود أبي حامد الغزالي في إعادة الوصل بين العقيدة و الشريعة .

المبحث الثاني : جهود محمد الغزالي حول ذات الإشكالية السالفة الذكر.

و أخيرا الخاتمة و قد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها .

و قـــد اعـــتمدت في إنجاز هذا الموضوع على جملة من المصادر و المراجع أذكـــر من بينها :كتب التفسير ،مثل : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ، نظم الدررقي تناسب الآيات و الســـور للبقاعي ، تفسير الظلال لسيد قطب ، التحرير و التنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، من وحي القرآن لمحمد حسين فضل الله ، و من هدي القرآن لمحمد تقـــي المدرســـي. كما كانت كتب بعض العلماء المحدثين الذين أثاروا الموضوع

سـندي في إنجاز هذه الدراسة مثل كتب المودودي ، سيد قطب ، محمد المبارك و عبد المجيد النجار .

و قـد دعا جميع هؤلاء إلى ضرورة الاهتمام بالموضوع كما اعتبره بعض العلماء من خصائص المنهج الجديد في عرض العقيدة و الشريعة .

و لعـل أهـم الصعوبات التي واجهتني ، ندرة المادة العلمية بسبب عدم وجود دراسات سابقة مماثلة إلى جانب تفرع الموضوع واتساعه .

و لا يفوتـني في الختـام أن أقدم شكري الخالص للأستاذين المشرف : الدكـتور عـبد المجـيد النجار لقبوله الإشراف على هذا الموضوع و لتوجيهاته العلمية. والمشرف المساعد :الدكتور أحمد رحماني ، راجية أن يكون جهدي قد حقق مبتغاه و هدفه خدمة للإسلام والعلم.

و الله من وراء القصد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

أسباب ظهور الفصل بين العقيدة و الشريعة

تمهيـــد

المبحث الأول : الأسباب المنهجية.

المبحث الثاني : تأزم الفكر العقدي و الفقهي و ازدواجية المرجعية في أخذ أمور الدين.

المبحث الثالث : التصوف السلبي.

المبحث الرابع : الفكر الإرجائي.

المبحث الخامس : الفكر العلماني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

حين نزل القرآن الكريم على رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ، كان من الطبيعي أن يولي أهمية متميزة لإصلاح جميع الانحرافات العقدية التي كانت سائدة في المجتمع العربي آنذاك.

فكان أن تميز الخطاب القرآني و هو في بداية عهده بتركيزه على بناء القاعدة الإيمانية التي ستضمن فيما بعد الالتزام بأداء التكاليف الشرعية. و بعد أن استتب الأمر وتحقق ذلك في نفوس المسلمين ،جاء الخطاب القرآني يأمرهم بمضمون ما تقره الشريعة من أوامر و نواهي حيث نجد الآيات القرآنية المتعلقة بالأوامر تبدأ بعبارة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، أما ما عداها من الآيات التي تصلح لخطاب جميع الناس عبر مختلف الأزمنة فقد جاءت كلها مبدوءة بـ{يَا أَيُّهَا النَّاسُ}.

و لما اكتمل بناء القاعدة الإيمانية بفضل تعاليم القرآن و نزلت الأوامر التشريعية كانت استجابة الصحابة آنية و تلقائية ، و الدليل على ذلك أنه حين نزل الأمر بتحريم الخمر لم يتوانوا في إراقة كل ما كان لديهم منها ، و أبطلوا معاملاتهم الربوية استجابة لأمر الله . كما أقبل بعض منهم -بدافع الإيمان- على رسول الله يطلبون منه إقامة الحد عليهم كما هو الشأن مع "ماعز بن مالك "، و المرأة " الغامدية".

فكانت استجابة المسلمين للإسلام عقيدة و شريعة . فبنوا بذلك أسس الحضارة الإسلامية ،مما ساعدهم على نشر الإسلام في أصقاع كثيرة من المعمورة.إلا أن الأمر لم يدم على هذه الشاكلة إذ نجد أنه كلما بعد الزمن عن عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- لمسنا بوادر ظهور تقصير في جانب تطبيقهم لأمور الدين إلى أن استفحل الأمر ووصل إلى ما هو عليه اليوم من تراجع عن مسايرة التطور الحضاري.

و قد حاولت تتبع أسباب حدوث الخلل المتجسد في الفصل بين العقيدة والشريعة فوجدتها كثيرة و متشعبة فكان لزاما أن أقصر جهدي على البعض منها.

المبحث الأول :

الأسباب المنهجية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ – تدوين العلوم :

لقـــد كان واضحا أن الضرورة التي دعت إلى تدوين العلوم تسهيل عملية أخذها واستيعابها،ثم فتح مجال التخصص لمن تتوفر لديه الرغبة في التفوق في مجال من مجالات العلم و المعـــرفة فكان الهدف تربويا ، وفيما بعد انعكس منهج تدوين العلوم على طرق التعليم و لأخطاء منهجية أصبحت هذه العملية من الأسباب التي فصلت بين العقيدة والشريعة في فكر وواقع المسلمين – في كثير من الأحيان – .

بمجـــيء القرآن الكريم ظهرت أنواع كثيرة من المعارف سميت فيما بعد العلوم الإسلامية مع العلم أن هذه المعارف لم تكن معهودة في المجتمعات العربية ،فمنها ما يتعلق بالعقـــيدة و مـــنها مـــا يتعلق بالفقه و بأحكام العبادات والمعاملات ، و منها ماله صلة بـــتاريخ الأنبـــياء و قصـــص الأمم السابقة ، و كان العالم المسلم يجمع بين جميع العلوم الإسلامية ، فهو على دراية بعلوم التفسير و الفقه والأصول والتصوف السني، و إن كان يبرز في بعض الأحيان ، في فن من هذه العلوم على وجه الخصوص.

و قـــد كـــان المســـلمون في بداية عهد الإسلام مستغنين عن تدوين العلوم ((لخصوص عقيدتهم ببركة صحبة النبي –صلى الله عليه و سلم – وقرب العهد إليه و لقلة الاختلاف و الواقعات و تمكنهم من المراجعة إلى الثقات))[1] .

إلا أنـــه بعـــد انتشـــار الفتوحات الإسلامية و تفرق الصحابة ظهرت الحاجة إلى التدوين وإن كان يعتبر تدويا أوليا .

يقـــول القـــنوجي : ((و لما انتشر الإسلام و تفرقت الصحابة ، وحدثت الفتن واختلاف الآراء ، و كثرت الفتاوى والرجوع إلى الكبراء أخذوا في تدوين الحديث والفقه و علوم القرآن واشتغلوا في النظر و الاستدلال والاجتهاد و الاستنباط ، و تمهيد القواعد و الأصـــول و ترتيب الأبواب و الفصول، و تكثير المسائل بأدلتها و أيراد الشبه بأجوبتها وتعيين الأوضاع و الاصطلاحات و تبيين المذاهب والاختلافات))[2] .

و هكـــذا نجـــد أن عامل الزمن مؤثر على تطور العلوم ، فتطورت معها حركة الـــتدوين و كانت هذه الأخيرة أكثر تطورا في النصف الثاني من القرن الهجري الأول

---

(1) القنوجي : أبجد العلوم . ج1 . ص 177.
(2) المرجع نفسه : ج1 . ص 178.

وبداية القرن الثاني إلا أن العلوم في هذه المرحلة كانت هي الأخرى مرتبطة و متكاملة فيما بينها ((فأصحاب المذاهب الدينية اعتمدوا في تعاليمهم على الفلسفة وتعاليم الكتاب والسنة ، و المفسرون والمحدثون و الفقهاء كانوا يستعينون بالشعر و الأدب على تعلم معاني القرآن و الحديث ، و المؤرخون و القصاص كانوا يستمدون بعض معلوماتهم من القرآن و الحديث ، و هكذا . و قل أن تجد في هذا العصر ما نسميه الآن تخصصا ،فليس هناك عالم في التفسير فقط أو الحديث فقط لأن هذا الدور يكون بعد تنظيم البحث و هو دور لم يصل إليه هذا العصر، و كذلك كانت الدروس فيها تفسير وفيها فقه ، و فيها لغة وفيها جدل ديني))[1].

ولما أتى العهد العباسي تميز بالتطور الحضاري ، فكان من أبرز مظاهر تطوره : نشاط الحركة العلمية ، حيث ساعد على ذلك عوامل كثيرة منها تشجيع الحكام العباسيين على ذلك بصورة أكثر اتساعا من حكام بني أمية و اتساع حركة الترجمة ، ومنها أن العلوم الإسلامية كانت قد مرت بطور المسائل الجزئية المبعثرة فكان لزاما أن يأتي دور جديد تنظم فيه العلوم و تدون .

و قد تميز هذا العصر بوضع أسس كل العلوم – تقريبا – التي ظهرت فيما بعد . و في هذا يقول الذهبي : ((شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث و الفقه و التفسير فصنف ابن جريج بمكة ، ومالك الموطأ بالمدينة و الأوزاعي بالشام ، و ابن أبي عروبة وحماد ابن سلمة و غيرهما بالبصرة ، و معمر باليمن و سفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي ، و صنف أبو حنيفة – رحمه الله – الفقه والرأي ، ثم بعد يسير صنف هشيم ، و الليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك ، و أبو يوسف و ابن وهب ، كثر تدوين العلم و تبويبه ، و دونت كتب العربية و اللغة و التاريخ وأيام الناس ، و قبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة))[2].

بعدما دونت العلوم في العصر العباسي استقرت على الانفصال وإن كان في كل عصر من العصور يبرز من العلماء من يجمع في فكره بين معارف متنوعة ومتكاملة ، إلا

---

(1) أحمد أمين : فجر الإسلام. ص 163-164.
(2) نقلا عن السيوطي : تاريخ الخلفاء . ج1 . ص 161.

أن انفصال العلوم الإسلامية و إن كان له فوائد من الناحية الفنية فإنه وبمرور الزمن أصبح يعطي انطباعا جزئيا عن الإسلام ، فمن يقرأ كتب الفقه مثلا – لا يجد لها صلة بالعقيدة ، و من يقرأ كتب الكلام لا يجد لها صلة بالناحية العملية.يقول محمد لمبارك : ((وأصبحت هذه الجوانب كلما تقدم الزمن منفصلة بعضها عن بعض ، بعد أن كان الإسلام وحدة شاملة ، و هذا يعطي عن الإسلام صورة جانبية ، فهناك إسلام علم الكلام ، وهناك إسلام الأخلاق و هناك إسلام الفقه و التصوف ، و الصورة الجانبية لا يمكن أن تعتبر صورة كاملة تامة ، ولذلك فإن تشعب هذه النواحي و إن كان فيه تسهيل من الناحية العلمية والدراسية ، تجزئة لحياة موحدة لا يحصل في أجزائها ما يحصل في تركيبها جملة واحدة))[1].

ب – التعليم :

يعد التعليم من أهم السبل التي ترقى بها الأمم أو تسقط ،كما أنه الوسط الذي تنتقل عبره المعارف بين الأجيال ،فهو همزة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وعن طريقه أنشأ الأنبياء أجيالا متميزة عبر التاريخ البشري ، و قد اهتم العلماء بإصلاح التعليم منذ القديم لأنه هو الذي ينشئ أرقى أصناف الناس من كل من تمرس بالأشغال و الأعمال و عن طريقه يمكن إعداد قادة للأمة في الدين و الدنيا يقودونها ويرشدونها ((و هو الذي يفيد ترقية المدارك البشرية ، و صقل الفطر الطيبة لإضاءة الإنسانية وإظهارها في أجمل مظاهرها ، فيخرج صاحبها عن وصف الحيوانية))[2].

و حين نراجع تاريخ التعليم بالنسبة للعلوم الإسلامية نجد أن الرسول – صلى الله عليه و سلم – كان يرأس مجالس العلم ، و قد تخرج عليه جيل يعتبر أحسن جيل في التاريخ الإسلامي ، فركز على بنائه عقديا في مكة المكرمة ، ثم على الناحية التشريعية حين هاجر إلى المدينة إلا أن العقيدة بقيت دائما تحرس الشريعة و توجهها – و هذا ما نلاحظه في الآيات التشريعية – إذ لا تخلو من العقيدة، و بقي الصحابة يأخذون الدين كلا متكاملا مقتدين بأخلاق الرسول – صلى الله عليه وسلم – و خصائص شخصه الكريم .

---

[1] محمد المبارك : ذاتية الإسلام أمام المذاهب و العقائد. ص 14.
[2] ابن عاشور : أليس الصبح بقريب. ص 117.

و بعـــد بداية تدوين العلوم إلى جانب أسباب أخرى رأينا كيف حدث الانفصال بين العقيدة و الشريعة ، هذا الانفصال أصبح ينقل عن طريق التعليم إلى الأجيال ، فغابت في أوساط المسلمين –في كثير من الأحيان– المظاهر العملية للإسلام أو اختلت ، كما أن التعلـــيم و بعدمـــا اكتملت العلوم الإسلامية وبلغت نضجها المتميز ، ثم أتى عليها عصر الانحطاط تأثر بذلك لأنه عبارة عن ممارسة لتلك العلوم .

و يـــرجع علماء المسلمين قصور التعليم في البلاد الإسلامية – على العموم – إلى مجموعة من الأسباب من بينها :

1- عـــدم وجـــود مراقبة للعلوم و التعليم منذ القدم : هذه المراقبة التي بوجودها يمكـــن التمييـــز بين الطيب و الخبيث ، فكان من الواجب تعيين عقلاء حكماء من القوم لاختـــيار مـــا يلائم كل فترة من الفترات ، ومن الضروري أن يكون هؤلاء العقلاء من المتعلمين العارفين بمواطن النقد قادرين على اختيار ما يلائم حاجات الزمن و النفوس .

2- إهمـــال الضبط : فحين نرجع إلى هذه الناحية نجد أن التعليم في سائر أحواله كـــان اختياريا ، إذ يتعلم المتعلم باختياره ، و يلتحق بمن شاء من الشيوخ ، ويدرس ما يروق له من الكتب دون ضبط أو مراقبة . ويرى محمد الطاهر بن عاشور: ((أن التعليم لا يصلح الأمة ما لم يكن بصفة كلية عامة تسوي بينها في العوائد و الأخلاق ،و إلا لكان كل فرد منها على خلق كأنه أمة واحدة))[1].

3- خلل في التآليف و المدرسين و المتعلمين :

وقد أثر قصور التعليم على أحوال المسلمين عموما ، و في هذا نجد محمد عبده قد ربـــط سبب تأخرهم ، و خضوعهم للمستعمر و خذلانهم بانحطاط التعليم الديني عندهم حيـــث يقول: ((و إذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لا نجد إلا ســـببا واحدا و هو القصور في التعليم الديني ، إما بإهماله جملة كما هو الحال في بعض البلاد و إما بالسلوك إليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر .

أما الذين أهمل فيهم التعليم الديني فجمهور العامة في كل ناحية ، لم يبق عندهم من الدين إلا أسماء يذكرونها و لا يعتبرونها ، فإن كانت لهم عقائد فهي بقايا عقائد الجبرية

---

[1] **المرجع السابق : ص 159.**

و المرجـــئة نحو أنه لا اختيار للعبد فيما يفعله و إنما هو مجبور فيما يصدر منه جبرا محضا ، فـــلهذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض و لا اجترام السيئات و مثل أن رحمة الله لا تدع ذنبا حـــتى تشمله بالغفران قطعا لا احتمال معه للعقاب، فليفعل الإنسان ما يفعل من الموبقات و ليهمل ما يهمل من المفروضات ، فلا عقاب عليه ، و ما شاكل ذلك مما أدى إلى هدم أركـــان الديـــن من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ، ولا منشأ لهم إلا عدم تعليمهم عقـــائد دينهم و من غفلتهم عما أودع في كتاب الله و سنة رسوله ، وأما الذين أصابوا شـــيئا مـــن العلم الديني فمنهم من كان همهم على أحكام الطهارة و النجاسة و فرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك و متى أدوا هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين و إن هدموا كل ركن سواهما و يشتركون مع الأولين في تلك العقائد الفاسدة ...))[1].

و قـــد وقـــف المسلمون لفترة طويلة عند ما وصل إليه القدماء من نتائج في مجال العلـــوم الإســـلامية ، و ســـلكوا في مناهجهم مسلك التقليد وعرض القديم دون نقص أو زيـــادة ، و هـــذا التقليد يؤدي إلى السطحية والتركيز كثيرا على الخلافات اللفظية .

و لعل أهم النقاط التي ركز عليها دعاة الإصلاح في مجال التعليم هي :

1- نقد المناهج القديمة و التي تميزت بالتحجر و تقديس القديم .

2- الدعـــوة إلى تجنـــب الخلافات و التعصب المذهبي إذ أننا حين نراجع الكتب القديمة نجدها لا تخلو من الشتائم و التعصب ، و الانفتاح على المذاهب يعطي سعة الأفق و يمكن من القدرة على تجاوز الخلافات .

3- الاهـــتمام بعلـــوم كانـــت مهملـــة : كالتركيز على السيرة النبوية ، بإبراز الانتصـــارات العظيمة التي حققها الرسول -- صلى الله عليه و سلم — وأصحابه في وقت قصـــير ، و الحديـــث عـــن أسباب ذلك ، و الاهتمام بالتاريخ الإسلامي وفلسفته للنظر في الســـنن الإلهـــية في قـــيام الحضارات وسقوطها و تحصيل العبر من ذلك ، إذ الاهتمام بالدراسات التاريخية يقضي على ضعف البصائر و ضيق التفكير.

---

[1] محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . ج2 . ص 341-342.

4- الاهـــتمام بالعقـــيدة الإسلامية و جعلها بمثابة الجذع المشترك لجميع العلوم الأخرى حتى تؤتي ثمارها ،يقول محمد عبده : ((إن العلوم العملية إذا لم تكن على عقائد صـــحيحة و إيمان صادق لا تلبث أن تضمحل ، و إن ثبتت فإنما تسوق إلى أعمال خالية عـــن الياات و خاوية من سر الإخلاص ، فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب عليها))[1].

5- الاهتمام بمقاصد الشريعة و أسرارها .

6- اختـــيار الكتـــب الصـــالحة للتدريس ، و توزيعها حسب القدرات الذهنية للمتعلمين و ذلك بإنشاء هيئة تقوم باختيار هذه الكتب مع مراعاة مواكبة التعليم و برامجه لحاجات العصر .

7- الاهتمام بالأخلاق على مستوى المعلمين و المتعلمين .

يقول ابن عاشور : ((و من العار الكبير أن ترى كثيرا ممن ينتصب لتعليم النشء تعجبك أجسامهم ، و تبهجك بزتهم ، و تعظم صورهم ، ولكن ما بينك و بين أن ترمقهم بضـــد ذلك إلا أن تحاكهم و تعاشرهم أو تجادلهم فترى تلك الهياكل العظيمة فارغة من الفضـــيلة و مكارم الأخلاق و المروءة ، و بذلك رزئت الأمة أنفع عنصر في حياة الأمم وكمالها و هو الأخلاق ، و إذا كانت تلك حالة خاصة الناس فما ظنك بعامتهم ، و إذا ذهـــب وقـــت التعليم عن الطلبة و لم يتلقوا فيه فضائل الأخلاق فمن العسير أو المتعذر تلقينها لهم من بعد . لأن فيما يدخل فيه المتحصل على الشهادة أو نحوه من معترك الحياة شغلا شاغلا عن ذلك))[2].

8- الاهـــتمام بالتآليف : وجه كثير من علماء المسلمين اهتمامهم إلى هذه الناحية لأنه بإصلاح التآليف يصلح التعليم يقول محمد الطاهر بن عاشور : ((إذا كنا نرتقب من إصـــلاح التعلـــيم إصـــلاح المعلمين وطريق اختيارهم فإن التآليف – وهي المعلم الأولى للتلمـــيذ و المذكر المرشد للمدرس – أجدر بأن تعطى لفتة من الإصلاح ، إذ هي الفاعل القـــوي في نفـــس التلمـــيذ و على مرتبتها تكون نفوس التلامذة ، و لو وازن الناس بين إصلاح التآليف و إصلاح المعلم لرأوا أن إصلاح التآليف يصل بنا إلى غرضنا ، و إن بقي

---

(1) المرجع السابق : ج2 . ص 343.
(2) ابن عاشور : ألبس الصبح بقريب . ص 124.

المعـــلم عـــلى حالـــه فإنه مهما بلغ به الجمود لا يمكنه أن يحول بين الأفهام و بين ما في التآليف... و إصلاح التآليف هو الخطوة الأولى ، بل هو نصف المسافة من إصلاح العلوم فمـــا العلوم إلا معاني التآليف ، و إنها لا ترجو تقدما ما دامت محبوسة في تآليفها القديمة التي وقفت بها عند القديم منذ ستمائة سنة))[1] .

إنـــنا لن نرتقي بمعارفنا إذا بقينا نقدس أفكار السابقين و نحبس أنفسنا في إطار ما توصلوا إليه ، معتقدين أنه قصارى ما يمكن أن تصل إليه قدرة البشر .

واهـــتم بعـــض العلماء بتوجيه النقد إلى الكتب التي كانت متداولة في التدريس بالبلاد الإسلامية ، و أدركوا أنها كانت من أسباب تعطيل الناحية العملية أو الانفصال بين العقيدة و الشريعة –في كثير من الأحيان–.

و قـــد لاحـــظ هؤلاء أن الكتب التي كانت متداولة في الأزهر والزيتونة وجل المعـــاهد الإسلامية هي الكتب التي انتهى إليها الفكر الإسلامي القديم ، ففي مجال العقيدة كانت الكتب المتداولة هي الكتب الكلامية ككتاب : شرح العقائد النسفية للتفتازاني[2] وشـــرح جوهـــرة التوحيد للباجوري[3] و قد تميزت الكتب الكلامية بالنزعة التجريدية وإهمالها للناحية العملية التربوية للعقيدة الإسلامية [4]. ولذلك لابد من تجاوز هذه الكتب و الرجوع مباشرة إلى القرآن الكريم و السنة النبوية في أخذ العقيدة الإسلامية .

أما في مجال الفقه فهناك دعوة إلى ضرورة صياغة الكتب بطريقة تعطيها دورا فعالا في وســـط المسلمين و تخرج الفقه من الصياغة القانونية والعرضية الاستطرادية إلى صياغة تضمن للأحكام التطبيق في الواقع ، فدعا عبد المجيد النجار –مثلا – إلى ضرورة وصل هذه الأحكام بالعقيدة ، و ذلك بطريقتين :

((الأولى : أن يعمـــد إلى كل محور من محاور الشريعة الإسلامية فيدرج بين يديه مبحث عقدي يتعلق به ، و يكون ذلك المبحث سندا لكامل قضايا المحور .

---

(1) المرجع السابق : ص 99-100.

(2) هو مسعود بن عمر بن عبد الله و لقبه سعد الدين ، ولد عام 712 هـ/ 1312م بتفتزان و توفي سنة 791هـ /1389م(.القنوجي : أبجد العلوم . ج3 . ص 57.)

(3) هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني ، الملقب ببرهان الدين ، توفي سنة 1041هـ/1631م (الزركلي : الأعلام . ج2 . ص62.)

(4) غازي التوبة : في مجال العقيدة الإسلامية نقد و عرض . ص 6-7.

الثانـــية : أن تقرن القضايا و الأحكام الشرعية المندرجة في محاورها العامة بمعازيها العقدية القريبة المندرجة في مباحثها الكلية ، بحيث لا يقرر حكم ، و لا يصاغ للتطبيق إلا و هـــو مرتبط بسند عقدي جزئي إضافة إلى السند العام))[1]. و بهذه الصياغة يمكن أن تؤتي هذه التآليف ثمارها حين تطبق في المجال التعليمي .

وإذا رجعـــنا إلى التآليف في مختلف المذاهب الفقهية نلاحظ أن المذهب الذي تميز بالوصـــل بـــين العقيدة و الشريعة هو المذهب الظاهري ، و إن كان وصلا شكليا، فيبدأ المؤلـــف بالحديث عن التوحيد ، و بعدها الحديث عن الأمور الفقهية.كما وجدت كتب في مذاهب أخرى اشتهرت بذلك منها :

رســـالة أبي زيد القيرواني التي يطلق عليها باكورة العهد . و قد جمع هذا الكتاب بين العقيدة و الفقه و الأخلاق ، و كذلك إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (و سيأتي الحديث عنه بالتفصيل) أما حديثا فلعل أهم من كتب بهذه المنهجية محمد المبارك في أغلب مؤلفاته و المودودي وسيد قطب وباقر الصدر...

و الحقـــيقة أن الصـــبغة العامة التي طبعت بها الكتب القديمة بالنسبة لكتب الفقه الاهـــتمام بالجانـــب المعلوماتي على حساب الجانب المنهجي ، فمما أهملته وصل أحكام الشريعة بالعقيدة . أما بالنسبة إلى كتب علم العقيدة ، فتميزت بالنزعة التجريدية و إهمال الآثار التربوية و العملية للعقيدة الإسلامية .

انتقلـــت هـــذه العدوى إلى مجال تعليم العلوم الإسلامية في الحاضر، ففي المراحل الأولى يختصـــر الديـــن كله في تدريس مادة تسمى " التربية الإسلامية " يدرسها كل من أتيحـــت له فرصة ذلك . وفي تخصص العلوم الإسلامية : تدرس في الثانويات بالنقائص الـــتي يحملها الطلبة من الجامعة : إذ قد يدرسها طلبة العقيدة و قد درسوا هذا التخصص بعـــيدين عن الفقه –إلا في بعض الجزئيات–و ما يتعلق به من أحكام فتكون بالنسبة لهم مـــرحلة تكويـــن جديدة – و فاقد الشيء لا يعطيه – و قد يدرسها طلبة التخصصات الأخرى و هم أيضا كانوا بعيدين عن الناحية العقدية .

---

(1) عبد المجيد النجار : في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية (تنزيلا على الواقع الراهن) . ص 52-55.

فالانفصـــال الملاحـــظ في دراسة العلوم الإسلامية في الجامعة ينقل إلى المستويات الأخرى . و بعدها يصبح واقعا في مجتمعنا .

و إذا حاولنا إلقاء نظرة على هذا الانفصال على مستوى الجامعة . فنلاحظ أنه في الجـــذع المشترك تدرس – تقريبا – جميع فروع العلوم الإسلامية ويكون الطالب حديث عهد بها ، فعندما يبدأ يفقهها يجد نفسه أمام التخصص الذي يعزله عن باقي التخصصات فتصـــبح معلوماتـــه مرتبطة به فقط ، و في التخصص لا يجد ما يشعره بذلك الحب الذي دفعه إلى اختياره : ففي تخصص العقيدة – مثلا – يجد أنه ابتعد عن الناحية العملية و بدأ يعيش علمانية فردية . يحمل كما من المعلومات لا صلة لها بالواقع كما تبرز ظاهرة أخرى و هـــي الانفصـــال على مستوى التخصص فيضيع الطلبة بين السلفية المتطرفة و الانفتاح المشوش : أما في التخصصات الأخرى ففيها خلل التركيز على المعلومات و إهمال المنهج . في حين انه يمكن تدارك الخلل بإعادة النظر في البرامج ، كما يمكن ذلك بالاهتمام بتدريس بعض المواد يؤكد فيها بصفة دائمة على ضرورة الوصل بين العقيدة والشريعة مثل : تفسير القـــرآن الكـــريم ، آيات الأحكام ، وأحاديث الأحكام ، و مقاصد الشريعة الإسلامية . الإنسان في القرآن والسياسة الشرعية و كلها مقاييس إذا روعي فيها المنهج السليم أمكننا ذلك من بناء أشخاص مميزين على المستوى الواقعي .

نعـــم لقـــد كثرت مراكز تعليم العلوم الإسلامية إلا أننا دائما نفتقد إلى النوعية لنحقق الوصل على المستوى الواقعي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :

تـــأزم الفكـــر العقـــدي و الفقهـــي وازدواجـية المرجعـية في أخـذ أمـور الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ-في المجال العقدي:

مما لا ريب فيه أننا حين نرجع إلى القرآن الكريم نجده قد أحاط بكل شيء علما وبخاصة ما يتعلق بمسائل العقيدة ، فقد نزل في قوم كان الانحراف العقدي ظاهرة متفشية في وسطهم و بخاصة ما له صلة بالألوهية، فجاء القرآن الكريم ليبين لهم المعرفة الصحيحة بـالله -عز وجل- و أمدهم مفاتيح الإيمان بكل قضايا العقيدة الأخرى : الإيمان بالملائكة والكتب السماوية و الرسل و القضاء و القدر و البعث .

و يتعرض القرآن الكريم لهذه الحقائق يكون قد انتشل العقل البشري من الخرافات و الوقـوع في مختلف مظاهر الطغيان ، و اختصر أمامه مسافات طويلة للضياع و التيه وأعطاه ما يمكن أن يعالج به أمور دنياه و ينقذه من مظاهر الجاهلية في كل زمان و مكان.

و لربانـية هـذا المنهج و صلاحيته لكل الفئات على اختلاف مستوياتهم المعرفية وقدراتهم العقلية أنشأ جيلا من الناس تحقق فيهم معنى التقويم الحسن للنوع البشري ،ذلك لأنـه استقى عقيدته من النبع مباشرة فعايشها و تأقلم معها بكل إخلاص و محبة فتكونت لديـه روح الاسـتجابة المباشـرة للتأثر و التأثير في الحياة. يقول سيد قطب : ((و بهذا التصـور المسـتمد مباشرة من القرآن ، تكيفت الجماعة المسلمة الأولى ، تكيفت ذلك التكيف الفريد ، و تسلمت قيادة البشرية ، و قادتها تلك القيادة التي لم تعرف لها البشرية مـن قبل و لا من بعد نظيرا . وحققت في حياة البشرية سواء في عالم الضمير و الشعور أو في عالم الحركة والواقع ، ذلك النموذج الفذ الذي لم يعهده التاريخ .

و كـان القرآن هو المرجع الأول لتلك الجماعة فمنه انبثقت هي ذاتها ، وكانت أعجب ظاهرة في تاريخ الحياة البشرية ، ظاهرة انبثاق أمة من خلال نصوص كتاب، و به عاشت و عليه اعتمدت بالدرجة الأولى))[1].

لقـد تجنـب هؤلاء الجدل العقيم في المسائل العقدية و كانوا يعيشون الدين كلا متكاملا كما يتلقونه ، و السبب في ذلك حضور الرسول – صلى الله عليه وسلم – بينهم و ارتباطهم ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم . إلى جانب ثبوت نهي الرسول – صلى الله عليه و سلم – لهم عن ذلك . فعن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى

---

[1] سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي . ص 6-7.

الله عليه و سلم - ((ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل))[1] ، ثم تلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}[2].

- كما روي عنه صلى الله عليه و سلم -- أنه نهى عن الحديث في مسألة القدر الإلهي بالذات . فعن أبي هريرة . قال : خرج علينا رسول الله -- صلى الله عليه و سلم – و نحن نتنازع في القدر . فغضب حتى احمر وجهه كأنما فقئ في وجنتيه الرمان . فقال ((أ بهذا أمرت أم بهذا جئت إليكم . إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ،عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه))[3].

لقد كان – صلى الله عليه و سلم – يعلم ما يصير إليه حال الأمة من انزلا قات جراء الخوض في مثل هذه القضايا . و حين نهاهم عن ذلك انتهوا وسعدوا بمنهج القرآن الكريم في عرض العقيدة مطمئنين بذلك . يقول المقريزي : ((و لم يكن عند أحد منهم – أي الصحابة – رضي الله عنهم ما يستدل به على وحدانية الله – تعالى – و على إثبات نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ، و لا مسائل الفلسفة ، و مضى عصر الصحابة – رضي الله عنهم – على هذا))[4].

و فسر التفتازاني منهجهم ذلك بسبب من صفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم- و قرب العهد بزمانه ، و لقلة الوقائع و الاختلاف، و تمكنهم من الرجوع إلى الثقات[5] فأوقفوا جل اهتمامهم على القرآن حفظا وتطبيقا لتعاليمه على الواقع المعيش . فاستجابوا لنداء الإيمان بتعمير الأرض والجهاد في سبيل الله ، فلم يكن لديهم مجال للجدل في مسائل العقيدة .

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب : تفسير القرآن ، باب : رقم 44 ، حديث رقم 3253 (353/5). و أحمد في مسنده (252/5) . و ابن ماجة في سننه في المقدمة ، باب : اجتناب البدع و الجدل ، حديث رقم 48 . (19/1)

(2) الزخرف / 58.

(3) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر حديث2133(4/386).

(4) المقريزي: الخطط. ج 2. ص 356.

(5) التفتازاني: شرح العقائد النفسية. ص 11.

و بمرور الزمن ، و ما حدث في واقع المسلمين من أحداث سياسية واجتماعية في منتصف القرن الهجري الأول ،طغت على الوجود مسائل عقدية كثر حولها الحديث واستقطبت اهتماماتهم من ذلك مثلا : القضاء و القدر و حكم مرتكب الكبيرة و البحث في صفات الله ،إلى جانب انتشار الفكر الفلسفي اليوناني و بخاصة المنطق للرد على الخصوم ، وبذلك تكون قد اجتمعت أسباب داخلية و أخرى خارجية مهدت في مجملها إلى ظهور علم الكلام .

و قد نشأ هذا العلم نشأة واقعية للدفاع عن العقيدة لذلك كان في طوره الأول يمثل ضرورة دفاعية إلا أنه مع مرور الوقت تحول إلى جدل في جزئيات لا تنم بصلة للواقع أو الدفاع عن العقيدة و بخاصة في طور الجمود و التقليد ((فأصبح هذا العلم في الغالب ألفاظا و مصطلحات تردد ، و أستدلالات تكرر ، دون أن تكون لها صلة بوضع العقيدة الإسلامية في واقعها الزمني من حيث ما يتجه إليها من المطاعن والشبه))[1].

و قد أرجع العلماء أسباب تأخر هذا العلم إلى ما يلي :

1 – كثرة الخلافات في المصطلحات و الجدل حول ذلك .

2 – الغلو في التنزيه ، فوصفوا الله – عز و جل – بما لم يصف به نفسه معتقدين بذلك تنزيهه مثل : التكليف بما لا يطاق و تعذيب المطيع.

3 – التنابز و التعصب للمذاهب ، مما أدى إلى رفض الحق ، والتساهل في الحكم على المخالفين بالكفر ((و لو قصر الخلاف بين العلماء فقط لكان أمر التفريق يسيرا ولكن حف به من الحمية والتعصب ما بعث كل طائفة على الانتصار بجماعة من العامة يلقنونهم سطحيا فساد مذاهب المخالفين ، فتتخيلها العامة إلحادا في الدين))[2].

4 – إدخال أمور في التوحيد ليست منه و الغرض من ذلك إكبارها في نظر العامة[3].

إن الصورة التي وصل عليها إلينا علم الكلام جعلته محدود الفائدة كما قوبل بالرفض من قبل كثير من العلماء سواء تعلق الأمر بالشكل أم بالمضمون .

---

(1) **عبد المجيد النجار: الإيمان و أثره في الحياة . ص 23.**
(2) ابن عاشور: أليس الصبح بقريب. ص. 23.
(3) **المرجع نفسه: ص** 208–211.

يقـــول الشيخ محمد الغزالي : ((فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن و شرح و حاشية ، و تقرير و في لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء لغة تصور سقوط البلاغة العربية ... على أننا إذا تغاضينا عن الشكل . و تعرضنا للجوهر بالـــنقد و التمحـــيص لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية و التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم))[1].

- و مما يؤاخذ عليه منهج علم الكلام في عرضه لقضايا العقيدة إيغاله في التجريد ممـــا يعيق الفهم و الإفهام في تحقيق نتائج مطمئنة ، كما لا يخفى أن الفلسفة اليونانية من أهـــم المؤثرات في هذا المنحى التجريدي . و الواقع أننا في زمن نحتاج فيه إلى منهج يجعلنا نعيش عقيدتنا و نكون قادرين على كل ما يواجهها من تحديات .

يقـــول ســـيد قطب : ((إننا لا نبغي بالتماس حقائق التصور الإسلامي ، مجرد المعـــرفة الثقافية ، لا نبغي إنشاء فصل في المكتبة الإسلامية يضاف إلى ما عرف من قبل باسم " الفلسفة الإسلامية " ، كلا ، إننا لا نهدف إلى مجرد المعرفة الباردة، التي تتعامل مع الأذهان، و تحسب في رصيد " الثقافة " إن هذا الهدف في اعتبارنا لا يستحق عناء الجهد فـــيه ، إنـــه هدف تافه رخيص ،إنما نحن نبتغي " الحركة "من وراء " المعرفة " نبتغي أن تســـتحيل هذه المعرفة قوة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع نبتغي استجاشة ضمير " الإنســـان " لتحقيق غاية وجوده الإنساني ، كما يرسمها هذا التصور الرباني ، نبتغي أن ترجع البشرية إلى ربها وإلى منهجه الذي أراده لها ، و إلى الحياة الكريمة الرفيعة التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان، و التي تحققت في فترة من فترات التاريخ ، على ضوء هـــذا التصـــور ، عندما استحال واقعا في الأرض ، يتمثل في أمة تقود البشرية إلى الخير والصلاح والنماء))[2].

لقد تمرس علماء الكلام بالمنطق اليوناني ، فأوغلوا في التجريد ، فأصبحت المفاهيم التي يعرضونها صعبة المنال حتى على المتخصصين ، فدعا العلماء إلى إلجام العوام عنها لما يؤدي إليه الخوض فيها من تشويش أو اضطراب في العقيدة .

محمد الغزالي: عقيدة المسلم. ص 13- 14.

و الحقيقة أن هذه الأبحاث و برغم ما لها من قيمة في الرياضة الذهنية ، فإن فائدتها في الجانب الحياتي ضئيلة . ((و إذا نحن وازانا بين ما أجداه علينا علم الكلام و بين ما خسرناه بسببه وجدنا الخسارة تربو على الربح ، فتوحيد الله مقرر في القرآن بأجلى بيان وأكمل برهان ، و صفاته لا يطمع طامع في إثباتها بأكمل مما أتى به القرآن ، و طريقة القرآن في التنزيه أقوم طريقة .

و قد جرى عليها الصحابة ، فكانوا أكمل الناس توحيها مع أنهم لا يعرفون الجوهر والعرض ، و هل يبقى زمانين ؟ و لا الكم و لا الكيف ، بمعانيها الفلسفية الدقيقة و على هذا فما معنى إضاعة الوقت وإعنات النفس في معرفة هذا العلم المسمى بعلم الكلام . . . فوا أسفاه على تلك الحملات العنيفة التي كانت جهادا و لكن في غير عدو ، ووا لهفاه على ذلك النقع المثار ، و قد انجلى عن غير فتح و لا غنيمة ، وواحسرتاه على ذلك الذكاء الذي يكاد تشق له حجب الغيب ، ذكاء أبي بكر الباقلاني ، و فخر الدين الرازي ، و أبي الهذيل العلاف ، وابن المعلم ، و قد ضاع فيما لا تعود على الإسلام منه فائدة))[1] .

إن علم الكلام و إن كنا نسلم أنه قد حقق في طور نشأته الأولى خدمة للمسلمين بما قام به من رد على العقائد المنحرفة ، إلا أنه بابتعاده عن البعد الواقعي وجنوحه إلى التجريد و التعصب أصبح يشكل حائلا دون الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية. و نحن حين نتصفح رفوف المكتبات في جميع القطر الإسلامي . لا نكاد نجد في الركن المخصص للعقيدة إلا كتب علم الكلام ، إذ أصبحت هذه الكتب تشكل المرجعية في هذا المجال . وهذا يحول بين المسلمين والفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية ،وينتج عنه ازدواجية في أخذ العقيدة و بخاصة للذين يقرؤون القرآن أما أولئك الذين لا يرجعون إلى القرآن الكريم والتمعن في آياته فإنهم لن يتلذذوا بالمعنى الصحيح للإيمان إذا لم يجدوا أمامهم غير هذه الكتب.

لقد فصلت كتب الكلام بين عالم الشهادة وعالم الغيب عند المسلمين. فربطتهم برباط المنطق و الجدل بعالم الغيبيات . و عزلتهم عن عالم الشهادة : ((وكان

---

(1) آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 1. ص 167- 168.

لذلـــك انعكاس سيء على الحياة العملية للمسلمين إذ تقاعست هذه الحياة عن الاندفاع نحو التعمير في الأرض باستثمار الكون وترقية الإنسان بالحرية و العدالة و السعي الدءوب لتحقيق الخلافة . فهذه مسائل خارجة في دائرة الوعي عن أن تكون مسائل عقدية))[1].

و يرى طه جابر العلواني . أن جل محاولات إصلاح العقيدة بذلت في إطار الجدل الكلامي. و الفهم النظري المجرد . حيث لم يكن تنزيلها على الواقع و تقويم سلوك الناس بها . و ترجمتها إلى مسالك و مناهج. ونظم فيما وراء العبادات مساحات فكرية تذكر ، فانقلبت بحوثها إلى تجريدات ذهنية بعيدة عن الفائدة العملية كشجرة لا ثمرة لها [2].

لقد كان للنزعة التجريدية التي اتسم بها علم الكلام تأثير كبير في انفصال العقيدة عـــن الناحـــية العملية ، إذ أصبح هم المنشغلين بعلم العقيدة البحث عن الردود القوية لمواجهة الخصوم و إقامة المناظرات . و قد ساعد رجال السياسة على تحويل جهود العلماء إلى الانخراط في مثل هذا اللون من البحوث . يقول طه جابر العلواني : ((و بتشجيع من الســـلطة السياســـية كانـــت تعقد المناظرات بين هؤلاء العلماء المسلمين على اختلاف مذاهـــبهم و يغرى بعضهم ببعض ، كما كانت تعقد المناظرات الفقهية للأغراض نفسها و قـــد تطرق هؤلاء المتناظرون من كلاميين و فقهاء إلى قضايا لم يكن لهم — وفق أصول المنهجـــية الإســـلامية الواضحة و مقاصد الإسلام وغاياته — التعرض لها و شققوا منها تفريعات صار يمارس حولها جدل لا هدف له و لا غاية منه ، إلا الجدال و المغالبة ومراء أورث تناحرا ، وفرقة و عصبية و اختلافا كبيرا))[3] و بذلك ضاعت جـــــهود العلماء في الاهـــتمام بـــأمور لا يرجى من ورائها نفعا كبيرا للمسلمين .و من أسباب الفصل أيضـــا انحصـــار مدلول العقيدة في أذهان المسلمين ، وقد اهتم العلماء المحدثون المهتمون بإعـــادة الإحياء العقدي بإيضاح المدلول الصحيح للعقيدة. إن المهتم بالدراسات العقدية سيشعر لا محالة أن المسلمين قد ضلوا ردحا طويلا من الزمن ينظرون إلى العقيدة على أنها تتمحور حول ما يتعلق بذات الله وصفاته وحقيقة الفعل الإنساني، أو المباحث التي أثيرت في كتب المتكلمين، إلا أننا حين نرجع إلى الحديث النبوي الذي يعد المنطلق الأساسي بعد

---

(1) عبد المجيد النجار : دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية . ص 67.

(2) طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي. ص 24.

(3) المرجع نفسه: ص 56 – 57

القـــرآن الكريم في تحديد مفهوم الإيمان نجد الرسول – صلى الله عليه و سلم – يقول : ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته و بلقـــائه و رسله و تؤمن بالبعث))[1].

فمدلـــول العقيدة في هذا الحديث و غيره لا ينحصر في المباحث التي درج علماء الكلام على دراستها ، و إنما يتعداها إلى معان أوسع يشملها الإيمان بالرسول – صلى الله عليـــه و سلم – فالتصديق بكل ما جاء به النبي هو جزء من مدلول العقيدة حسب هذا الـــتعريف ، و المـــتأمل في القرآن الكريم يجد في بياناته مصداقا لهذا المدلول العام للعقيدة بحيث يشمل هذا المدلول الإيمان بكل ما جاء من عند الله في القرآن و الحديث من أوامر ونـــواه ، فإنكـــار أي مـــنها ، و تعطيل العمل به مع ثبوت نسبته إلى الوحي يعد ناقضا للعقيدة ، و هو ما نستشفه من قوله – تعالى – **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}**[2] و من قوله – تعالى أيضا – : **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِـــيمَا شَـــجَرَ بَيْنَهُمْ }**[3] ففي هاتين الآيتين نفي صفة الإيمان عمن أنكر حقيقة التعاليم الإلهـــية بعـــد ثبوتها ، أو عطل العمل بها تعطيل جحود ، و بمفهوم المخالفة ، فإن مدلول العقيدة يمتد ليشمل الإيمان بكل هذه التعاليم ، تصديقا بحقيقتها و وجوب العمل بها [4].

و يرى محمد المبارك ، أن مصطلح العقيدة مستحدث في العهد العباسي وهو و إن كـــان جائز الاستعمال فإنه أدى إلى تقليص مدلول الإيمان القرآني ، إذ سيقود حتما إلى فصـــل الجانب العقلي عن الجانب النفسي يقول :((هذا الاستعمال يتضمن فصل العنصر العقـــلي الـــذي هو مضمون العقيدة عن العنصر النفسي مع أن كليهما مجموع في لفظ الإيمـــان المســـتعمل في القـــرآن و الحديث ، وكذلك جمع أبحاث العقيدة في علم الكلام يتضـــمن تخصيص الأبحاث العقلية من العقيدة و إفرادها ، دون الجانب القلبي و النفسي الـــذي أفرد له علم آخر ، إن جمع أصول الإيمان ، و مسائل الاعتقاد في باب واحد تحت اســـم العقـــيدة عمل صحيح سليم ، و استحداث لفظ العقيدة لا يدل على استحداث مضمونها ، و لا يغير منه شيئا – بل إنه يفيد حصر قضايا الاعتقاد بتمييزها عن غيرها –

---

(1) **أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب :الإيمان . باب: سؤال جبريل للنبي- صلى الله عليه و سلم -عن الإيمان و الإسلام و الإحسان. حديث رقم 50. (33/1).**

(2) **المائدة / 44.**

(3) **النساء / 65.**

(4) عبد المجيد النجار: دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية. ص 64– 65.

ويـــزيد هـــا تـــنويرا و إيضاحا ، و لكنه ينطوي في الوقت نفسه على عملية فصل تلك الوحـــدة الحـــيوية الشـــاملة التي يحيط بها لفظ الإيمان ، و تشمل على عنصري العقل والعاطفة أو القلب ، و على انفصال الاتجاه العقلي عن الاتجاه النفسي القلبي))[1] .

مما لا شك فيه أن تقليص مدلول العقيدة أو التقليل من شمولية مضمونها قد أدى في كـــثير من الأحيان إلى حدوث شرخ أو انفصال بين الجانب الفكري والروحي ، وهو ما انجرت عنه تأثيرات و انعكاسات أفقدت العقيدة اشعاعها الداخلي ، فلا تنعكس على الحـــياة العملية.و لكي يتسنى لنا الرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من وصل للناحية العقديـــة بـــالعمل ، لابد من ترشيد الأفهام حول مدلول العقيدة ، والرجوع في استقاء قضاياها والانفعال بها إلى القرآن مباشرة فتكون لنا مرجعية واحدة لأخذ مفاهيمها، أما الـــتراث الفكـــري العقدي فندرسه على أنه نتاج بشري ندرسه دراسة واعية وننظر إليه نظـــرة تتســـم بروح العصر الذي نعيشه ، وتتشوف إلى حلول أفضل ، و في هذا الصدد يقـــول عبد المجيد النجار : ((إن من أول مظاهر الترشيد في تحصيل الأمة لعقيدتها هو أن تـــؤوب في هـــذا التحمل إلى المصدر النقي مصدرا وحيدا لفهم العقيدة ، بحيث تطلب حقائق العقيدة وتضبط صورها بالرجوع إلى القرآن والحديث كمصدر ملزم وحيد .

و أمـــا أفهـــام السابقين من الفرق و العلماء و الباحثين فإنها تصبح لا تعدو أن تكـــون وسيلة مساعدة على الفهم المباشر من القرآن و الحديث ، ويصبح الرجوع إليها مقتضى من مقتضيات المنهج في البحث و النظر و ليس بحال مقتضى من التدين باعتبارها مصـــدرا للعقيدة ، و حينئذ فإنها تكون ميسوطة على بساط الامتحان و النقد ، فيؤخذ مـــنها و يـــرد ، ويتحرى منها ما هو أقرب إلى الحق بقطع النظر عن نسبته إلى الفرق والأشخاص))[2].

ب–في المجال الفقهي :

إن المتأمل في حقيقة العلوم الفقهية قد يطمئن إلى أن هدفها الأسمى يتمحور حول تقـــديم مقاربـــات معرفية تجسد في مفاهيمها الأساسية تقريب فهم أحكام الشريعة إلى الأذهـــان ، منذ بداية تدوينها في منتصف القرن الثاني الهجري، و قد كان المسلمون في

---

(1) محمد المبارك: ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد. ص 28– 29.

(2) عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري. ج 2. ص 105– 106.

ذلك الزمن منشغلين بفقه السنة النبوية و ما أثر عن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - فتميزت تلك الكتابات على العموم بالبساطة واليسر . و كان قصد العلماء من وراء تدوينها ، إيصال أحكام الدين إلى القارئ و تمهيد الطريق لتابعيهم والقادمين من بعدهم كي يسلكوا السبل نفسها التي سلكوها ، و المتمثلة في الاعتصام بالكتاب و السنة والاجتهاد في تنظيم الحياة و التقنين لها ، والحرص على مد حاكميه الله العادلة و تطبيق أحكام شرعه على جميع قضايا الحياة ، و التعامل مع مختلف الحوادث المتجددة ، والنوازل المستمرة وفقا لمقاصد الشريعة و غاياتها ، و كلياتها و قواعدها ، للحفاظ على ارتباط الواقع في سائر الأماكن و الأزمنة بأصول الشريعة الحقة ومقاصدها[1].

و تمثل هذه المرحلة – و التي أتت بعدها – الفترة الذهبية بالنسبة للفقه وأصوله لقربها من عهد الرسول – صلى الله عليه و سلم – واعتماد العلماء أثناءها على القرآن والسنة ثم تشجيع الساسة للحركة العلمية ولعل أهم الكتب التي ألفت في هذه المرحلة : كتب الأئمة الأربعة [2].

ثم بدأ الانحطاط يسري في المجتمع الإسلامي و يمس العلوم الفقهية كما مس غيرها. بسبب الأوضاع العامة للمسلمين ، إلى أن بلغ مستوى أوسع بعد سقوط الدولة العباسية في القرن السابع الهجري إذ أصبحت العلوم الفقهية عبارة عن تكريس لما سبق تأليفه .

لقد أصابت العلوم الفقهية نزعة التجريد مثلما حدث لعلم الكلام، وغلب عليها طابع البعد عن النزعة الواقعية .

ثم بلغ الانحطاط مداه حين توقف الاجتهاد ، و أصبح كل ما يؤلف عبارة عن تقليد لكلام السابقين ، فانشغل العلماء بشرح المتون ، ووضع الحواشي عليها ، والحديث في أمور افتراضية لا علاقة لها بالواقع. ((يبتدىء المؤلف بوضع كتاب موجز يدعى " متنا " ثم يشرحه تلميذه من بعده ، و قد يشرح الشرح السابق ، ثم تكون الحواشي والتقريرات والهوامش ، و يكون بعد هذا اختصار الشروح الكبيرة إلى متوسطة

---

(1) طه جابر العلواني. إصلاح الفكر الإسلامي.ص 58.

(2) أنظر للتوسع في المراحل: بدران أبو العينين بدران. تاريخ الفقه الإسلامي ص 81.

وصغيرة و اختصار كذلك المتون في عبارة مكثفة أو نظمها شعرا يجمع إلى الركة الإيجاز المخل ثم يشرح هذا النظم و يحشى ويختصر))[1].

و لعـــل من أهم أسباب انحطاط العلوم الفقهية ، إلى جانب النزعة التحريدية التي آلـــت إلـــيها و التقلـــيد للسابقين ،العصبية التي أصبحت تحول بين المنتمين لمذهب من المذاهـــب و بـــين اتصالهم بالقرآن الكريم و السنة النبوية ،و تفرقهم فيما بينهم ، يقول الإبراهيمي : ((ومن آثارها فيهم جعل كلام غير المعصوم أصلا وكلام الله ورسوله فرعا يذكـــر للـــتقوية والتأييد إن وافق، فإن خالف أرغم بالتأويل حتى يوافق ، و هذا شر ما بلغـــته العصبية بأهلها ، و من آثارها فيهم معرفة الحق بالرجل ، و من آثارها فيهم اعتبار المخـــالف في المذهـــب كالمخـــالف في الدين ، يختلف في إمامته و مصاهرته ، و ذكاته وشهادته و قد طغت شرور العصبية للمذاهب الفقهية في جميع الأقطار الإسلامية ،و كان لها أسوأ الأثر في تفريق كلمة المسلمين ، و إن في وجه التاريخ الإسلامي منها لندوبا))[2].

و يذكـــر الإبراهـــيمي أن من آثارها في العلوم الإسلامية عموما أنها لم تمدها إلا بـــالجدل السخيف المكابر ، الذي لا يسمن و لا يغني من جوع ، و لكي نتجنب شرور هـــذه العصبية لابد من صرف الناشئة إلى تعليم فقهي يستند إلى الاستقلال في الاستدلال وعدم الحجر عليها في استخدام مواهبها إلى أقصى الحدود[3].

و بنزعة التعصب للمذاهب شاعت في أوساط المسلمين مجالس المناظرة وانصرف هـــم الفقهـــاء إلى الدفاع عن المذهب و السعي إلى التغلب على المخالف . فنما الجدل و الخلاف و أصبحت للمناظرة أسس و قواعد يجب مراعاتها والتزامها[4].

– و كـــلام الإبراهـــيمي يشير إلى أن العلوم الفقهية بما احتوت عليه من سلبيات أصبحت تشكل حائلا بين المسلم و الخطاب الإلهي (القرآن و السنة) بل أصبح القرآن لا يوظف إلا كفرع لتقوية الرأي المذهبي ، و ليس هدفا في حد ذاته.

---

(1) مناع القطان : تاريخ التشريع الإسلامي . (التشريع و الفقه) . ص 332.
(2) آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ج1. ص 165.
(3) المرجع نفسه :ج1 . ص 165-166.
(4) مصطفى سعيد الخن : دراسة تاريخية للفقه و لأصوله و الاتجاهات التي ظهرت فيها . ص 199.

كـــل ذلك أدى إلى ابتعاد المسلمين عن القرآن الكريم و إهمال تطبيق أحكامه . إذ أصبح مرجعهم في دينهم ما أنتجه الفكر البشري ، الذي يفقد صفة الإلزام في التطبيق (التي يتميز بها القرآن الكريم) . يقول النورسي في تشخيص هذا الداء و كيفية علاجه : " إن الـــذي يسوق جمهور الناس إلى الاتباع ، وامتثال الأوامر ، هو ما يتحلى به المصدر مـــن قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة .

فينـــبغي إذا أن تكـــون هذه الكتب الفقهية بمثابة وسائل شفافة - كالزجاج - لعرض قدسية القرآن الكريم و ليس حجابا دونه أو بديلا عنه.

إن ذهـــن الإنسان ينتقل من الملزوم إلى اللازم و ليس إلى لازم اللازم - كما هو مقـــرر في علم المنطق - و لو انتقل فبقصد غير طبيعي ، فالكتب الفقهية شبيهة بالملزوم والقـــرآن الكريم هو الدال على تلك الأحكام الفقهية ومصدرها ، فهو اللازم و الصفة الملازمة الذاتية للقرآن الكريم هي القدسية المحفزة للوجدان ، ولأن نظر العامة ينحصر في الكتـــب الفقهـــية فحســـب فـــلا ينتقل ذهنهم إلى القرآن الكريم إلا خيالا ، و نادرا مـــا يتصورون قدسيته - من خلال نظرهم المنحصر - ومن هنا يعتاد الوجدان التسيب ويتعود على الإهمال فينشأ الجمود [1]

لقـــد أصـــبحت العلوم الفقهية بمرور الزمن تشكل -نسبيا-حائلا بين المسلمين وقـــرآنهم من جراء التقليد والعصبية ، و يرى النورسي أن علاج ذلك يتم بتوجيه أنظار العامـــة إلى الخطـــاب القرآني الساطع بإعجازه ، و المحاط بهالة القدسية التي تهز الوجدان بالإيمان . ويرى أن ذلك يتم بثلاث طرق :

الأولى : إما بإزالة الحجاب بتوجيه النقد ، و التجريح بمؤلفي الكتب الفقهية الذين يستحقون الاحترام و التوقير و الثقة و الاعتماد ، و هذا إجحاف بحقهم .

الثانـــية : أو تحويـــل تلك الكتب تدريجيا إلى كتب يستشف منها فيض القرآن الكـــريم، أي تصبح تفسيرا له و يمكن ذلك باتباع طرق تربوية منهجية خاصة حتى تبلغ تلك الكتب إلى ما يشبه كتب الأئمة المجتهدين ، أمثال " الموطأ " للإمام مالك، و(الفقه

(1) النورسي: صيقل الإسلام. ص 348.

الأكـــبر) لأبي حنـــيفة ، فعندئذ لا يقرأ كتاب ابن حجر مثلا بقصد ما يقوله ابن حجر نفسه ، بل يقرأ لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم ، وهذا بحاجة إلى زمن مديد .

الثالـــثة : شـــد أنظار جمهور الناس دوما إلى مستوى أعلى من تلك الكتب التي أصبحت حجابا ، أي شدها باستمرار إلى القرآن وإظهاره فوقها دائما ، فتؤخذ الأحكام الشرعية من منبعها الأساسي و هو القرآن الكريم، أما الأمور الاجتهادية التي ترد بالواسطة فيمكن مراجعتها في مظانها[1] .

و لعل التفاسير الحديثة حاولت تحقيق هذه الخطة في العرض مثل : تفسير الظلال لسيد قطب .

تفسير : من وحي القرآن : لمحمد حسين فضل الله .

تفسير : من هدي القرآن : لمحمد تقي المدرسي .

إلى جانـــب : كتب العلماء الذين اجتهدوا في الرجوع إلى النبع ودعوا إلى ذلك على المستوى النظري و التطبيقي : كالمودودي ، محمد الغزالي ، محمد المبارك ،عبد المجيد النجار،و كتب العلماء الذين اهتموا بمقاصد الشريعة.

و الـــذي نخلص إليه أن كلا من التراث الفكري العقدي و الفقهي بالحالة التي وصـــلا بهـــا إلينا و ما اعتراها من سلبيات : التجريد الجدل والتعصب ... قد شكلا حائلا بين المسلمين و منبعهم الأصل ، في فهم أمور دينهم .كما تسبب الفكر العقدي بصـــورته القديمة في إهمال الناحية العملية ، وتجاوزت العلوم الفقهية الأبعاد العقدية ، فـــأدى كـــل منهما إلى الفصل بين العقيدة والشريعة ، و هذا قاد إلى ارتماء كثير من المسلمين في أحضان التصوف السلبي و التدين المغشوش .

---

(1) **المرجع السابق: ص** 347- 348.

المبحث الثالث :

التصوف السلبي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ – مفهوم التصوف :

تقوم الحياة الراقية في الإسلام على أساس من العلاقة المتينة بين الإنسان والله – عز و جل – و يتحقق ذلك بوصل الإيمان بالعمل ، وخير من يمثل صفاء النوع البشري عبر التاريخ ، محمد – صلى الله عليه و سلم – و صحابته ، فقد كان – عليه الصلاة والسلام – يمثل الزهد بالمعنى السليم ، فكان يبيت ساجدا راكعا لله – سبحانه – حتى تتورم قدماه ، و حين يقال له : لم تفعل ذلك و قد غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ يجيب : ((**أفلا أكون عبدا شكورا**))[1]. وحين يأتي النهار يقبل على الحياة ويتصدر صفوف الجهاد في الوقت المناسب و تبعه صحابته في ذلك ، فكانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار ، فقدموا بذلك للبشرية نموذجا رائعا للحياة الراقية .

لقد حافظوا على الدين بصورته الكاملة إلى أن أتى القرن الثاني الهجري فطرأت على المجتمع الإسلامي تطورات كثيرة من بينها ظهور التصوف .فما مفهوم التصوف وكيف كان من أسباب الفصل بين العقيدة والشريعة؟.

يرى العلماء أن كلمة التصوف أو الصوفية ترجع إلى مجموعة من المعاني هي :

1- صفاء الأسرار و نقاء الآثار .

2- صفاء القلب .

3- لأنهم في الصف الأول بين يدي الله – عز و جل – بارتفاع همهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه ، و وقوفهم بسرائرهم بين يديه .

4- لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا في عهد الرسول – صلى الله عليه و سلم – .

5- للبسهم الصوف [2].

---

(1) **أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : التهجد ، باب : قيام النبي- صلى الله عليه وسلم - الليل . حديث رقم 1131. (352/1). و في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر . حديث رقم 4836. (293/3). و مسلم في صحيحه في كتاب : صفات المنافقين و أحكامهم ، باب : إكثار الأعمال و الاجتهاد في العبادة . حديث رقم 2819،2820. (4 2171-2172).**

(2) الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف. ص 20-22.

و يذكر المحققون أن التصوف الإسلامي قد مر كغيره من العلوم الإسلامية بأطوار مختلفة تعددت أوصافها و خصائصها :

1- في القرنين الأولين للهجرة : كان عبارة عن الزهد، و تميز بالبساطة في الرأي و كـــان المتصوفة موزعين عبر القطر الإسلامي ، لا تجمعهم رابطة ولا منظمة ، و أهم شخصيات هذه الفترة : الحسن البصري [1] و رابعة العدوية[2] .

2- في القرنين الثالث و الرابع الهجريين : غلبت في هذه الفترة على التصوف نزعة الـــتأمل و الرياضـــة الروحية ، و الحب المؤدي إلى الفناء ... و ظهرت الطرق الصوفية وتعـــدد المشـــايخ ، و من أهم شخصيات هذه المرحلة : السري السقطي [3] ، معروف الكرخي [4]عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي [5] ذوالنون المصري[6] أبو يزيد البسطامي[7] وفي هذه المرحلة بدأ الصراع بين الصوفية و الفقهاء .

3- القرن الخامس الهجري : و ظهر فيه أبو حامد الغزالي ، محاولا تنقية التصوف مما علق به ، و الوصل بين الحقيقة و الشريعة .

4- في القرنين السادس و السابع الهجريين : تمادى الصوفية في انحرافاتهم ، فمزج التصـــوف بالفلسفة ، و ظهر القول بالحلول و وحدة الوجود ، و المجاهدات والمواجيد والكشف و الكرامات و الشطحات .

---

(1) كنيته أبو سعد ، ولد سنة 22 هـ و توفي سنة 115 هـ (عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية ص 57).

(2) أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية توفيت سنة 235 هـ(المرجع نفسه : ص 172.)

(3) أبو الحسن سري بن المعلمي السقطي ، أول من تكلم في حقائق التوحيد و الأحوال . ولـــد ببغداد وتوفي بها سنة 253 هـ .(المرجع نفسه: ص 203.)

(4) معروف بن الفيرزان أبو محفوظ العابد المعروف بالكرخي . توفي سنة 200 هـ.(الزركلي: الأعلام . ج2 . ص 410.)

(5) أبو عبد الله الحارث بن أسد من أهل البصرة ، توفي ببغداد سنة 243 هـ . (عبد المنعم الحفني الموسوعة الصوفية . ص 351).

(6) ذوالنون المصري : أبو الفيض ثوبان بن براهيم الأخميمي المصري النوني 283هـ/353 هـ. (المرجع نفسه . ص 165.)

(7) البسطامي : أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى من بسطام خراسان، توفي سنة 261 هـ . (المرجع نفسه : ص 51.)

و أهم شخصيات هذه المرحلة : ابن عربي [1] و ابن الفارض [2] .

5- مـــا بعد القرنين السادس و السابع الهجريين : آل وضع التصوف إلى التقليد والجمـــود عـــلى ما وصل إليه الصوفية في القرنين السابقين [3] ، و بعدها عم الخطب ، وطـــم في القـــرون المتأخرة ، إذ ظهرت آلاف الطرق الصوفية ، وانتشر الفكر الصوفي في الأمة و استمر ذلك الوضع إلى عصر النهضة[4] .

و في وصـــف الحال التي آل إليها التصوف يقول قمر كيلاني : ((و هكذا نجد تلـــك النفحات القدسية التي عبقت من شذا الإسلام الطاهر ، تضيع و تشرف على دنيا الجمـــود و المـــنفعة ... و نجد تلك الشجرة المباركة التي استمدت أصولها من حياة النبي الكـــريم و أصـــحابه ... و غذتهـــا آيات القرآن و الحديث ... و كان فروعها أولئك الصـــالحين الأبرار الذين شهدناهم في العصور الأولى ... قد يبست و تساقطت أوراقها ونجـــد أخـــيرا و يا للأسف تلك الصفحة المشرقة الوضاءة من صفحات ديننا تعبث بها ظلال سوداء تمحو رسومها و معالمها))[5].

و قد قسم بعض العلماء التصوف إلى نوعين :

1- **التصـــوف الســـني** : و هـــو التصوف المشروع الذي تمتد جذوره إلى فجر الإسلام . و يتميز أتباعه بأنهم استمدوا آراءهم من القرآن و السنة النبوية .

2- **التصوف البدعي** : و هذا هو التصوف الذي انحرف عن الشريعة الإسلامية و تشرب بتعاليم الباطنية والحلولية و قد أنكره الصوفية المعتدلون : كالغزالي و القشيري و ابن تيمية ، و كفروا أتباعه كابن عربي و ابن الفارض[6]. إن التصوف السليم هو الذي يجعل الإنسان على صلة قوية بالله –تعالى – هذه الصلة يكون منطلقها :

---

(1) ابن عربي : أبو بكر محمد بن علي ، شيخ الصوفية ، و شهرته محي الدين ، ينحدر من قبيلة حاتم الطائي ، ولد بالأندلس سنة 543 هـ ، أهم مؤلفاته : فصوص الحكم – الفتوحات المكية .. (المرجع السابق . ص 286).

(2) أبو حفص و أبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي رأس شعراء الصوفية و سلطان العاشقين . توفي سنة632هـ (المرجع نفسه : ص 311).

(3) قمر كيلاني : في التصوف الإسلامي ، مفهومه و تطوره و أعلامه . ص 49-53.

(4) عبد الرحمان عبد الخالق : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب و السنة . ص 52.

(5) قمـــر كيلاني: في التصوف الإسلامي. ص 80.

(6) عبد الفتاح محمد سيد أحمد: التصوف بين الغزالي وابن تيمية. ص 212- 213.

1-محاولة إنزال الحقائق القرآنية إلى دنيا الواقع وتذوقها عن طريق الممارسة الفعلية المبنية على الوعي بثنائية الوجود .

2-تهذيب النفس الإنسانية عن طريق رياضتها بأخلاق القرآن ، وتعاليمه ثم بتقليد أحسن من امتثل لهذه الأخلاق عبر التاريخ الإسلامي بفهم سليم .

3-نبذ الخرافات الفكرية التي ظهرت في الفكر الإسلامي ، والتي أدت إلى الابتعاد عن الممارسة الحضارية .

لقد كان للتصوف السني فضل كبير على حياة المسلمين ، حين قصر كل من علم العقيدة والفقه في إظهار الأبعاد الروحية للإسلام ، إذ رسخ في ذهن المؤمن فكرة الخلود ليس عن طريق الخلاص الفردي ، وإنما عن طريق الوعي الحقيقي بالدنيا ، وسر التكليف واليقين بأن كل ما أمر به الله –تعالى– أو نهى عنه إنما هي أسباب تصله بعالم الخلود ، إذ المتصوف الحقيقي هو الذي يجعل الدنيا مطية للآخرة ،متخذا كل ما يذلل له الفوز بالجنة.

لقد انتشل التصوف السني كثيرا من أبناء المسلمين من الضياع والاستسلام للشهوات،حين غزت الانحرافات والفساد المجتمعات الإسلامية ،ولا يزال ينير لهم الدروب في كثير من جوانبه ، إلا أن الانحرافات التي طرأت عليه جرت على المسلمين نتائج سلبية.

ب – انحراف التصوف و تأثيره على الفصل بين العقيدة و الشريعة :

لقد كان لانحراف التصوف عن المنهج السليم تأثير على الناحية العقدية والتشريعية ، فحين تأزم هذا العلم أدى إلى الوقوع في أخطاء كثيرة جرت على المسلمين التراجع الحضاري ، وشل طاقات كثيرة في المجتمعات الإسلامية بسبب ميلها إلى الخلاص الفردي ، فبعدما كان نشوء التصوف لترقية الحياة ، تسبب جانب كبير منه في انحطاطها فإذا به : ((يصبح بابا تدخل منه كثير من انحرافات الأمم الأخرى ويصبح كثير من جوانبه دعوة للعزلة والانصراف نحو القضايا الفردية ،وإهمال القضايا الجماعية و قضايا الأمة،والإغراق في نوع آخر من الشكليات والسلبيات،فأضاف لأزمة الأمة أبعادا جديدة،وللعقل المسلم شواغل من نوع آخر،وللحياة الإسلامية مشاكل كثيرة كان أقلها

الانصـــراف عن قضايا الحياة الدنيا ، وعدم الاهتمام بها ، وتحبيذ حال العزلة عن المجتمع ومشاكله و قضاياه بدعوى عدم الانغماس في دنيا الناس ومطالبهم الدنيئة))[1].

و تناســى التصــوف المــنحرف الأسس و المبادئ التي بنى عليها أوائل المتصوفة قواعدهــم ، و الذيــن كانوا يؤكدون على أن الدنيا مزرعة للآخرة و مجالا للتنافس في العمــل الصالح قصد الارتقاء و التطور و أداء مهمة الخلافة في الأرض وأبدلوها بما هو باطل ، يقول محمد قطب : ((... فإن الاتجاه الصوفي الذي أهمل عمارة الأرض و تنميتها و تنظــيم شؤونها على أساس أن الدنيا جيفة و طلابها كلاب ، وأنها لا تستحق عند الله جــناح بعوضة ، فينبغي أن تكون في حس المؤمن التقي أضأل وأحقر من أن يلقي إليها الــتفاتة عابــرة ؛ هذا الاتجاه الصوفي ، قد أتى كذلك على الشكل الحضاري ، و قعد بالــناس عن الإنشاء و التشييد ، و قعد بهم عن التنظيم كذلك لأنهم — و نقصد الغالبية بطــبيعة الحــال — قد أصبحوا فقراء، ثم رضوا بالفقر ، وفلسفوا رضاهم بأنه من القناعة المحبوبة ومن الرضا بقدر الله ، فلم تعد التنمية لازمة لهم ، و لم يعد التنظيم لازما كذلك فإنهــا ســنوات عابرة تمضي على أي وضع و في أية صورة ، ثم يذهب الناس إلى ربهم فينعمون بالخلد في جنات النعيم))[2].

لقــد شــكلت آراء الصوفية عائقا منيعا أمام تطبيق الأحكام الشرعية ومن هذه الآراء :

1 - الحقيقة و الشريعة :

- و المقصــود بهذين المصطلحين أن في الإسلام علمين . علم يخص أهل الظاهر وهــي الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول — صلى الله عليه و سلم — بكل محتوياتها وهذا العلم يترفع عنه الصوفية .

---

(1) **طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي. ص 62- 63.**
(2) **محمد قطب: واقعنا المعاصر. ص 178.**

و إنما يقف عنده العوام ، أما العلم الآخر وهو علم الحقيقة فهو العلم اللدني الذي ينالونه بالمجاهدة [1] و من ثم ذموا الاشتغال بعلوم الشريعة :

يقول ابن الفارض :

ولا تك ممن طيشته دروسه

بحيث استقلت عقله واستفزت

فثم وراء النقل علم يدق عن

مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته مني وعني أخذته

ونفسي كانت من عطائي ممدتي [2]

و معنى هذا الشعر : لا يستخفنك كثرة دروس العلوم النقلية فوراء ها علم مكنون أخذت ظاهره من حسي ، و باطنه من عقلي ، وسره من روحي ، ومكنونه من سري من حيث أن كل واحد منها عيني و ذاتي ، و لا وصف ، و لا نعت زائد علي حاكم بمغايرتي ، و غيريتي إياها ، فكنت المعطي و كنت المعطى ، و كنت الممد و كنت المستمد ، و الفاعل و القابل [3].

- و يقول أبو يزيد البسطامي ناعيا على علماء الشريعة مفتخرا بعلوم المتصوفة : ((أخذتم علمكم ميتا عن ميت و أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي ، و أنتم تقولون حدثني فلان ، و أين هو؟ قالوا : مات ، عن فلان وأين هو ، قالوا : مات)) [4].

و قد بلغت بهم الجرأة على الشريعة إلى التحلل من أحكامها فمنهم من يزعم سقوط بعض الواجبات عنه و حل بعض المحرمات ، و بعضهم يزعم سقوط الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود ، و يرى بعضهم سقوط الحج عنه مع وجود القدرة لادعائه

---

(1) مصطفى حلوش : التصوف في الميزان . ص 303.
(2) نقلا عن البقاعي . مصرع التصوف . ص 223.
(3) المرجع نفسه: ص 224.
(4) نقلا عن ابن عربي: الفتوحات المكية. ج 1. ص 365.

أن الكعبة هي التي تطوف حوله ، و استحل بعضهم فطور رمضان لغير عذر شرعي زعما منه أنه إنما يحرم على العامة الذين ليس لهم أعمال صالحة[1] .

و قد استنكر علماء الصوفية المعتدلون هذه الأقوال من هؤلاء ، ويذكر الكلاباذي[2] أن الصوفية المعتدلين : ((أجمعوا أن جميع ما فرض الله – تعالى – على العباد في كتابه و أوجبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرض واجب وحتم لازم على العقلاء البالغين ، لا يجوز التخلف عنه و لا يسمح التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق و ولي ، و عارف و إن بلغ أعلى المراتب وأعلى الدرجات وأشرف المقامات ، و أرفع المدارك ، و أنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحته ما حظر الله ، أو تحليل ما حرم أو تحريم ما أحل الله أو سقوط فرض من غير عذر و لا علة ، و العذر و العلة ما أجمع عليه المسلمون و جاءت به أحكام الشريعة و من كان أصفى سرا و أعلى رتبة وأشرف مقاما ، فإنه أشد اجتهادا ، و أخلص عملا و أكثر توقيا))[3] .

و قد ذكر القشيري في رسالته أن سبب إقدامه على تأليف رسالته هو توضيح بطلان أقوال هؤلاء ، و إظهار التصوف السليم .

يقول : ((لقد مضى الشيوخ الذين لهم اهتداء و قل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسننهم إقتداء ، و زال الورع و طوي بساطة ، و اشتد الطمع وقوي رباطه وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فظنوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، و رفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، و دانوا بترك الاحترام ، و طرح الاحتشام ، و استخفوا بأداء العبادات ، و استهانوا بالصوم و الصلاة و ركضوا في ميدان الغفلات ، و ركنوا إلى اتباع الشهوات ،و قلة المبالاة بتعاطي المحظورات والارتقاء بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان .

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال ، حتى أشاروا إلى أهل الحقائق والأحوال و ادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال و تحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون

---

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى . ج 11 . ص 403.

(2) أبو بكر محمد بن إسحاق الحنفي البخاري الكلاباذي ، يلقب بتاج الإسلام لعلمه وفضله . توفي سنة 380هـ . (عبد المنعم الحفني : الموسوعة الصوفية . ص 388.).

(3) الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف. ص 59-60.

بالحق تجري عليهم أحكامه ، و هم محو ، و ليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب و لا لـــوم ، و أنهـــم كشفوا بأسرار الأحدية ، و احتطفوا عنهم بالكلية ، و زالت عنهم أحكـــام البشـــرية ، و بقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية ، و القائل عنهم غيرهم إذا نطقوا ، و النائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا ...))[1].

و مـــن خـــلال تعريف القشيري للحقيقة و الشريعة تتضح مخالفته للمنحرفين عن الإســـلام مـــن الصوفية : فالشريعة عنده أمر بالتزام العبودية ، و الحقيقة مشاهدة الربوبية فكـــل شـــريعة مؤيـــدة بالحقيقة و كل حقيقة مقيدة بالشريعة [2] . و حين نتتبع حياته ومؤلفاته الأخرى نلاحظ أنه يلح إلحاحا كبيرا على ضرورة اتباع الحقيقة و الشريعة دون انفصال بينهما.

- و يقول أبو يزيد البسطامي : لو نظرتم إلى رجل أعطى الكرامات حتى يرتفع في الهـــواء فـــلا تغـــتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، و حفظ الحدود والشريعة [3].

و قـــد سئل ابن تيمية عن المتصوفة المنحرفين ، و عن حجتهم في سقوط الأوامر والـــنواهي عـــنهم ، إذ ادعوا أنهم تجوهروا، و لا يبالون بالأعمال ، والأوامر والنواهي رســـوم العوام ، و لو تجوهروا تسقط عنهم، و ادعوا أنهم أوتوا الحكمة ، وحاصل النبوة يرجع إلى الحكمة ، والمصلحة ، و المراد منها ضبط العوام ، و هم ليسوا منهم [4].

فرد بأن قولهم هذا أسوأ من قول النصارى و اليهود ، لأن هؤلاء ، تركوا بعض الكـــتاب و أخـــذوا بعضه ، أما هؤلاء الصوفية فقد تحللوا من الأوامر والنواهي ، فهم خارجون عن الشرائع و الملل ، و هم من أكفر أهل الأرض [5].

ويـــرى أنهم إن كانوا يريدون بحجتهم أن النفس بقيت صافية طاهرة لا تميل إلى الشهوات و الأهواء المردية فيصبح معنى ذلك أنها أصبحت مطيعة ليس فيها دواعي المعصية و هـــذا غايـــته أن تكـــون معصومة لا تطلب فعل القبيح و بالتالي تسقط عنها الأوامر .

---

(1) القشيري : الرسالة القشيرية . ص 2-3.
(2) المرجع نفسه : ص 43.
(3) نقلا عن ابن القيم : مدارج السالكين . ج 3 . ص 119.
(4) ابن تيمية: مجموع الفتاوى. ج 1. ص 401.
(5) المرجع نفسه: ج 1. ص 402-403.

فيجيبهم : إن كان ما تفعلونه من جنس الأهواء المردية ، فقد تناقضتم في زعمكم أن نفوسكم معصومة من الهوى ، و إن كان ما تفعلونه من جنس الأعمال الصالحة فهذا لا ينكر ، فعلم أنهم متناقضون في الكلام ، ويرى أن الكمال الذي أشاروا إليه ممتنع في حق البشر [1].

أما بالنسبة لقولهم : حاصل النبوة يرجع إلى الحكمة و المصلحة ، فمما لا شك فيه أن الله يبعث الأنبياء لما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ، و لا ريب أن الله أمر العباد بما فيه صلاحهم ، و نهاهم عما فيه فسادهم ، و الحكمة من مجيئهم العلم و العمل بها ، فأي شيء في هذا يوجب سقوطها عن بعض العباد إلا إذا كانوا سفهاء ؟.

أما عن كون الأوامر و النواهي لضبط العوام و هم ليسوا منهم : فالأولى: زندقة ونفاق، و الثانية :كذب و اختلاق ، فالمتفق عليه أن المراد من الشرائع الصلاح ظاهرا وباطنا للخاصة و العامة [2].

و الحجة الثانية : تأويل قوله – تبارك و تعالى – **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}**[3].

و يرون أن معناها : اعبد ربك حتى يحصل لك العلم و المعرفة فحين يحصل لك ذلك سقطت العبادة ، و منهم من يرى أن معناها : اعمل حتى يحصل لك حال ، فإذا حصل حال تصوفي سقطت العبادة ، فإذا ظن أحدهم أنه حصل على ذلك استحل ترك الفرائض و ارتكاب المحارم[4].

و يرى ابن تيمية أن هذه الآية عليهم لا لهم ، و استدل بقول الحسن البصري في تفسيرها ، أن الله – عز و جل – لم يجعل لعمل المؤمنين أجلا دون الموت ، و اليقين باتفاق علماء المسلمين في الآية ، المراد به : الموت [5].

الحجة الثالثة : يحتجون بقصة الخضر مع موسى – عليهما السلام – على وجهين:

---

(1) المرجع السابق : ص 414.
(2) المرجع نفسه : ج11. ص 415-416.
(3) الحجر / 99.
(4) ابن تيمية : مجموع الفتاوى . ج1. ص 417.
(5) المرجع نفسه : ص 418.

أحدهما : أن الخضر كان مشاهدا الإرادة الربانية الشاملة ، والمشيئة الالهية العامة و هـــي الحقـــيقة الكونية ، فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي وهذا جهل ، فمضمون كلامهم هذا ، أن من آمن بالقدرة وشهد أن الله رب كل شيء لم يكـــن مـــأمورا و لا منهيا ، و هذا مثل كلام المشركين الذين قالوا : {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْـــرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ }[1] فقال – تعالى – : {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِـــنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ }[2] و نظير هذا قوله – تبارك و تعالى – {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّـــا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّـــا فِـــي ضَـــلَالٍ مُبِينٍ}[3] ومثل هذا كثير في القرآن . فهؤلاء اكتفوا بتوحيد الربوبية و عطلوا كل ما يتعلق بتوحيد الألوهية .

الثاني : أنهم يعتقدون أنه يجوز لبعض الأولياء الخروج عن الشريعة لما يحصل له من المكاشـــفة كما حدث مع موسى و الخضر – عليهما السلام – وهذا غير صحيح لأن موسى – عليه السلام – لم يكن مبعوثا إلى الخضر ، و لا أوجب الله على الخضر متابعته و طاعته و ما وقع بينهما لا يعني الخروج عن الشريعة ، بدليل أنهما اتفقا في النهاية حين عرفـــت الأســـباب ، و هذا لا يسوغ لأحد الخروج عن شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – و خروجه كفر صريح[4] .

2 – الجبر :

يعـــتقد الجبرية أن الإنسان مسير في أفعاله ، و لا قدرة له و لا إرادة، و أول من قـــال بالجـــبر في الإســـلام الجهم بن صفوان [5] و الجعد بن درهم[6] ، يقول البغدادي ((الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار و الاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاســـتطاعات كلها ... وقال: لا فعل و لا عمل لأحد غير الله – تعالى – و إنما تنسب

---

(1) الأنعام / 148.
(2) الأنعام / 148
(3) يس /47.
(4) ابن تيمية : مجموع الفتاوى . ج11 . ص 421-426.
(5) ابو محرز رأس الجهمية قتل سنة:128هـ (الزركلي :الأعلام .ج 2.ص141)
(6) مبتدع له أخبار في الزندقة ، قتل بسبب فساد أرائه سنة 118 هـ / 736 م. – (المرجع نفسه : ج2 . ص 120).

الأعمـــال إلى المخلوقين على المجاز ، كما يقال : زالت الشمس ، ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفا به))[1].

و يـــنقل الشهرستاني مقالته في ذلك : ((قولته في القدرة الحادثة : إن الإنسان لا يقـــدر عـــلى شيء ، فهو لا يوصف بالاستطاعة ، و إنما هو مجبور في أفعاله ، لا قدرة لـــه ، ولا إرادة و لا اختيار ، إنما يخلق الله – تعالى – الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، كما يقول: أثمرت الشجرة ، و جرى الماء ، و تحرك الحجر ، و طلعت الشمس وغربت و تغيمت السماء و أمطرت ، و اهتـــــزت الأرض و أنبتت، إلى غير ذلـــك ، و الـــثواب و العقاب جبر ، كما أن الأفعال كلها جبر ، قال : و إذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبرا))[2].

و لذلك أبطل الذين يقولون بالجبر أدلة الجزاء على الأعمال السيئة وجعلوا الثواب فضلا من الله – عز و جل – و أبطلوا العقاب [3] .

و هذا المذهب واضح البطلان لأنه لا يقبله لا العقل و لا الشرع، إنه يؤدي إلى إســـقاط الـــرجاء و الخوف عن العبد ، فلا يخاف من سوء فعله ، و لا يرجو على خير عملـــه، و هذا كفر لأن في زوال الرجاء قنوطا ، قال الله تعالى : { **لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** }[4].

و قال في آية أخرى : { **إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**}[5] و في زوال الخوف إسقاط العبودية ، و تفويت الربوبية وهذا أشد من الأول[6].

إن هذا المبدأ أبطل الحكمة من الخلق ، و سوى بين جميع البشر ، فهو مبدأ سلبي يـــؤدي إلى الوقـــوع في العبثية بكل ما تحمله من معان ، والله – عز و جل – منزه عن العبـــث و كرم الإنسان بأن جعله هو أيضا مترفعا عن ذلك ، و جعل من مظاهر تكريمه

---

(1) البغدادي : الفرق بين الفرق : ص 199.
(2) الشهرستاني : الملل و النحل : ج1 . ص 87.
(3) ابن عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام . ص 64.
(4) الزمر / 53.
(5) يوسف / 87.
(6) الماتريدي: شرح كتاب الفقه الأكبر. ص 11.

إعطاءه حرية الاختيار لمستقبله ، سواء باتباع الفضيلة فينال الخلود في جنة النعيم أو باتباع الرذيلة فينحدر أسفل سافلين .

و قـــد أنكر القرآن الكريم على العرب في الجاهلية تعليلهم ضلالهم بالجبر فقال – عز و جل – : { **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَـــيْءٍ كَذَلِـــكَ كَـــذَّبَ الَّذِيـــنَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**}[1].

وحـــين نرجع إلى حياة الرسول – صلى الله عليه و سلم – وصحابته – رضوان الله علـــيهم – نجد أنهم فهموا فهما سليما عقيدة القضاء و القدر ، و لم يقل أحد منهم بالجبر ، و خير دليل على ذلك حياتهم المليئة بالعمل و الجهاد .

و كانوا يعتقدون أنه لا يكون من العباد قول و لا عمل إلا و قد قضاه الله و سبق في علمه ، و قالوا إن الله قد ييسر قوما إلى الطاعة و قوما للمعصية ، وذلك التيسير يسوق العبد إلى ما سبق في علم الله و قدره من شقاوة أو سعادة ، وقد قال الرسول – صلى الله عليه و سلم – : ما منكم من أحد إلا و قد كتب مقعده من النار أو من الجنة فقام رجل مـــن القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : لا ، اعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ : { **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَـــى وَاتَّقَى وَصَـــدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّـــرُهُ لِلْيُسْـــرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**}[2])) [3].

يقـــول ابن تيمية : ((بين النبي – صلى الله عليه و سلم – أن الله علم أهل الجنة من أهل النار ، و أنه كتب ذلك و نهاهم أن يتوكلوا على هذا الكتاب ، ويدعوا العمل و قـــال : (كـــل ميسر لما خلق له) ، و أن أهل السعادة ميسرون لعمل أهل السعادة ، وأهـــل الشقاوة ميسرون لعمل أهل الشقاوة . و هذا من أحسن ما يكون من البيان ، و

---

(1) الأنعام / 148.

(2) الليل / 5-10.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: القدر ، باب : {و كان أمر الله قدرا مقدورا} حديث رقم6605.(210/54) ، و في كتاب: التوحيد باب : قوله تعالى :{ و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}. حديث رقم 7551-7552. (416/4–417)

ذلـك أن الله – سـبحانه و تعالى – علم الأمور على ما هي عليه ، و قد جعل للأشياء أسبابا تكون بها فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب...))[1].

و قـد رويت أحاديث كثيرة في الحديث عن القدر السابق اتفقت على أن هذا لا يمنع العمل و لا يوجب الخلود إلى الكسل . بل الفهم الصحيح لها يؤدي إلى شدة الإقبال عـلى الحياة لتحقيق المسببات ، و لذلك لما سمع بعض الصحابة الحديث السابق قال : ما كنت أشد اجتهادا من الآن [2] .

يقـول ابـن القيم معلقا على ذلك : ((و هذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقـة أفهامهم ، و صحة قولهم ، فإن الرسول –صلى الله عليه و سلم – أخبرهم بالقدر السـابق و جريانه على الخليقة بالأسباب ، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليـه ، و مكـن منه و هيئ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكـتاب ، وكلما ازداد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه ، وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه ، فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد و الحرص على التعلم و أسبابه))[3].

لقد أفادت أعمال الصحابة أن إقبالهم على العمل ازداد بعد سماعهم النصوص التي تـتحدث عـن القدر ، و هذا يدل على فقههم السليم لهذه العقيدة ، و ما ظهور القول بالجبر إلا تحلل من الشريعة أو متطلباتها ، فتبناه كل منحرف عن منهج الله .

يقـول محمد عمارة عن حكام بني أمية: ((و من أبرز التحولات الفكرية ذات الصـلة الوثـيقة بالتحولات السياسية، التي صاحبت الحكم الأمـوي ظهور الفكـر الجـبري ، الذي يرى أن الإنسان لا حول له و لا طول فيما يصدر عنه من أفعال، و أن أفعاله هذه مخلوقة لله – تعالى – و مقدرة من الله للإنسان ، و محكوم بـها عليه سلفا . و مـن ثم استخدمت هذه العقيدة في تبرير التحولات السياسية التي بدت غريبة عن نهج المسـلمين الأوائـل ، و التخفيف من وقع المظالم وبشاعة التطورات الظالمة التي زخر بها المجتمع في ذلك الحين))[4] .

---

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى : ج8 . ص 68.
(2) ابن القيم : شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل . ص 46-47.
(3) المرجع نفسه : ص 46-47.
(4) محمد عمارة: مسلمون ثوار: ص 145.

وقد اعتمد الجبرية على مجموعة من الشبه :

1- قالوا حيث المقدر كائن لا محالة : فما فائدة العمل ؟.

* و قد أجاب الرسول – صلى الله عليه و سلم – الصحابة عن هذا السؤال و لم يفهموا من إجابته الاستسلام ، و إنما ازدادوا إقبالا على العمل ، ونصوص القرآن الكريم تؤكـــد ترتب حصول الخير و الشر في الدنيا و الآخرة على الأعمال ، ترتيب الجزاء على الشرط و العلة على المعلول ، و السبب على المسبب[1] .

فقال الله تعالى :

-{ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }[2]

-{ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ }[3] .

-{ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ }[4] .

-{ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[5].

و قـــد فهم الصحابة الخطاب القرآني و أخذوا بالأسباب ، فهذا عمر بن الخطاب – رضـــي الله عـــنه – يرجع عن دخول دمشق بسبب تفشي الطاعون فيها، فقال له أبو عبـــيدة ، و هو إذ ذاك أمير الشام : أفرارا من قدر الله . فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله .

يقـــول المقدســـي : ((و من فقه هذه المسألة و تأملها حق التأمل انتفع بها حق الـــنفع،و لم يتكل على القدر جهلا منه و عجزا و تفريطا و إضاعة ، فيكون توكله عجزا وعجزه توكلا بل الفقيه العارف هو الذي يرد القدر بالقدر ، ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الإنسان أن يعيش إلا بذلك ... و هكذا من وفقه الله – تعالى – فإنه يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة ، و الإيمان والأعمال الصالحة))[6].

---

(1) **المقدسي : رفع الشبهة و الغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر** . ص 26.

(2) **الأنفال / 29.**

(3) **إبراهيم / 7.**

(4) **النساء / 123.**

(5) الصافات/143.

(6) المقدسي: رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر. ص 27.

2- احـــتجوا بحديث الرسول – صلى الله عليه و سلم – عن ابن عمر ، عن النبي – صـــلى الله عليه و سلم – ((قال : احتج آدم و موسى ، وفي لفظ أن موسى قال : يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة بخطيئته، فقال موسى : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه ، و أسجد لك ملائكته لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، و كتب لك التوراة بيده فبكم تجد فـــيها مكتوبا : و عصى آدم ربه فغوى، قبل أن أخلق ؟ قال : بأربعين سنة . و في لفظ . قـــال : أ فتلومني على أمر قد قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة . قال : فحج آدم موسى؟))[1].

فاســـتنتج هـــؤلاء (الجبرية) الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ، من محتوى الحديث .

و الرد على ذلك من وجوه .

* أن موســـى – علـــيه السلام – حج آدم لكونه تاب من الذنب . ونأخذ من الحديث : التسليم لقدر الله . عند وقوع المصائب و الرضا بما قدره الله ، و هو من حقيقة الإيمـــان ، و عـــدم لـــوم المذنب التائب ، أما الذنوب فليس لأحد أن يحتج على فعلها بالقدروإنمـــا المطلوب التوبة منها و عدم الرجوع إليها ، فمن تاب فهو أشبه بآدم و من احتج بالقدر فهو كإبليس و التائب لا يلام على ذنبه .

* آدم و موســـى - علـــيهما السلام - أعلم بالله من أن يحتج أحدهما على فعل المعصية بالقدر و يقبله الآخر ، إذ لا تلبس لآدم بمعصيته حال الاحتجاج و لو كان ذلك صحيحا لصح مع إبليس و فرعون و كل العصاة .

* لـــوم موســـى لآدم ليس على الذنب لأن من تاب من الذنب لا ذنب له وإنما ((لأجـــل ما لحق الذرية من المصيبة المستمرة و المصيبة تقتضي نوعا من الحزم،يقتضي لوم من كان سببها ...

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (448/2).

كمـــا يلام من أوقع أصحابه في مشقة ، و لهذا لم يقل له موسى لماذا أكلت من الشـــجرة ، و إنمـــا قال له : لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة ، وهذا اللفظ قد روي في بعض طرق الحديث و إن لم يكن في جميعها ، فهو مبني لما وقعت عليه الملامة فتأمل))[1].

3 - قالوا حيث لا يقبل الاحتجاج بالقدر ، و أنه لا يكون إلا ما يريده الله فإنه يلـــزم أن الله – تعالى – يكلف العبد ما لا يطيق ، ثم يعاقبه عليه ، و هو ظلم مع أن الله هو الخالق لذلك .

– لقـــد اختلفت آراء العلماء في تحديد نسبة أفعال الإنسان إليه . وجمهور أهل السنة على أن العبد فاعل لفعله على الحقيقة ، و أن له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا يـــنكرون تأثير الأسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل، من أن الله يخلق السحاب بالرياح و ينزل الماء بالسحاب ، و ينبت النبات بالماء ، و لا يقولون إن القوى و الطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقرون بتأثيرها ، لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها والله – تعالى – خالق السبب والمسبب .

فيترتـــب عن ذلك أن ((الأعمال و الطاعات و المعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمـــة بـــه و حاصلة بمشيئته و قدرته و هو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها علـــيه، و هـــي مـــن الله – تعالى – بمعنى أنه خلقها قائـــمة بالعبد و جعلها عمـــلاله وكسبا كما يخلق المسببات بأسبابها ، فهي من الله مخلوقة له ، و من العبد صفة قائمة به واقعـــة بقدرتـــه و كسبه ، كما إذا قلنا هذه التمرة من الشجرة وهذا الزرع من الأرض بمعنى أنه حدث منها و من الله ، بمعنى أنه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض، فهي تضاف إلى الله – تعالى – باعتبار و إلى الإنسان باعتبار آخر))[2].

فكون الخلق على الحقيقة يرجع إلى الله – تعالى – لا ينافي مسؤولية الإنسان على عصيانه أو امتثاله .

أمـــا تكليف ما لا يطاق فقد فصل المقدسي في ذلك كثيرا و أوضح الحكمة من كـــثير مـــن أفعـــال الله ، و الخلاصة أن الذين يقولون أن القدرة لا تكون إلا مع الفعل يقولون كل كافر و فاسق قد كلف ما لا يطاق ، لأن من سبق في علم الله أنه لا يؤمن لا

---

(1) **المقدسي : رفع الشبهة و الغرر عمن يحتج على فصل المعاصي بالقدر. ص 31.**

(2) المرجع نفسه: ص 40- 41.

يقدر على الإيمان أبدا ، أما الذين يقولون أن القدرة تكون قبل الفعل قالوا بأنه لم يكلف مـــا لا يطـــاق ، وهذا قول جمهور أهل السنة و الله أوجب الحج على المستطيع حج أو لم يحج... و أوجب العبادات على القادرين فعلوا أو لم يفعلوا .

و تكليف ما لا يطاق قسم قسمين :

1 – للعجز عنه بطريق الآلات كتكليف المقعد القيام و المشي .

2 – تكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده ، مع سلامة الآلات ، كتكليف الكافر الإيمـــان مـــع سبق العلم بأنه لا يؤمن و تكليف العاصي. ومثل هذا التكليف ليس بقبيح شرعا و عقلا [1].

و الخلاصة أن الله – تعالى – إذا كان هو الخالق لكل شيء ، فإن في خلقه قدرة العبد مع سلامة الآلات ، و إرشاده له و بعثه الأنبياء هو كرم و فضل منه – تعالى – .

و الظـــلم أن يعاقـــب الإنسان على فعل غيره أما أن يعاقب على معاصيه فهو من كمـــال العـــدل الإلهي : ((فلو كان المعاقب للعاصي غير الله ، يظهر لك العدل و عدم الظـــلم، فلو عاقبه ولي الأمر إذا أمر الغاصب برد المغصوب إلى مالكه وضمنه التالف أنه يكون حاكما بالعدل ومازال العدل معروفا في القلوب و العقول ولو قال هذا المعاقب : أنا قد قدر علي هذا لم يكن هذا له باتفاق العقلاء))[2].

فـــالله أعـــدل العادلين و عقوبته للعصاة عدل باتفاق العقلاء و عفوه ومغفرته إحسان منه و فضل .

4 – قالوا يلزم مما سبق إفحام الأنبياء و انقطاع حجتهم :

– و هـــذا الاحتجاج يكون مقبولا لو كان ما قالوه في القدر سائغا و لما كان ما ذهبوا إليه باطلا ، لم يكن هذا الاعتراض مؤسسا ، و قد جبل الناس على عدم الاحتجاج بانتظار أن يخلق ما يطلب منهم مسلمهم و كافرهم مقرهم بالقدر و منكرهم ، فإذا كان هذا الاحتجاج معروف الفساد ، لم يكن لأحد أن يحتج به على الرسول .

– ثم إن الرسول يجيبه بأنه نذير له بالنجاة ، إن فعل المأمور والعقاب إن خالفه ... و مـــن المعلـــوم أن من أنذر بعدو لا يعترض على نذيره بأن يطلب من الله أن يخلق فيه

---

(1) المرجع السابق: ص 48– 49.

(2) المرجع نفسه: ص 54.

القـــدرة عـــلى الفرار ، فهذا لا يقوله إلا مكذب ، إذ ليس في الفطر مع تصديق النذير الاعتلال بمثل هذا ،و إلا عد تكذيبا ،و يلحقه ما يلقاه المكذبون .

– هذا الكلام إما يقوله من يريد الطاعة و يعلم نفعها له ، أو من لا يريدها ويعلم أنها تنفعه ، و كلاهما يمتنع منه أن يقول مثل هذا الكلام، لأن الأول يطيع قطعا ، إذا لم يكن عاجزا لوجود القدرة و الداعي ، فمن أراد النطق بالشهادتين إرادة جازمة نطق بهما قطعا ، لوجود القدرة والداعي التام ، و من لم ينطق علم أنه لم يرد ، و من لم يرد الطاعة فيمتنع أن يطلب من الرسول أن يخلقها فيه ، فإنه إذا طلب من الرسول أن يخلقها الله فيه كـــان مريدا لها ، ولا يتصور أن يقول مثل ذلك إلا مريدا، و لا يكون مريدا للطاعة إلا ويفعلها .

– يقال لهذا أيضا : أنت متمكن من الإيمان ، قادر عليه فلو أردته فعلته ، وإنما لم تؤمـــن لعدم إرادة ذلك له ، لا لعجز فيك و عدم القدرة ، فإن قال : قل لله يجعلني مريدا للإيمان ، قيل له إن كنت تطلب منه ذلك مخلصا ، فأنت تريد الإيمان، و إلا فأنت كاذب فـــإن قـــال : كـــيف يأمرني بما لم يجعلني مريدا له ، لم يكن هذا طلبا للإرادة بل عناد ومكابرة ، وهذا ليس على الرسول إجابته بل يجاب بالسيف والجهاد[1].

لقـــد فصـــل هـــؤلاء بين توحيد الربوبية و توحيد الألوهية مثلما فعل العرب في الجاهلـــية ، و احتجوا على ذلك بالقدر ، و جاهلية هؤلاء أخطر من جاهلية العرب قديما لأن هـــذه الجاهلـــية مفتنة بالجدل و المنطق والجرأة على الله ، و هذه الخصال يكتسبها الإنسان حين يتمادى في عصيان الله – سبحانه – و يصعب عليه الرجوع.

– و عـــلى أســـاس عقيدة الجبر قال المتصوفة بأن المجرمين لا يعذبون يوم القيامة يقـــول ابن عربي في الفص الهودي : ((فنسوق المجرمين وهم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم إليه ريح الدبور التي أهلكهم عن نفوسهم ، فهو يأخذ بنواصيهم والريح تسوقهم و هـــي عـــين الأهواء التي كانوا عليها – إلى جهنم – و هي البعد الذي كانوا يتوهمونه فـــلما ساقهم إلى ذلك الموطن ، حصلوا في عين القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم في حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق لأنهم ، مجرمون ، فما أعطاهم هذا

(1) المرجع السابق: ص 60- 61.

المقـــام الذوقـــي اللذيذ من جهة المنة ، و إنما أخذوه بما استحقته حقائقهم ، من أعمالهم الـــتي كـــانوا عليها ، و كانوا في السعي على أعمالهم على صراط الرب المستقيم ، لأن نواصـــيهم كانت بيد من له هذه الصفة فما مشوا بنفوسهم ، و إنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب))[1].

3 – تعطيل الجهاد في سبيل الله :

لقد ترتب على عقيدة الجبر عند المتصوفة القعود عن الجهاد ، وللجهاد في الإسلام مكانة عظيمة يقول الله – تبارك و تعالى – : **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ }**[2].

و يقـــول – عز و جل – : **{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }**[3].

– و قـــد كـــان الرســـول – صلى الله عليه و سلم – و صحابته يتسارعون إلى ســـاحات الجهـــاد حـــبا في الشهادة ونصرة دين الله، و لما جاء هؤلاء شوهوا المفاهيم و روجـــوا بين الناس أن أفضل جهاد هو جهاد النفس و من الطرق الصوفية التي كان لها أثـــر في الدعوة إلى القعود عن الجهاد : التيجانية[4] . و هذه الطريقة تسببت بمبادئها في إبعـــاد كثير من المسلمين عن الدين و من بدعهم : صلاة الفاتح التي يعتقدون أنها أفضل من القرآن بستة آلاف مرة و هذه الصلاة هي : ((اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي إلى صراطك المستقيم ، و على آله حق قدره و مقداره العظيم))[5].

---

(1) ابن عربي : فصوص الحكم : ص 107.

(2) الحجرات / 15.

(3) الصف / 10-11.

(4) أحمد بن محمد ، ولد في عين ماضي سنة 1150هـ و توفي سنة123هـ ، و هو مؤسس الطريقة التيجانية. (الزركلي: الأعلام . ج2 . ص 83.) و انظر : (أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي في القرن 10.إلى 14هـ. ج 2. ص 317).

(5) أحزاب وأوراد التيجاني: تحقيق محمد الحافظ. أوراق مطبوعة.

يقـــول الإبراهـــيمي في خطورة كلامهم هذا : ((و كيف تبقى للقرآن قيمة في نفـــوس الناس من هذه الناحية بعد هذا التضليل ؟ و كيف لا يستحكم الجفاء بين الأمة وقرآنها مع التدجيل و الصد عن سواء السبيل ؟.

و إذا كان هذا القرآن متعبدا بتلاوته اللفظية و هو ستون حزبا ، فإن تلاوة إنجيل التـــيجاني القصير و هو (صلاة الفاتح) مرة واحدة تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن وإذا كان القرآن قد شرع الغزو و هو من أمر الأعمال و أشقها ، فإن تلاوة هذا الإنجيل التيجاني مرة واحدة تعدل آلاف الغزوات ، و هي لا تقوم إلا على حركة اللسان من غير اقتحام للميدان ، و لا تعرض للرمح و السنان .

و إذا كـــان القـــرآن يفرض الحج و فيه ما فيه من مصاعب و متاعب فإن إنجيل التـــيجاني تعـــدل تلاوتـــه آلاف المرات من الحج و مئات الآلاف من الصلاة كما هو منصوص في كتب التيجاني و كتب أصحابه ، فأي تعطيل للقرآن أعظم من هذا ؟ و أي هويـــن لشـــعائر الإسلام و نقض لحكمها أكبر من هذا ؟ و أي تزيين للتفلت من تلك الشعائر يبلغ ما يبلغه هذا الكلام من مثل هذا الدجال؟))[1].

و قد تصدى المصلحون لأفكار المتصوفة و من أبرز الذين واجهوهم وجاهدوا في ســـبيل الله و هم من المتصوفة المعتدلين : السنوسية [2] . و التي كان أتباعها زهادا لكن ذلـــك لم يمـــنعهم من مقاومة المستعمر الفرنسي و الايطالي فكانت للسنوسي في عمله : ((طريقة فريدة وهو أنه كان يأخذ أتباعه بالعبادة والنسك الشديدين ، حتى يكاد الواحد مـــنهم أن يشـــرف عـــلى الهلاك ، فتصفى نفوسهم وعقولهم من سابق الأهواء و العلوم وعندئذ يطلب إليهم أن ينتشروا إلى بلادهم ينشئون الزوايا و ينشرون الإسلام ، ويقيمون المجـــتمع الإسلامي ، و كانت الطريقة السنوسية في التصوف سببا في أعمال المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر ، و الثورات المختلفة ضد فرنسا ...))[3].

أما الحركة التيجانية فقد كانت عونا للاستدمار على مد جذوره في بلاد المسلمين و ممـــا يذكـــر أن أتباع هذه الحركة كانوا يستقبلون الوفود الفرنسية ويحتفلون بقدومهم

---

(1) آثار محمد البشير الإبراهيمي . ج1 . ص 171.

(2) نسبة إلى السنوسي وهو: أبو عبد الله محمد بن علي ، ولد سنة 1202 هـ وتوفي سنة1267 هـ. نسبة إلى جبل سنوس من قبائل تلمسان. (عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية. 210)

(3) عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية. ص 210- 211.

ويشـــيدون بالخدمات التي كانوا يقدمونها لهم ، و قد أرخت الكتب لذلك ، يقول محمد الكبير و هو أحد قادة التيجانية : ((إنا من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا ومعـــنويا و سياسيا و لهذا فإنني أقول لا على سبيل المن و الافتخار ، و لكن على سبيل الاحتســـاب و الشـــرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعا بانضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا))[1].

و كـــان أتـــباع هذه الطريقة من أكثر الناس عونا لتوغل الفرنسيين في الأراضي الجزائـــرية ، ففي عام (1870 م) تمكنت سيدة فرنسية من التسلل إلى الزاوية التيجانية والزواج من شيخها المدعو : سيد أحمد ، و أطلق عليها لقب ((زوجة السيدين لأنها بعد وفاتـــه تزوجـــت مـــن أخيه ، وأصبحت مقدسة عندهم بالرغم من أنها كانت مسيحية ولجهودهـــا في خدمة بلدها منحت وسام الشرف، و عللت الحكومة الفرنسية منحها إياه بكونهـــا أدارت الـــزاوية التيجانية إدارة تخدم فرنسا فقط إذ أكسبتها مزارع كثيرة ، و ساقت إليها مجموعات كبيرة من أنصار الطريقة التيجانية يعملون من أجل أن تحيا فرنسا في الجزائر))[2].

4 - القول بوحدة الوجود :

ينقســـم الوجـــود في الإســـلام إلى مستويين : الوجود الإلهي ، و وجود العالم . ووجود الله – عز و جل - منزه بصفات الكمال ، أما الوجود الثاني فهو خلق لله وأثر يـــدل عـــلى كماله – سبحانه و تعالى –، و علاقة الإنسان بالله ترقى كلما اقترب منه بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه ، فهي علاقة قائمة على العبادة الواعية لله – عز و جل .

و مـــن الخـــرافات التي ظهرت في الفكر الإسلامي ، القول بوحدة الوجود عند الصوفية ، فظنوا أنه : لا وجود إلا الله و مع ذلك فيتعدد بتعدد التعيينات تعددا في ذات الوجود ،فما هذه الأشياء التي نراها بأعيننا إلا مظاهر و مجالي لله – سبحانه و تعالى –[3].

---

(1) نقلا عن روم لاندو : تاريخ المغرب في القرن العشرين . ص 143.

(2) أبو عبد العزيز محمود إدريس : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية و أثرها السيئ على الأمة الإسلامية . ج 3 . ص 908-909.

(3) قمر كيلاني: في التصوف الإسلامي مفهومه وتطوره وإعلامه. ص 105-106. وانـــظر: أبو عبد العزيز إدريس: مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية.ج1. ص 284.

و مـــن مظاهر القول بوحدة الوجود عند ابن عربي قوله : ((و من أسمائه الحسنى العـــلي على ممن؟ و ما ثم إلا هو !! فهو العلي لذاته، أو عن ماذا؟ و ما هو إلا هو فعلوه لنفســـه، و هو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى المحدثات هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ، فهو العلي ، لا علو إضافة ،لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود ، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات ، و العين واحدة في المجموع ، فوجود الكثرة في الأسماء ، و هي النسب و هي أمور عدمية ،و ليس إلا العين الذي هو الذات ، فهو العلي لنفسه لا بالإضافة...))[1].

و القـــول بوحـــدة الوجود عبث ، و هو من صور الانحراف العقدي المؤدي إلى الإلحـــاد ، يقـــول الشـــيخ محمـــد الغزالي : ((فالماء مثلا مادة معروفة ، و قد شرح الكيميائـــيون أســـلوب وجودها من عنصريها الأساسيين ، و هي من قبل و من بعد لن تكون إلا الماء ، فالزعم بأنها إله أو جزء إله ، تخرص علمي سيسقط من تلقاء نفسه وتبقى بعـــد ذلك العناصر وحدها دون أي وصف إلهي ، و من ثم قلنا إن وحدة الوجود عنوان آخـــر للإلحاد في وجود الله ، و تعبير ملتو للقول لوجود الماء فقط ، و ما دام لا يوجد شيء وراء هذا العالم ، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه))[2].

إن الإيمان النقي نأخذه من الرسول – صلى الله عليه و سلم – ويمثل أفضل صورة من للقرب البشري من الله – عز و جل – و لكن صلته القوية به – سبحانه – لم تعطل علاقته بالكون و ما فيه ، و لم تجعله يدعي شيئا مما ادعاه هؤلاء المائلون عن الحق ، ويرى الشيخ الغزالي أن التفاني في عشق امرأة لا يحوله الهيام بها إلى ضلع منها أو جهاز في بدنها و ((لو كانت الأرض لؤلؤا و مرجانا ما صح أن تكون ذاتا لله فكيف و هي إلى جانب ذلك حصى و بعر ...))[3].

إن القول بوحدة الوجود الهدف منه القول بإسقاط التكاليف الشرعية وإبطال الملة المحمدية[4].

---

(1) ابن عربي : فصوص الحكم . ص 76-77 .
(2) محمد الغزالي : ركائز الإيمان بين العقل و القلب . ص 123.
(3) المرجع نفسه : ص 126.
(4) عبد القادر أحمد عطا :التصوف الإسلامي بين الأصالة و الاقتباس في عصر الفاسي . ص 372.

5 - الجنة و النار :

يـــرى الصوفية أن طلب الجنة منقصة عظيمة و لا يجوز للولي السعي إليها ، و إنما الطلـــب عندهم و الرغبة في الفناء المزعوم و الاطلاع على الغيب ، و لا يليق بالصوفي الفرار من النار و الخوف منها ، لأن ذلك طبع العبيد [1] .

أما الذين يقولون بوحدة الوجود ، فيرون أن النار لها عذوبة كعذوبة الجنة.

يقول ابن عربي :

وإذا دخلوا دار الشقاء فإنهم

على لذة فيها نـــعيـــم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد

وبيـــنها عند التـــجلي تباين

يسمى عذابا من عذوبة لفظه

وذاك لكالقشر والقشرخائن [2].

و تنفير الصوفية من طلب الجنة و عدم الخوف من النـــار على أســـــاس المنقصة أو وحـــدة الوجـــود ، يؤدي إلى تعطيل الشريعة ، إذ يصبح الشعار السائد : إذا كانت الجحيم عين النعيم فلم العمل ؟.

والخلاصة أن التصوف في بداية نشأته كان يهدف إلى ترقية الحياة الروحية للإنسان المؤمن ، إلا أنه بعد ما طرأ عليه من مستجدات سلبية كان سببا قويا في الفصل بين العقيدة و الشريعة ، لقد أدى إلى تعطيل كثير من الطاقات في المجتمعات الإسلامية ، وعزلها عن معترك الحياة، فساهم ذلك فيما آل إليه وضع المسلمين من القصور في فهم الدين وصلته بالدنيا .

---

(1) عبد الرحمان عبد الخالق : الفكر الصوفي في ظل الكتاب و السنة . ص 50.

(2) ابن عربي : فصوص الحكم . ص 94

المبحث الرابع :

الفكر الإرجائي :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن مـــا يحـــدث في المجتمعات البشرية من تطورات و أحداث يكون دائما نتيجة أفكـــار تنبـــثق في غالـــب الأحيان من الوقائع التي تسود المجتمع ثم تصبح فيما بعد تتخذ كمرجعية في التصرفات . و قد كان المسلمون الأوائل مرجعهم في جميع تصرفاتهم القرآن الكـــريم ، و سنة الرسول – صلى الله عليه و سلم – و لكنه كلما مر الزمن وبعد عهده – صـــلى الله علـــيه و سلم – كلما ظهرت تأويلات للقرآن و السنة النبوية ذلك بسبب الواقع أولأن طبيعة العقل البشري الحركة و حب الجديد .

و كانـــت هذه التأويلات بعدما تظهر تصبح تشكل مرجعية جديدة بعد القرآن الكـــريم و الســـنة النبوية . و في بعض الأحيان ينسى المسلمون المرجع الأصلي و يتبنون المرجعـــية الجديـــدة في حـــياتهم . و قد شكل الإرجاء ظاهرة فكرية خطيرة على المجتمع الإســـلامي منذ نشوئه إلى يومنا هذا . فما هو مفهوم الإرجاء و كيف كان من الأسباب الأساسية في الفصل بين العقيدة و الشريعة ؟

أ – تعريف الإرجاء و سبب ظهوره :

1 – لغة :

رجـــأ : أرجـــأ الأمر أخره . و يقال : أرجه و أرجئه و ترجي و ترجئ يقول – تعـــالى – : { وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ }[1] أي مؤخرون . و الإرجاء التأخير ويجوز قول المرجئة أو المرجية [2] .

2 – إصطلاحا : يذكر الشهرستاني أن الإرجاء على معنيين :

الأول : الـــتأخير كمـــا في قوله – تعالى – : { أَرْجِهِ وَأَخَاهُ }[3] . أي أمهله وأخره .

الـــثاني : إعطـــاء الأمل و الرجاء . و يرى أن إطلاقهما على هذه الفرقة بالمعنيين صـــحيح فبالأول لأنهم يؤخرون العمل على النية و العقد ، و بالثاني : لأنهم يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة [4] .

---

(1) التوبة / 106.
(2) ابن منظور : لسان العرب . مادة رجأ . ج : 1 . ص 73 – 74 .
(3) الأعراف / 111 .
(4) الشهرستاني : الملل و النحل . ج : 1 . ص 139 .

و انقســـم المرجئة فرقا كثيرة ، و يدخل تحت هذا الاسم كل من فرق بين الإيمان والعمل : الجهمية [1] ، و الكرامية [2] ، و الحنفية [3] ، و الأشاعرة [4] ، والماتريدية [5] .

3 – **سبب ظهور الإرجاء** : بعدما ظهر خطر الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة و الحكـــم عليه بالخلود في النار ، و انتشار سفك الدماء في المجتمع الإسلامي ظهر الفكر الإرجائي كرد فعل على ذلك [6] .

فبينما غالى الخوارج في محاسبة العصاة والمنحرفين عن الشرع فتح الفكر الإرجائي المجـــال واسعا لكل من يريد التحلل من الشريعة. و قد حاول كل من الاتجاهين أن يجد له سندا من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية [7] .

ب-الأدلة التي اعتمدها المرجئة في تأخير العمل على الإيمان و الرد عليها:

اعتمد القائلون بأن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان على مجموعة من الأدلة نذكر منها :

1 -إجمـــاع أهل اللغة على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن و بعثة الرسول – صلى الله عليه و سلم- هو التصديق لا يعرفون في لغتهم إيمانا غير ذلك .

كمـــا أن الله –عـــز وجل- ما غير لسان العرب ، و يدل على ذلك قوله –عز وجـــل- { **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** }[8] أي و ما أنت بمصدق لنا ، و منه

---

(1) سبق التعريف بها : انظر ص 36 .

(2) نسبة إلى عبد الله محمد بن كرام . كفرهم جميع المسلمين لمناهضتهم صريح القرآن و الحديث (البغدادي : الفرق بين الفرق . ص 202 – 204 . و انظر : الشهرستاني : الملل و النحل . ج 1 . ص 108 – 113) .

(3) نسبة إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، أحد الأئمة الأربعة فقيه مجتهد توفي بالكوفة سنة 150 هـ . (الزركلي : الأعلام . ج 8. ص 36) .

(4) نسبة إلى الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – أبي موسى عبد الله بن خضار الأشعري اليماني البصري ولد سنة 260 هـ أو 270 هـ . (ابن خلكان : وفيات الأعيان. ج 2 . ص 446 . و انظر : ابن عساكر : تبيين كذب المفتري . ص 34 – 35) .

(5) نسبة إلى : محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي . نسبة (إلى ماتريد) بسمرقند توفي سنة 333هـ، من كتبه: كتاب التوحيد . تأويلات أهل السنة (الزركلي : الأعلام . ج 7 . ص 19) .

(6) الشهرستاني : الملل و النحل . ج 1 . ص 48 . و انظر البوطي : العقيدة الإسلامية و الفكر المعاصر . ص 62 .

(7) لا يهمنا في هذا البحث آراء المرجئة الخالصة لأنهم انقرضوا ، و إنما الذي يهمنا مرجئة الفقهاء لبقاء آرائهم و استمرارها في واقعنا.

(8) يوسف / 17.

قولهم: فلان مؤمن بالشفاعة ، و فلان لا يؤمن بعذاب القبر أي لا يصدق بذلك ، فوجب أن يكـــون الإيمـــان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة لأنه لو تغير لتواترت الأخبار بذلك وتوفرت الدواعي إلى نقله[1].

و قـــد استنكر منهم ابن تيمية هذا القول ، و سألهم عن أي إجماع يتحدثون وفي أي الكتب وجدوه ؟

-فـــإذا كـــانوا يعـــنون بأهل اللغة نقلتها، فإن هؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل الإسلام ، و إنما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم أو ما ورد في دواوينهم ، ولا يعلم فيما نقلوه لفظ الإيمان فضلا على أن يكونوا أجمعوا عليه.

أمـــا إذا كـــانوا يقصدون المتكلمين بهذا اللفظ قبل الإسلام، فلم يشهد و لم ينقل عنهم أحد ذلك و لم يعرف عن أحد منهم القول بأن الإيمان في اللغة هو التصديق، وحتى وإن قاله واحد أو اثنان فهذا ليس إجماعا ،وإن قدر نقل هؤلاء كلاما يفهم منه أن الإيمان هـــو التصـــديق لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين كافة للقرآن عن النبي صلى الله عليه و سلم[2].

2-استدلوا بعطف الأعمال على الإيمان في نصوص القرآن الكريم، فلو كان العمل يدخل في مسمى الإيمان لكان ذلك تكرارا. والعطف يقتضي المغايرة.

يدل عليه أن الله –تعالى– فرق بين الإيمان و بين كل عبادة بالاسم المعطوف عليه مـــا فـــرق بـــين العبادات بالأسماء المعطوفة المفعولة بها على ما قال الله تعالى {**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**}[3].

و رد العلماء على ذلك بأن المعطوف دخل في المعطوف عليه ثم ذكر باسمه الخاص تخصيصا له لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول ، و هذا في كل عطف فيه خاص على عام. وقـــيل بـــل الأعمال ليست في الأصل من الإيمان ، فإن أصل الإيمان ما في القلب ولكنها لازمـــة ، له مـــن لم يفعلها كان إيمانه منتفيا، لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكنها

---

(1) **الباقلاني : التمهيد . ص 389-390.**
(2) **ابن تيمية : كتاب الإيمان ص 107-109.**
(3) التوبة /18

صارت بعرف الشرع داخلة في اسم الإيمان، فإذا عطفت عليه ذكرت لئلا يظن الظان أن مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة يوجب الوعد[1].

كما رد عليهم بأن العطف يقتضي مغايرة ما لا كل المغايرات ، فقد ذكر ابن أبي العـز أن المغايرة على مراتب. يقول : ((أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزءه و لا بينهما تلازم كقوله- تعالى -{**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**}[2].و {**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**}[3]هذا هو الغالب.

و يليه : أن يكـون بينهما تلازم كقوله –تعالى- {**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}[4]{ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**}[5].

الثالـث : عطـف بعض الشيء عليه كقوله –تعالى- {**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**}[6]{ **مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**}[7]{ **مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ**}[8].

وفي مثل هذا وجهان :

أحدهما : أن يكون داخلا في الأول فيكون مذكورا مرتين.

الثاني : أن عطفه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا ،وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء و المساكين و نحوه مما تنوع بالإفراد و الاقتران.

الرابع :عطف الشيء على الشيء لاختلاف اللفظ فقط، كقوله –تعالى- { **غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**}[9]))[10].

3–إعـتمدوا على تأويل النصوص التي تفيد دخول الأعمال في مسمى الإيمان وذهـبوا إلى أن المقصود بهذه النصوص الإيمان الكامل. ففي قوله -تبارك وتعالى-{**إِنَّمَا**

---

(1) ابن تيمية : كتاب الإيمان . ص 145-146.
(2) الأنعام / 1.
(3) آل عمران / 3.
(4) البقرة / 42.
(5) المائدة / 92.
(6) البقرة / 238.
(7) البقرة / 98.
(8) الأحزاب / 7.
(9) غافر / 3.
(10) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية .ج2 . ص 68.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[1].

قالوا القصر الوارد في الآية يفيد قصر الإيمان الكامل على صاحب كل هذه الصلات و يستدلون على ذلك بحديث الرسول -صلى الله عليه و سلم -مع الحارث بن مالك الأنصاري، حيث قال له الرسول صلى الله عليه و سلم- : (كيف أصبحت؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ،قال : أعرف ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : قال عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري و كأني أنظر إلى عرش ربي،وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورن ، وكأني أسمع عواء أهل النار. فقال له : عرفت فالزم))[2].

فيؤولون قول الحارث أصبحت مؤمنا حقا . بأنه أصبح مؤمنا إيمانا كاملا وسؤال الرسول -صلى الله عليه و سلم -ليس عن ماهية الإيمان لأنه كان يعلم كون الحارث مؤمنا[3].

وقد رد عليهم القائلون بدخول العمل في مسمى الإيمان بأن هذا التأويل متعسف فيه، والقرآن الكريم دقيق في ألفاظه و لا داعي إلى مثل هذا التأويل لأن الله- عز وجل- لو أراد أن يقول الإيمان الكامل لقال ذلك و هذا ضلال ، و ليس المقابل لوصف (المؤمنون حقا) هو (المؤمنون إيمانا غير كامل) .ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة للمعاني الصحيحة [4].

4-قالوا الإيمان في اللغة هو التصديق و العمل لا يسمى تصديقا.

و قد رد عليهم أن الشرع نقل معنى الإيمان إلى العمل كما في قوله -تبارك وتعالى- { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ }[5].

---

(1) الأنفال / 2-4.
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير. 3/266-267.
(3) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج9 . ص 160-161.
(4) سيد قطب:الظلال.ج 9. ص 236.
(5) البقرة /341.

فقـــد نزلـــت الآية على الرسول -صلى الله عليه و سلم -حين أمر بتغيير القبلة فسمى الصلاة إيمانا. ويذكر ابن حزم أن الأشاعرة قد خصصوا إطلاق لفظ الإيمان،فقالوا بأنه التصديق الجازم بما علم مجيء الرسول -صلى الله عليه و سلم - به من البعث و الجنة و الـــنار والصلاة و الزكاة، مما قد أجمعت الأمة على أنه لا يكون مؤمنا من لم يصدق به. و هـــذا على خلاف ما في اللغة، فإن قالوا بأن الشريعة أوجبت ذلك قيل لهم لم تجيزون لأنفسكم ما لا يجيزونه لغيركم[1].

5-اســـتدلوا بحديث الأمة إذ روي بأن الرسول -صلى الله عليه و سلم- أتاه رجل بأمة سوداء ،فقال : يا رسول الله علي رقبة مؤمنة أفترى هذه مؤمنة ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- : أتشهدين ألا إله إلا الله ؟ فقالت : نعم ، قال : وتشهدين أن محمـــدا رســـول الله ؟ ، قالت : نعم ، قال : و تشهدين أن الجنة حق و النار حق ؟ ، قالت : نعم؟ قال : و تشهدين أن الله يبعثك بعد الموت ؟ ، قالت : نعم ، قال : فأعتقها فإنها مؤمنة))[2].

و الرد عليه :إنه لا حجة فيه لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا، لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الدنيا والآخرة [3].

6- اســـتدلوا بحديث الرسول – صلى الله عليه و سلم – حين سأله جبريل عن الإيمان و الإسلام . فلم يجب عن الإيمان إلا بالتصديق إذ قال : (أن تؤمن بالله وملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شره) . و لم يذكر العمل ، و بعد ذلك قال : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم) [4].

و لـــو كـــان الإيمان يطلق على غير التصديق لكان جبريل أتى ليلبس عليهم أمر دينهم لا تعليمهم ، و لكان النبي – صلى الله عليه و سلم – قد قصر في إجابته [5].

---

(1) إبن حزم : الأصول و الفروع . ص 136.

(2) أخرجه الإمام مالك في موطئه في كتاب : الولاء ، باب : ما يجوز في العتق في الرقاب الواجبة. حديث رقم 9-8 (777/779/2). وأحمد في مسنده (291/2 و 451/3) و الدارمي في سننه في كتاب : إذا كان على الرجل رقبة مؤمنة (187/2).

(3) إبن تيمية : كتاب الإيمان . ص 153.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الإيمان باب: سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه و سلم عن الإيمان و الإسلام و الإحسان (140/1). ومسلم في صحيحه في كتاب :الإيمان باب: أول من قال بالقدر (157/1-165).

(5) النسفي : تبصرة الأدلة نقلا عن : محمد بن عبد الرحمان الخميس ,أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة . ص ة 35 .

و الـــرد عليه أن جمهور علماء المسلمين قد اتفقوا أن لمظي الإيمان و الإسلام إذا اجتمعا افترقا . و إذا افترقا إجتمعا [1] و يمكن أن نجد في قوله – صلى الله عليه وسلم- : (الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله ...) تصديقا و عملا .

فالإيمـــان بالكتـــب و الرسل يشمل ذلك لأنه لا يعقل أن تصدق بالرسول و لا تعمل بمحتوى الرسالة . كما أن عنصر الإيمان موجود بشقيه : التصديق و العمل في قوله: (أن تشـــهد ألا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله) و هذا إنما للتأكيد على اقتران العمل بالإيمان و أنه لا إيمان بدون عمل ، ثم خصصت الأركان الأخرى لقيمتها .

7– المؤمنون خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال [2] . يقول – تعالى – : **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ }**[3] .

و رد علـــيهم : إن كانوا خوطبوا به قبل أن تجب الأعمال فقبل وجوبها لم تكن منه. و كانوا مؤمنين بالإيمان الواجب عليهم قبل فرض الأعمال ، فلما فرضت عليهم إن لم يقروا بوجوبها لم يكونوا مؤمنين [4] .

إن نصـــوص القرآن الكريم و السنة النبوية تؤكد أنه لا إيمان بدون عمل ، و إلا كـــيف نفسر الجزاء على التكاليف ، و كيف نفهم آيات الميزان و الصراط (أو أحداث يوم القيامة كلها) ؟ . فكلها تؤكد أن منزلة الإنسان تحدد بإيمانه و عمله وأقوال المرجئة لا تعـــتمد إلا على التأويل المتعسف لنصوص القرآن و السنة النبوية . كما أننا إذا عالجنا هـــذه الآراء نفعـــيا فأيهـــا يكـــون علاجا لأوضاعنا المتردية : فصل العقيدة عن العمل أو وصلهما ؟.

ج – تأثير الإرجاء على الفصل بين العقيدة و الشريعة :

لقـــد حذر علماء المسلمين من الإرجاء و رأوا أنه من أخطر الآراء التي ظهرت في تـــاريخ المســـلمين ، لأن محتواه الفصل بين العقيدة و الشريعة عن طريق التمسك بالإيمان والتحلل من الشريعة .

---

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى . ج10 .ص 275.
(2) نقلا عن : ابن تيمية . كتاب الإيمان . ص 144.
(3) البقرة / 183.
(4) ابن تيمية : كتاب الإيمان. ص 144.

فـــإذا كان الإنسان بعد مؤمنا و لو لم يركع لله ركعة واحدة ،و لو لم يعمل بأمر ولا نهي إسلامي فكيف يكون واقع المسلمين ؟ .

و قد كان الفكر الإرجائي ملاذ المنحرفين و العصاة عبر التاريخ الإسلامي ، فعلى المستوى السياسي خدم الإرجاء الساسة في كل العصور . فإخراج العمل عن الإيمان تبرئة للحكام و تجاهل لأفعالهم ، و الاكتفاء بأقوالهم فلا يحاسبون على معاصيهم و لا يحاسبون العصـــاة . و قـــد نقلت الكتب الأدبية و التاريخية أن الإرجاء كان مذهب المنحرفين من الشعراء و غيرهم [1] . فالإرجاء في ناحيته العملية يعني الدعوة إلى التحلل من أمور الدين. و قد استمر التيار الإرجائي ينخر في كيان الأمة الإسلامية و كان يذكيه تبني تدريسه في كبرى المعاهد الإسلامية كالأزهر و الزيتونة والقرويين[2].

و الفكر الإرجائي و إن كان في بدايته لم يشكل خطورة كبيرة إلا أنه مع مرور الزمن أصبح من أخطر الظواهر التي تواجه المسلمين و تشجع كثيرا منهم على التحلل من الشـــريعة ؛إذ أهملـــت بمحـــتوياتها فـــأدى ذلـــك إلى السقوط الحضاري الذي يعيشه المسلمون.يقول سفر الحوالي: ((إن الإرجاء لم يكن في الأصل دعوة واعية مقصودة لترك العمـــل والـــتخلص مـــن الطاعات، وإنما كان تفسيرا ضالا لحقيقة الإيمان أنتجته أسباب تاريخية. و لكن الأمة و هي تتراخى عن العمل بالتدريج و تنفلت من الواجبات و تنحدر عـــن قمـــة الامتثال رويدا رويدا كانت تجد في الإرجاء تفسيرا مريحا ، يبرر لها تراخيها و تفـــريطها . و هذه حقيقة نفسية معروفة ، فكل ما انحسر عنه العمل واقعيا ستره ثوب الإرجاء الواسع نظريا ، ولهذا لم يكن المرجئة القدماء بحاجة إلى أكثر من كشف شبهاتهم النظرية ، و ردهم بالدليل العلمي الصريح .ولكن الحال تغير بعد انتشار الظاهرة وسيطرتها إذ أصـــبحت الأمة في القرون الأخيرة تتبنى الإرجاء عقيدة و منهجا، وتعد مخالفه خارجا مارقا وتضبط دينها وأحكام إيمانها بأصوله و قواعده))[3].

---

(1) أحمد أمين : ضحى الإسلام . ج 3.ص 329.

(2) علي بن بخيت الزهراني : الانحرافات العقدية و العلمية في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الهجريين و آثارها في حياة الأمة . ص 132.

(3) سفر الحوالي : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي . ج1 . ص 13.

لقد أصبحت العقيدة السائدة في المجتمعات الإسلامية : الإيمان في القلب، ولا تضر مع الإيمان معصية.و بذلك آل وضع المسلمين إلى ما هو عليه من تراجع و فشل حضاري إذ أصـــبحت الشـــريعة لا صلة لها بالعقيدة بهذا المفهوم المنحرف. ووجد دعاة التغريب و كل المنحرفين عن الدين الإسلامي في هذا الفكر ملجأ لتبرير آرائهم..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس :

الفكر العلماني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكلت الأسباب السابقة عائقا في الوصل بين أحكام الشريعة والعقيدة الإسلامية و قـد كانت في الأساس منبثقة من داخل المجتمع الإسلامي ،بقيت تنخر في جسم الأمة الإسـلامية إلى يومـنا هذا . و لعل من أخطر الأسباب – والمصبوغة بطابع خارجي: "العلمانية "و التي تعتبر تحديا سافرا يسعى دعاته إلى تعطيل الشريعة الإسلامية وفصلها عن العقيدة : فما مفهومها و كيف تسللت إلى أوساطنا؟.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ – العلمانية :مفهومها و مسارها في العالم الإسلامي :

يعتقد بعض العلماء أن العلمانية بكسر العين ترجمة غير دقيقة لكلمة " sécularism "بالإنجليزية و "sécularité " أو "laique " بالفرنسية ، بل لا صلة لها بلفظ العلم و مشتقاته على الإطلاق، فمصطلح العلم في الإنجليزية و الفرنسية يعبر عنه بكلمة : "science " والمذهب العلمي تطلق عليه كلمة "scientism " والنسبة إلى العلم هي: بالإنجليزية " scientific" وبالفرنسية "scientifique " ، لذلك يعتقد أن الترجمة الصحيحة لمصطلح العلمانية : اللا دينية أو الدنيوية ، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أدق: ما لا صلة له بالدين ، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد[1].

و يذكر محمد عمارة أن العلمانية هي الترجمة التي شاعت لكلمة " secularism" في البلاد العربية و هي بمعنى : الدنيوي و العالمي ، والواقعي من الدنيا والعالم و الواقع المقابل " للمقدس " أي الديني أو الكهنوتي النائب عن السماء ، والمحتكر لسلطتها والمالك لمفاتيحها والخارق للطبيعة و سننها ، و الذي قدس الدنيا قداسة الدين ، و ثبت متغيراتها العلمية و القانونية و الاجتماعية ثبات الدين[2].

و المتداول و الشائع في الأوساط الإسلامية للتعبير عن مفهوم العلمانية نجده يتمحور في معظمه حول " فصل الدين عن الدولة " و هذا التحديد لا يعطي مدلولا كاملا للعلمانية إلا فيما يتعلق بالناحية السياسية، يقول سفر الحوالي : ((و لو قيل أنها (فصل الدين عن الحياة) لكان أصوب ، و لذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو : " إقامة الحياة على غير الدين " . سواء بالنسبة للأفراد أو للفرد ، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين ، بمفهومها الضيق المحدود: فبعضها تسمح به كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية ، و تسمي منهجها (العلمانية المعتدلة non religieux) أي أنها مجتمعات لا دينية، ولكنها غير معادية للدين ، و ذلك مقابل ما يسمى (العلمانية المتطرفة anti-religieux) أي المضادة للدين ويعنون بها المجتمعات الشيوعية و ما شاكلها[3].

(1) سفر الحوالي : العلمانية .ص 21 .

(2) محمد عمارة : الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية .ص 17 .

(3) سفر الحوالي : العلمانية .ص 24 .

و قـــد قســـم عبد الوهاب المسيري العلمانية إلى: علمانية جزئية وعلمانية شاملة فـــيقول : ((يوجد في تصورنا علمانيتان ، لا علمانية واحدة ،الأولى جزئية، و نعني بها العلمانـــية باعتبارها فصل الدين عن الدولة ، و الثانية شاملة ، ولا تعني فصل الدين عن الدولة و حسب وإنما فصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية و الدينية لا عن الدولة وحسب وإنما عن الطبيعة و عن حياة الإنسان في جانبيها العام و الخاص))[1].

أولا:سبب قبول العلمانية في الغرب :

يعـــتقد كـــثير من الدارسين أن قبول العلمانية في بلاد الغرب يعود إلى جملة من الأسباب أذكر منها :

أ- تعـــرض الديانة المسيحية إلى كثير من التحريف في صلب مفاهيمها ،وحشوها بالخرافات الوضعية .

ب – اتخـــاذ رجـــال الكنيسة من الدين وسيلة تدجيل و استرزاق ، فطمسوا عن جهـــل أو عـــن مكر و سوء نية و خبث و خديعة حقائق الدين و نسبواله من الخرافات والادعاءات ما هو بريء منها ، كما جعلوا من الكتب السماوية قراطيس يبدون و يخفون كـــثيرا منها، و هو ما تعبر عنه الآية الكريمة : **{ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِـــتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}**[2]. وادعى هؤلاء أن قراءة الكتب السماوية المقدسة من اختصاصـــهم وحدهم ، وبذلك جعلوا أنفسهم وسطاء بين المخلوق و خالقه، و جعلوا بـــأيديهم مفاتيح الجنة والنار [3] . إن هذا التمسك بالخرافات و الأغاليط كانت له آثار ســـلبية قادتهم إلى السيطرة و محاربة العلم و العلماء (في القرون الوسطى) . و قد سجل الـــتاريخ تلـــك المآســـي العدائية و ما قامت به الكنيسة من مجازر وحشية ضد العلماء والمفكـــرين الذين توصلوا إلى نتائج علمية تخالف ما تواضع عليه رجال الدين (في مختلف التخصصات كالفيزياء ، الفلك ، الكيمياء و الجغرافيا ...)

---

(1) عبد الوهاب المسيري : العلمانيةالجزئية والعلمانية الشاملة .ج.2 ص15

(2) آل عمران /78.

(3) كمال الدين جعيط: الإسلام في مواجهة العلمنة . ص 24 .

و في هذا يقول القرضاوي : ((و من قرأ شيئا عن تاريخ (محاكم التفتيش) و ما اقترفته من مآثم و أهوال تشيب لها نواصي الولدان، إلى حد محاكمة جثث العلماء بعد موتهم ، و الحكم عليها بالإحراق ، و إلى حد تعذيب الأحياء منهم بصور بشعة تقشعر من مجرد ذكرها الأبدان ، من قرأ هذا أعطى العذر للمفكرين الذين طالبوا بفصل الدين عن المجتمع والدولة و الحياة العامة ، لأن فصل الدين يعني فصل الكنيسة التي كانت سوط عذاب للناس و ليس يعني فصل لدين الله عن دنيا الناس))[1].

لقد فرضت الكنيسة استبدادا مزدوجا : دينيا و سياسيا ، ففي المجال الديني فرضت عقيدة التثليث و لعنت من يخالفها ، و أعطت لنفسها حقوق الإله ، وقوت الكنيسة سلطتها ، بادعاء بعض الحقوق التي لا يملكها إلا الله : ((مثل حق الغفران و حق الحرمان، و حق التحلة ، و لم تتردد في استعمال هذه الحقوق واستغلالها ، فحق الغفران أدى إلى المهزلة التاريخية " صكوك الغفران " ...و حق الحرمان عقوبة معنوية بالغة كانت شبحا مخيفا للأفراد و الشعوب في آن واحد ، فأما الذين تعرضوا له من الأفراد فلا حصر لهم ... و أما الحرمان الجماعي فقد تعرض له البريطانيون عندما حصل خلاف بين الملك يوحنا ملك الإنجليز و بين البابا ، فحرمه البابا و حرم أمته، فعطلت الكنائس من الصلاة ومنعت عقود الزواج ، و حملت الجثث إلى القبور بلا صلاة، و عاش الناس حالة من الهيجان والاضطراب حتى عاد يوحنا صاغرا يقر بخطيئته و يطلب الغفران من البابا ولما رأى البابا ذله و صدق توبته رفع الجرم عنه و عن الأمة))[2].

و بالنسبة لحق التحلة فهو حق يبيح للكنيسة التحلل من تعاليم الدين والخروج عنها[3].

أما في المجال السياسي فقد كان الاستبداد و الاستغلال نهج الكنيسة منحت بموجبه لنفسها امتيازات سياسية تبيح لها التدخل في أمر الملوك حيث ترى أن أصلحهم أكثرهم خضوعا لها كما كانت تدعو الناس إلى الزهد في الحياة و واقع حالها غير ذلك ، إذ كان رجالها يتكالبون على جمع الأموال و امتلاك الأراضي والاستغلال البشع في تسخير عامة

---

(1) القرضاوي : الطمانية في مواجهة الإسلام . ص 7.
(2) سفر الحوالي : الطمانية . ص 130.
(3) المرجع نفسه : ص 130.

الـــناس لهـــم ،يقول ويل ديورانت : "أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي ، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا ، فقد كان دير " فلدا " مثلا يملك "15.000" قصرا صغيرا ، و كـــان ديـــر " سانت جول " يملك ألفين من رقيق الأرض ، و كان " الكوين فيتور " (أحـــد رجـــال الدين) سيدا لعشرين ألفا من أرقاء الأرض و كان الملك هو الذي يعين رؤســـاء الأساقفة والأديرة ... وكانوا يقسمون يمين الولاء كغيرهم من الملاك الإقطاعيين ويلقـــبون بـــالدوق ، والكونـــت و غيرها من الألقاب الإقطاعية ... و هكذا أصبحت الكنيسة جزء من النظام الإقطاعي "[1].

إن هـــذا التحول الذي أصاب الكنيسة بسبب مواقف رجال الدين وانتقالها من الروحانـــية الـــتي هـــي من ميزات المسيحية إلى العتو والطغيان وفرض الإرهاب الديني و السياسي و الفكري جعل المفكرين يضيقون بها و يعلنون الحرب عليها .

ج – و إلى جانـــب المـــبررات السابقة نجد موقفا آخر تعرضه طبيعة منطق الدين المســـيحي ، و الذي يتمثل في تقسيم السلطة بين الله و قيصر ، و طبيعي أن تتولى سلطة الله الـــتكفل بشؤون تنظيم التعميد و الصلوات والطقوس ، و ينوب عنها في ذلك رجال الكنيســـة الذيـــن يمثلون سلطة الله في الأرض ، أما سلطة قيصر فتهتم بشؤون السياسة والحكـــم و الحرب والسلم و شؤون الحياة على العموم ، فلما تجاوزت الكنيسة حدودها وصـــلاحياتها حدث ما لم تحمد عقباه يقول محمد عمارة: " لما حدث وتجاوزت الكنيسة حـــدود رسالة الروح و مملكة السماء فاغتصبت السلطة الزمنية أضفت على الدنيا قداسة الدين ، و ثبتت متغيرات الاجتماع الإنساني ، ثبات الدين ، فدخلت بالمجتمعات الأوربية مـــرحلة الجمـــود والانحطاط ، و عصورها المظلمة ... و سادت في تلك الحقبة نظرية " السيف الواحد " " theory of one swor" أي السلطة الجامعة بين الديني و المدني ، سواء تولاها البابوات أو الأباطرة أو الملوك الذين يوليهم ويباركهم البابوات و عرف هذا النظام في التاريخ الأوربي ، بنظرية الحق الإلهي للملوك : " divine right of the kings " و في مواجهـــة هـــذا النظام و واقع الانحطاط الحضاري الذي أثمرته تطبيقاته " ، التي قدست

---

[1] ويل ديورانت:قصة الحضارة.ج 14 .ص 425 .

الدولـــة و حكامها و جمدت الدنيا و مجتمعاتها و علومها كانت " الثورة العلمانية " التي فجرتها فلسفة التنوير الأوروبي "[1].

لقـــد أقامت هذه الفلسفة القطيعة مع فلسفة الحكم الكهنوتي وأسست علمانيتها على التراث الأوربي القديم و عقلانية التنوير الحديث فأحلت العقل والتجربة محل الدين واللاهوت ، و جسدت فكرة ما لله لله و ما لقيصر لقيصر .

و المـــتأمل في الفكـــر العـــلماني يجده تتنازعه قوتان : تيار مادي ملحد و آخر عـــلماني مؤمـــن ، و قـــد استطاع هذا الأخير التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق وبين العلمانـــية الـــتي تـــنظر إلى العالم على أنه مكتفيا بذاته . فتجعل تدبيره من صلاحيات الاجتماع البشري المتحرر من أي تشريع إلهي. و هذا الاتجاه يستند في مرجعيته إلى الفكر الأرســـطي الـــذي يرى أن الله واحد ، مفارق للعالم و خالق له ، إلا أنه أودع فيه و في الطبيعة الأسباب التي تجعله مستغنيا بنفسه مدبرا لها تدبيرا ذاتيا من غير حاجة إلى إله ((فالعالم مكتف بذاته تدبره الأسباب المودعة فيه و هو وحده مصدر المعرفة الحقة ، القابلة للبرهنة ، و التعليل و تدبير الدنيا ، مرجعيته الإنسان — بالعقل والتجربة — دون رعاية أو تدبـــير أو تدخـــل من السماء، هكذا استندت العلمانية في تأسيس " دنيويتها " على التصـــور الأرســـطي لـــنطاق عمل الذات الإلهية فهو مجرد خالق ، فرغ من الخلق ... وانحصرت غايته بذاته دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات ، كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها دون الحاجة لوجوده معها و هي تدور))[2].

و كـــان التنوير الذي عزل السماء عن الأرض و حرر المجتمع البشري من ضوابط وحـــدود الشـــريعة ، فحل العقل و التجربة محل الله والدين، و رأى أن كل مخطط من المخططـــات الحياتية الإنسانية من جميع جوانبها يجب أن يصدر عن العقل المجرد من أي راســـب ، أمـــا العقـــيدة والنشاطات الروحية فهي أمور خاصة تمارس بعيدا عن الحياة الاجتماعية أو السياسية أو النظام .

---

(1) محمد عمارة : الشريعة الإسلامية و العلمانية الغربية . ص 18.
(2) المرجع نفسه . ص 19.

ثانيا : دخول العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية :

الظاهـــر أن العلمانية لم تجد طريقها إلى المجتمعات الإسلامية بشكل عفوي تلقائي وإنما عن طريق أسباب و ظروف أسهمت في نقلها و شيوعها يمكن حصرها في الآتي :

أ – **الاستعمار** :

اتخذ الاستعمار أساليب عدة منها : الغزو الفكري و الغزو العسكري : ففي مصر مـــثلا كانـــت حملة نابليون بونابرت : (1213هـــ- 1798 م) التي شكلت بداية الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين ، و إن كان هناك من يرى أن هدف بونابرت من المجيء إلى مصـــر هـــو أن يتخذ منها قاعدة لقطع الطريق الإمبراطوري بين بريطانيا و الهند بسبب التـــنافس الاســـتعماري بـــين الدولتين (فرنسا و بريطانيا) " نعم إنه ينافس بريطانيا يلاحقهـــا و يضـــيق عليها ، و لكنه جاء ومعه مخططه الصليبي الكامل لإخراج مصر من دائرة الإسلام لعلها تكون بعد ذلك نقطة ارتكاز لإفساد بقية العالم الإسلامي الذي يتلقى فيها العلم و يستمد منها الروح ... و لقد كانت محاولة تنحية الشريعة الإسلامية هي أول نقاط المخطط التي بدأ بتنفيذها بالفعل "[1].

و قد كانت المطبعة التي ادعى نابليون ، أنه أتى بها من أجل التنوير في مصر تطبع المنشـــورات التي تتعلق " بقانون بونابرت " التي يصدرها لإبطال الشريعة، والمنشورات التي تروج أن الاستعمار قضاء و قدر[2].

حل المستعمر في كثير من ديار المسلمين ،و أينما حل كان يسعى إلى غرس جذور العلمانية بدل الإسلام ، ففي الجزائر و تونس مثلا عمد إلى محو كل مقومات الشخصية العربـــية الإســـلامية مـــن خـــلال سن القوانين الوضعية العلمانية حيثما كانت الشريعة الإسلامية و في هذا يقول عبد الله النديم : " إن دولة من دول أوربا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء ، و إنما تدخل باسم الإصلاح ،و بث المدنية وتنادي أول دخولها بأنها لا تـــتعرض للدين ولا للعوائد ، ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئا فشيئا .. كما تفعل فرنسا في الجزائر وتونس حيث سنت لهم قانونا فيه بعض المواد تخالف الشرع الإسلامي بل تنسخ مقابلها من أحكامه ، و تشريعه في البلاد ، و اتخذ ت لتنفيذه قضاة ترضاهم ، ولما لم تجد

---

(1) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص 201.

(2) المرجع نفسه ، ص 201.

معارضا أخذت تحول كثيرا من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام توسيعا لنطاق نسخ الدين، ولم نلبث أن جاريناها (في مصر) و أخذنا بقانون يشبهه"[1].

و الأمر ذاته كذلك في المغرب حيث كان القضاء على الشريعة الإسلامية والعربية هدفا معلنا فقد أعلن (جورج سوزدون) و هو أستاذ الحقوق في معهد الدروس العليا بالرباط في كتابه (مبادئ الحقوق العرفية المغربية) : " أن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية ، و هذا يخولنا اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد!!..

و يجب جمع العادات البربرية لئلا تضمحل في الشرع الإسلامي ، إذ العرف يمحي إزاء القانون ، و الأولى أن نرى العرف البربري يندمج في القانون الفرنسي أو نراه يدمج في القانون الإسلامي"[2].

لقد سخر المستعمر الفرنسي كل ما بوسعه لعلمنة البلاد الإسلامية فعمل على فرنسة اللغة العربية إما من خلال تشويهها و تحريفها و إما عن طريق إقحام ألفاظ أجنبية أو فرنسية للحديث بها حتى لا تبقى عربية صحيحة و سليمة من كل لحن و تحريف أو لعزلها عن الإسلام و ليتم بذلك علمنة القانون ، فإذا تحقق ذلك ابتعد المسلمون كليا عن دينهم لأنه يصبح يتلى بلغة مهجورة ، و قد تحقق بعض ذلك للمستعمر الفرنسي ومازال أبناء المغرب العربي يفتخرون بتكلمهم اللغة الفرنسية و الذي يعبر عن استمرار العلمنة بهذه الديار إلى يومنا هذا .

ب – البعثات العلمية :

انبهر أبناء المسلمين الذين شدوا الرحال إلى الغرب بما حققته الحضارة الغربية ولأنهم ما كانوا متشبعين بدينهم أخذوا موقفا معاديا من الإسلام ، لأنهم تعلموا في بلاد كان للدين فيها تأثير على التراجع الحضاري و العداء للعلم ، و لم يميزوا بين حقيقة الدين الإسلامي و الدين المسيحي المحرف ، و اقتنعوا أن الدين – أيا كان – سبب في التخلف كما كان الدين المسيحي سببا لتخلف الغرب .

---

(1) نقلا عن : محمد عمارة . الشريعة الإسلامية و العلمانية الغربية . ص 24.

(2) المرجع نفسه : ص 24.

و من العلماء الذين تتلمذوا على الغرب ، و كانوا حماة و دعاة للتغريب في الوطن العـــربي – رفاعة رافع الطهطاوي – و كان من الأئمة الذين بعثهم محمد علي إلى الغرب فرجع و هو من أئمة التغريب " استقبله أهله بالفرح يوم عاد من فرنسا بعد غيبة سنين . فأشاح عنهم في ازدراء ووسمهم بأنهم " فلاحون " لا يستحقون شرف استقباله ، ثم ألف كـــتابه الذي تحدث فيه عن أخبار " باريس" ودعا فيه إلى تحرير المرأة أي السفور، و إلى الاختلاط ، و أزال عن الرقص المختلط وصمة الدنس ، فقال إنه حركات رياضية موقعة على أنغام الموسيقى ، فلا ينبغي النظر إليه على أنه عمل مذموم "[1].

و قد بالغ طه حسين في ولائه للغرب و دعوته إلى العلمانية في مصر يقول: " لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم ، ونسير سيرتها في الإدارة و نسلك طريقها في التشـــريع ، التزمـــنا هذا كله أمام أوربا و هل كان إمضاء معاهدة الاستقلال (عام 1936م) و معـــاهدة إلغاء الامتيازات (عام 1938م) إلا التزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر أننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم و الإدارة والتشريع "[2].

و لا يخفـــى على أحد ما قدمه طه حسين من جهود لإرساء العلمانية في مصر من خـــلال المناصب التي تقلدها ، و مؤلفاته التي ألفها . و واقع العالم الإسلامي يتألم بسبب آراء هـــؤلاء الذيـــن احتضـــنهم الغرب لينفثوا سمومه في بلاد الإسلام ، و كيف نفسر احتضـــان فرنسا لمحمد أركون داخل مجلس الحكماء ليصدر تشريعات مناهضة للتشريع الإسلامي ، كمسألة الحجاب و غيره ؟.

جـــ – الحركة الاستشراقية :

نشـــطت هـــذه الحركة لإرساء قواعد المستعمر و العلمانية ، فقد كانت نواياها خبيثة ، و إن كان بعض المستشرقين يصرح بغير ذلك ، فقد طعن الفكر الاستشراق في الشريعة الإسلامية و في التاريخ الإسلامي أو بالأحرى في كل ما له صلة بالإسلام و مبلغ رســـالته محمـــد – صـــلى الله عليه و سلم – و ذلك بقصد تزهيد أهله فيه و انتصارا للمســـيحية –في كـــثير من الأحيان– ،و قد أثرت أفكار هؤلاء على كثير من أبناء الأمة الإســـلامية و تبـــنوها في مؤلفـــاتهم " و لا يعـــرف العقل و لا المنطق حدا لما يقوم به

---

(1) محمد قطب : واقعنا المعاصر . ص 209.

(2) طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر. ج1 . ص 37.

المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامي ، و تشويه لمبادئ الإسلام ، و ثقافته و إعطاء المعلومـــات الخاطئة عنه و عن أهله ، و هم كذلك جاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الـــدور الذي أداه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية ، إن المستشرقين فيهم قدر مشترك مـــن الخصام المتجني ، و التفاوت – إن وجد بينهم – إنما هو في الدرجة فقط ، فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام ، وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه"[1].

و قـــد وجد من بين أبناء المسلمين من يدافع على حق المستشرقين في الهجوم على الإسلام ، يقول أحد هؤلاء : " ..و من هذا الحق العام خرجت علينا مناهج الاستشراق الجديدة تفعل فعلها في تاريخنا و تراثنا ، و هناك من اعتبرها عدوة له ، فانبرى يستخدم ما في جعبته من أدوات قديمة ، و أنبرى البعض أحيانا بالشتائم غير متصورين بأنه من الممكن (لغريب) أن يمس مقدسهم ، و أنه ليس من المطلوب أن يأتي الآخر ليتلصص على عيوبنا و نقائصنا أو حتى مزايانا ، فالبيوت أسرار "[2].

لقد كانت أهداف المستعمر بمبشريه و مستشرقيه تسعى إلى تشويه صورة الإسلام و تاريخـــه بتزوير الحقائق ، و محاولة خداع المسلمين بربط التقدم الحضاري بهدم الإسلام و ربط تأخر المسلمين بتمسكهم به ، واتبعوا في ذلك طريق القدح في الشريعة الاسلامية بدعـــوى عـــدم صـــلاحيتها لحـــل مشاكل العصر ، والاستجابة للنواحي : السياسية والاقتصادية و الأخلاقية ...

د – الأقليات المسيحية :

بـــرغم الخدمـــات الـــتي قدمها الإسلام للأقليات المسيحية ، الموجودة في البلاد الإسلامية ، و معاملتهم بالحسنى ، إلا أنهم كانوا أول من دعا إلى تطبيق العلمانية في البلاد الإســـلامية ، و مساعدة العدو الأجنبي على تمزيق بلاد المسلمين ، فلم يستطع الاستقرار والأمـــن الذي منحته لهم هذه البلاد أن يقضي على الحقد الدفين الذي يحملونه للإسلام و أصـــبحوا الورقة المضمونة التي تستخدم لتعطيل الشريعة و الحرب على الإسلام ، وقد تمكـــن الغزو الغربي من تحويل هذه الأقليات من لبنات في جدار الأمن الوطني إلى ثغرات

---

(1) **محمد الغزالي : دفاع عن العقيدة و الشريعة . ص 8.**
(2) **عبد الهادي عبد الرحمان : سلطة النص . ص 18.**

اختراق ... " و من جزء أصيل في بناء الحضارة الإسلامية و الثقافة الإسلامية إلى " فيتو " - صوت معارضة – و ورقة ضغط و عقبة كأداء في وجه الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ،مع أن هذه الأقليات قد عاشت جزء أصيلا من الأمة ، و حافظت على عقائدها في ظل حاكمية الشريعة الإسلامية أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، أسهمت فيها مع الأغلبية المسلمة في بناء الحضارة الإسلامية .. و لم تشعر هذه الأقليات طوال ذلك التاريخ بأن الشريعة تنقص شيئا من تدينها بما تدين ، لأن شرائع هذه الأقليات ليس فيها فقه معاملات مدنية .. فالشريعة الإسلامية ليست بديلا لشريعة مدنية نصرانية ؛ و إنما هي بديل للقانون الوضعي العلماني الذي جاء به الغزاة القاهرون للأغلبيات و الأقليات جميعا "[1].

و قد استطاع الغزو الفكري العلماني تحقيق نجاحا كبيرا على هذا المستوى وبذلك غرس في أوساط المسلمين هؤلاء الذين قننوا للعلمانية بواسطة الصحافة والشعر ومؤلفاتهم و هكذا حقق المستعمر بالفكر ما لم يحققه عسكريا و كان من هؤلاء أكبر دعاة العلمانية في بلاد المسلمين من أمثال : فرح أنطوان (1874 – 1922 م) و شبلي شميل (1860 – 1917 م) الذي يقول : " والأمم تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوربا لم تصبح قوية و متمدنة فعلا إلا عندما حطم الإصلاح و الثورة الفرنسية سلطة الاكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضا على المجتمعات الإسلامية "[2].و هذا الكلام طبعا غير صحيح لأنه لا وجه للمقارنة بين المسيحية و الإسلام ،و من هؤلاء أيضا إميل شميل (1828 - 1897م) وكان من محاربي العربية و من الدعاة إلى إحلال العامية بدلها لا لشيء إلا لأنها لغة القرآن و في إضعافها إضعاف للأمة الإسلامية "[3].

---

(1) محمد عمارة : الشريعة الإسلامية و العلمانية الغربية . ص 46. وانظر : منير شفيق . ردود على أطروحات علمانية. ص 51-57.

(2) نقلا عن : سفر الحوالي . العلمانية . ص 559.

(3) محمد عمارة : الشريعة الإسلامية و العلمانية الغربية . ص 47.

ب – نـــتائج العلمانـــية في بـــلاد المسلمين و تأثيرها على الفصل بين العقيدة والشريعة :

وقـــد نجحـــت تلك الأسباب – السابقة – في إيجاد مجموعات من أبناء المسلمين تعمـــل مـــن أجل عزل الإسلام عن الممارسة الحياتية بدعوى مسايرة الركب الحضاري و لعل من أبرز السلطات التي تبنت العلمانية كنظام سياسي و كانت علمانية متطرفة :

سلطة كمال أتاتورك :

لقد عمل أتاتورك على سلخ الأتراك من تمسكهم بالإسلام ، وصرفهم على اللغة العربية ، فسار ببلاده بما يجعل الإسلام غريبا عن الحكومة التركية كما أن الدين المسيحي بـــزعمه أجنبي عن الحكومات الأوروبية الراقية " و تابعه في ذلك الحزب الذي يسمى في تركـــيا (خلق فرقه سي) و الذي هو من أوله إلى آخره أشبه بجند لمصطفى كمال تحت قـــيادته لا يملكـــون معه قبضا و لا بسطا ، فألغوا جميع ما تشتم منه رائحة الإسلام من أوضاع الحكومة التركية ، و أبطلوا المحاكم الشرعية بعد أن أبطلوا العمل بالشريعة و ألغوا الـــوزارة الـــتي كان اسمها (مشيخة الإسلام) و جعلوا مكانها دائرة صغيرة تابعة لنظارة الداخلـــية سموها (ديانت إيسي) أي أمور الديانة ، و حذفوا من دستور تركيا المادة التي فيها (أن الإسلام هو دين الجمهورية التركية) ... "[1].

وألغت هذه السياسة الكتابة بالحروف العربية و أوقفت إقامة الأذان بها ، ورفعت التعليم الديني من الكتاتيب و أجبرت النساء على السفور والاختلاط في دور العلم[2] .

و بالرغم من هذه السياسات بقي غالبية الأتراك متمسكين بعقيدتهم و إن كانت الشريعة قد حوربت على المستويات الرسمية . والعلمانية التركية نموذج بالـــــــغ السوء ويرجع القرضاوي ذلك لعدة أسباب :

1 – لأنهـــا أول بلد مسلم يتبنى العلمانية بوضوح ، و حماس بعد استقلاله فضرب بذلك المثل و سن سنة السوء لغيره ، فعليها وزر كل العلمانيات في المجتمعات الإسلامية .

2 – لأنهـــا كانت دولة الخلافة التي قادت المسلمين لقرون عدة ، وكان المسلمون يظنون بأتاتورك خيرا حتى انقلب على دينه و أمته .

---

(1) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي . ج3 . ص 351-352.
(2) المرجع نفسه : ج3. ص 353.

3 لأنهـــا لم تكن محايدة مع الدين بل كانت متطرفة و أكبر همها : القضاء على الإســـلام ، و اجتـــثاث جذوره من نفوس الشعب ، و بذلك أصبح بينها و بين الشعب الـــتركي حرب مستمرة ، تخفى تارة و تظهر تارة أخرى ، كما خرجت على خط الأمة وغدت توالي أعداءها بتبجح و قلة حياء[1].

و ليســـت تركيا و حدها التي تبنت العلمانية كمنهج للحكم ،ولكن غالبية بلاد المســـلمين - على تفاوت في التطبيق - تتسم بعضها بالتطرف كما هو الحال في تونس وتمـــارس بعضـــها علمانيتها ببعض النفاق . فتونس من البلاد العربية التي أعلنت حربها جهارا لكل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية ، و استبدلتها بقوانين من وضع البشر متهمة لها بالقصور و من هذه القوانين :

- إلغاء تعدد الزوجات .
- تحريم زواج الرجل من مطلقته ثلاثا بعد زواجها من رجل أخر .
- قانون إلغاء القوامة .
- منع الحجاب و تعذيب المتدينات .
- إغلاق المحاكم الشرعية و توحيد القضاء التونسي .
- نشر الدعارة و الانحلال باسم الثقافة[2].

و غير هذه القوانين كثير .

أمـــا في الدول الأخرى و منها الجزائر فإن العلمانية من أسباب الفتنة التي يعيشها الشـــعب الجزائري سواء الحاكمة أو المعارضة ، فهي متجلية على مستويات كثيرة منها : مـــناهج التعليم الآتية من وراء البحار ، تشجيعها للفساد الأخلاقي بعدم إقامة الحدود والســـماح بفتح الحانات و دور الدعارة ، و ما الحملات التي تقاد ضد الاتجاه الإسلامي والحـــيلولة دون وصول المشروع الإسلامي إلى الحكم إلا نتيجة لتعشش الفكر العلماني عـــلى أفكار المخالفين ، إذ يرون أنه لا علاقة للإسلام بالسياسة ، و أن الإسلام لا يخدم الحضارة ، و للحيلولة دون ذلك أوقعوا البلاد في الفوضى المستمرة .

---

(1) القرضاوي : العلمانية في مواجهة الإسلام . ص 98.
(2) المرجع نفسه : ص 92-113.

و قد كان لأهل السياسة إلى جانب الجهل بالإسلام و تبني الفكر الغربي سند من مفكـــرين مســـلمين جندوا أقلامهم للحرب على الشريعة الإسلامية ، وكرسوا حياتهم جهـــادا مـــن أجـــل تطبيق العلمانية ، ومن هؤلاء المفكرين علي عبد الرزاق في كتابه " الإســـلام و أصول الحكم " الذي أصدره سنة 1925م ، و هو كتاب ينفي وجود شيء اسمـــه الخلافـــة في الإسلام ، و فيه دعوة صريحة إلى فصل الدين عن الدولة ، و قوبل بالمعارضـــة مـــن طرف علماء المسلمين ، فرد عليه محمد بخيت المطيعي بكتاب " حقيقة الإسلام وأصول الحكم "، و محمد الخضر حسين بكتاب " نقض كتاب الإسلام و أصول الحكم"، و ضياء الدين الريس بكتاب " النظرات السياسية الإسلامية " ، و محمد الطاهر بن عاشور بكتاب " نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم " ...

و مـــن الأسباب التي جعلت الكتاب يثير ضجة كبيرة في أوساط العلماء ، جرأة صـــاحبه على الإسلام ، إضافة إلى الفترة الزمنية التي ظهر فيها و هي : سقوط الخلافة الإســـلامية ، كمـــا يعتبر صاحبه " أول كاتب مسلم يسعى إلى زرع العلمانية في العقل الإسلامي ، و في واقع المسلمين ، و كان أخطر ما في هذه المحاولة أنها جاءت في " ثوب إســـلامي " وتحت " راية إسلامية " و من عالم فاضل تخرج في الجامع الأزهر ، و يشغل منصب القاضي في المحاكم الشرعية الإسلامية[1].

إن هـــذا الكتاب ، و إن كان صاحبه أزهريا إلا أنه وصف بالجهل و عدم الفقه بـــأمور الإسلام ، فقد اعتمد فيه على التأويل المتعسف لنصوص القرآن والسنة ونحى به وجهة المستشرقين الحاقدين على الإسلام .

لقد اعتبر علماء المسلمين هذا الكتاب أهم وثيقة وضعها المفكرون المسلمون في يد العلمانـــيين الذين يريدون عزل الإسلام عن الدولة و المجتمع، لذلك أحدث ضجة كبيرة وأكبر معركة فكرية في تاريخنا الحديث[2].

---

(1) محمد عمارة : معركة الإسلام و أصول الحكم. ص 171.
(2) محمد عمارة : أزمة الفكر الإسلامي الحديث . ص 136-137.

و قد كان لأهل السياسة إلى جانب الجهل بالإسلام و تبني الفكر الغربي سند من مفكـــرين مسـلمين جندوا أقلامهم للحرب على الشريعة الإسلامية ، و كرسوا حياتهم جهـــادا مـــن أجـــل تطبيق العلمانية ، ومن هؤلاء المفكرين علي عبد الرزاق في كتابه " الإســـلام و أصول الحكم " الذي أصدره سنة 1925م ، و هو كتاب ينفي وجود شيء اسمـــه الخلافـــة في الإسلام ، و فيه دعوة صريحة إلى فصل الدين عن الدولة ، و قوبل بالمعارضـــة مـــن طرف علماء المسلمين ، فرد عليه محمد بخيت المطيعي بكتاب " حقيقة الإسلام وأصول الحكم "، و محمد الخضر حسين بكتاب " نقض كتاب الإسلام و أصول الحكم"، و ضياء الدين الريس بكتاب " النظرات السياسية الإسلامية " ، و محمد الطاهر بن عاشور بكتاب " نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم " ...

و مـــن الأسباب التي جعلت الكتاب يثير ضجة كبيرة في أوساط العلماء ، جرأة صـــاحبه على الإسلام ، إضافة إلى الفترة الزمنية التي ظهر فيها و هي : سقوط الخلافة الإســـلامية ، كمـــا يعتبر صاحبه " أول كاتب مسلم يسعى إلى زرع العلمانية في العقل الإسلامي ، و في واقع المسلمين ، و كان أخطر ما في هذه المحاولة أنها جاءت في " ثوب إســـلامي " وتحت " راية إسلامية " و من عالم فاضل تخرج في الجامع الأزهر ، و يشغل منصب القاضي في المحاكم الشرعية الإسلامية[1] .

إن هـــذا الكتاب ، و إن كان صاحبه أزهريا إلا أنه وصف بالجهل و عدم الفقه بـــأمور الإسلام ، فقد اعتمد فيه على التأويل المتعسف لنصوص القرآن والسنة ونحى به وجهة المستشرقين الحاقدين على الإسلام .

لقد اعتبر علماء المسلمين هذا الكتاب أهم وثيقة وضعها المفكرون المسلمون في يد العلمانـــيين الذين يريدون عزل الإسلام عن الدولة و المجتمع، لذلك أحدث ضجة كبيرة وأكبر معركة فكرية في تاريخنا الحديث[2].

---

[1] محمد عمارة : معركة الإسلام وأصول الحكم . ص 171

[2] محمد عمارة: أزمة الفكر الإسلامي الحديث . ص 136- 137

وكـــثيرا ما أدى لمظالم و مفاسد يقشعر منها البدن ، و سوف يؤدي إلى نفس الشيء في العصر الحالي))[1].

لقد رفض فرج فودة تطبيق الشريعة انطلاقا من قياس الإسلام على المسيحية ، وما أدت إلـــيه من آفات في القرون الوسطى ، كما يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد قادرة على علاج كثير من المشاكل المطروحة و لذلك و جب استبدالها بالقانون الوضعي يقول: ((والنتـــيجة ببساطة أن القانون الحالي يعاقب على جرائم يعسر على الشريعة أن تعاقب عليها ، ويعكس احتياج المجتمع المعاصر بأقدر مما تفعل الشريعة))[2].

إن هـــذه الأطروحات العلمانية فصلت بين العقيدة و الشريعة ، فالعقيدة مقبولة والشـــريعة غير مقبولة ، كما فصلت بين العقيدة والعبادات من جهة والناحية العملية من جهـــة أخرى ،و في هذا يقول أحد دعاة العلمانية (محمد خلف الله) :" شعار: الإسلام هـــو الحل، هذا الشعار يختص بالعقيدة الإسلامية فإذا كان هناك مشكلة تتصل بالعقيدة الإســـلامية مـــن الممكن أن يكون القرآن هو الحل أو الإسلام هو الحل ، وعندما تكون هناك مشكلة متصلة بالعبادات ، والعبادات حق الله على عباده فهذه أيضا يمكن أن يكون الإســـلام هو الحل ، أما عندما تتصل المسألة بعلاقات البشر بعضهم ببعض أو بأشياء فإن ما جاء من القرآن من الممكن أن لا يكون الحل ، و من الممكن أن يكون هو الحل لسبب بســـيط جدا ... إذا كانت المسألة مسألة اجتهاد علماء الدين و الفقهاء فإن من حقنا أن نقـــترح حلا كما اقترحوا هم باجتهاداتهم ، إذا كان هناك نص فنعود إلى المصلحة : هل هـــذا الـــنص لا يزال يحقق المصلحة للمسلمين أو لا يحقق المصلحة ؟ فإذا كان لا يحقق المصـــلحة للمسلمين من الممكن أن نوقف إعمال هذا النص ، يكون النص نصا مقدسا ولكن إعماله منوط بالمصلحة))[3].

إن تجزئة الإسلام إلى عقيدة و شريعة ، و الفقه إلى عبادات ومعاملات تجزئة غير ســـليمة و هـــي تجـــزئة فنية فقط ، إلا أنها أدت إلى نتائج سلبية منها ما يقول به دعاة العلمانـــية: العقـــيدة و العبادات مقبولة والمعاملات غير مقبولة ، فهذا التقسيم أنشأ آثارا

---

[1] أحمد جودة : حوارات حول الشريعة . نقلا عن : صلاح الصاوي: المرجع نفسه . ص 57.
[2] فرج فودة : الحقيقة الغائبة ؛ نقلا عن: صلاح الصاوي :المواجهة بين الإسلام و العلمانية . ص 121.
[3] نقلا عن: صلاح الصاوي: المرجع نفسه: ص 96.

سيئة في التصور نتجت عنه آثار سيئة في الحياة الإسلامية ككل ((إذ جعل يترسب في تصورات الناس أن صفة " العبادة " إنما هي خاصة بالنوع الأول من النشاط الذي يتناوله فقه العبادات بينما أخذت هذه الصفة تبهت بالقياس إلى النوع الثاني من النشاط ، الذي يتناوله " فقه المعاملات " و هو انحراف بالتصور الإسلامي لا شك فيه فلا جرم يتبعه انحراف في الحياة كلها في المجتمع الإسلامي))[1].

و الحقيقة أنه لا يوجد في الإسلام نشاط إنساني لا تظله كلمة العبادة ((والنشاط الإنساني لا يكون متصفا بهذا الوصف ، محققا لهذه الغاية – التي يحدد القرآن أنها غاية الوجود الإنساني – إلا حين يتم هذا النشاط وفق المنهج الرباني ، فيتم بذلك إفراد الله – سبحانه - بالألوهية والاعتراف له وحده بالعبودية .. وإلا فهو خروج عن العبادة ،لأنه خروج عن العبودية أي خروج عن غاية الوجود الإنساني كما أرادها الله، أي خروج عن دين الله))[2].

ومحاسن الإسلام تقيه حيث العلمانيين :

لقد تميزت الرسالة الخاتمة بأن جعلها الله – تبارك و تعالى – معصومة من التحريف ، إذ تكفل – سبحانه – بحفظها ، يقول- عز وجل- : { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** }[3]. و هذه الخاصية تجعلنا نحكم عن يقين أن العلمانية مهما بذلت من مساعي ، فإنها لن تستطيع النيل من الإسلام ، و إن شوشت على المسلمين أوضاعهم لأوقات محدودة .

إن الملابسات التي أدت إلى ظهور العلمانية في بلاد الغرب مرتبطة بما لحق الدين المسيحي من تحريف ، أما الإسلام فإلى جانب تكفل الله – سبحانه و تعالى – بحفظه فإنه يتميز بمبادئ تضمن له الخلود منها :

---

[1] **سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي . ص 114.**
[2] **المرجع نفسه ص 114.**
[3] **الحجر** /9

1 إنـــه دين الفطرة ، يقول – تبارك و تعالى – : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْـــرَةَ اللَّـــهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[1].

فتعاليمه موافقة موافقة تامة لما تريده الفطر السليمة ، و العلمانية تعمل على مخالفة الفطـــرة البشرية بسعيها إلى إلغاء وظيفة الأديان ، و هذا ترفضه العقول السليمة ، يقول أرنســـت رينان : ((من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه ، و أن تبطل حرية استعمال العقـــل و العلم و الصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة عـــلى بطلان المذهب المادي – الإلحاد – الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية))[2].

و قـــد نـــاقش علماء كثيرون في الغرب هذه المسألة ، و توصلوا إلى أن الحضارة الغربية تحمل أسباب دمارها و من أقوى هذه الأسباب البعد الديني أو الروحي .[3].

2 - لأنه دين العقل و العلم :

لقـــد أعلن علماء التنوير في أوروبا حربهم على الدين من منطلق تناقض العقل مع الدين و تناقض الدين مع العقل .

و هـــذا الأمر غير وارد في الإسلام فهو دين العقل و العلم ، جاء داعيا البشر إلى الـــتحرر مـــن الجهل بوسائل كثيرة ، دعاهم إلى التأمل في الأنفس والآفاق للوصول إلى معـــرفة الله – عز و جل – { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }[4].

و لقيمة العقل في الإسلام و حث القرآن على التعقل و التدبر أوجب بعض علماء الإسلام معرفة الله عن طريق العقل لا عن طريق التقليد ، و مسائل العقيدة أغلبها يستدل عليها القرآن عقليا : الاستدلال على وجود الله و الاستدلال على وحدانيته و الاستدلال عـــلى البعـــث ... وفي أمـــور الشريعة نجد أن العقل شرط التكليف في أمور العبادات

---

(1) الروم / 30.
(2) نقلا عن: محمد عبد الله كامل : الإسلام في مواجهة العلمنة . ص 20.
(3) عماد الدين خليل : تهافت العلمانية . ص 163-172.
(4) فصلت / 53.

والمعاملات ، و قد صبغت أمور الدين بطابع الحكمة ، و في هذا دعوة إلى التأمل العميق في غاية هذا الوجود ، و ربطه بخالقه .

و قد حفلت الآيات القرآنية بما يدعو إلى التعقل منها :

- {كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[1].
- { إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[2].
- { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }[3].
- { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}[4].
- { وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[5].
- { انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ }[6].
- { قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ }[7].
- { وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[8].
- { ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[9].

و هناك حقيقة في غاية الأهمية هي أن كلمة العلم وردت في القرآن الكريم للدلالة على الدين نفسه الذي علمه الله للأنبياء ، يقول تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }[10].

---

(1) البقرة / 73.
(2) البقرة / 164.
(3) الحديد / 17.
(4) الأنفال / 22.
(5) النحل / 12.
(6) الأنعام / 65.
(7) الأنعام / 98.
(8) البقرة / 184.
(9) العنكبوت / 16.
(10) البقرة / 120.

و يقـــول :{ وَلَـــئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ }[1]

- { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ }[2].

و قـــد وردت كلمة العلم بتصريفاتها المختلفة في عدد من الآيات تجاوز السبعمائة و الخمسين[3].

و عـــن قيمة العلم عند المسلمين يقول القرضاوي : ((إذا كان الدين عندنا علما فإن العلم عندنا دين ، أي أن المسلم ، يتعبد الله – تعالى – بطلب العلم ، و طلبه فريضة على كل مسلم و مسلمة ، منه ما هو فريضة عينية و منه ما هو فريضة كفائية ...

ففرض العين على كل مسلم – من ذكر أو أنثى – أن يتعلم من دينه ما لا بد له منه : ما يصحح عقيدته ، و يصلح عبادته ، و يضبط سلوكه و علاقاته ، وفق أمر الله – تعـــالى – و نهيه ، و حلاله و حرامه ، و أن يتعلم من أمور الدنيا ما لابد له منه مما يعينه عـــلى الـــرزق الحلال ، له و لمن يعوله ، و ربما نقول في عصرنا إن القراءة والكتابة من الفـــرائض العينية على كل مسلم ، و فرض الكفاية : ما يحتاج إليه المجتمع أو تحتاج إليه الأمة في مجموعها من علوم الدين أو علوم الدنيا))[4].

لقـــد دعا القرآن الكريم البشرية إلى التخلص من قيود الجهل والتقاليد والاقبال عـــلى العلم بكل الوسائل المشروعة { يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}[5].

إلا أن العقـــل له حدود لا يستطيع تجاوزها ، فهو و إن كان يستطيع التحرك في مجال المحسوسات ، فإنه في المجال الغيبي يقف عاجزا .

لقـــد أنقذ الإسلام العقل البشري من التيه الذي تخبط فيه المفكرون ، واختصر أمامـــه الكثير من مسافات الضياع في البحث عن الحقيقة في أمور لا يمكن للعقل وحده

---

[1] البقرة / 145.
[2] آل عمران / 61.
[3] عماد الدين خليل : تهافت العلمانية . ص 37-38.
[4] القرضاوي : العلمانية في مواجهة الإسلام . ص 34.
[5] الرحمن / 33.

أن يتوصـــل إلـــيها ، فاقتنع المسلم أن الوصول إلى الحقيقة لا يكون بالعقل وحده و أن الجري وراءه انتحار .

يقـــول الراغب الأصفهاني : ((لله – عز و جل – إلى خلقه رسولان أحدهما من الـــباطن و هـــو العقل و الثاني من الظاهر و هو الرسول ، و لا سبيل لأحد إلى الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن ، فالباطن يعرف صحة الظاهر ، و لولاه لما كانـــت تلزم الحجة بقوله ، ولهذا أحال الله من يشكك في وحدانيته و صحة نبوة أنبيائه عـــلى العقل ، فأمره بأن يفزغ إليه في معرفة صحتها فالعقل قائد والدين مدد ، و لو لم يكـــن العقل لم يكن الدين و لو لم يكن الدين لأصبح العقل حائرا ، واجتماعهما كما قال الله – تعالى –{ نُورٌ عَلَى نُورٍ }[1]))[2].

لا يوجـــد في الإسلام تناقض بين العقل و النقل ، و إنما هناك تكامل بينهما. وقد علل العلماء موقف العلمانيين من الدين و ادعائهم التناقض بين العلم والدين بما يلي:

أ – أغالـــيط رجـــال الكنيســـة في مجالات العلوم الكونية ، و المجالات الفكرية والاجتماعية و نسبتها إلى الدين .

ب – الأخطـــاء الموجودة في التوراة ، و التناقضات من حيث التواريخ والحقائق العلمية .

جـــ – خـــرافات أوضاع بشرية سمت أنفسها أديانا ، و هي لا تمت بصلة إلى دين لله .

فقـــد جعلـــتهم هذه الأخطاء لا يثقون في الدين ، و وجدوا أن الحل الوحيد هو الأخذ بالتجربة ، و حاولوا تطبيق ذلك حتى على التاريخ و العلوم الإنسانية .

و الواقع أن هؤلاء بتروا طرق الوصول إلى الحقيقة ، و التي طبقها علماء المسلمين تطبيقا سليما و هي تقوم على ما يلي :

1 – المعـــرفة المباشـــرة : و تكـــون بـــالإدراك الحسي ، و لو بوسائل وأجهزة وأدوات، و آلات صناعية أو طبيعية .

---

(1) النور / 35.

(2) الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة . ص 99.

2 - الاستدلال العقلي بمختلف طرقه الاستنتاجية الاستنباطية ، و هو منهج إدراك الغيبيات التي لا تخضع للتجريب ، و الأمور الوجدانية.

3 - الخبر الصادق و هو قسمان :

أ – إنساني يعتمد عليه الناس في نقل الأخبار و المعارف المختلفة بعضهم عن بعض (و هو التواتر المفيد للعلم) .

ب - عن طريق الوحي الرباني الذي يختص الله به المصطفين من عباده ، وثقة الناس بمن يبلغ عن الوحي مباشرة ، مشروطة بأن يكون مؤيدا من الله بالمعجزة ، فالمعجزة من النبي بمثابة الشهادة من الله في الصدق بما يبلغ عنه .

و على هذا فالمقابلة ليست بين الدين و العلم ، و لكن بين طرق اكتساب العلم الذي يأتي به الدين ، و طرق اكتساب العلم بالوسائل الإنسانية الحسية أو العقلية أو الخبرية و هذا من أكبر أخطائهم المنهجية[1].

إن خلفيات ادعاء التناقض بين العلم و الدين لا تمت للإسلام بصلة وبشهادة علمائهم ،بل الإشارات العلمية الموجودة في القرآن الكريم هي من أعظم مظاهر إعجازه و قد كانت سببا في دخول كثير من الغربيين تحت راية الإسلام[2].

و حين نقارن بين ما قدمته الحضارة الإسلامية للبشرية من علم وأمن واستقرار وما توصلت إليه الحضارة العلمانية من نتائج :تدرك الدمار و الخراب على جميع المستويات لأنها اعتمدت العلم وحده و لابد أنها ستسقط في يوم من الأيام .

يقول عماد الدين خليل : ((إن حضارة لا تعتمد سوى العلم في تحركاتها، إنما هي حضارة عرجاء تسير على ساق واحدة ، و لابد للأعرج أن يسقط في يوم من الأيام إن حضارة لا تلتزم إلا بالعلم في تقدمها ، إنما هي حضارة لا تملك سوى عين واحدة ، بعد أن اختارت أن تفقأ عينها الأخرى ، و لابد لإنسان لا يبصر إلا بعين واحدة أن يفقد الرؤية الواضحة و يسقط في يوم من الأيام .

إن ثورة الإسلام و الإسلام يعني كفاح الأنبياء كلهم و هدفهم الكبير ، هذه الثورة ليست سوى محاولة جادة لإقامة حضارة سليمة تمشي على ساقين وتبصر

---

(1) **الميداني : كواشف زيوف. ص 174-175.**

(2) **أنظر : على سبيل المثال . موريس بوكاي .** التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث

بعيـــنين.. حركة ضد العمى و الكساح الذي اختارته دائما حركات العلمانيين لاستعباد الناس من دون الله ...

إن دعوة الإسلام : صرخة رجاء بوجه البشرية ، بوجه الأمم والشعوب أن تتمرد على أربابها ، و أن تستعيد سيرها الطبيعي ، و رؤياها الكاملة للأشياء .. وهل يتم ذلك إلا بالعودة إلى منهج الله و قيم الله!!))[1].

3 – إنه دين الإله الخالق المدبر الحاكم :

إن القـــاعدة الـــتي استند إليها العلمانيون من مرجعية مسيحية (أعطوا ما لقيصر لقيصر و ما لله لله)[2] ، هي من مظاهر الانحراف التي طالت المسيحية ، و هي ترجع إلى الفلسفة الأرسطية ، لا مكان لها في الإسلام ، إذ من أهم خصائص العقيدة الإسلامية : الإيجابية .

لقـــد سفه القرآن الكريم التصور الوثني – و هو ذاته – التصور الأرسطي لنطاق عمـــل الذات الإلهية ، فالله في التصورين مجرد خالق ، والتدبير للدنيا ، والعمران موكول للإنسان ، و الأسباب المودعة في الطبيعة و ظواهرها الطبيعية وهذا في الفلسفة الأرسطية أمـــا في الوثنـــية الجاهلية ، فهو موكول للشركاء { **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْـــأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**}[3].

لقد سفه القرآن تصور هؤلاء الجاهلين ((و في مقابل ذلك يقدم الإسلام ، تصوره لـــنطاق عمـــل الـــذات الإلهية خالق كل شيء .. مدبر كل أمر .. حتى ما هو مقدور للإنسان و داخل في نطاق قدرته ، و إرادته و فعله ، هو فيه خليفة لله – سبحانه وتعالى – يدبـــره الإنسان بإرادة إلهية ، و تكليف شرعي ، كخليفة لله ، ملتزم بشريعته التي تمثل بنود عقد وعهد الاستخلاف ، و كعبد لسيد الوجود وليس كسيد لهذا الوجود .. فلله – في التصور الإسلامي – " الخلق " و " التدبير " جميعا !..

---

(1) **عماد الدين خليل : تهافت العلمانية : ص 21-22.**
(2) **الكتاب المقدس: إنجيل مرقس : الإصحاح 12 . فقرة 17.**
(3) **الزمر / 38.**

{ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }[1]،{ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[2]،{ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى.قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى }[3]))[4].

إن التصور الإنساني لا يحدد نطاق عمل الذات الإلهية بالخلق وينتهي الأمر، بل ربوبيته – تعالى – تتعدى إلى الرعاية والعناية إلى ما لا نهاية .

((و هكذا يقطع التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية الطريق على العلمانية، فمحال أن يجتمع و يتوافق في قلب المسلم تصور الله مدبرا لكل شيء وراعيا لكل أمر مع تصور عزل السماء عن الأرض، و تحرير العمران الإنساني من ضوابط وحدود تدبير الله))[5].

– و في الكتابين : القرآن و الكون ما يدل دلالة واضحة على أن الله – تعالى – في التصور الصحيح ليس خالقا فحسب .

ففي القرآن الكريم :

* ما حدثنا عن معجزات الأنبياء ، و حماية الله – سبحانه – لدعواهم .

* حادثة خولة : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }[6].

* حادثة : عبد الله ابن أم مكتوم .

* غزوات الرسول – صلى الله عليه و سلم – ...

أما على المستوى الكوني فمن الذرة إلى المجرات نلاحظ العناية الإلهية الدائمة .

ومن هنا فعلاقة الدين بالدولة علاقة مؤكدة :

---

(1) يونس / 3.
(2) الأعراف / 54.
(3) طه / 49-50.
(4) محمد عمارة : الشريعة الإسلامية و العلمانية الغربية . ص 34.
(5) المرجع نفسه . ص 35.
(6) المجادلة / 1.

مـــا لقيصر لقيصر و ما لله لله و الدين لله و الوطن للجميع . هذا ما قاله علمانيو الغرب ، أما المتغربون فقالوا : لا علاقة للدين بالدولة فمن أين أتوا بهذا ؟ في الغرب عرفنا أن العلمانيين أتوا بذلك من مسيحيتهم المحرفة . أما في الإسلام فلا يوجد تحريف فلم هذه المقولة ؟.

– إن أول من تكلم في الفصل بين الدين و الدولة في مجتمع المسلمين: – علي عبد الرازق – و قد أشرنا فيما سبق إلى ذلك ، و هنا أريد إيراد بعض الأدلة التي اعتمد عليها و رد بعـــض علماء المسلمين عليها ، على أساس أنه أول من روج لهذه الدعوة ثم تبناها بعده كثير من دعاة العلمانية .

لقد ذهب علي عبد الرازق في كتابه " الإسلام و أصول الحكم " إلى أن الإسلام لـــيس دعـــوة دينـــية ، و لم يدع إلى إقامة دولة ، و إذا كان الرسول – صلى الله عليه و سلم- زعيما ، فليست زعامته إلا زعامة دينية لا صلة لها بالزعامة السياسية .

و اســـتدل عـــلى ما ذهب إليه بنصوص من القرآن الكريم و نصوص من السنة النبوية.

فمن القرآن الكريم قوله – تبارك و تعالى – : **{ مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا }**[1].

–**{ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}**[2].

– **{ وَكَـــذَّبَ بِـــهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }**[3].

فهذه الآيات في رأيه تفيد أن الرسول – صلى الله عليه و سلم – لم يكن له شأن في الملـــك السياسي[4].و قد رد عليه علماء المسلمين بأن احتجاجه بهذه الآيات احتجاج مـــن لم يفهم دلالة ألفاظها و أسباب نزولها ، فقد نفت أن يكون الرسول – صلى الله

---

(1) النساء / 80.

(2) الأنعام / 106-107.

(3) الأنعام / 66-67.

(4) علي عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم.ص 20

عليه و سلم- و كيلا على الذين لم يقبلوا دعوته . لا على من آمن من المسلمين. فتخبره ألا تذهب نفسه حزنا أن لا يكونوا مؤمنين ، فليس عليه إلا البلاغ ، أما إذا رفضوا الإسلام فليس هو بوكيل حفيظ عليهم و بالتالي بطلت دعواه[1].

و من السنة النبوية :

1 – جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه و سلم – فأصابته رعدة شديدة فقال له الرسول – صلى الله عليه و سلم - : ((هون عليك فإني لست بملك ، ولا جبار ، و إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة))[2].

2 – قوله – صلى الله عليه وسلم – : ((أنتم أعلم بشؤون دنياكم))[3].

و قد رد عليه بأن الحديث الأول يدل على أن الحاكم الإسلامي حتى و لو كان الرسول – صلى الله عليه و سلم – ليس ملكا جبارا مستبدا يحكم هواه ويقتل بغير حساب و يقهر رعيته ، و إنما ينبغي أن يكون الرحيم العطوف الودود برعيته كما كان الرسول – صلى الله عليه و سلم –[4].

أما الحديث الثاني ،فقد كان له مناسبة خاصة وهي سؤالهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- عن تأبير النخل و إجابته لهم إجابة بحكم بشريته لا علاقة لها بالرسالة كما يفيده محتوى الحديث، وتصنيف.

و قد ناقش علي عبد الرازق -بشيء من السفسطة- هذه المسألة تحت مجموعة من العناوين منها :

أ-الرسالة و الحكم :و هنا تناول الفرق بين الرسالة و الملك و هل كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – ملكا ؟ و كل هذا للتأكيد على أن الإسلام دين لا دولة ، يقول : ((أنت تعلم أن الرسالة غير الملك ، و أنه ليس بينهما شيء من التلازم ، بوجه من الوجوه و أن الرسالة مقام و الملك مقام آخر، فكم من ملك ليس نبيا و لا رسولا،وكم

---

(1) ابن عاشور : نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم. ص 20-21.

(2) أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب : الأطعمة . باب: القديد . حديث رقم 3312 (1101/2) .و الطبراني في المعجم الأوسط (64/2).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب: الفضائل . باب : وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي . حديث رقم 2363. (1836/4).

(4) محمد علي الكبسيري : موقف الإسلام من مسألة الحكم و السيادة . ص 17.

الله – جل شأنه – من رسل لم يكونوا ملوكا بل إن أكثر من عرفنا من الرسل ، إنما كانوا رسلا فحسب))[1].

ثم ذكر أن دعوة الدين دعوة إلى الله بتحريك القلوب بوسائل الإقناع ، فأما القوة و الإكراه ، فلا يناسبان دعوة الغرض منها الهداية ، ثم أورد أن الرسول – صلى الله عليه و سلم – ماسلك سبيل الجهاد من أجل ذلك .يقول((و إذا كان – صلى الله عليه وسلم – قد لجأ إلى القوة و الرهبة فذلك لا يكون في سبيل الدعوة إلى الدين ، و إبلاغ رسالته ، إلى العالمين ، و ما يكون لنا أن نفهم إلا أنه كان في سبيل الملك، و لتكوين الحكومة الإسلامية ، و لا تقوم حكومة إلا على السيف و بحكم القهر و الغلبة))[2].

و هنا يشير محمد الطاهر بن عاشور في نقده لعلي عبد الرازق أنه ارتكب ضروبا من الخطإ فزعمه أن الدعوة إلى الدين تنافي استعمال القوة مردود ، لأن الدعوة إلى الدين يقصد منها حمل الناس على ما فيه صلاحهم أولا بالدعوة فإن عاندوا و جحدوا لجأ الداعي إلى القوة[3].كما أن علي عبد الرازق يدعي أن ما قام به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من جهاد كان من تصرفه – صلى الله عليه و سلم – لا من توابع الرسالة[4] ، و هنا يسأله ابن عاشور عن رأيه في قوله – تعالى – **{فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}**[5]. فهذا أيضا تصرف بالسياسة ، و هنا هو ملزم بالاعتراف بذلك فيصير القرآن مع كونه كتاب دين دستور سياسة ، و يذكره أن القرآن الكريم قد ذكر الجهاد وسماه الجهاد في سبيل الله ، فكيف يعتبره من الشؤون الملكية بعد أن أثبت الفرق بينها و بين الرسالة[6]

ثم يذكر صاحب كتاب: الإسلام و أصول الحكم أن : الزكاة والجزية و الغنائم من شؤون الحكومات ، و هو خارج عن شؤون الرسالة[7].

---

(1) علي عبد الرازق : الإسلام و أصول الحكم . ص 62-63.
(2) المرجع نفسه : ص 65.
(3) ابن عاشور: نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم . ص 15.
(4) علي عبد الرازق : الإسلام و أصول الحكم . ص 67.
(5) الحجرات / 9.
(6) ابن عاشور : نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم . ص 15.
(7) المرجع نفسه : ص 67

و قـــد بين ابن عاشور أن هذا القول إذا كان يقصد به التفرقة بين الرسالة المجردة و الرسالة المقارنة بالسلطان ، فهذا صحيح ، أما إذا كان يهدف إلى إثبات أن هذا العمل غـــير الرسالة ، و أنه قد اتفق أن صار الملك رسولا ، و الرسول ملكا مع تنافي الصفتين فذلك سخافة لاقتضائها أن يكون الرسول قد يشتغل بالرسالة في أوقات ، ثم يتفرغ عنها للاشتغال في أوقات أخرى بالملك و كيف يكون هذا صحيحا ، و قد قرن القرآن الصلاة بالزكاة في كثير من الآيات ؟[1] .

بعـــد ذلـــك يذكر علي عبد الرازق أنه من الجدير بالتفكير التساؤل : هل كان تأسيس الرسول – صلى الله عليه و سلم – للمملكة الإسلامية وتصرفه في جانبها شيئا خارجا عن حدود رسالته أم كان مما بعثه الله له و أوحى به إليه، ثم جوز أن يكون ذلك خارجـــا عن حدود رسالته ، و أن القول به لا يكون كفرا و لا إلحادا ، و أوله بأنه مراد قول القائلين برفض الخلافة ،و هنا يشير ابن عاشور إلى أن علي عبد الرازق يختار مذهب غـــلاة الخوارج في القول بعدم نصب الإمام لكونه لا يلتئم مع ما ذكره من كون تأسيس الحكومـــة الإسلامية غير داخل في مفهوم الدين الذي أرسل لأجله النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى لا يلزم اقتفاء النبي فيما منع منه .

و يـــرى أن هذا الاستدلال ينقلب عليه و على الخوارج يقول : ((ما استدل به لنفسه و الخوارج هو عليهم لا لهم لأنه إذا كان ذاك عملا زائدا على الرسالة ، فقد فعله النبي – صلى الله عليه و سلم – فإذا سلمنا أنه لكونه خارجا عن حقيقة الرسالة لا يجب اتباعه شرعا فهل نمنع أن أحد الحالين هو الاقتفاء بالنبي فيما أحسن فعله ، فإنه ما فعل إلا ما كان فيه الصلاح فيكون تأسيس الحكومة من مقاصد الشارع))[2] .

ب– رسالة لا حكم و دين لا دولة : و تحت هذا العنوان ذكر علي عبد الرازق أن النبي – صلى الله عليه و سلم – لم يقم بتأسيس مملكة و لم تكن له حكومة و لم يسع إلى تأسيســـها و أن الرسالة تستلزم نوعا من الزعامة ، لكنها ليست كزعامة الملوك على رعيتهم ، و أعطى مثالا بزعامة موسى و عيسى– عليهما السلام– و كونها لم تكن زعامة ملـــوك كمـــا أن الرسالة تستلزم لصاحبها نوعا من القوة و التميز ، و سلطانا أوسع مما

يكون بين الراعي و الرعية و الأب وأبنائه ، وقد تكون للرسول سلطة الملوك ، إلا أن له وظيفة زائدة و هي وظيفة روحية ثم إن الرسول – صلى الله عليه و سلم – خص بدعوة عامـــة .((تلك رسالة توجب لصاحبها من الكمال أقصى ما تسمو إليه الطبيعة البشرية و من القوة النفسية منتهى ما قدر الله لرسله المصطفين الأخيار ، ومن تأييد الله ما يتناسب مع تلك الدعوة الكبيرة العامة))[1] .

و في هذا الكلام اضطراب كبير ، ذلك أن قائله أنكر في الأول أن تكون للرسول -صلى الله عليه و سلم- حكومة ثم بعد ذلك أثبت أن له زعامة ، وحكم بأنها أقوى من زعامـــة الملوك ، ثم أثبت له سلطانا عاما و جعله مرسلا من عند الله ، و حكم في الأخير بـــأن ولايته روحية لا ولاية تدبير ، وهذا الكلام ساقه لإثبات دعواه ((رسالة لا حكم ودين لا دولة)) .

و يســـأله ابن عاشور : هل كانت الأمة في زمنه – صلى الله عليه وسلم – ذات حكومة أم كانت فوضى ؟ و يجيب بأنه إن اختار الأول فإما أن تكون هذه الحكومة بيده – صـــلى الله عليه و سلم – أو بيد غيره فإن كانت بيده ثبتت مقارنة الحكومة للرسالة و بطلـــت دعوى المؤلف ، و إن فرضت بيد غيره فالتاريخ ينافي ذلك . أما إن اختار بقاء الأمـــة فوضـــى ، فتصـــبح الرســـالة من قبيل العبث ، وبالنسبة لتنظيره بزعامة موسى و عيسى- عليهما السلام- ، فيرى ابن عاشور أن فيه بعض الصحة و بعض الباطل ذلك أن موســـى – عليه السلام – أسس جامعة و حكومة و جاهد و فتح البلد المقدس ، أما عيسى -عليه السلام- فكان داعيا فقط ، و قد سبقت الإشارة إلى أنه ليس كل رسول له حكومة وهذا متفق عليه[2].

ثم ذكر علي عبد الرازق أن الإسلام وحدة دينية و أن المسلمين جماعة واحدة و قد دعـــا الرسول – صلى الله عليه و سلم – إلى هذه الوحدة وكان على رأسها، و لمن شاء أن يســـمي هذه الوحدة دولة أو ملكا فهو في حل من أن يفعل والمهم المعاني، و معرفة هل كان الرسول – صلى الله عليه و سلم – رسولا فقط ، أم كان رسولا ملكا[3].

---

(1) **علي عبد الرازق : الإسلام و أصول الحكم . ص 79-83.**
(2) **ابن عاشور : نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم . ص 18-19.**
(3) **علي** عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم ص 85 – 86

و قـــد رد علـــيه بأن الإسلام وحدة دينية و جامعة و شريعة وسلطان، و لا معنى للحكومة إلا بمجمـــوع هـــذه الأمور ، و قد سن الرسول – صلى الله عليه وسلم – القوانـــين الفـــردية و الاجتماعية ، و أقام الحدود ، وتولى الدفاع عن صورة الإسلام .. يقول ابن عاشور : ((أ فتقوم الدولة والحكومات بغير هذه الأعمال ، دع عنك ما يعرض لها من الألقاب الفارغة و الرسوم المعتادة والمواكب العريضة))[1].

و قد أورد علي عبد الرازق مجموعة من الشبه تدل على قراءة غير صحيحة للتاريخ الإسلامي في عهده الأول ، و كل هدفه إثبات أنه لا علاقة للدين بالدولة في الإسلام .

و في ختام كتابه يقول : ((و الحق أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي تعارفها المسلمون ، و بريء من كل ما هيأوا حولها من رغبة و رهبة ، و من غزوة و قوة و الخلافـــة ليست في شيء من الخطط الدينية كلا و لا القضاء، و لا غيرهما من وظائف الحكـــم ومراكز الدولة وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها، فهو لم يعـــرفها و لم ينكرها ، و لا أمر بها و لا نهى عنها، و إنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل و تجارب الأمم و قواعد السياسة))[2].

إن ما كتبه علي عبد الرازق في هذه المسألة كما قال محمد عمارة استفزاز للضمير المسلم كما لم يستفزه عالم ديني عبر التاريخ ، و هو وإن كان تراجع عن هذا الرأي كما نقـــل عـــنه ، إلا أنـــه فتح مجالا واسعا لغيره للجرأة على الإسلام ، وقد كانت أفكاره المضطربة في هذا الكتاب مدعاة إلى التساؤل عن حقيقة أزهريته؟[3].

إن الشمولية التي يتميز بها الإسلام ، و ضبطه للقوانين التي تحكم تصرفات الأفراد و الجماعـــات ، و تصـــنيفها تحت مقياس " الحلال و الحرام " تدل على اهتمام الإسلام بالحكم ، و حرصه على تطبيق أحكامه ، يقول محمد المبارك : ((إن مجموع هذه الأحكام الجنائية و المالية والدولية والدستورية . لا يمكن أن يعقل إيرادها والالتزام بها التزاما يعتقد المؤمـــن بالإسلام بوجوبه و الإثم بتركه، إلا إذا كان القرآن يفرض على المسلمين تنظيم

---

(1) ابن عاشور : نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم . ص 20

(2) علي عبد الرازق : الإسلام و أصول الحكم .ص 124

(3) محمد عمارة : أزمةالفكر الإسلامي الحديث . ص 128 – 130

الحكم و إقامة الدولة ، و لا يعقل أن يقدم الإسلام في قرآنه هذه الأحكام لدولة لا تؤمن به أو لا تقوم على أساس عقيدته و مبادئه ، و لا يقول بهذا إلا من فقد رشده ، أو غالط نفسه أو قصد المراوغة والخداع))[1].

و قد عمل محمد علي التسخيري حاكمية الإسلام من منطلق تربوي، فهو يرى أن القـــرآن و الإســـلام دعوة انقلابية تربوية تهدف إلى إيجاد الإنسانية العابدة ، وتمحو أي مظهر من مظاهر الجاهلية في : العقيدة و النظام و الأخلاق ،والتربية أول ما تعني : مسك أزمـــة الأمور ثم وضع برنامج تربوي عام و خلق التلاؤم بين مختلف نواحي الحياة خدمة لذلـــك الهـــدف التربوي {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[2]. فوجود الحكم الإسلامي، للحرص على مراقبة تطبيق هذا النظام الضروري جدا [3].

أما عن السلطة التي تمنحها الكنيسة لبعض رجالها ، و ادعاء الحكم باسم الله فهذه الســـلطة لا وجـــود لهـــا في الإسلام ، و لا يوجد فيه سر يتداول بين رجال الدين فقط و ليس هناك امتياز لهم على غيرهم .

إنمـــا يوجـــد في الإسلام رجال يتخصصون في مجال الدراسات الإسلامية ، مثلما يتخصص غيرهم في مختلف العلوم : الطب ، الهندسة ... و قد تميزهم أخلاقهم عن غيرهم لكـــن هذا لا يمنحهم أي سلطة ، فقد تعلمنا من القرآن أن الإسلام يحرر الإنسان من أي مظهر من مظاهر العبودية ، لأن وجود أي سلطة تشرع للبشر إنما يدخل في دائرة الشرك.

إن العقـــيدة الإسلامية فصلت بين الخالق و المخلوق ، و جعلت التوجه إلى الله توجها مباشرا ، و قد وجد في التاريخ الإسلامي فقهاء وسياسيون، و كان عملهم متكاملا ، و لم يحدث في الإسلام أن تحول العلماء إلى طبقة .

لقـــد حدث الفساد السياسي في كثير من فترات التاريخ الاسلامي، و لم يكن عـــلماء الدين مسؤولين عن ذلك ، بل عانوا من قهر السياسة : الحبس والتعذيب ، و لم

---

(1) محمد المبارك : نظام الإسلام الحكم و الدولة. ص 13.
(2) الذاريات / 56.
(3) محمد علي التسخيري : موقف الإسلام من مسألة الحكم و السيادة . ص 9-10.

يـــبرروا الفســـاد بل كانوا يجاهدون ضد طغيان السلطان ، و تاريخ أكبر علماء المسلمين يثبت ذلك .

4- أنه دين متغير في إطار ثابت :

أثار دعاة العلمانية مسألة تحجر الأحكام الشرعية ، و هذا وهم فندته أكبر المؤتمـــرات الدولـــية ، إذ اعترفت بمرونة الفقه الإسلامي ، وصلاحيته لكل زمان ومكان و من هذه المؤتمرات :

أ – مؤتمر القانون الدولي المقارن الذي عقد في هولندا عام 1932م، والذي اعتبر الشريعة مصدرا من مصادر التشريع العام ، و أنها صالحة للتطور .

ب – مؤتمر المحامين الدولي في لاهاي عام 1948م ، و توصل إلى النتيجة نفسها و قـــد اشـــتركت فـــيه ثلاث وخمسون دولة ، و أوصى مؤتمر اتحاد المحامين بتبني الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة .

جـــ – جمعية القانون الدولي العام ، و اعتبرت محمد ابن الحسن الشيباني[1] رائدا أولا للقـــانون الـــدولي ، و ألفوا جمعية باسمه ، و كان من مهامها بحث و تطبيق و نشر مؤلفاته و فقهه و أصبح لها فرع في الهند و باكستان .

د – أســـبوع الفقـــه الإســـلامي في باريس سنة 1951م ، خصص هذا الأسبوع لدراســـة الفقه الإسلامي و خصائصه ، و قدم فيه علماء المسلمين بحوثا كثيرة في مجال : إثبات الملكية و المسؤولية الجنائية و تأثير المذاهب [illegible] في بعضها البعض و الربا في الإسلام ...

و قـــد اعـــترف نقيـــب المحامين ، و هو فرنسي في ختام المؤتمر بعظمة الشريعة الإســـلامية قـــائلا : ((لا أدري كـــيف أوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الإســـلامية و الفقـــه الإسلامي و عدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة ، و بين ما

---

(1) هومحمد بن الحسن الشيباني الفقيه توفي سنة 187ه . (حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . ج 1 ص 107)

سنعقد في هذا المؤتمر مما يثبت بغير شك ما عليه الشريعة الإسلامية من عمق وأصالة و دقة و كثرة تفريع و صلاحية لمقابلة جميع الأحداث))[1]. و قد انتهى الأسبوع إلى أن :

مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة قانونية لا يمارى فيها ، و أن اختلاف المذاهب يحوي ثروة تشريعية هي مناط الإعجاب ، و منها يستجيب الفقه الإسلامي لجميع متطلبات الحياة ، و أصدر توصية بإخراج موسوعة للفقه الإسلامي تعرض فيها المبادئ و النظريات مبوبة تبويبا عصريا[2].

لقد توصل الدارسون إلى أن للشريعة و الفقه الإسلامي قدرة فائقة على التفاعل مع متغيرات العصر لكن على أساس الحفاظ على الخصائص الذاتية للتشريع الإسلامي .

فالتصور الإسلامي يتميز بـ : ((الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت" هناك ثبات في " مقومات " هذا التصور الأساسية و " قيمه " الذاتية فهي لا تتغير ولا تتطور ، حينما تتغير " ظواهر الحياة الواقعية و " أشكال " الأوضاع العملية.. فهذا التغير في أشكال الحياة و أشكال الأوضاع يظل محكوما بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور .. و لا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة ، و لكن يقتضي السماح لها بالحركة – بل دفعها إلى الحركة – ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت))[3].

و يوجد في الدراسات الفقهية ما يتيح الحركة للفقه مثل : القياس، المصالح المرسلة الاستحسان ، درء المفاسد ، و القواعد الفقهية التي لا يوجد في أي قانون وضعي ما يماثلها ، و الاجتهاد من أقوى الأدلة على مرونة التشريع الإسلامي.

خلاصة ما سبق و حكم العلمانية :

لقد فصلت العلمانية بين الناحية العقدية و التشريعية في الإسلام ، و تعتبر العلمانية حربا على الشريعة الإسلامية بالدرجة الأولى لأن المسيحية لا توجد فيها أي قوانين ، أما الشريعة الإسلامية فهي ربانية المصدر ربانية الغاية ، تحمل بين طياتها عوامل هيمنتها على كل القوانين في الأرض ، فالسعي إلى تعطيلها هو ضرب للإسلام ((إن الشريعة هي العدو

---

[1] نقلا عن محمد مهدي شمس الدين : العلمانية. ص 104.
[2] كمال الدين جعيط : الإسلام في مواجهة العلمنة . ص 27.
[3] سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي . ص 75.

الأول للعلمانيين في البلاد الإسلامية لأنها هي التي تنتقل بالإسلام من عالم النظريات والمثاليات إلى دنيا الواقع و التنفيذ وهي تهيئ للمجتمع سندا من القوانين من عدوان العادين ، و هي التي تردع بوازع الإيمان ، و أشد ما تكون عداوة العلمانيين للشريعة فيما كان مضادا لاتجاه الحضارة الغربية وفلسفتها في التشريع و النظر إلى الفرد و المجتمع و ذلك مثل : تحريم الربا في القانون المدني أو تحريم الزنا و السكر في القانون الحالي أو تحديد الجزاء على الجرائم بعقوبات مدنية مثل : الجلد ، و القطع ، و نحو ذلك...))[1].

لقد شكل الفكر العلماني خطرا كبيرا على بلاد المسلمين لأنه تعلق بالأساس بأمور الدولة ، و جميعنا يعرف كيف تسعى الحكومات العلمانية في بلاد الإسلام إلى تطبيق العلمانية في جميع المجالات : التعليم ، الأسرة ، الاقتصاد.

لقد صبغت هذه البلاد بألوان من الفكر الغربي جعلت أبناء المسلمين يعيشون صراعات دائمة فلا تجد مجتمعا إسلاميا يتميز بشخصيته الإسلامية النظيفة.

فقضت العلمانية : على الأخلاق ، و عطلت الحدود ، و زرعت الحرام في أوساطنا ، فلم يعد أبناء المسلمين يشعرون بالأمان حتى داخل بيوتهم و الحاصل أن المسلمين لم يجنوا من الفكر العلماني إلا مظاهر الاضطراب في الشخصية والانحراف .

و هذا ما نلاحظه حتى في شخصية الحكام ، فلأنهم يحاولون لبس ثياب غير ثيابهم نلاحظ عليهم القلق الدائم و عدم الاستقرار في الواقع الذي أفسدوه فلم يستفيدوا من مبادئهم الأصيلة ، و لا من المبادئ المستوردة ، ذلك لأن الأفكار الجاهزة المستوردة لا تصنع الحضارة ، والإيمان بالإسلام إيمانا مبتورا لا يؤتي ثماره في الواقع .

يقول عماد الدين خليل : ((إن الإنسان الذي يؤمن بالإسلام ذلك الإيمان المبتور المشوه سرعان ما يجد أمامه هوة سحيقة تمنعه من الاندماج والتعامل الصحيح مع هذا الدين ، ذلك أنه محا الإيمان — في قرارة نفسه — من بعض عناصر و مقومات الإسلام وأكده في عناصر و مقومات أخرى ، و هو بعمله هذا لم ينل من وحدة الإسلام الدائم شيئا و لكنه وجه ضرباته إلى صميم الكيان الإنساني و إلى وحدة الذات الإنسانية ، ذلك

---

[1] القرضاوي : العلمانية في مواجهة الإسلام . ص 29-30.

أنه سيجد نفسه مضطرا إلى الاستعاضة عن العناصر و القيم التي رفضها بعناصر و قيم أخرى يجيء بها من هنا و هناك ويرصها، عناصر لا تمتلك — بمجموعها — توحد القيم الإسلامية و تكاملها لأنها لم تنبثق عن تصوره الأصيل .. ثم هي فيما بينها تعاني تناقضا محزنا لأن كل عنصر أو كل مجموعة من القيم جيء بها من تصور فرد من الأفراد إنسان مسلم ملايين الناس ، و ما هي في الحقيقة سوى نتاج ردود فعل نفسية و فكرية لهؤلاء الأفراد مع واقع معين بأمداده المحدودة بحدود الزمان و المكان ، ومن ثم سيتشتت هذا الإنسان (الآحد) و سيضيع ... انه آمن بوحدة عقائدية متكاملة ظاهرا ، لكنه — في حقيقته — تكامل زائف ، لأنه سعى إلى رص عناصر لا انسجام فيما بينها و لا تآلف في تركيبها و حاول — جهلا وعنادا — أن يجعل منها منهجا موحدا لحياة موحدة لا تقبل التجزئة))[1].

لقد شكل الفكر العلماني خطرا كبيرا على بلاد المسلمين ، وخطره في الفصل بين العقيدة و الشريعة أشد سوءا من الفكر الارجائي لأن الفكر العلماني عدوان مبيت وطعن في أصول الدين الإسلامي .

فما هو حكم العلمانية في الإسلام ؟.إن حال العلمانيين لا يخلو من ثلاثة أمور :

الأول : أن ينكروا أن يكون في الإسلام أصولا تتصل بالقضاء والسياسة ابتداء و يرغموا أنه محض توحيد و عبادات ، و هؤلاء إما أن يكونوا جهلة أو كفرة يكذبون والسبيل مع الأولين هو التعليم و إزالة الجهالة ، و مع الآخرين إقامة الحجة و الاستتابة حتى يقام فيهم كتاب الله عند التمكين والاستطاعة.

الثاني : الإقرار باشتمال الإسلام على الشرائع المتعلقة بالقضاء والسياسة ونحوه،ولكنهم ينكرون أن تكون كافلة بالمصالح ، آخذة بالسياسة إلى أحسن العواقب فيشككون في صلاحيتها أو يجحدون و يعلنون كفرهم بها أو يكادون ،وهؤلاء زنادقة مارقون ، وكفر أمثالهم معلوم من الدين بالضرورة .

---

(1) **عماد الدين خليل : تهافت العلمانية . ص 62-63.**

الثالث : الإقرار باشتمال الإسلام على الشرائع المختلفة و أنها كافلة بالمصالح ولكنهم يرفضون أو يتركون تحكيم الشريعة لإرضاء الحاكم أو طمعا في مال أو جاه وهؤلاء كفار[1].

و قد استند علماء المسلمين في الحكم على دعاة العلمانية بالكفر والجاهلية بنصوص كثيرة من القرآن الكريم منها قوله - تبارك و تعالى - : **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا،أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا }**[2]

و يقول : {**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**}[3].يقول ابن كثير حين تفسيره للآية الأخيرة : ((يقسم – تعالى – بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحدكم حتى يحكم الرسول – صلى الله عليه و سلم – في جميع الأمور فيما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ، و لهذا قال : " **ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** " أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر و الباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة و لا مدافعة و لا منازعة))[4].

إن هذه الآيات تحمل دلالة قوية على أن تحكيم الشريعة الإسلامية من أمور الإيمان، و أن من خرج عنها خسر الدنيا و الآخرة .

يقول سيد قطب : ((إن في هذه المجموعة من الآيات تحديدا كاملا دقيقا حاسما لشرط الإيمان و حد الإسلام ، و نجد شهادة من الله بعدم إيمان الذين (**يُرِيدُونَ أَنْ**

---

(1) صلاح الصاوي : تحكيم الشريعة و دعاوى العلمانية .ص 26.
(2) النساء /59-60.
(3) النساء / 65.
(4) ابن كثير :تفسير القرآن العظيم . ج2 . ص 329.

يَتحاكمُوا إلى الطّاغُوت) و قد أمروا أن يكفروا به كما نجد قسما من الله سبحانه – بذاتـــه العلية ، أنهم لا يدخلون في الإيمان ، و لا يحسبون مؤمنين حتى يحكموا الرسول – صـــلى الله علـــيه وسلم – في أقضيتهم ، ثم يطيعوا حكمه و ينفذوا قضاءه ،طاعة الرضا و تنفـــيذ الارتـــياح القلبي الذي هو التسليم ، لا عجزا و لا اضطرارا و لكن طمأنينة و ارتضاء ..))[1]

و من الآيات التي وردت في ذلك قوله – تعالى – : **{ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا }**[2].

هذه الآية فيها استنكار من الرسول – صلى الله عليه و سلم – على الحكم بغير ما أنزل الله معلل بأن ما أنزله – عز و جل – من القرآن فيه تفصيل كل ما يحتاج إليه البشر في كل زمان و مكان .

يقـــول ســـيد قطب : ((.. لقد نزل هذا الكتاب ليحكم بالعدل بين الناس فيما اختلفوا فيه ، و لتتمثل فيه حاكمية الله و ألوهيته ،ثم لقد نزل هذا الكتاب مفصلا ، محتويا على المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحياة جملة ، كما أنه تضمن أحكاما تفصيلية في المســـائل الـــتي يريد الله تثبيتها في المجتمع الإنساني مهما اختلفت مستوياته الاقتصادية والعلمية والواقعية جملة ...

و بهـــذا و ذلـــك كـــان في الكتاب غناء عن تحكيم غير الله في شأن من شؤون الحـــياة... هذا ما يقرره الله – سبحانه – عن كتابه ، فمن شاء أن يقول : إن البشرية في طور من أطوارها لا تجد في هذا الكتاب حاجتها فليقل .. ولكن ليقل معه .. إنه و العياذ بالله كافر بهذا الدين مكذب بقول رب العالمين))[3].

و هناك آيات أخرى منها قوله – تعالى – :

---

(1) سيد قطب : الظلال : ج5 . ص 613.
(2) الأنعام / 114.
(3) سيد قطب : الظلال . ج8 . ص 1194

{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ... إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[1].

و يقول – تعالى – : { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ .ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ}[2].

و قد أجمع علماء المسلمين على تكفير من يحكم بغير أمر الله.

كما أنهم اتفقوا على أن من نواقض شهادة التوحيد :

1- من اعتقد أن غير هدي النبي – صلى الله عليه و سلم- أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه.

2- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم – كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى – عليه السلام – [3].

---

(1) النور / 47-51.

(2) محمد/ 25-26.

(3) مؤلفات محمد بن عبد الوهاب : ص 213-214.

الفصل الثاني :

منهج القرآن الكريم في الوصل

بين العقيدة والشريعة

تمهيـــــد

المبحث الأول : الوصل منهج جميع الأنبياء .

المبحث الثاني : التأطير العقدي للأحكام الشرعية .

المبحث الثالث : الترغيب والترهيب .

المبحث الرابع : إظهار الأبعاد المقصدية للأحكام الشرعية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

إن الأسباب التي ذكرناها في الفصل السابق و التي أدت إلى ظهور الفصل بين العقيدة و الشريعة ترجع في عمومها إلى إهمال المنهج القرآني و التمسك بالفكر العقدي و الفقهي في مقابل ذلك .و المتتبع لآيات القرآن الكريم لا يمكن أن يغيب عن ملاحظته أن القرآن الكريم في عرضه للأحكام الشرعية قد أحاطها بسياج من كليات العقيدة الاسلامية هذا السياج هو الذي يضمن لها سلامة و قدسية التطبيق إلى جانب ما تحمله من مظاهر الإعجاز و بنائها على أسس مقاصدية تحقق سعادته في الدنيا والآخرة .

و قد حاولت في هذا الفصل استخلاص بعض عناصر المنهج القرآني في الوصل بين العقيدة و الشريعة فكانت كالآتي :

1- الوصل منهج جميع الأنبياء.

2- التأطير العقدي لأحكام الشريعة .

3- الترغيب و الترهيب .

4- إظهار الأبعاد المقصدية للشريعة الإسلامية.

المبحث الأول :

الوصل منهج جميع الأنبياء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أخبرنا القرآن الكريم أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**[1].

و هو دين جميع الرسل و الأنبياء من آدم -عليه السلام- إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- يجمع بين العقيدة و الشريعة . و لترسيخ هذا المفهوم عند أتباع هذا الدين سلك القرآن الكريم منهج القصص لتأكيد جهاد الرسل و الأنبياء في التحقيق الفعلي له عقيدة و شريعة عبر التاريخ البشري ، و الحديث عما لحقهم من عقاب بسبب التفريط في جانب من جوانبه .

فما مفهوم الإسلام ، و كيف دعا جميع الرسل و الأنبياء إلى تحقيقه كلا متكاملا (عقيدة و شريعة)؟.

---

[1] آل عمران / 85.

أ-مفهوم الإسلام :

لغة : معناه :

الاستسلام و الانقياد ، و هو في الشريعة يهدف إلى إظهار الخضوع والالتزام بكل ما جاء به -صلى الله عليه و سلم -. و قوله تعالى : {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا}[1] فسر بأن كل نبي بعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف[2].

وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الإسلام هو : ((الانقياد لما جاء من الشرائع و الأحكام))[3].

أما اصطلاحا :

فقد عرفه الراغب في مفرداته أنه :((على ضربين : أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان ، وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أم لم يحصل ، و أياه قصد بقوله {قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا}[4]. و الثاني : فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ، ووفاء بالفعل ، و استسلام لله في جميع ما قضى و قدر .

كما ذكر عن إبراهيم -عليه السلام -: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[5] وقوله {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}[6] ،و قوله :{ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا}[7] أي اجعلني ممن أسلم لرضاك ، و يجوز أن يكون معناه اجعلني سالما عن أسر الشيطان ، حيث يقول {لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ}[8] ،و قوله { إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}[9] أي منقادون للحق مذعنون.

---

(1) المائدة / 44.
(2) ابن منظور : لسان العرب . مادة : سلم .ج12 ص 295.
(3) الهيئة العامة المصرية للتأليف و النشر : معجم ألفاظ القرآن . مادة : سلم ج1 . ص 611.
(4) الحجرات / 14.
(5) البقرة / 131.
(6) آل عمران / 19.
(7) يوسف / 101.
(8) الحجر /39-40.
(9) النمل /81

{يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا}[1] أي الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولي العزم من الرسل ، لأولي العزم الذين يهتدون بأمر الله و يأتون بالشرائع.[2].

و لا يوجد اختلاف على أن لفظ الإسلام : علم على الدين الذي بعث به الله عز وجل جميع الأنبياء من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و سلم.و من خلال المعنى اللغوي و الاصطلاحي للفظ الإسلام يمكن أن نستنتج هذه الملاحظات :

أولا : إن هـــناك اتفاقـــا بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي في أن معنى الإسلام لا يستقيم إلا بتحقق الامتثال .

ثانيا : إن هذا الامتثال يرتكز على الجانب الظاهري.

ثالثا : إن الإسلام على حقيقته لا يمكن أن ينفصل فيه الجانب العقدي عن الجانب التشريعي.

الإسلام دين جميع الرسل و الأنبياء:

لقـــد أفادت آي الذكر الحكيم و الأحاديث الصحيحة أن الله- تبارك و تعالى - أرســـل جميع الرسل و الأنبياء بدين واحد هو الإسلام إلا أنه كان يختلف من رسول إلى آخـــر في بعـــض الأمور مما تقتضيه الأزمان و تغيراتها . يقول -سبحانه و تعالى -: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}**[3] .

و يعلل ابن عاشور سبب كون إطلاق لفظ الإسلام أولى من لفظ الإيمان على هذا الدين بقوله:((...و هو تسمية بمصدر أسلم إذا أذعن و لم يعاند إذعانا عن اعتراف بحق لا عن عجز ،و هذا اللقب أولى بالإطلاق على هذا الدين من لقب الإيمان ، لأن الإسلام هو المظهـــر البين لمتابعة الرسول فيما جاء به من الحق ، و إطراح كل حائل يحول دون ذلك بخلاف الإيمان فإنه اعتقاد قلبي...))[4].

---

(1) **المائدة** / 44
(2) **الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص** 246
(3) **آل عمران** / 19
(4) **ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج** 3 **.ص .** 189

و لم نجادل أحد في مصطلح الإسلام من حيث إنه : الاستسلام ظاهرا أو باطنا و لكـــن حدث جدل كبير حول كون الأعمال تدخل في مسمى الإيمان أم لا، إلى جانب قضايا أخرى .

و حـــين نتتبع آي الذكر الحكيم نجد تصريح الرسل و الأنبياء -عليهم السلام- أنهم أتوا بدين واحد هو الإسلام غير أن شرائعه تختلف في بعض الجزئيات ، إلا أن الأصل واحد. و نجد محمد عبد الله دراز ذلك مركزا على ما جاء به موسى وعيسى و محمد -عليـــهم الصلاة و السلام- ، قائلا : ((جاء الإنجيل بتعديل بعض أحكام التوراة إذ أعلن عيسى أنه لبني إسرائيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم .

و كذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل و التوراة ، إذ أعلن أن محمدا جـــاء ليحل للناس كل الطيبات و يحرم عليهم الخبائث ، و يضع عنهم إصرهم والأغلال الـــتي كانت عليهم. ولكن يجب أن يفهم أن هذا لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم و لا إنكـــار لحكمة أحكامه في إباها،و إنما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب وأجلها المقدر ، مـــثل ذلك مثل ثلاثة من الأطباء ، جاء أحدهم إلى الطفل في الطور الأول من حياته فقرر قصر غذائه على اللبن ، و جاء الثاني إلى الطفل في مرحلته الثالثة فقرر له طعاما لينا وطعاما نشويا خفيفا ؛ و جاء الثالث في المرحلة التي بعدها فأذن له بغذاء قوي كامل...))[1].

و قد اكتملت صورة الإسلام على يد خاتم الأنبياء محمد -صلى الله عليه وسلم- و بذلك يكون قد احتوى على كل ما يمكن أن يحتاج إليه بنو آدم إلى أن يرث الله الأرض ومـــن عليها. يقول -تبارك و تعالى- : **{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْـــنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}**[2].

---

(1) **محمد عبد الله دراز : الدين . ص 177-178.**

(2) **الشورى / 13.**

وهكذا أفادت الآية أن جميع الرسل و الأنبياء أوصاهم الله -عز و جل- بأصول لا اختلاف بينهم فيها : كالتوحيد و الصلاة و الصيام و الحج و التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بصالح الأعمال[1].

أ- نوح- عليه السلام-:

يقول تبارك و تعالى : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ .فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[2].

2- إبراهيم –عليه السلام -:

يقول تبارك و تعالى : {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[3].

يقول محمد عبده في تفسير قوله تعالى { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ } : ((المسلم والمستسلم واحد و هو المنقاد الخاضع . و المراد بالكلمة ما يشمل التوحيد و الإخلاص لله تعالى في الاعتقاد و العمل جميعا . و معنى الأول : أي الإخلاص في الاعتقاد أن يتوجه المسلم بقلبه إلى الله ، و لا يستعين بأحد فيما وراء الأسباب الظاهرة إلا بالله. و معنى الثاني : أن يقصد بعمله مرضاة الله- تعالى- لا إتباع الهوى و إرضاء الشهوة ، و إنما يرضيه –تعالى- منا أن نزكي نفوسنا بمكارم الأخلاق ، و نرقي عقولنا بالاعتقاد الصحيح المؤيد بالبرهان ، فبذلك نكون محل عنايته تعالى و مستودع معرفته و موضع كرامته و من يقصد بأعماله إرضاء شهوته و إتباع هواه لا يزيد نفسه إلا خبثا ، و بذلك يكون بعيدا عن الإسلام))[4].

---

(1) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 16 .ص 11

(2) يونس / 71-72

(3) البقرة / 127-128

(4) محمد عبده : تفسير المنار. ج 1 ص 469

و يقول تبارك و تعالى : { رَبَّنا واجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيم. رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[1].

لقد كان محتوى وصية إبراهيم -عليه السلام- لبنيه التأكيد على التمسك بالإسلام . يقول محمد عبده :((خلاصة هذه الوصية عقيدة الوحدانية في العبادة وإسلام القلب لله تعالى و الإخلاص له ، و تكرار لفظ (الإسلام)في هذه الآيات يراد به تقرير حقيقة الدين ، ذلك أن العرب كانت تدعي أن لها دينا خاصا بها وأنه الحق و إن اختلفت فيه القبائل والشعوب ، و منهم من كان ينتمي إلى إبراهيم على وثنيتهم ، و كذلك اليهود والنصارى، كل يدعي دينا خاصا به وأنه الحق .

فبينت هذه الآيات أن هذه الدعاوى من التعصب والتقليد و أن الدين لله تعالى واحد في حقيقته ، و روحه التوحيد و الاستسلام لله تعالى والخضوع والإذعان لهداية الأنبياء... ، فالتفرق في الدين ما جاء إلا من الجهل و التعصب للأهواء و المحافظة على الحظوظ ، و المنافع المتبادلة بين المرؤوسين و الرؤساء ، فالقرآن يطالب الجميع بالاتفاق في الدين و الاجتماع على أصليه : العقلي : و هو البراءة من الشرك بأنواعه ، و القلبي و هو الاستسلام و الإخلاص في جميع الأعمال))[2].

لقد نقلت لنا الآيات السابقة تأكيد أنبياء الله -تعالى- على أبنائهم ضرورة الالتزام بدين الإسلام لأنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده ، و كانت صورة يعقوب عليه السلام وهو يحتضر موصيا أبناءه التمسك بالإسلام ذات دلالة بالغة على أن أمر البشرية لا يستقيم في الحياتين ، إلا إذا عاشت الإسلام عقيدة و شريعة.

---

(1) البقرة / 128-133.

(2) محمد عبده : تفسير المنار . ج1 . ص 477.

3- لوط -عليه السلام- :

يقـــول -تبارك و تعالى -: { قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ .قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ .مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ .فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[1].

4- يوسف -عليه السلام -:

يقـــول تبارك و تعالى على لسان يوسف : { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِـــنْ تَـــأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }[2].

5- سليمان- عليه السلام- :

يقـــول تـــبارك و تعالى على لسان ملكة سبأ : { قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِـــتَابٌ كَـــرِيمٌ . إِنَّـــهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ(30)أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ }[3].

ويقـــول : { فَلَمَّـــا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ }[4].

6- عيسى -عليه السلام -:

يقول تبارك و تعالى : { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }[5].

و يقول تعالى : { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ }[6].

---

(1) الذاريات / 31-36.
(2) يوسف / 101.
(3) النمل / 29-31.
(4) النمل / 42.
(5) آل عمران / 52.
(6) المائدة / 111.

7 موسى –عليه السلام :

يقول تبارك و تعالى : { وقال مُوسى ياقوْم إنْ كُنْتمْ آمنْتمْ باللّه فعليْه توكّلُوا إنْ كُنْتمْ مُسْلمينَ }[1].

بعض الأحاديث التي تفيد أن دين جميع الأنبياء واحد :

يقـول الرسول –صلى الله عليه و سلم– : (مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسـنها و أكمـلها و أجمـلها و ترك فيها موضع لبنة فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه و يقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة)[2].

و يقـول– صـلى الله عليه و سلم– : (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة و الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى و دينهم واحد)[3].

ب – دعوة الرسل والأنبياء إلى الإسلام عقيدة وشريعة:

و سـنقف فـيما يلي بشيء من التفصيل مع دعوات الرسل والأنبياء إلى أقوامهم لتطبيق الإسلام عقيدة و شريعة:

1– نوح –عليه السلام– :

أول نـبي أتى بشريعة[4] و قد أرسله الله –تبارك و تعالى– إلى أهل الأرض بعدما حـدث الانحراف عن عقيدة التوحيد التي أتى بها أبو البشرية آدم عليه السلام.يقول –عز وجـل– : { إنّـا أرْسلْنا نُوحًا إلى قوْمه أنْ أنْذرْ قوْمكَ منْ قبْل أنْ يأْتيهُمْ عذابٌ أليمٌ .قـالَ يـاقوْم إنّـي لكُمْ نذيرٌ مُبينٌ . أنْ اعْبُدُوا اللّهَ واتّقُوهُ وأطيعُون . يغْفرْ لكُمْ منْ ذُنُوبكُمْ ويُؤخّرْكُمْ إلى أجَلٍ مُسمًّى إنّ أجَلَ اللّه إذا جاءَ لا يُؤخّرُ لوْ كُنْتمْ تعْلمُونَ }[5]

---

(1) يونس / 84.

(2) أخرجه أحمد في مسنده. (448/2).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الفضائل ، باب : فضائل عيسى عليه السلام ، حديث رقم 145 (4 / 1837).

(4) استنتج العلماء من خلال حديث الشفاعة ، أن نوحا عليه السلام أول الرسل . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه و سلم ، قال : (...فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، و سماك الله عبدا شكورا . أما ترى إلى ما نحن فيه ...) . أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء . باب : قول الله عز وجل {ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه} . حديث رقم 3340 (2 / 453).

(5) نوح / 1-4.

و يقـــول تبارك و تعالى على لسان نوح -عليه السلام- : {يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُـــمْ مِـــنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[1]. إلا أن القوم كانوا يشركون بعبادة الله ، و قالوا : {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}[2].

و روى الـــبخاري مـــن حديث جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله -تعـــالى- { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ... }قال -صلى الله عليه وسلم -: ((أسماء رجال صـــالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون فيها أنصابا و يسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك و انتسخ العلم عبدت))[3].

لقـــد كـــان قوم نوح -عليه السلام- يؤمنون بربوبية الله عز وجل من حيث أنه خـــالق لهـــم فقط و ينفون عنه مستلزمات ذلك و يشركون به تلك الأسماء . يقول أبو الأعـــلى المودودي : ((...بل كانوا قد اتخذوا رؤساءهم و أحبارهم أربابا من دون الله في جمـــيع تلك الشؤون وكان يدعوهم نوح عليه السلام بخلاف ذلك إلى أن يجعلوا الربوبية يتقسمها أرباب متفرقون ، بل عليهم أن يتخذوا الله تعالى وحده ربا بجميع ما تشتمل عليه كـــلمة الرب من المعاني ، و أن يتبعوه و يطيعوه فيما يبلغهم من أوامر الله تعالى و شريعته نائبا عنه))[4].

و الـــذي يفيد أن دعوة نوح عليه السلام كانت تشمل الإصلاح في مجال العقيدة والشريعة قوله تعالى :{وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي }[5].

و قوله : {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}[6].

---

(1) الأعراف / 59.
(2) نوح / 23.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : التفسير . باب : و لا تذرن ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق . حديث رقم 4920. (316/3).
(4) المودودي : المصطلحات الأربعة في القرآن . ص 45.
(5) الأعراف / 61-62.
(6) الشعراء / 107-108.

و يقول -تعالى -: {شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى به نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وما وصَّيْنا به إبْراهيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتفرَّقُوا فيه}[1].

و عن معنى قوله- تعالى -: { شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...} يقول القرطبي : ((فكان المعنى أوصيناك يا محمد و نوحا دينا واحدا يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة ، و هي : التوحيد و الصلاة و الزكاة والصيام و الحج ، و التقرب إلى الله بصالح الأعمال و الزلف إليه بما يرد القلب و الجارحة إليه ، و الصدق و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانة و صلة الرحم ، و تحريم القتل والزنى و الأذية للخلق كيفما تصرفت ، والاعتداء على الحيوان كيفما دار ، واقتحام الدناءات و ما يعود بخرم المروءات . فهذا كله مشروع دين واحد و ملة متحدة ، لم يختلف على ألسنة الأنبياء و إن اختلفت أعدادهم ، وذلك قوله تعالى : { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتفَرَّقُوا فِيهِ }[2] أي اجعلوه قائما...و اختلفت الشرائع وراء هذا في معان حسبما أراده الله مما اقتضت المصلحة و أوجبت الحكمة))[3].

و يشير المفسرون إلى أن السبب في تخصيص نوح و إبراهيم و موسى وعيسى بالذكر في الآية الأخيرة يرجع إلى أنهم كانوا أرباب الشرائع.

و في تحديد معنى الآية نفسها قال مجاهد : ((لم يبعث الله نبيا قط إلا وصاه بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و الإقرار لله بالطاعة ، فذلك دينه الذي شرع لهم . وقال الوالبي : عن ابن عباس و قال قتادة يعني : تحليل الحلال و تحريم الحرام))[4].

لما يئس نوح -عليه السلام -من استجابة قومه له ، دعا الله أن ينزل بهم العذاب و لا يذر على الأرض منهم أحدا { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا .إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا }[5] فاستجاب له الله -عز وجل- و أمره أن يصنع السفينة و نجاه هو و من استجاب له و أغرق القوم الظالمين .

---

[1] الشورى / 13.
[2] الشورى /13.
[3] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج16 . ص 11.
[4] المرجع نفسه : ج16 . ص 11.
[5] نوح / 26-27.

يقـــول -سبحانه و تعالى- : {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَـــاءَ أَمْـــرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ}[1].

2- شعيب -عليه السلام- :

شـــعيب واحد من أنبياء الله -تبارك و تعالى -أرسله إلى أهل مدين ، و قد كانوا قوما منحرفين يعبدون الأيكة و هي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها ، كان قومه بجانب شركهم بالله تعالى مفسدين في الأرض فيسيئون التعامل ، ويبخسون الناس المكيال و المـــيزان فأرســـل الله إلـــيهم شعيبا عليه السلام لإصلاح إلحادهم العقدي و تعاملهم الاقتصادي[2].

يقول -عز وجل-:{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[3].

و يقول -سبحانه : {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ .وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ}[4].

و يقـــول -تـــبارك و تعالى -: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ .إِذْ قَالَ لَهُمْ شُـــعَيْبٌ أَلَـــا تَتَّقُونَ.إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ .فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي .وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْـــرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ.وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْـــيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ }[5].

---

(1) المؤمنون / 27.
(2) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء . ص 145-146.
(3) الأعراف / 85.
(4) هود / 84-86.
(5) الشعراء / 176-184.

لقد انطلق شعيب عليه السلام في دعوة قومه إلى التوحيد في عبادة الله سبحانه وتعالى إذ يفهم من قوله لهم { إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } أنهم كانوا يقرون بوجود الله إلا أن إيمانهم إيمان منقوص ، فكانوا منحرفين في سلوكهم الحضاري مبتعدين عن شريعة الله تعالى، و الذي تفيده الآيات القرآنية أنهم كانوا يتخذون لأنفسهم قواعد للتعامل ما أنزل الله بها من سلطان ، فكانوا سيئي المعاملة في البيع و الشراء ، و كانوا مفسدين في الأرض يقطعون الطريق على سواهم ، و يفتنون الذين يؤمنون عن دينهم ، فدعاهم إلى الاعتدال في التعامل الاقتصادي وعدم الإفساد في الأرض بعد إصلاحها { فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }[1].

و بخس الناس أشياءهم ليس مقصورا على البيع و الشراء ، إنما يمس جميع علاقات العمل ، و في قوله { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا }إشارة إلى الانحراف في العقيدة والشريعة ، فقال المفسرون : لا تفسدوا في الأرض : بالكفر و الحيف ، و بعد إصلاحها : بعد ما أصلح الأنبياء أمرها و أهلها بإجراء الشرائع و الإصلاح فيها.و نظرا لكونهم قوما منحرفين لم يحاولوا فهم الدين الذي أتاهم به فسألوه بتهكم و بروح علمانية { أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا }[2] يقول سيد قطب : ((فهم لا يدركون أو لا يريدون أن يدركوا أن الصلاة هي من مقتضيات العقيدة ، و من صور العبودية و الدينونة ، و أن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله ، و نبذ ما يعبدونه من دونه هم و آباؤهم ، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في التجارة و في تداول الأموال و في كل شأن من شؤون الحياة))[3].

إن هذا التساؤل الذي طرحه قوم شعيب يعالج قضية تطرح في كل زمان ومكان وهي إرادة تجزئة الدين و فصل أركانه عن بعضها ، و في ذكر ذلك ذكرى لأول الألباب.

---

(1) الأعراف / 85.
(2) هود / 87.
(3) سيد قطب : الظلال . ج12 . ص 1919

و في دعوة شعيب لقومه حثهم على الحلال لأنه أزكى فقال لهم : {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ }[1].

فذكرهم بأن رزق الله خير لهم من أكل أموال الناس بالباطل و فسر الطبري ذلك بأن ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل و الميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف[2].

كما نلاحظ حرص شعيب – عليه السلام – على استجاشة عاطفة الإيمان في نفوسهم بتذكيرهم بنعم الله عليهم : {وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ }[3] ثم أخافهم بما سيلحقهم من العذاب إن هم لم يلتزموا بما يدعوهم إليه، و ذلك بإخبارهم عما لحق بالأمم التي قبلهم من العذاب حين انحرفت عن منهج الله – عز و جل – يقول: {وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }[4].

و يقول : {وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ }[5]، و بعد ذلك ذكرهم برحمة الله الواسعة إن عادوا عن غيهم و استجابوا لدعوة الحق –عز وجل– فقال : {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ }[6].

لم يستجب قوم شعيب – عليه السلام – له بل أخذتهم العزة بالإثم ولجأوا إلى استضعافه و تهديده بالإخراج من قريتهم إن لم يعد في ملتهم و اعتبروه من المسحرين .

وطلبوا منه أن ينزل بهم ما توعدهم من العذاب إن كان من الصادقين فقالوا : {قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ }[7] {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا }[8].

---

(1) هود / 86.
(2) الطبري : جامع البيان. ج12 . ص 100.
(3) الأعراف /86
(4) الأعراف / 86.
(5) هود /89.
(6) هود / 90.
(7) هود / 91.
(8) الأعراف / 88 .

و قـــالوا : {قالوا إنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ .وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ .فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ }[1].

لما تجبر قوم شعيب و لم يستجيبوا لأمر الله – تعالى – عقيدة و شريعة ، أتى وعد الله بإنـــزال العـــذاب بهم ، يقول – تبارك و تعالى – :{ فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِـــمْ جَاثِمِينَ .الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِـــرِينَ }[2].و يقول سبحانه و تعالى : {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَـــهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ .كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ}[3].

و يقـــول –عـــز وجل– : {وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ .فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ}[4].

و يقـــول– تعـــالى– : {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ .وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[5].

3– موسى مع بني إسرائيل :

إسرائيل كلمة عبرية معناها في اللغة العربية : عبد الله أو صفوة الله.

و إســـرائيل هـــو نبي الله يعقوب –عليه السلام –، فبنوا إسرائيل هم القوم الذين ينتســـبون إلـــيه[6] .حين نتتبع آي الذكر الحكيم نلاحظ أن القرآن الكريم قد أكثر من الحديث عن بني إسرائيل و أنه قد أرسل إليهم كثيرا من الأنبياء و الرسل ، وهذا يدل على أن هؤلاء القوم كانوا من أكثر أهل الأرض انحرافا عن سبيل الله.

و حـــين نجمع الآيات التي تتحدث عن هؤلاء القوم نجد أن الأنبياء الذين أرسلوا إلـــيهم قد جمعوا في خطابهم لهم بين العقيدة و الشريعة . و من هذه الآيات، قوله تعالى : {وَلَقَـــدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ

---

(1) الشعراء / 185-187.
(2) الأعراف / 91-92.
(3) هود / 94-95.
(4) الحجر / 78-79.
(4) الشعراء / 189-191.
(5) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج1 . ص 451.

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ . فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[1]. و يقول عز وجل : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}[2].

تفيد الآيات السابقة أن الله -تبارك و تعالى -قد أخذ على بني إسرائيل ميثاقا محتواه الأول التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له ، و الإحسان إلى الوالدين و القربى واليتامى و المساكين و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة ، و قد اشترط معيته لهم ووعدهم بدخول الجنة شرط التزامهم بمحتوى هذا الميثاق.

لقد أتى موسى -عليه السلام -بدين كامل ينظم حياتهم من جميع الجوانب بصورة متكاملة . و عما سنه لهم من قصاص ، يقول -تبارك و تعالى -: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[3].

و يقول- عز وجل- : {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ}[4].

---

(1) المائدة / 12-13.
(2) البقرة / 83.
(3) المائدة /44-45.
(4) الأعراف / 145.

فمن الآيات كلها نجد تأكيدا على وجوب الإتيان بأمور الشريعة و أن عدم الحكم بها اعتداء على حدود الله تبارك و تعالى.

يقـــول ســـيد قطب في تفسيره للآيات السابقة : ((لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة واقعية ، جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية ، و تنظيمها و توجيهها و صـــيانتها ، و لم يجئ دين من عند الله ليكون في الضمير ، و لا يكون كذلك في شعائر تعبدية ، تؤدى في الهيكل و المحراب ، فهذه و تلك على ضرورتها للحياة البشرية و أهميتها في تربية الضمير البشري لا يكفيان وحدهما لقيادة الحياة و تنظيمها و توجيهها و صيانتها ما لم يقم على أساسها منهج و نظام و شريعة تطبق عمليا في حياة الناس ، و يؤخذ الناس بها بحكم القانون و السلطان ، ويؤاخذ الناس على مخالفتها ، و يؤخذون بالعقوبات.

و الحـــياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة و الشعائر و الشرائع من مصدر واحـــد يملـــك الســـلطان عـــلى الضمائر و السرائر ، كما يملك السلطان على الحركة و السلوك، ويجزي الناس وفق شرائعه في الحياة الدنيا ، كما يجزيهم وفق حسابه في الحياة الآخرة))[1].

و يقول – تبارك و تعالى – : **{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ}**[2].

يشير المفسرون إلى أن مناسبة الحديث عن كتاب موسى عليه السلام بعد الحديث عـــن قواعـــد الصراط المستقيم التي ذكرت في الآيات السابقة : **{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـــهُ إِلَّـــا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْـــتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَـــذَا صِـــرَاطِي مُسْـــتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ**

---

[1] سيد قطب : الظلال . ج6 . ص 895-896.

[2] الأنعام / 154.

وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[1].ذلك للتأكيد على وحدة الدين السماوي . يقول سيد قطب : ((...للإيحاء إلى أن هذا الصراط ممتد من قبل في رسالات الرسل عليهم السلام وقد أعطاه الله كتابا فصل فيه كل شيء و جعله هدى و رحمة لعل قومه يؤمنون بلقاء الله في الآخرة))[2].

و في تفسير -قوله تعالى -: { وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ } قال العلماء ((فيه تبيين لكل شيء من أمور الدين))[3].

و فيما يلي نتعرض لبعض أمور الشريعة عند بني إسرائيل بشيء من التركيز:

أ ـ تحريم الزنا و السرقة عند بني إسرائيل:

يقول تبارك و تعالى : { يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا..}[4].

يروى أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود ارتكبوا جرائم تختلف الروايات في تحديدها منها :

الزنا و السرقة ...و هي من الجرائم التي تترتب عليها حدود في التوراة ، إلا أنهم اصطلحوا على غيرها لعدم رغبتهم تطبيقها على الشرفاء منهم ، ثم تدرجوا إلى التهاون في ذلك بالنسبة للجميع ، فلما وقعت مثل هذه الجرائم في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- تآمروا على أن يستفتوه فيها فإذا أفتى لهم بالعقوبات التعزيرية المخففة عملوا بها و كان ذلك حجة لهم عند الله ، فقد أفتاهم بها رسول الله و إن حكم فيها بمثل ما عندهم لم يأخذوا بحكمه ...فأرسلوا إليه من يستفتيه ،و من هنا حكاية قولهم { إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا}[5]، و قد قال الله -عز وجل- أثناء الحديث عنهم :

---

(1) الأنعام / 151-153-.
(2) سيد قطب : الظلال . ج8 . ص 1236.
(3) الطبري : جامع البيان . ج8 . ص 92.
(4) المائدة / 41.
(5) المائدة / 41.

{ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ }[1] السحت : كل مال حرام كالربا و الرشوة ويسمى الحرام سحتا لأنه يقطع البركة و يمحقها ، و في الاستكثار أكبر دليل على التحريم[2].

و في الحديث عن حد الزنا عندهم روى نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (إن اليهود جاءوا إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم -فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه و سلم -: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟. قالوا نفضحهم و يجلدون . قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم . فاتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها و ما بعدها ، فقال عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما الرسول صلى الله عليه و سلم فرجما . فرأيت الرجل يحني على المرأة فيقيها الحجارة[3].

و مما بقي عندهم في التوراة ((و من فاجأ يهوديا وهو يزني بوثنية ، أو يهودية وهي تزني بوثني ، و جب عليه قتل الاثنين معا))[4].

ب - **الجهاد عند بني إسرائيل** :

يقول تبارك و تعالى : **{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ. يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ.قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ...}**[5].

هذه الآية تفيد أن الله قد كلف بني إسرائيل الجهاد في سبيله إلا أنهم تخاذلوا عن ذلك و قد بدأ موسى عليه السلام دعوته لهم دخول الأرض المقدسة ، بتذكيرهم بما أنعم الله عليهم من الأنبياء ، و لكن هؤلاء القوم لم يتغيروا ، فقد كان طبعهم نقض العهود

---

(1) المائدة / 42.
(2) سيد قطب : الظلال . ج6 . ص 893.
(3) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير . باب : {قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين} . (210/3).
(4) نقلا عن فؤاد عبد المنعم : أبحاث في الشرائع اليهودية و المسيحية و الإسلام . ص 70 .
(5) المائدة / 20،21.

وعـــدم الالـــتزام بأوامر الله ، فقالوا { قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ }[1].

فأظهروا بذلك جبنهم و عدم امتثالهم لأمر الله – عز وجل – ، و يصور لنا القرآن مـــا يصـــنعه الإيمـــان حين يتمكن من قلب الإنسان ، و ذلك في الرجلين اللذين قال الله عـــنهما: { قَـــالَ رَجُلَانِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْـــتُمُوهُ فَـــإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }[2]، و قولهما : { إِنْ كُنْـــتُمْ مُؤْمِنِينَ } تأكيد على أنهم لن يلتزموا بما دعاهم إليه موسى عليه السلام من الجهاد إذا لم يكن الإيمان متمكنا من قلوبهم.

و يصور لنا القرآن الكريم النهاية المؤلمة لموسى– عليه السلام– مع بني إسرائيل في عودتـــه إلى الله و طلب المفاصلة مع هؤلاء القوم العصاة . يقول تبارك و تعالى على لسان موســـى– علـــيه السلام– : { قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَـــوْمِ الْفَاسِـــقِينَ }[3] و فعلا تحققت المفاصلة ، يقول عز وجل : { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }[4].

و قـــد استفاد المسلمون من هذه الأحداث حين واجهوا المشركين في غزوة بدر ، وقـــد كان عددهم قليلا ، فقالوا للرسول صلى الله عليه و سلم : لن نقول لك كما قال بـــنوا إسرائيل لنبيهم اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

و يقـــول– تبارك و تعالى– : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَـــالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِـــتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّـــا كُتِـــبَ عَلَـــيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ .. فَلَمَّا فَصَلَ طَـــالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ

---

(1) المائدة / 24.
(2) المائدة / 23.
(3) المائدة / 25.
(4) المائدة / 26.

فَإِنَّـهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[1].

و هـذه القصـة توحي أن بني إسرائيل كانوا مكلفين بالجهاد في سبيل الله ، فقد طلبت الجماعة المؤمنة منهم من نبي لهم –لم يحدد القرآن اسمه– أن يعين لهم ملكا يقاتلون تحـت إمرته فاختاره الله لهم ، إلا أنهم لم يثبتوا جميعا و لم تبق إلا فئة قليلة منهم واصلت الجهـاد ، يقول سيد قطب في تفسير قوله – تعالى – :{ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ... }((فهنا نطلع على سمة خاصة من سمات إسرائيل في نقض العهد و النكـث بـالوعد و التلفـت عن الطاعة و النكوص على التكليف ، و تفرق الكلمة و الـتولي عـن الحق البين .و لكن هذه كذلك سمة كل جماعة لا تنضج تربيتها الإيمانية فهي سمة بشرية عامة لا تغير منها إلا التربية الإيمانية العالية الطويلة الأمد العميقة التأثير))[2]

و الذي نستنتجه مما سبق أن بني إسرائيل كانوا مكلفين بالجهاد في سبيل الله ، إلا أن مفهـوم هذه العبادة انحرف عندهم ، و أصبح يتمثل في العمل من أجل استعباد البشر غـير الـيهود ، معتقدين أن إلههم القومي قد خلق الشعوب الأخرى في صورة بشر حتى يسهل عليهم خدمة شعبه المختار ، و هم يسهرون من أجل تحقيق ذلك.

جـ ـ إنزال العذاب ببني إسرائيل بسبب انحرافهم عقديا و تشريعيا:

تشـير الآيـات القرآنية دائما إلى التلازم بين العقيدة و الشريعة ، و نستفيد من خلالها أن الله تبارك و تعالى حين أنزل العذاب ببني إسرائيل و لعنهم في الدنيا و الآخرة ، كان السبب في ذلك انحرافهم عن منهج الله تعالى عقديا و تشريعيا.

يقول –تبارك و تعالى– عن انحرافهم في العقيدة : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ }[3] يقول : { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا

---

(1) البقرة / 246-250.
(2) سيد قطب : الظلال . ج2 . ص 262.
(3) الأعراف / 138.

لَـهُ خُـوَارٌ أَلَـمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ }[1].

فهـذه الآيـات تفيد أنهم قد اشركوا بالله فاتخذوا العجل صنما يتقربون به إلى الله ، كما يذكـر القـرآن الكريم أنهم كفروا بالله صراحة : { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا }[2]، ووصفوه سبحانه وتعالى بصفات لا تليق بجلاله و ادعوا بنوة عزيرله ، ورد ذلـك في قوله- تعالى -: { وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَـلْ يَـدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ }[3] وفي تفسير هذه الآية ، يذكر أن ابن عباس وعكـرمة و الضـحاك قالوا : أن الله- تعالى -قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية ، فلما عصوا الله سبحانه بأن كفروا برسوله -صلى الله عليه و سـلم -وكذبوه، كف عنهم ما بسط عليهم ، فعند ذلك قال فنحاص بن عازراء : يد الله مغلولة. و حيث لم ينكر عليه الآخرون و رضوا به نسبت تلك العظيمة إلى الكل[4].

أمـا عن ادعائهم بنوة عزير لله -عز وجل- فيقول -تبارك و تعالى- : {وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }[5].

و مـن انحـرافهم العقدي اتخاذهم الأحبار و الرهبان أربابا من دون الله تعالى، إذ يواصـل سـياق الآيات الحديث عن ذلك فيقول سبحانه و تعالى : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }[6].

فقد كانوا يعتقدون أن أحبارهم و رهبانهم يحللون ما حرم الله و يحرمون ما أحله.

---

(1) الأعراف / 148.
(2) النساء / 156.
(3) المائدة /64.
(4) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج2 . ص 605-606.
(5) التوبة / 30.
(6) التوبة / 31.

أما في مجال الشريعة :

فقد أفادت الآيات القرآنية أن الله –تعالى– قد أنزل لبني إسرائيل التوراة فيه هدى ونـور ، لكـنهم لم يقيموا له وزنا ، و لم يعطوا لميثاق الله –تعال–ى معهم قيمة فجعلوا أحكام الله تجارة دنيوية لتحقيق مآربهم الشخصية ، فلحقتهم لعنة الله في الدنيا و الآخرة.

يقـول –تـبارك و تعالى– : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ }[1].

و يقـول –تـبارك و تعالى –: { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا.وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }[2].

فقـد حـرم عليهم الربا ، و هذا موجود في نصوص التوراة ((إن أقرضتم فضة لشعبي الفقير الذي عندك ، فلا تكن به كالمرابي ، تضعوا عليه ربا))[3].

و يذكـر المفسرون أن أكل أموال الناس بالباطل أعم من الربا ، فيشمل الرشوة المحرمة عندهم و أخذهم الفداء على الأسرى من قومهم و غير ذلك.

و يقول عز وجل : { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْـنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }[4].

وإذا كانـت هـذه المحرمات مباحة ليعقوب –عليه السلام– و ادعى اليهود أنه حـرمها عـلى نفسه فاتبعوه في ذلك [5]. فإن النص القرآني يوضح أن سبب التحريم هو بغيهم وانحرافهم عقيدة و شريعة .

و الـذي نؤكـده اسـتنتاجا مما سبق ، أن خطاب الله لبني إسرائيل قد جمع بين العقيدة و الشريعة .

---

(1) آل عمران / 187.
(2) النساء / 160-161.
(3) الكتاب المقدس : الإصحاح 22 ، فقرة : 25.
(4) الأنعام / 146
(5) سيد قطب : الظلال . ج 8 . ص 1226.

فلما انحرفوا في الاثنين أنزل الله بهم العذاب و لعنهم ، يقول - تبارك وتعالى - :
{ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ... }[1].

و الحديث عما لحق بني إسرائيل يؤكد لنا أن المجتمع البشري لا يستقيم إلا بتطبيق شريعة الله في الأرض ، يقول سيد قطب : ((و لقد قص الله على المسلمين من أنباء بني إسرائيل في هذا ما يحذرهم من الوقوع في مثله ، حتى لا تسلب منهم الخلافة في الأرض والأمانة التي ناطها بهم فلما وقعوا في مثل ما وقع فيه بنو إسرائيل ، و طرحوا منهج الله وشريعته، و حكموا أهوائهم ، و شهواتهم ، و قتلوا فريقا من الهداة ، و كذبوا فريقا ، ضربهم الله بما ضرب به بني إسرائيل من قبل من الفرقة والضعف و الذلة والهوان ، والشقاء و التعاسة ، إلا أن يستجيبوا لله و رسله ، وإلا أن يخضعوا أهواءهم شريعته و كتابه وإلا أن يفوا بعهد الله معهم ، وأسلافهم ، و إلا أن يأخذوه بقوة و يدروا ما فيه لعلهم يهتدون))[2].

و قد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : {لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا و ذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا ، يا رسول الله اليهود و النصارى قال : فمن ؟}[3].

و ورد في تفسير هذا الحديث أنه – صلى الله عليه و سلم – أعلم أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور و البدع و الأهواء ، كما وقع للأمم قبلهم ...[4].

و هذه هي الملامح البارزة لامتنا في الوقت الحاضر الانحراف عن منهج الله: عقيدة و شريعة .

---

(1) المائدة / 13.
(2) سيد قطب : الظلال . ج1 . ص ... 89 .
(3) أخرجه البخاري في صحيحه في: كتاب : الاعتصام بالكتاب و السنة . باب : قول النبي- صلى الله عليه و سلم- : لتتبعن سنن من كان قبلكم . حديث رقم 7320 . (4 / 368).
(4) العسقلاني : فتح الباري . ج13. ص 206.

عيسى مع النصارى :

لقـــد ركز القرآن الكريم في حديثه عن النصارى على انحرافهم في الجانب العقدي أمـــا الناحية التشريعية فلا توجد إلا إشارات قليلة ، و ذلك لأن عيسى – عليه السلام – أتى مصدقا لما بين يديه من التوراة .

يقـــول – تبارك و تعالى – : { **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَـــيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَهُـــدًى وَمَوْعِظَـــةً لِلْمُتَّقِينَ.وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ** }[1].

و يقول الله – تبارك و تعالى – على لسان عيسى – عليه السلام – : { **قَالَ إِنِّي عَـــبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** }[2].

و يقـــول – عـــز و جـــل – : { **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ. وَرَسُـــولًا إِلَـــى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ الـــتَّوْرَاةِ وَلِـــأُحِلَّ لَكُـــمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** }[3].

و في الحديث عن أهل الكتاب عموما يقول – تعالى – : {**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِـــتَابَ إِلَّـــا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**}[4].

والـــذي تفيده الآيات أن عيسى – عليه السلام – قد أوتي الإنجيل ليكون بما فيه حكما في الأرض و يؤكد تطبيق شريعة التوراة مع بعض التغيرات الطفيفة كإحلال بعض الطيـــبات التي حرمها الله على بني إسرائيل نتيجة عصيانهم و تمردهم عن أوامر الله – عز وجل – { **... وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ**}.

---

(1) المائدة / 46-47.
(2) مريم / 30-31.
(3) آل عمران / 48-51.
(4) البينة / 4-5.

إلا أن هـــؤلاء القوم لم يثبتوا على دين الله فاحرفوا عقيدة و شريعة ، فقالوا ببنوة المسيح – عليه السلام - لله – عز و جل – و قالوا بأن الله ثالث ثلاثة ، يقول – تبارك وتعالى - : { ... وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّه }[1].

و يقول – تعالى – كذلك : { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّه إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّه وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّه وَرُسُلِه وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّه وَكِيلًا }[2].

و يقـــول : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[3].

كما أنهم فصلوا الشريعة عن العقيدة ، فتركوها مدعين أن المسيح – عليه السلام – هو الذي أمرهم بذلك قائلا لهم : ((أعطوا لقيصر ما لقصير و ما لله لله))[4].

و لا تزال بعض الملامح للشريعة عند النصارى تؤكد تحريفهم لدين الله –عز وجل يقـــول القرافي :((اتفقت النصارى على الحكم بغير ما أنزل الله تعالى و إتباع الأهوية في الأحكـــام ، يحلـــون الحـــرام و يحرمون الحلال ، و يسفكون الدماء ، و يحبون الأموال والفـــروج بغـــير شـــرع ، بل بمجرد اتباع الهوى ، والوسواس السوداوي من غير شرع منقول))[5].

و يعلـــل النصارى عدم وجود تشريعات واسعة عندهم بأن المسيح أراد الشريعة روحا محيا لا حرفا ميتا ، كما أراد تجنيب الشريعة ما تفرضه عليها أحوال الزمان والمكان من تحوير ، و أراد أن يحترم حرية الإنسان فلا يسوقه مكرها إلى الخضوع للشريعة فيحرمه جزاء أعماله.

و في ادعـــائهم هذا تبرير لعدم التزامهم بأمور الشريعة المتبقية عندهم. يقول أحمد شـــلبي :((و طبيعي أن هذا التعليل غير مقبول ، فإن عيسى –عليه السلام– لم يتحرر من

---

(1) التوبة / 30.
(2) النساء / 171.
(3) المائدة / 73.
(4) الكتاب المقدس : إنجيل مرقس : الإصحاح 12 . فقرة 17.
(5) القرافي : الاجوبة الفاخرة . ص 133-134.

التشـــريعات الســـماوية ، و إنما ألزم أتباعه بطاعة ما شرعه العهد القديم ، ثم إن التشريع الحكيم ليس حرفا ميتا ، و لا جامدا صلدا ، و لا يحرم الإنسان نتيجة الطاعة و الامتثال ، والتشريع الحكيم يسري في فكر الإنسان معبرا عنه ومحققا مطالبه ، و حاميا لحرماته))[1] .

الصلاة و الصيام عند النصارى :

الصـــلاة و الصـــيام عند النصارى ليسا إجباريان ، و إنما هما على الاختيار ، وقد كانـــت لديهـــم سبع صلوات في اليوم و الليلة ، و هي : صلاة البكور ، صلاة الساعة السادســـة و التاســـعة والحادية عشر و الثانية عشر و منتصف الليل . و أهم ما يجب أن تحـــتويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية التي قدمها المسيح ، و هي : ((أبانا الذي في الســـماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء، كذلك على الأرض ، خـــبزنا كفافنا ، أعطنا كل يوم ، و اغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضا نغفر من يذنب إلينا ، و لا تخذلنا في تجربة لكن نجنا من الشر))[2].

و يشترطون لأدائها شرطين .الأول : أن تقدم باسم المسيح ((الحق الحق أقول لكم إن كـــل مـــا طلبتم من الأب باسمي يعطيكم ، حتى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي ، و اطلبوا تـــأخذوا لـــيكون فرحكم كاملا))[3].أما الشرط الثاني :فهو الإيمان الكامل بما في الإنجيل ((لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم))[4].

و مما ورد في ذلك : ((و ليكن الطلب بإيمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح و تدفعه ، فلا يظن ذلك الإنسان أن ينال شيئا من الرب))[5].

و الصـــلاة عـــند المسيحيين لا تلتزم بآداب الوقوف أمام الله –عز وجل –، و في ذلك يقول القرافي : ((النصارى يبول أحدهم و يتغوط ، و يقوم من غير استنجاء لصلاة وهـــو مـــا أحدثوه بعد المسيح – عليه السلام – و لا يوجد في شريعة من الشرائع إهمال

---

(1) أحمد شلبي : المسيحية . ص 129-130.
(2) الكتاب المقدس : إنجيل لوقا : الإصحاح 11. فقرة 2-4.
(3) الكتاب المقدس :إنجيل يوحنا : الإصحاح 16 .فقرة 23.
(4) الكتاب المقدس :إنجيل مرقص : الإصحاح 11 .فقرة 24.
(5) محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية . ص 132-133.

الأدب مع الله في مناجاته ، و الوقوف بين يديه ، بل الشرائع تأمر بأن العبد لا يقوم بين يدي الله – تعالى – على أكمل أحواله))[1].

أما الصوم عندهم فيكون بالامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ، ثم تناول طعام خال من الدسم ، و يشمل الصوم عند المسيحيين صوم يوم الأربعاء ، و هو يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على عيسى ، و يوم الجمعة لأن المسيح صلب يوم الجمعة كما يقولون ، و صوم الميلاد و عدد أيامه : 43 يوما و تنتهي بعيد الميلاد ، و الصوم المقدس و عدد أيامه : 55 هي عبارة عن الأربعين يوما التي صامها المسيح مضافا إليها أسبوعان : الأسبوع الأول منها قبل الأربعين و يسمى أسبوع الاستعداد و التهيئة لصوم الأربعين المقدس ، و الأسبوع الثاني أسبوع الآلام و يأتي بعد الأربعين و ينتهي بأحد القيامة ، و يمتنع في هذا الصوم أكل كل حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، و يقتصر على أكل البقول و لا يعقد في أثنائه سر الزواج . و صيام الرسل و عدد أيامه يزيد و ينقص حسب الحوادث و تتراوح مدته بين : 15 – 49 و صوم العذراء و مدته : 15 تبدأ من أول شهر مسرى))[2].

و توجد عند المسيحيين بعض التشريعات المتعلقة بالأسرة و القصاص إلا أنها تمثل الانحراف عن شريعة التوراة التي خوطبوا بها و أمروا بالامتثال لها ، يقول ابن تيمية : ((ما عند النصارى من القوانين و النواميس التي هي شرائع دينهم ، فبعضه منقول عن الأنبياء وبعضه عن الحواريين ، و كثير من ابتداع أكابرهم على مخالفة شرع الأنبياء ، فدينهم من جنس دين اليهود قد ألبسوا الحق بالباطل))[3].

و يقول محمد قطب : عن التحريف الذي وقع في العقيدة من جعل الإله الواحد ثلاثة أقانيم ، و تأليه عيسى – عليه السلام – و ادعاء نبوته لله ، و تأليه مريم و روح القدس جبريل – عليه السلام – ، و اختراع قصة الصلب و الفداء.((هذا التحريف على بشاعته لم يكن هو التحريف الوحيد الذي أدخلته الكنيسة والمجامع المقدسة على دين الله المنزل بل أضافت الكنيسة انحرافا آخر لا يقل سوءا و لا تشويها للدين المنزل من عند

---

(1) القرافي :الأجوبة الفاخرة : ص 126-127.
(2) المرجع نفسه . ص 141.
(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . ج3 . ص 337.

الخـــالق و ذلـــك بعـــزل العقيدة عن الشريعة ، واتخاذ الدين عقيدة فقط و ترك القانون الروماني يحكم الحياة))[1].

و الـــذي نســـتنتجه من كل ما سبق أن المسيحيين و إن كانوا لا يملكون شريعة صحيحة فإن ما لديهم و إن كان محرفا فإنه يعبر عن حنين الإنسان إلى شريعة إلهية يستقي مـــنها نظامـــا ومنهجا لحياته ،و مهما كابروا فإن ما لديهم و إن كان يسيرا يؤكد أنه لا يمكن أن توجد عقيدة بدون شريعة .

و النتيجة التي نتوصل إليها هي :

1– أن كل الرسل و الأنبياء كانوا يدعون إلى الإسلام : عقيدة و شريعة ، وبعض أمـــور الشريعة كانت تتنزل حسب متطلبات المجتمع الذي كان يعيشه الرسول أو النبي في زمنه، و قد كانت تتطور إلى أن اكتملت ببعثة الرسول – صلى اله عليه و سلم – يقول – تبارك وتعالى - : { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** }[2].و بذلك أصبحت صالحة لكل زمان و مكان ، يقول – عز و جل - : { **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** }[3].

و أغلب المفسرين يذهبون إلى أن المقصود بالدين هنا الإسلام : عقيدة وشريعة ، وأنه في الجانبين موافق للفطرة البشرية السليمة ، و بهذا يتحقق معنى القول بصلاحيته لكل زمان و مكان . يقول الزمخشري : ((ألا ترى إلى قوله : لا تبديل لخلق الله ، و المعنى أنهم خلقهم قابلين للتوحيد و دين الإسلام ، غير نائين عنه و لا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح ، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر))[4].

و يقـــول ابن عطية عن الفطرة بأنها الخلقة و الهيئة التي في نفس الإنسان ، التي هي معدة و مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله ، و يستدل بها على ربه و يعرف شرائعه[5].

---

(1) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة . ص 13.
(2) المائدة / 3.
(3) الروم / 30.
(4) الزمخشري : الكشاف . ج3 . ص 204.
(5) ابن عطية : المحرر الوجيز . ص 336.

و يقول ابن عاشور : ((فوصف الإسلام بأنه فطرة الله معناه أن أصل الاعتقاد فيه جار على مقتضى الفطرة العقلية ، و أما تشريعاته و تفاريعه فهي : إما أمور فطرية أيضا ، أي جاريـــة على وفق ما يدركه العقل و يشهد به ، و إما أن تكون لصلاحه مما لا ينافي فطـــرته و قوانـــين المعـــاملات فيه راجعة إلى ما تشهد به الفطرة لأن طلب المصالح من الفطرة))[1].

2- كل الأنبياء أتوا بالمبادئ الكلية : الإيمان بالله و باليوم الأخر و العمل الصالح وســـبب تدمير الأمم لا يتوقف على الإيمان بالله وحده بل يتعدى إلى العمل ، و لا يمكن حسب الخطاب القرآني الفصل بين أجزائها ، و في تفسير قوله – تبارك و تعالى - : **{إِنَّ الَّذِيـــنَ آمَـــنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }**[2].

يذكر العلماء أن الرسل و الأنبياء- عليهم السلام- كانوا متفقين في الدعوة إلى الإيمـــان بالله و اليوم الأخر ، و العمل الصالح ، و إنما كانوا يختلفون في تفاصيل الأعمال الصـــالحة ، بحســـب اختلاف استعداد أممهم[3].و هكذا يتجلى لنا أن الوصل بين العقيدة والشـــريعة منهج جميع الأنبياء أكد عليه القرآن الكريم ليكون منهجا لكل البشر في كل زمان و مكان .

---

(1) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج21. ص 91.
(2) البقرة / 62.
(3) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي . ص 168.

المبحث الثاني :

التأطير العقدي للأحكام الشرعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ-إحاطتها بالإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر :

تحـــدث القرآن الكريم على الإيمان بالله ، و الإيمان بالحياة الآخرة حديثا مستقلا عن التشريع في كثير من الآيات القرآنية فقدم لنا الأدلة المقنعة على وجود الله – عز و جل – و وحدانيـــته بمـــا لا يبقي مجالا للشك في ذلك ، و أعطانا البراهين العقلية على وجود حياة أخرى تجعل المؤمن يسير وفق هدف واضح في الحياة .

و قد كانت مهمة القرآن المكي الأساسية ، البناء العقدي فاقتلع من نفوس العرب الانحـــرافات العقدية التي كانت تسيطر على عقولهم من شرك و تمسك بمظاهر للعبادة لا صـــلة لها بالحقيقة ، فأرجع أغلبهم بالأدلة المقنعة إلى توحيد الله – عز و جل – و لما كان الإيمان الصحيح لا يتحقق إلا بالعمل الصالح ، فبعدما تحققت القاعدة الإيمانية دعاهم الله – سبحانه و تعالى – إلى الالتزام بمجموع الأحكام التي شرعها لهم في القرآن المدني .

و حين تتبعنا للآيات التي تتحدث عن الأحكام الشرعية نلاحظ أن القرآن الكريم، قـــد ربـــط أغلب هذه الأحكام بكليات العقيدة ربطا متينا ، فبعدما فصل هذه الكليات تفصيلا بنائيا في القرآن المكي ، أصبحت في غالب الأحيان تذكر مع الأحكام الشرعية من أجل حراسة تطبيقها و تذكير المسلم بعقده مع الله – عز و جل – فدور العقيدة موجود يقينا في القرآن كله مكيه و مدنيه لكن بصورة مختلفة .و لعل أهم هذه الكليات العقدية : الإيمـــان بالله و الإيمان باليوم الأخر ، فكثير من الآيات التي عرضت الأحكام بدئت بنداء الإيمان :" ياأيها الذين آمنوا "، و منها ما أحيط بالإيمان بالله و اليوم الأخر .

و الحكمة في ذلك تكمن في أن الإيمان بالله من شأنه أن يجعل حياة الإنسان رهينة لله – تبارك و تعالى – فتصبح كل حركاته تسير في الاتجاه الذي رسمه له الله – عز وجل، فهو إذا تمكن من نفس المؤمن كان قوة دافعة له لفعل الخيرات و تجنب كل ما نهى الله – تعالى – عنه .

إن ربط الأحكام بالإيمان بالله – سبحانه و تعالى – يحقق أمرين أساسين :

الأول : تذكـــير الإنسان بعلاقته بالله – عز و جل – فيصبح ذلك كأنه استدلال على حقية هذه الشرائع بحقية مصدرها ، و هذا الذي يعطيها القدسية في المجال التطبيقي .

الـــثاني : التأكيد على أن الإيمان إذا كان صحيحا ، فإنه لابد أن ينتج عنه الالتزام والانضباط في تطبيق أحكام الله و أوامره .

أمـــا بالنســـبة إلى الإيمـــان بالحياة الآخرة فالسر في ذلك يكمن في كون الاعتقاد بوجود حياة أخرى يجعل الحياة الدنيا مستقيمة بما يثمره هذا الإيمان من استشعار المسؤولية في أداء المؤمن الجانب التطبيقي من الدين .

فحـــين تذكر الأحكام الشرعية مرتبطة بالبعد الآخر (أي حياة الخلود) فإن في ذلك تحفيزا للإنسان المؤمن على الانضباط في أدائها .

إن في هـــذه الإعادة تحقيقا لهدفين : الأول : تذكير المؤمن بما عرفه من أمور تتعلق بالحياة الآخرة مثل : دلائل وجودها ، الحياة البرزخية و ما يحدث فيهاوأحداث يوم القيامة ...فيكون ذلك باعثا له على استشعار المسؤولية ، و استحضار القانون الإلهي :

{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه.وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه }[1].

الثاني يحدث بالنسبة لمن لا يعرف الأمور المتعلقة بالآخرة ، فيكون ذلك مدعاة له لمراجعتها قبل فوات الأوان .

إن الإيمـــان بالله و الإيمان بعقيدة الآخرة هما اللذان جعلا المسلمين الأوائل يحققون أرقـــى درجات السمو الروحي و الحضاري ، و لم تكن الدنيا بكل مغرياتها لتحول بينهم وبـــين ما وضعه القرآن الكريم من ضوابط و حدود للسير عليها . لقد كان هدفهم نبيلا وغايتهم واضحة ، فحين عرفوا الله و أحبوه عملوا على مرضاته في الدنيا ، و يوم تعرض عليه أعمالهم لا يخفى منها شيء .

و يمكن القول إن العمل الصالح أو تطبيق الأحكام الشرعية هي الجسر الذي يصل بـــين الإيمان بالله – عز و جل – و تحقيق سعادة الخلود في الحياة الآخرة و هو أيضا من لوازمهـــا ، فمـــن آمـــن بالله و عرفه عرف حقه في الطاعة و العبودية ، و من خاف من مصيره التزم بما أمره الله – عز و جل - .

---

[1] الزلزلة / 7-8.

أ - الآيات المتصدرة بنداء الإيمان و منها :

يقول – تعالى – :

- { يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[1].

- { يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[2].

- { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[3].

- { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ... }[4].

- { يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[5].

- { يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا}[6].

و عـدد الآيات التي بدئت بنداء الإيمان : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} 85 آية و كلها مدنـية ، و نـداء المؤمنين بهذا النداء : محبب إليهم ، يجعل من ينادى به يخجل من عدم الاستجابة لما ينادى إليه ، ففيه استجاشة لقلوبهم بالصفة التي تربطهم بالله – عز و جل – ونداؤهم بهذه الصيغة كأنه يقول لهم : إن كنتم فعلا مؤمنين فإيمانكم يتطلب الاستجابة لما تدعون إليه من أحكام .

و عـن هذه النداءات المتكررة يقول سيد قطب : ((إنه النداء بصفة الإيمان الذي معـناه و مقتضـاه الاعـتراف بألوهـية الله وحـده ، و الاعـتراف له – سبحانه –

---

(1) البقرة / 178.
(2) البقرة / 183 .
(3) المائدة / 90.
(4) المائدة / 95.
(5) النور / 27.
(6) الأحزاب / 49.

بالحاكمية..فهو نداء التذكير و التقرير لأصل الإيمان و قاعدته .. إن قضية التشريع مرتبطة بقضية الألوهية ، و الحق الذي ترتكز عليه الألوهية في الاختصاص بتنظيم حياة البشر هو أن الله هو خالق هؤلاء البشر و رازقهم ، فهو وحده صاحب الحق إذن في أن يحل لهم ما يشاء من رزقه و أن يحرم عليهم ما يشاء .. وهو منطلق يعترف به البشر أنفسهم فصاحب الملك هو صاحب الحق في التصرف فيه ، و الخارج على هذا المبدإ البديهي معتد لا شك في اعـــتدائه ، و الذين آمنوا لا يعتدون بطبيعة الحال على الله الذي هم به مؤمنون ، و لا يجتمع الاعتداء على الله و الإيمان به في قلب واحد على الإطلاق))[1].

إن نداءات الإيمان فيها دعوة إلى الالتزام بشرع الله – تبارك و تعالى – فهي تؤكد على أسماع المؤمنين أنه لا ينفع إيمان دون عمل و لا ينفع الفصل بين الإيمان بالله و الالتزام بتشريعه .

ب – بعض الآيات التي أطرت فيها الأحكام بالإيمان بالله و الإيمان باليوم الأخر .

1 – **في مجال الإنفاق في سبيل الله** :

يقـــول – تـــبارك و تعالى – : **{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْـــنَاهُمْ يُـــنفِقُونَ.وَالَّذِيـــنَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }**[2].

و يقـــول : **{ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ}**[3].

و يقـــول : **{ آمِـــنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ }**[4].

كـــل الآيات السابقة أحاطت الإنفاق في سبيل الله ، بالإيمان بالله و الإيمان بالحياة الآخرة أو ما يتعلق بها من جزاء ، و إحاطة الإنفاق بكليات العقيدة يوحي للمسلم أنه في

---

(1) سيد قطب : الظلال : ج7 . ص 969-970.
(2) البقرة / 3-4.
(3) إبراهيم / 31.
(4) الحديد / 7.

إخـــراجه للزكاة أو الصدقات الأخرى إنما هو يعطي مما رزقه الله – تعالى – فهو ينطلق في ذلك امتثالا للأمر الإلهي ، و ليس انطلاقا ذاتيا فهو وظيفة و مسؤولية إيمانية .

و الـــذي نلاحظـــه انه إلى جانب تصدر الإيمان بالله للآيات فإنها نسبت المال إلى مصدره الحقيقي : الله – تبارك و تعالى – :

-{ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} .

-{ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ } .

-{ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } .

و نستخلص من هذه الآيات أن الإيمان بالله – تبارك و تعالى – يستوجب الإنفاق في ســـبيله ، كما أن ما يترتب على الإنفاق من جزاء في الحياة الآخرة من دواعي الالتزام بالعمل .

و إذا وقفنا مع الآيات الأولى من سورة البقرة نجد قوله – تبارك و تعالى – : { يُؤْمِـــنُونَ بِالْغَيْبِ } و هذا الإيمان يندرج تحته الإيمان بالله – تبارك و تعالى – والإيمان بكـــل المغيبات فيدخل تحته كذلك كل ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول – صلى الله عليه و سلم – بأنه واقع أو سيقع[1].

و **الإنفاق** : لغة : من نفق الشيء : مضى و نفذ[2].

أمـــا **اصطلاحا** : فهو إعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس و الأهل والعيال و مـــن يرغـــب في صلته و التقرب لله بالنفع له من طعام أو لباس ، و منه ما هو واجب وحق على صاحب الرزق للقرابة و المحاويج من الأمة و نوائبها كتجهيز الجيوش و الزكاة و بعضـــه محـــدد و بعضه تفرضه المصلحة الضرورية أو الحاجية ، و كل هذا مفصل في الكتب الفقهية[3].

و في ربط الإنفاق بالله – تبارك و تعالى – في هذه الآيات إيحاءات عقدية لمفهوم وحقيقة المال في الإسلام إذ أفادت أن : الإنسان إذا كان مرتبطا بالله – تبارك و تعالى –

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 . ص 73. وانظر ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج1 . ص 229.

(2) الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص 523.

(3) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج1 . ص 235.

فهـــو يقر أن كل ما لديه من مواهب إنما هي لله أودعها عنده لفترة زمنية ، و هذا الإقرار يجعله غير مترعج من الإنفاق ، بل يسره ذلك ، و هذا يطهره من البخل و الحسد و يجعله إنسانا فعالا في الحياة .

أمـــا قوله – تبارك و تعالى – : { وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } فمعناه أن الإيقان بأن الإنسان لا يترك دون جزاء ، و اعتقادهم بأن حياة الإنسان لا تنتهي بالموت فتذهب عبثا لا طـــائل تحته يجعلهم يقبلون على فعل الخيرات ((هذا اللون من التفكير يبعث في نفس حاملـــه الهـــدوء و الســـكينة ، و يجعله يتحمل أعباء المسؤولية ، و مشاقها بصدر رحب ويقـــف أمـــام الحوادث كالطود الأشم ، و يرفض الخضوع للظلم ، و هذا التفكير يملأ الإنســـان ، ثقة بان الأعمال – صالحها وطالحها – لها جزاء و عقاب ، و بأنه ينتقل بعد الموت إلى عالم أرحب خال من كل ألوان الظلم و يتمتع فيه برحمة الله الواسعة و الطاقة الغزيرة .

الإيمـــان بـــيوم القيامة يصون الإنسان من ارتكاب الذنوب بعبارة أخرى يتناسب ارتكابـــنا للذنوب مع إيماننا بالله و اليوم الآخر تناسبا عكسيا ، فكلما قوى الإيمان ، فلت الذنوب ، يقول – تعالى – : { وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَـــنْ سَـــبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }[1]. فنسيان يوم الحساب أساس كل طغيان وظلم و ذنب و بالتالي أساس استحقاق العذاب الشديد[2].

2 – الربـــا :

يقول – تبارك و تعالى – : { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الـــرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ .إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ

---

(1) ص / 26.

(2) ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل . ص 75-76.

مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[1].

و الربا : لغة : النماء و الزيادة[2].

اصطلاحا : الزيادة في العدد أو الوزن و التأخير[3].

و يقع على وجهين :

الأول : السلف بزيادة ، على ما يعطيه المسلف .

و الثاني: السلف بدون زيادة إلى أجل ، أي : إذا لم يوف المستلف أداء الدين عند الأجل كان عليه أن يزيد فيه زيادة يتفقان عليها عند حلول كل أجل[4].

و الربا محرم بنصوص القرآن الكريم و أحاديث الرسول – صلى الله عليه و سلم – وإجماع علماء المسلمين ، يقول ابن قدامة ((و الربا على ضربين : ربا الفضل و ربا النسيئة ، و أجمع أهل العلم على تحريمهما))[5].

و لن أستطرد في الحديث على أنواع الربا و كل ما يتعلق به من تفاصيل وهي مبسوطة في الكتب الفقهية و إنما سأركز على منهج القرآن الكريم في تقريره لحكم الربا .

و هذه الآيات هي الآيات التي ختم بها الله – تبارك و تعالى – حكم الربا مبينا تحريمه تحريما قاطعا لا يحتمل التأويل ، موضحا حال آكل الربا بأنه لا يقوم إلا كقيام من به مس شيطاني.و قد ذكر ابن عاشور أن الآية على المعنى الحقيقي وعيد لهم بابتداء تعذيبهم من وقت القيام للحساب إلى أن يدخلوا النار ، أما على المعنى المجازي ، فهي تشنيع ، أو توعد بسوء الحال في الدنيا و لقي المتاعب و مرارة الحياة تحت صورة يخالها الرائي مستقيمة[6].

---

(1) البقرة / 275-281.
(2) الرازي : مختار الصحاح . مادة : ربا. ج1 . ص 98.
(3) ابن عاشور : التحرير والتنوير .ج3.ص 81.
(4) المرجع نفسه. ج3 . ص 81.
(5) ابن قدامة : المغني و الشرح الكبير . ج4 . ص 134.
(6) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج3 . ص 81-82.

و هذه الآيات التي ورد فيها تحريم الربا – أطرت هذا الحكم تأطيرا عقديا متينا – وركزت على الجانب الإيماني : الإيمان بالله و الإيمان باليوم الآخر .

ففي قوله – تبارك و تعالى – : { **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْـرُهُ إِلَى اللَّهِ** }[1] فيه وعد من الله بالجزاء الحسن يقابله قوله – سبحانه – : { **وَمَنْ عَـادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** }[2] فإن منهم كثيرا قد شق عليهم ترك التعامل الربوي فجعل الله – عز و جل – عدم إقلاعهم عنه إمارة على كذب إيمانهم و قد يكون المعنى العودة إلى المعاملة بالربا فيكون معنى الخلود في النار : طول المكث[3].

وورد قولـه- عز و جل – : { **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُـلَّ كَفَّـارٍ أَثِيمٍ** }[4]. هذه الآية تشير إلى مقارنة بين سلبيات الربا و إيجابيات الصدقة في مقابلـة ذلـك . و قوله : { **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** } جملة إعتراضية تفيد أن الربا من شعار الكفار ، فهذا تعريض بأن المرابي متسم بخلال المشركين[5].

فيريد الله – تبارك وتعالى – اختبار المؤمنين ، فإن كانوا فعلا مؤمنين فسيتخلون عن شعارات الكفار و خصالهم ، وإن لم يكونوا كذلك فسيتمسكون بها .

و تـأتي بعـد ذلك قاعدة من قواعد القرآن و سنة من سنن الله – عز و جل – لـتجعل المؤمنين يعيدون مراقبة تصرفاتهم ، و هي قوله – تبارك و تعالى – : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** }[6].

إن الإيمـان إن ارتبط بالعمل الصالح و حقق مقاصده في ترك الحرام و المنهي عنه حقـق لصاحبه السعادة في الدنيا و الآخرة ، ((و هذا أسلوب قرآني مميز يثير أمام الحكم الشـرعي الـذي يدعو الإنسان إلى السير عليه أجواء الآخرة فيما ينتظره من عقاب على تقديـر المعصية ، و ثواب في حالة الطاعة ، و قد أراد الله في هذه الآية أن يوحي للإنسان

---

(1) البقرة / 275.
(2) البقرة / 275.
(3) ابن عاشور: التحرير و التنوير . ج3 ص 91.
(4) البقرة / 276.
(5) ابن عاشور : لتحرير و التنوير . ج : 3 . ص 91.
(6) البقرة / 277.

بأن قضية الربا تمثل جزء من كل في الشخصية المؤمنة المتكاملة التي تعمل الصالحات وتقوم بالصلاة و إيتاء الزكاة ، مما جعل الإيمان عنصرا حيا لا ينفصل عن العمل في نجاة الإنسان من العقاب ، و حصوله على الثواب))[1].

ثم يعاود القرآن الكريم مخاطبة المؤمنين مناديا لهم بنداء الإيمان مستجيشا فيهم تقوى الله – عز و جل – لأنها أصل الامتثال و الاجتناب فقال – عز وجل-: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ }[2].فقد بدئت هذه الآية بنداء الإيمان و ختمت بذكره مما يدل دلالة واضحة على عدم انسجام الربا مع الإيمان بالله – تبارك و تعالى – .و يذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عمير من ثقيف، و بني المغيرة من بني مخزوم ، كان بينهم ربا في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه ، طلبت ثقيف أن تأخذه منهم ، فتشاورا ، و قالت بنو المغيرة لا نؤدي الربا في الإسلام بكسب الإسلام ، فكتب في ذلك عتاب بن أسيد ، نائب مكة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنزلت هذه الآية ، فقالوا : نتوب إلى الله و نذر ما بقي من الربا فتركوه كلهم[3].

و في الآية الموالية تهديد شديد لمن لا يقلع عن المعاملات الربوية فإن كان على الناس إمام عادل كان حقا عليه استتابة من يفعل ذلك فإن نزع ، و إلا ضرب عنقه وفسر بعض العلماء الحرب في الآية بأنها الفشل في الناحية الاقتصادية ، و إشاعة الخلاف و تسلط العدو و نزول الكوارث الطبيعية[4].

و قد جاء أسلوب الترهيب في هذه الآية بهذه القوة ، لأنه يتعلق بقضية مصيرية للمجتمع ((لأن الله – سبحانه – يريد للقضايا التي تتعلق بمصلحة الناس العليا التي تتعلق بسلامة المجتمع في الخطوط العملية في نطاق العلاقات المادية والإنسانية في مدلولها الأخلاقي و العملي أن يكون موضوعا حاسما لا يتهاون الإنسان فيه و لا يتسامح ، لأن الانحراف لا يمس الفرد ، بل يشكل الخطر على السلامة العامة للناس ، و لهذا فإن الإنسان

---

(1) محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن . ج5 . ص 101.
(2) البقرة / 278.
(3) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 . ص 587.
(4) المرجع نفسه : ج1 ص 587 . و انظر : محمد تقي المدرسي: من هدي القرآن . ج1 . ص 473-474.

الذي يسيء إلى التنظيم الاجتماعي للحياة لابد له من أن يواجه الدخول في حرب شديدة من الله ورسوله، الأمر الذي ينذر بالهول و الرعب و الشعور بالانسحاق أمام القوة العظيمة الهائلة التي لا حد لها))[1] ، و قد خاطب الله – تبارك و تعالى – الجانب الروحي الذي يرتفع به و يتسامى إلى أجواء التضحية و العطاء ، في مقابل تحقيق ما هو أفضل عند الله { **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** }[2].

فما عند الله من المكاسب خير من الحسابات المادية التي تخضع للربح والخسارة في الحياة الدنيا و ينتهي الأمر ، يقول الرسول صلى الله عليه و سلم : ((أظل الله عبدا في ظله يوم لا ظل إلا ظله أنظر معسرا أو ترك لغارم))[3].

و تختم الآيات التي حرمت الربا بقوله – تبارك و تعالى – : { **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** }[4]. و قد ذكر العلماء أن هذه الآية هي آخر ما أنزل من القرآن الكريم[5]. و فيها تذكير من الله – عز وجل – لعباده المؤمنين بيوم القيامة ، يوم تعرض عليهم أعمالهم أمام الله فلا يظلمون و لا يظلمون ، و هذا لترهيبهم ارتكاب ما نهى الله عنه والترغيب في فعل ما أمر به ((من المألوف في القرآن أنه بعد بيان تفاصيل الأحكام ، وجزئيات الشريعة الإسلامية ، يطرح تذكيرا عاما شاملا ، يؤكد به ما سبق قوله، لكي تنفذ الأحكام السابقة نفوذا جيدا في العقل و النفس ، لذلك فإنه في هذه الآية يذكر الناس بيوم القيامة و يوم الحساب و الجزاء ، و يحذرهم من اليوم الذي ينتظرهم حيث يوضع أمام كل امرئ جميع أعماله دون زيادة و لا نقصان ، و كل ما حفظ في ملف عالم الوجود يسلم إليه دفعة واحدة ، عندئذ تهوله النتائج التي تنتظره ، و لكن ذلك حصيلة ما زرعه بنفسه و ما ظلمه فيه أحد إنما هو نفسه ظلم نفسه))[6].

---

(1) محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن .ج5. ص 102.
(2) البقرة / 280
(3) أخرجه أحمد في مسنده (1 /73).
(4) البقرة / 281.
(5) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 . ص 591-592.
(6) ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل . ج2 . ص 250.

لقـــد تميز منهج القرآن الكريم في عرضه للأحكام الشرعية بإحاطتها بالإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ليعطيها القدسية في مجال التطبيق .

ب- إتباعها بالحديث عن الكون :

حين نتتبع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأحكام الشرعية نلاحظ أنها في كثير مـــن الأحـــيان تتبع بالحديث عن الكون و منها : قوله -تعالى -: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَـــالَمِينَ.وَأَنْ أَقِـــيمُوا الصَّـــلَاةَ وَاتَّقُـــوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ }[1].

وقولـــه -عـــز وجـــل-: {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْـــنَاهُمْ سِـــرًّا وَعَلَانِـــيَةً مِـــنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ.اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...}[2].

وقولـــه أيضا : -سبحانه- بعد آيتي الدين و الرهن : {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِـــي الْـــأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[3].

و بعـــد مجموعـــة من الأحكام المتعلقة بالأسرة و الآداب الاجتماعية يأتي قوله -تعـــالى-: { أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ.وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }[4]

و بتتبعـــنا لهذه الآيات و غيرها من أمثالها يمكن أن نستنتج أن الحكمة من الحديث عن الكون بعد الأحكام الشرعية ترجع إلى :

أ -تعلـــيل الألوهية : فالله -تبارك و تعالى- يدعونا إلى تطبيق الشريعة : عبادات و معـــاملات ثم يأتي بالحديث عن الكون ، لنرى من خلاله دلائل القدرة الإلهية و آثارها فـــيكون ذلك تعليلا لأحقية الله -تبارك و تعالى- بالعبودية . فالذي خلق و تجلت أسماؤه و صفاته في هذا الكون يستحق أن نتوجه إليه بالعبادة عن طريق الاستجابة لمحتوى الشريعة

---

(1) الأنعام / 71-73.
(2) إبراهيم / 31-32.
(3) البقرة / 284.
(4) النور / 41-42.

2-الإنسان جزء من الكون الذي خلقه الله -تبارك و تعالى- طائعا مسبحا بحمده. فالحديث عن الكون بعد الأحكام يمكن أن يستجيش في نفس الإنسان دواعي الرهبة من الله و كذلك دواعي الرغبة في الإقبال عليه . فحين يعيد نظره إلى الكون و يراه مسبحا على صورة دائمة يمكن أن يثير ذلك في نفسه روح الإقبال على التسبيح بسماعه و رؤيته لمختلف الكائنات مصلية مسبحة . و في تفسير قوله -تبارك و تعالى- : **{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[1].

يذكر محمد حسين فضل الله أن فيها : ((إيحاء للإنسان في نظرته إلى الله بالتطلع الدائم إلى الكون فيما يشتمل عليه من قوى كونية تفرض على القلب سيطرتها أو فيما يتمثل من ظواهر طبيعية ، تأخذ بالنفس و الفكر فيها بشبه الرهبة و الدهشة ، أو فيما تتحرك فيه من طاقات متنوعة تثير في روحه الكثير من المشاعر و الأحاسيس التي تربطه بالأشياء فيما يوحي بالعبادة .إن هذه الآية و أمثالها توحي للإنسان بدراسة القدرة الخلاقة التي تكمن خلف كل هذه القوى و الظواهر، و الطاقات ليعرف بأن الله هو الذي يملك ما في السماوات و ما في الأرض من هذا كله، لأنه هو الذي أبدعها و خلقها ، الأمر الذي يجعل كل مشاعر الدهشة و التعظيم و التقديس موجهة إلى الله -سبحانه- في ذلك كله...فيشعر الإنسان أمامها بالحرية و الثقة الكبيرة لأنه يقف أمامها على قدم المساواة في عبودية الله ، بل ربما يشعر بالتفوق عليها من خلال الفكرة الدينية التي تقول له بأنها مسخرة له في حياته و لكن هذا الإيحاء لا يتجمد أمام هذه المشاعر ، بل ينطلق ليجعل الإنسان وجها لوجه أمام حركة المسؤولية في حياته الداخلية و الخارجية باعتباره من قوى الكون العاقلة المسؤولة التي يريدها الله أن تدخل في النظام الكوني الشامل على أساس الإرادة و الاختيار المرتبط بعبودية الإنسان لله ...

---

(1) البقرة / 284.

فيمتد ذلك في إحساسه بالرقابة الدقيقة التي تعرف خلفيات الأعمال في داخل النفس فلا تكتفي بالنظر إلى ظواهرها ...و ينطلق الحساب في هذا الاتجاه مما يجعل الإنسان منضبطا أمام تكاليفه الشرعية في أعماله التي يتحمل مسؤوليتها إذا عصى و تمرد))[1].

إن الحديث عن الكون بعد الأحكام الشرعية يربي في الإنسان استشعار المسؤولية في أداء الشريعة ، لأن تأمله في الكون يربطه بالله – عز و جل – إذ هو تذكير له بوجود الله و اتصافه بجميع صفات الكمال التي توحي له بقيومية الله ، و أنه جزء صغير من هذا الكون المملوك له – سبحانه – . فكأن الحديث عن الكون بعد الأحكام استدلال على أحقيتها بالاستدلال على أحقية مصدرها . و كل هذا من أجل الإلزام التطبيقي على المستوى الواقعي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن . ج5 . ص 122

المبحث الثالث :

الترغيب والترهيب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ- مفهوم الترغيب والترهيب

من الجسور التي وصل بواسطتها القرآن الكريم بين العقيدة و الشريعة . أسلوب الترغيب و الترهيب ، و هو أسلوب قويم يجعل المسلم يصل بين عمله وعقيدته لما يتحقق في نفسه من دوافع الرغبة و الرهبة ، فتجعله متوازنا مقيما لحدود الله- تعالى-.

ا -الترغيب :

لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور :رغب يرغب رغبة ، إذا حرص على الشيء وطمع فيه . و الرغبة السؤال و الطمع ، و رغب في الشيء رغبة أو رغبى على قياس سكرى ، و رغبا بالتحريك : أراده فهو راغب. و رغب النفس: سعة الأمل وطلب الكثير ، و رغب عن الشيء : تركه متعمدا و زهد فيه و لم يرده[1].

كما ورد في كتاب المفردات للراغب الأصفهاني أن الرغبة : السعة في الشيء . ويقال : رغب الشيء : اتسع ، و حوض رغيب ، و فلان رغيب الجوف ، و فرس رغيب العدو . و الرغب : السعة في الإرادة[2] .

يقول تعالى :{ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا }[3].

فإذا قيل : رغب فيه ، و إليه : يقتضي الحرص عليه ، يقول -تعالى-: { إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ }[4].

وإذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه ، و الزهد فيه نحو ، قوله- تعالى- : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ }[5] و قوله : { أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي }[6].

و الرغيبة : العطاء الكثير.

---

(1) ابن منظور : لسان العرب . مادة : رغب . ج : 1 . ص 423.
(2) الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص 204.
(3) الأنبياء / 90.
(4) القلم / 32.
(5) البقرة / 130.
(6) مريم / 46.

أما اصطلاحا :

فـــإن الترغيب يعني : الحث على فعل الخير و أداء الطاعة ، و الاستقامة على أمر الله- عـــز وجـــل-. وقدجاء في القرآن و السنة النبوية مقرونا ببشريات كثيرة و حكم مذكورة للفوز بسعادة الدارين[1].

و كـــل ما جاء في القرآن يعد المؤمنين بالأجر الحسن في الدنيا أو الآخرة يندرج تحت معنى الترغيب.

2- الترهيب :

لغـــة : يقـــول ابن منظور في مادة: رهب : بالكسر رهبة و رهبا بالضم ورهبا بالتحريك : أي خاف . و رهب الشيء رهبا رهبه: خافه.

- و ترهب غيره : إذا توعده .
- و أرهبه رهبة و استرهبه : أخافه و فزعه.
- و استرهبه اشتد في رهبته حتى رهبه الناس
- و ترهـــب الـــرجل : أي صـــار راهـــبا يخشـــى الله ، و الراهب المتعبد في الصومعة[2].

وذهب الأصفهاني في كتابه المفردات إلى المعنى ذاته عندما عرفها بقوله :

((الرهـــبة و الرهـــب : مخافة من تحرز و اضطراب . يقول -تعالى -: **{ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ }**[3]، و قرئ من الرهب : أي الفزع.و الترهب : التعبد و هو استعمال الرهبة.و الإرهاب فزع الإبل و إنما هو من أرهبت))[4]..

أما اصطلاحا :

فهو وعيد و تهديد بعقوبة تترتب على اقتراف ذنب أو إثم مما نهى الله عنه أو على الـــتهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، و إظهار

---

(1) محمد الغزالي : مع الله . ص 240.
(2) ابن منظور : لسان العرب . مادة : رهب . ج1 . ص 437.
(3) القصص / 32.
(4) الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص209

صـــفة مـــن صـــفات العظمـــة الإلهية ليكونوا دائما على حذر من ارتكـــاب الهفوات و المعاصي[1].

3-الترغيب و الترهيب من منظور تربوي:

يعتـــبر أســـلوب الترغيـــب و الترهيب من الأساليب التربوية الناجحة التي تجعل الإنسان مستقيما في تصرفاته ، متوازنا في شخصيته . و يرى المربون أنه لا بد من ممارسته في البيت و المدرسة لتقويم سلوك الفرد . يقول محمد صالح سمك : ((إن أسلوب الترغيب و الترهيـــب من الأساليب التي لا يستغني عنها المربي في كل زمان و مكان ، فهناك نتائج سارة أو مؤلمة وراء عمل الإنسان و سلوكه ، فإن عمل خيرا نال السرور و الحلاوة ، وإن عمل شرا ذاق الألم و المرارة، فالصبي يعيش في المدرسة التي تعده للمجتمع و الذي يصنع الحدود و القوانين و العقوبات ، لذلك عليه أن يتحسس أو يعي المسؤولية))[2].

فعـــلى قدر ما يخاف الإنسان ، و على قدر ما يرجو يتخذ منهجا لحياته ويحاول التوفـــيق بـــين أهدافـــه و تصـــرفاته . يقول محمد قطب : ((فالخوف و الرجاء بقوتهما وتشـــابكهما و اختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه يوجهان في الواقع اتجاه الحياة و يحددان للإنسان أهدافه و سلوكه و مشاعره و أفكاره ، فعلى قدر ما يخاف و نوع ما يخاف ، وعلى قدر ما يرجو يتخذ لنفسه منهج حياته و يوفق بين سلوكه و بين ما يرجو و ما يخاف))[3].

4- الترغيب و الترهيب في القرآن الكريم :

لقـــد أثـــر القرآن الكريم على حياة المسلمين تأثيرا عظيما ، و لعل السر في ذلك يـــرجع إلى منهجه في التوفيق بين الناحية العقدية و الناحية العملية بخطاب جمع بين العقل والعاطفة.

و قد استخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب و الترهيب ليجعل المسلمين يجمعون في حـــياتهم الدنيا بين الناحية العقدية و الناحية العملية . فكل الآيات التي وردت في هذا

---

(1) عبد الرحمان النحلاوي : أسس التربية الإسلامية و أساليبها. ص 287.
(2) محمد صالح سمك : فن التدريس للتربية الدينية و ارتباطاتها النفسية و أنماطها السلوكية . ص 607-609.
(3) محمد قطب: دراسات في النفس البشرية . ص 76-77.

المجـال إنمـا تؤكد ضرورة الارتباط بين الإيمان و العمل ، و أن الإخلال بذلك يوجب الوعيد.

و قـرن الله - سبحانه و تعالى - الوعد بالوعيد و أكثر من ذكرهما لينبه على أن المؤمـن لا بد أن يعتدل خوفه و رجاؤه ، و ليظهر للطائعين كمال رحمته بهم ، وبوعيده للعصاة كمال عدله و حكمته معهم فيصير هذا دافعا إلى دوام الطاعة وإنذارا للعاصي لعله يرجع عن غيه ، و قد يغلب أحدهما (الوعد و الوعيد) لأنه المناسب لمقتضى الحال.

و قـد سـلك رسل الله -عليهم السلام- هذا المنهج كما يخبرنا القرآن عن ذلك و ذلك لأهداف كثيرة منها عدم تجزئة الدين كما حدث مع قوم شعيب.

يقول -تبارك و تعالى- :{ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** }[1]. و لكي نستطيع إعادة الصلة بين العقيدة و الشـريعة في المجتمع الإسلامي يعتبر هذا المنهج من أنجع الأساليب ، كما يمكن أن يعيد التوازن إلى شخصية الإنسان المسلم.

يقول محمد طلعت أبو صير :((و الترغيب و الترهيب جزء من منهج الدعاة إلى الله -عز وجل- الذي يهدف إلى تحقيق التوازن في داخل الإنسان ، وتحقيق أهدافه و سلوكه بمـا يـتفق و الغايـة من وجوده و هو يوجه إلى القيم الحقيقية التي تكتسب بها النفس الطمأنيـنة وتفـوز برضـوان الله الذي يحيطها بالرعاية العلوية ويخصها بالتكريم على أن خـوف إنما يكون من الله الذي بيده كل شيء ، و كل ما عاداه مسخر له و الخوف منه لا طـائل تحـته ، لأنه لا يستطيع أن يغير شيئا فضلا عن تبديده للطاقة و تدميره للكيان و الدعـاة إلى الله – عز وجل – إذا ما أحسنوا استخدام منهج الترغيب و الترهيب كما جاء به رسل الله – تعالى – ودعاته في القرآن أمسكوا بزمام النفس ، و غرسوا فيها كل صـالح مـن الخلـق لتنطلق عاملة في سبيل الخير بعيدة عن الشر و الانحراف عن الطريق المستقيم))[2].

و حـين نتتـبع آي الذكـر الحكـيم نلاحظ جمع القرآن بين الإيمان و العمل و الجزاء ،والحديث عن الكفر و العصيان و العقاب .

---

(1) الأنعام / 48.

(2) محمد طلعت أبو صير :الدعاة إلى الله في القرآن الكريم و مناهجهم . ص 401.

و هذا يؤكد قاعدة أن الجزاء الإلهي يكون على الإيمان مقرونا بالعمل و أن مقابل الإيمان ليس الكفر النظري فقط ، يقول محمد حسين فضل الله : ((جرى الأسلوب القرآني على الحديث عما ينتظر المؤمنين من رضوان الله ، و ثوابه جزاء لإيمانهم و عملهم الصالح في كل مورد يتحدث فيه عن الكافرين و عما ينتظرهم من عذاب النار جزاء لكفرهم و طغيانهم))[1].

و قد رغب القرآن الكريم الذين يجمعون بين الإيمان و العمل الصالح بالتمكين في الأرض و بالتوبة وبتكفير السيئات و بالجنة .و رهبهم بأن يصيبهم مثل ما أصاب القرى التي عتت عن أمر ربها والخلود في النار.

ب – نماذج من آي الترغيب و الترهيب في القرآن الكريم :

ا –الترغيب بالتمكين في الأرض :

لقد وعد الله – تبارك و تعالى – المؤمنين بالتمكين لهم في الأرض إن هم التزموا خط الطاعة بجانب الإيمان ، و جعل ذلك سنة من سننه في قيام الحضارات و دمارها فإذا التزمت التطبيق العملي لأحكام الشريعة جعل ذلك سببا يضمن لها البقاء و الاستمرار في الخلافة ، فإذا انحرفت كان هذا الانحراف نقضا لوعد الله فأصبحت لا تستحق خلافته ونالت الدمار ، و التاريخ البشري يشهد على التلازم بين التمكين و الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة .

يقول – تبارك و تعالى – : **{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... }**[2].

و يقول – تبارك و تعالى – : **{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ }**[3].

---

(1) محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن : ج1 . ص 130.
(2) الأعراف / 96
(3) النور / 55.

فبالنسبة للآية الأولى :

وردت هـــذه الآية بعد الحديث عن قوم شعيب – عليه السلام – و ما لحقهم من دمار بسبب تفريطهم في الناحية العملية من الإسلام .(بخس الناس أشياءهم ، عدم إيفاء الكيل و الميزان).

فأخـــبرنا القرآن الكريم أن الذي حل بقوم شعيب من نقمة كان يمكن أن يتحول إلى بركات لو أنهم ربطوا إيمانهم بتقوى الله .

و الآيـــة و إن كانت نزلت في الحديث عن قوم شعيب فهي تحمل سنة من سنن الحياة . فالتمكين في الأرض يكون لمن يصل بين الإيمان و العمل .

و في تفســـير الآية يقول حسين فضل الله ((**آمَنُوا وَاتَّقَوْا**)) فانفتحوا على الله في مشـــاعرهم و أفكـــارهم و انفتحوا على الحياة بتطلعاتهم و غاياتهم .. وانطلقوا مع الناس الآخرين في علاقاتهم و معاملاتهم و عرفوا الإيمان كمنهج للفكر والعمل، و التزموا بالخط المســـتقيم الـــذي يـــريده الله و يرضاه و يرضى عمن سار عليه فيما تعطيه التقوى من الانضباط و الالتزام ...))[1].

فالإيمان بالله : يشمل التصديق .

أما التقوى : فتشمل : اتقاء المعاصي و عمل الصالحات .

والبركات :تشمل الخيرات النامية ، فمن السماء بكثرة الأمطار ، و طيب الهواء و مـــن الأرض بإخـــراج النـــبات و الثمار و تفجير العيون إلى غيرها من الخيرات المادية و قيل من البركات المعنوية : استجابة الدعاء[2].

فالإيمـــان و العمـــل بما أمر به الإسلام يوجبان سيادة مناهج الله – تعالى – وهذا يؤدي إلى ازدهار الحياة و الرفاه و الأمن .

يقول البقاعي : ((أوضحت هذه الآية أن التمكين في الأرض و فتح البركات يأتي لمن يؤمنون بالله – تبارك و تعالى – فقد أفادت لفظة ((الإيمان)) الجانب النظري ، وأفاد

---

[1] محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن .ج.10 . ص 123.

[2] محمد الحسيني الشيرازي : تقريب القرآن إلى الأذهان ج9 ص17.

قوسله ((اتقوا)) جانب العمل ، و ((اتقوا)) أي خافوا أمر الله ، و جعلوا بينهم و بين سخطه وقاية من طاعاته ، فاستمروا على إيمانهم))[1].

أما الآية الثانية :

فقد روى المفسرون في سبب نزولها ، أن الرسول -صلى الله عليه و سلم -عندما هاجر إلى المدينة استقبله و أصحابه الأنصار بترحاب ، و لكن العرب تحالفوا ضدهم هذا كان المسلمون يبيتون ليلتهم و السلاح إلى جانبهم لا يفارقهم ، إذ كانوا في حالة تأهب تام ، و قد تألم لهم ذلك ، حتى تساءل بعضهم : إلى متى يدوم هذا الوضع ؟ و هل يأتي زمن نستريح و تطمئن أنفسنا و لا نخشى إلا الله ، فنزلت هذه الآية[2].

و في صراع المؤمنين مع الكافرين و الطاغين، قد يصيبهم الضغط النفسي واليأس من إعادة السيادة ، بسبب كثرة التحديات التي تفرض عليهم داخليا وخارجيا ، كما هو الحال في واقعنا الحاضر ، من فرض الحصار المسيحي واليهودي و تكالبهم على المسلمين . ففي هذا الخطاب القرآني تبشير للمسلمين أنهم إن رجعوا إلى الالتزام بالإيمان و العمل الصالح ، فإنه سيمكن لهم في الأرض ، و هذا الخطاب إن التزمت شروطه تحققت الإجابة في أي زمان وفي أي مكان .

و قد جمع العلماء البشارات الموجودة في هذه الآية للمؤمنين إن هم التزموا بالإيمان و العمل الصالح ، في ثلاثة مكاسب :

1 – أنهم يستخلفون في الأرض .

2 – نشر تعاليم الحق بشكل أساسي و تطبيقه في كل مكان (من كلمة تمكين).

3 – انعدام جميع عوامل الخوف و الاضطراب ، و ينتج عن كل هذا أن يعبد الله بكل حرية ، و تطبق شرائعه و لا يشرك به[3].

و يتحدث سيد قطب عن الذي تتحقق به هذه البشارات فيقول :(إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله، و توجه النشاط الإنساني كله ، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل

---

(1) البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات و السور .ج3. ص74.

(2) سيد قطب : الظلال .ج18. ص2529 .

(3) ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل . ج4 . ص128.

ونشاط و بناء و إنشاء موجه كله إلى الله ،لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله ، و هي طاعة لله و استسلام لأمره في الصغيرة و الكبيرة ، لا يبقى معها هوى في النفس و لا شهوة في القلب ، و لا ميل في الفطرة إلا و هو تبع لما جاء به رسول الله – صلى الله عليه و سلم– من عند الله ، فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله بخواطر نفسه ، و خلجات قلبه وأشواق روحه ، و ميول فطرته ، و حركات جسمه ، و لفتات جوارحه ، و سلوكه مع ربه في أهله، و مع الناس جميعا .. يتوجه بهذا كله إلى الله ..))[1].

إن ترغيب المؤمنين بالتمكين في الأرض و جعل شرط ذلك الإيمان مع العمل الصالح ، يدفع المسلمين إلى مراجعة إيمانهم و أعمالهم ، من أجل استرجاع ما فقدوه من عزة ،و كرامة السيادة و الخلافة .

2 – الترغيب بالجنة :

الجنة : لغة : البستان فيه نخل و شجر ، و قيل البستان الذي سترت أشجاره وأرضه ، و كل شيء ستر شيئا فقد أجنه ، و من ذلك الجُنة و الجنة ، و الجن و المجن وسميت الجنة :إما تشبيها بالجنة في الأرض و إن كان بينهما بون و إما لستر نعمها عنا[2].

و قد ورد لفظ الجنة في القرآن الكريم بصيغة المفرد ، و الجمع في أغلب الآيات ، و ورد بصيغة المثنى في سورة الرحمان في قوله – تعالى – : **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}**[3].

- **{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ }**[4].
- **{ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ }**[5].

يقول سيد قطب : ((و لأول مرة فيما مر بنا تذكر الجنتان و الأظهر أنهما ضمن الجنة الكبيرة المعروفة ، و لكن اختصاصهما هنا بالذكر ، قد يكون لمرتبتهما))[6].

---

(1) سيد قطب : الظلال . ج18 . ص 2528.
(2) الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص 96-97.
(3) الرحمن/ 46
(4) الرحمن/ 54.
(5) الرحمن 62.
(6) سيد قطب : الظلال . ج27. ص 3457.

- و قـد ذكـر المفسرون أن سبب ذكرها بالجمع في القرآن الكريم ذلك لكون الجنان سبعة : جنة الفردوس ، و عدن و جنة النعيم ، و دار الخلد ، و جنة المأوى ، ودار السلام ، و عليين[1].

و قـد وصـف القرآن الكريم الجنة أوصافا رائعة ، ترغيبا للإنسان في ربط حياته بالإيمـان بالله – تبارك و تعالى – ، يقول النورسي عن الآيات التي تصف الجنة : ((إن آيـات القرآن الكريم التي تصف الجنة هي أجمل من الجنة و ألطف من حورها ، و أحلى مـن سلسـبيلها ، هذه الآيات لم تدع مزيدا لكلام))[2] ، و هذا الكلام و إن كان فيه مبالغة ففيه تعبير عن تأثير آيات الترغيب على الإنسان.

و سأذكر هنا بعض الأمثلة من الآيات التي تحدثت عن الجنة و أوصافها :

أ- **بصيغة المفرد** :

يقول – تبارك و تعالى – :

- **{وَالَّذِيـنَ آمَـنُوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**[3].

- **{أَمْ حَسِـبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُـوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }**[4].

- **{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }**[5].

- **{ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَـمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ }**[6].

---

(1) أبو السعود . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . ج1. ص69.
(2) النورسي : الكلمات . ص 585.
(3) البقرة / 82.
(4) آل عمران / 142.
(5) الزخرف / 72.
(6) محمد / 15.

ب- بصيغة الجمع :

يقول – تعالى – :

– {وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[1].

– {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[2].

– {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ }[3].

– {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ.أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ.فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.ثُلَّةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ.وَقَلِيلٌ مِنْ الْآخِرِينَ.عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ.مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ.يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ.بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ.لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ.وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ.وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ.وَحُورٌ عِينٌ.كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ.جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا.إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا }[4].

– {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ.جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ.}[5].

لقد وعد الله – تبارك و تعالى – المؤمنين العاملين الخلود في الجنة ووصفها لهم أوصافا مرغبة فيها . و قد تحدث الرسول – صلى الله عليه و سلم – عنها كلاما جامعا يقول:((قال الله – عز و جل – : **{ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن**

---

(1) البقرة / 25.
(2) النساء / 13.
(3) إبراهيم / 23.
(4) الواقعة / 10-26.
(5) الرعد / 22-24.

سمعـــت و لا خطر على قلب بشر))[1]،قال أبو هريرة و اقرؤوا إن شئتم ، {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}[2].

و قد حدثنا الرسول – صلى الله عليه و سلم – أن أفضل ما يراه أهل الجنة يوم القـــيامة الله –عز وجل –. فعن صهيب بن سنان عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال : ((إذا دخـــل أهـــل الجنة الجنة، يقول الله – تبارك و تعالى – : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة ، و تنجنا من النار ؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم))[3].

و عن جرير ابن عبد الله قال : كنا جلوسا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ نظر إلى القمر ليلة البدر . قال : ((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته))[4].

و عـــن الترغيـــب في رؤية الله في الجنة يقول النورسي : ((و يمكنك قياس مدى الشوق و اللهفة التي تنطوي عليهما فطرة الإنسان لرؤية الجمال ، المقدس والكمال ، المنزه و مدى ما فيهما من رغبة جياشة و توق شديد و التياع لشهودهما ، بالمثال : الآتي :

كل إنسان يشعر في وجدانه بلهفة شديدة لرؤية سيدنا سليمان – عليه السلام – الذي أوتي الكمال ، و يشعر أيضا بشوق عظيم نحو رؤية سيدنا يوسف – عليه السلام – الـــذي أوتي شطر الجمال ، فيا ترى كم يكون مدى الشوق واللهفة لدى الإنسان لرؤية جمال مقدس ، و كمال منزه ، الذي من تجليات ذلك الجمال و الكمال ، الجنة الخالدة

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: تفسير القرآن باب: سورة السجدة (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) حديث رقم 2424 . (3 / 276).

(2) السجدة / 17 .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب :الإيمان ، باب رؤية المؤمنين في الأخرة ربهم -سبحانه وتعالى- . حديث رقم 297 . (1 / 163) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : مواقيت الصلاة . باب : فضل صلاة العصر . حديث رقم 554 (3190/1) و في كتاب التوحيد ، باب: قوله تعالى :{وجوه يومئذ نضرة إلى ربها ناظرة}حديث رقم 7434. (390/4).

بجميع محاسنها ، و نعيمها ، و كمالاتها ، التي تفوق بما لا يحد من المرات محاسن الدنيا و كمالاتها))[1].

لقـــد جـــاء الترغيب بالفوز بالجنة في القرآن الكريم مشروطا بالوصل بين الإيمان وإتيان أوامر الله – تبارك و تعالى – و اجتناب نواهيه .

3 – الترهيب بالنار :

ورد الترهيـــب بالنار في مقابل الترغيب بالجنة في كثير من آيات القرآن الكريم ، وقد أعطى القرآن الكريم النار مسميات كثيرة : جهنم و لظى و سقر .

و مـــن الآيات التي ورد فيها الترهيب بالنار قصد الامتثال لأمور الشريعة قوله – عز وجل – :

– **{وَالَّذِيـــنَ يَكْـــنِزُونَ الذَّهَـــبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَـــذَابٍ أَلِيمٍ.يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُم ْهَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ }**[2].

فقـــد أفادت هذه الآية ((**وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)) انتقاء الإنفاق الواجب و هـــو الصدقات الواجبة ، إما وجوبا مستمرا ، كالزكاة و إما وجوبا عارضا كالنفقة في سائر الأحيان ، و عبرت الآية عن عذاب نار جهنم ، بالتبشير الذي أفاد الوعيد هنا على طريقة التهكم[3].

و قـــد ورد عن الرسول – صلى الله عليه و سلم – في الترهيب بالنار على عدم أداء الزكاة قوله : ((ما من صاحب ذهب و لا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القـــيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها من نار جهنم فيكوى بها جنبه و جبينه وظهره))[4].

---

(1) النورسي : الكلمات : ص 779.
(2) التوبة / 34-35.
(3) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج10 . ص 177-178.
(4) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة ،حديث رقم 987 . (2/ 680).

ويقول تبارك و تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}[1].

لقـــد تحدثت سورة النساء عن اليتامى في آيات كثيرة . و قد ورد ذلك بأسلوب الترغيـــب و الترهيب ، و ذلك ليتحقق في المجتمع المسلم الالتزام بالتشريعات المتعلقة بهذه الفئة التي ينظر إليها على أنها في حالة ضعف ((إن الله يريد أن يخلق في داخل كل منا حالة نفسية ضاغطة ضد النوازع الذاتية التي تدفعه إلى استغلال جانب الضعف المتمثل في حياة الأيتام الذين لا يملكون أمر حماية أنفسهم من الظلم و الاضطهاد لتكون تلك الحالة سبيلا من سبل حمايتهم منا...))[2].

و يصـــرح القرآن في هذه الآية أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، و إن كان ظاهـــر فعلهم هذا هو الأكل من الأطعمة اللذيذة فإن الوجه الحقيقي لأغذيتهم هو النار المســـتعرة . و كما أن أكل أموال اليتامى يسبب لهم أذى نفسيا ، فأكل أموالهم يحوله الله -عـــز وجـــل- إلى نار محرقة في الدنيا بما تتعرض له مصالح الآكل من أضرار و أخطار كعقوبة على فعله . و في الآخرة يجازى بعذاب السعير.

إن هـــذا الترهيب من شأنه أن يكون رادعا للذين يرتكبون معصية الاعتداء على حقـــوق اليتامى ، إذ لا يوجد من يعرف هذه الحقيقة و يقدم على ذلك إلا إذا كان من الغافلين.

و قـــد فعلت هذه النصوص بهذا الأسلوب فعلها في نفوس المسلمين و هزهم هزة عنـــيفة ألقـــت عنهم رواسب الجاهلية ، لأنهم كانوا يرون فيها النار المحرقة ، وبلغت بهم درجـــة الخوف إلى أن أقبل من كان في بيته يتيم إلى عزل طعامه وشرابه، فأصبح يفضل الشـــيء فيحبس حتى يأكله أو يفسد[3]. فأنزل الله -عز وجل- قوله : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[4].

---

(1) النساء / 10.
(2) محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن . ج7 . ص 79
(3) سيد قطب : الظلال . ج4 . ص 589.
(4) البقرة / 220.

و معنى الآية : فلا بأس عليكم إن خلطتم طعامكم بطعامهم و شرابكم بشرابهم ، لأنهم إخوانكم في الدين و الله يعلم من قصده و نيته الإصلاح أو الإفساد[1].

و يقـــول- تعالى -: **{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}**[2].

و قـــد وردت هذه الآية بعد الحديث على مجموعة من التشريعات المتعلقة بالميراث وتنظـــيم العلاقـــات الاجتماعية و الاقتصادية في المجتمع . فأفادت الآية أن من يعص الله ورســـوله و لو في بعض الأوامر و النواهي ، و يتعد حدوده أي شرائعه المحدودة في جميع الأحكام يدخله الله –تبارك و تعالى- نارا عظيمة هائلة وله عذاب مهين لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني[3].

4-الترغيب و الترهيب بصفات الله –عز وجل-:

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة مختتمة بصفات الله – عز وجل – و الهدف مـــنها الإلزام التطبيقي لما ورد من أحكام قبلها ، إذ فيها وعد ووعيد بما تحمله من معان تفـــيد العلم المطلق لله –تعالى –فلا تخفى عليه كبيرة و لا صغيرة تحدث في الحياة.و اختتام الآيات التي تتحدث عن الأحكام الشرعية بصفات الله – عز وجل- يعطي هذه الأحكام مهابة و قيمة فتدفع الإنسان إلى الإقبال على الطاعة و تزجره عن إتيان المعاصي .

و من هذه الآيات : قوله تبارك و تعالى :

{وَأَقِـــيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[4].

{يَسْـــأَلُونَكَ مَـــاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[5].

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 . ص 455.
(2) النساء / 14.
(3) أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . ج2 . ص 154.
(4) البقرة / 110.
(5) البقرة / 215.

ففـــي الآيـــتين وردت صـــفتان لله – عـــز وجل – يفيدان قيوميته على ما في السماوات و الأرض فهو بصير عليم .و هما يجعلان الإنسان المسلم يستشعر المسؤولية في جميع أفعاله لإحاطة الله –عز وجل– بكل تصرفاته صغيرة كانت أم كبيرة.

و في تفسير الآية الأولى يذكر ابن كثير أن قوله –تعالى –:{ **إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِـــيرٌ** }تفـــيد الإخبار من الله عز وجل لهؤلاء الذين أمروا بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة أنهم مهما فعلوا من خير أو شر ، سرا و علانية فهو به بصير لا يخفى منه شيء فيجازون عليـــه، و الكـــلام هنا و إن خرج مخرج الخبر ففيه وعد ووعيد و أمر و زجر و ذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته إذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه[1].

و يذكـــر ابـــن عاشـــور أن الآية تحمل وعدا ووعيدا : وعدا للمؤمنين المطيعين، ووعيدا لغيرهم لأنه إذا كان بصيرا بما يعمل المسلمون كان بصيرا بما يعمله غيرهم[2].

وفي الآيـــة الثانـــية ورد قوله تعالى :{ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** }[3].ترغيب بالإنفاق على من ذكرهم الآية و هو إنفاق التطوع و تتمتها بقوله { **فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** } فمهما صدر من فعل معروف فإن الله يعلمه و سيجزي فاعله ذلك أوفر الجزاء ، فإنه لا يظلم أحدا مثقال ذرة[4].

و يقـــول –تبارك و تعالى –: { **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَـــيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ.فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** }[5].

هـــذه الآيات تتحدث عن وصية الميت للوالدين و الأقربين و ما يمكن أن يحدث عليـــها من تزوير ، فجاء قوله –تعالى –:{ **سَمِيعٌ عَلِيمٌ** }ترهيبا لمن يحرفها ، وترغيبا في وجـــوب الامتـــثال بمحتواها .فذكر المفسرون أن من حرفها فغير حكمها و زاد فيها أو

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 . ص 269.
(2) ابن عاشور : التحرير و التنوير : ج1 . ص 672.
(3) البقرة / 215.
(4) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 . ص 446.
(5) البقرة / 180،181.

نقـــص ، و يدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الأولى ، فإن الإثم يقع عليه لأنه خان الميت و خالف حكم الشرع ، و قوله { سَمِيعٌ عَلِيمٌ }وعيد شديد للمبدلين[1].

و الـــذي نخلص إليه أن الترغيب و الترهيب من خصائص منهج القرآن الكريم في الوصـــل بين العقيدة و الشريعة ، فقد لاحظنا أنه –تعالى- رغب المؤمنين و رهبهم بأمور متعلقة بعقيدتهم ليحققوا الشريعة على المستوى الواقعي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 . ص 374. و انظر : أبو السعود :إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ج1 . ص 197.

المبحث الرابع :

إظهار الأبعاد المقصدية للأحكام الشرعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ- تقصيد الأحكام الشرعية في القرآن الكريم

إن المتتبع لأحكام الشريعة الإسلامية يدرك أن هذه الأحكام قد وضعها الشارع لتحقيق حكم و مصالح البشر في العاجل و الآجل . وقبل الحديث عن كون تقصيد الأحكام الشرعية يصل بين العقيده و الشريعة ، سأتناول باختصار رأي علماء المسلمين في مسألة التعليل لصلتها بذلك.

استند علماء المسلمين في قولهم بتقصيد الشريعة إلى مجموعة من الأدلة منها :

قوله -تعالى- : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }[1] ، و قوله { يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ }[2]. وقول- سبحانه و تعالى -: { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }[3].

فأفادت هذه الآيات أن بعثة الرسل رحمة بعباد الله -تبارك و تعالى- فمن قبل هذه الرحمة نال السعادة في الدنيا و الآخرة ، و من رفضها نال الخسران ، فهي تفيد أن بعثة الرسل إنما لتحقيق مقاصد الله في خلقه و أمره .

إلى جانب هذا استندوا إلى استقراء موارد الأحكام التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فقد أفادت أن تشريعها يهدف إلى تحقيق مقاصد معينة ، و لما دل الاستقراء على هذا كان الأمر محققا في جميع تفاصيل الشريعة[4].

و ذهب بعض علماء المسلمين إلى أن الشريعة غير معللة و ممن اشتهر بذلك ابن حزم مستندا إلى قوله -تعالى -: { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }[5] ((فأخبر- تعالى -بالفرق بيننا و بينه و أن أفعاله لا يجري فيها ، لم؟ و إذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه تعالى (لم كان هذا) بطلت الأسباب جملة ، و سقطت العلل البتة إلا ما نص

---

[1] الانبياء/ 107

[2] يونس/ 57

[3] النساء/ 165

[4] الشاطبي:الموافقات.ج2.ص 4-5 .وأنظر:ابن عاشور:التحرير والتنوير.ج11 .ص202.يوسف حامد العالم:المقاصد العامة للشريعة الاسلامية.ص 85-86

[5] الانبياء/ 23

الله تعالى عليه أنه فعل كذا لأجل كذا، و هذا أيضا مما لا يسأل عنه فلا يحل لأحد أن يقول : لم كان هذا الحكم لهذا الحكم ، و لم يكن لغيره؟ و لا أن يقول : لم جعل هذا الشيء سببا دون أن يكون غيره سببا أيضا؟ لأن من فعل هذا السؤال ، فقد عصى الله - عز وجل - وألحد في الدين و خالف قوله تعالى : { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ }[1] فمن سأل الله تعالى عما يفعل فهو فاسق ، فوجب أن تكون العلل كلها منفية))[2].

و قد رد عليه العلماء بأن سياق الآية لا يفيد ما استنتجه منها ، فقد وردت هذه العبارة في سياق إثبات التوحيد ، أي إبطال إلهية المقربين التي زعمها المشركون الذين عبدوا الملائكة و زعموهم بنات الله - تعالى - و ذلك بنفي الخاصية الإلهية عنهم إذ هم يسألون عما يفعلون إنما الإله فلا يسأل ، يقول ابن عاشور ((فالمقصود أن من عنده مع قربهم ورفعة شأنهم يحاسبهم الله على أعمالهم ، فهم يخافون من التقصير فيما كلفوا به من الأعمال . و لذلك كانوا لا يستفسرون و لا يفترون ... و السؤال هنا بمعنى المحاسبة وطلب بيان سبب الفعل ، و إبداء المعذرة عن فعل بعض ما يفعل ، و تخلص من ملام و عقاب على ما يفعل))[3].

و لا يستفاد من الآية نفي سؤال الاستشارة و التعلم مثل أسئلة المتفقهين والمتكلمين عن الحكم الشرعية أو النظم الكونية ، و هذا استنباط و ليس مباشرة بسؤال لله تعالى [4] . و ذهب جمهور العلماء إلى إثبات التعليل في المعاملات ، أما العبادات فسبناها على التعبد و التسليم[5].و الحقيقة أننا حين نتتبع آيات القرآن الكريم ، نلاحظ أن العبادات أيضا معللة و إن كان ذلك غير محقق في كل جزئياتها.

و الخلاف في مسالة التعليل و إن كان مدونا على صفحات الكتب ، فإن غالبية علماء المسلمين اهتموا بإيضاح مقاصد الأحكام الشرعية . ووجد الباحثون أنه بعيدا عن

---

(1) الأنبياء / 23.

(2) ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام . ج8 . ص 102-103.

(3) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج17. ص 46.

(4) المرجع نفسه : ج17 . ص 46. و انظر الريسوني : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي . ص 248.

(5) المرجع نفسه : ص 210-211.

علم الكلام لا نجد إلا القول بالتعليل ، و هو مسلك القرآن الكريم و السنة النبوية ، كما أفاض في بيان ذلك كثير من علماء المسلمين .

و قد لخص ابن عاشور المسألة في تفسيره ، فقال : ((هذا و قد نقل أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات عن جمهور الفقهاء و المتكلمين أن أحكام الله –تعالى– معللة بالمصالح ودرء المفاسد ، و قد جمع الأقوال الشيخ ابن عرفة في تفسيره ، فقال : هذا هو تعليل أفعال الله –تعالى– و فيه خلاف ، و أما أحكامه فمعللة))[1].

و تقسيد الأحكام الشرعية يعتبر من أسس المنهج القرآني في الوصل بين العقيدة والشريعة ، بل لقد ذهب بعض علماء المسلمين إلى اعتبار علم مقاصد الشريعة ككل علما واصلا بين العقيدة و الشريعة ، و في ذلك يقول عبد المجيد النجار حين حديثه عن التأطير العقدي للعمل : ((و ربما عبر عن هذا المعنى من التأطير العقدي للعمل بتعبير جريان الأعمال على مقتضى مقاصد الشريعة ، ذلك أن هذه المقاصد و إن تفرعت فروعا إلا أنها تعود في مجملها إلى المقصد الأعلى و هو تحقيق خير الإنسان بالتزام أوامر الله و نواهيه وهو حقيقة عقدية كلية ، فيكون جريان الأعمال على تحقيق مقاصد الشريعة علما واصلا بين علم العقيدة من جهة و علم الفقه الذي يضبط الأعمال من جهة أخرى))[2].

و حين نتتبع القواعد التي وضعها الشاطبي لتحديد مقاصد و ضع الشريعة للامتثال نجد أنها في مجملها ذات أبعاد عقدية ، منها:

1–المقصد الشرعي من وضع الشريعة ، إخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد لله اضطرارا ، فقد أكد بالأدلة من القرآن أن الأوامر والنواهي الإلهية مخرجة للإنسان عن دواعي طبعه و استرسال أغراضه[3].

فالمقصد من وضعها هو اختبار مدى تحمل الإنسان لأمانة التكاليف الشرعية وكيفية تحديده لمصيره تحت ظلها . فالهدف الأساسي من الأحكام هو التحرر من عبودية الشهوة.

---

(1) ابن عاشور : التحرير و التنوير : ج1 . ص 381.
(2) عبد المجيد النجار : دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية : ص 229.
(3) الشاطبي : الموافقات . ج2 . ص 128-131.

2- قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصده في التشريع: فالإنسان خلق في الأصل لتحقيق عبادة الله ، و هذه العبادة تتحقق بالعمل وفق القصد في وضع الشريعة . و هذا ما يحقق معنى خلافة الإنسان لله - تبارك و تعالى - في إقامة مصالح الشريعة[1].

فالقاعدتان السابقتان يشيران إلى أن إظهار مقاصد الشريعة يرجع في الأساس إلى تحقيق العبودية لله -تبارك و تعالى -، أي الوصل بين الإيمان النظري و الإلزام التطبيقي فيتحقق بذلك المعنى الكامل للتوحيد : توحيد الإقرار و توحيد العمل .

و حين نرجع إلى ما كتبه الدهلوي في مسألة تعليل الشريعة نجد أنه حدد هدف التعليل بمقصدين عقديين :

الأول : إظهار إعجاز الرسالة الخاتمة : و في إثبات الإعجاز التشريعي ما يمكن أن يحقق الدعوة إلى الإيمان ، إذ في إظهار ما تحمله هذه التشريعات من مقاصد و حلول للأزمات المختلفة ما يؤكد مصدرية هذه الأحكام فيكون ذلك دافعا إلى الإيمان بالله والنبوة و سائر أركان العقيدة.

الثاني : تثبيت الإنسان المؤمن على إيمانه . يقول : ((في ذلك فوائد جليلة منها : إيضاح معجزة من معجزات نبينا -عليه الصلاة و السلام- كما أتي بالقرآن العظيم فأعجز بلغاء زمانه و لم يستطع أحد منهم أن يأتي بسورة من مثله . ثم لما انقرض القرن الأول وخفي على الناس وجوه الإعجاز قام علماء الأمة فأوضحوها ليدركه من لم يبلغ مبلغهم . كذلك أتي بشريعة هي أكمل الشرائع بتضمنه لشرائع يعجز عن مراعاة مثلها البشر ، وعرف أهل زمانه شرف ما جاء بنحو من أنحاء المعرفة ، حتى نطقت به ألسنتهم.

و تبين في خطبهم و محاوراتهم، و لما انقضى عصرهم وجب أن يكون في الأمة من يوضح وجوه هذا النوع من الإعجاز ، و الآثار الدالة على أن شريعته صلى الله عليه وسلم أكمل الشرائع ، و أن إتيان مثله بمثلها معجزة عظيمة... أنه يحصل به الاطمئنان الزائد على الإيمان ، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام : { بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي }[2]. ذلك أن تظاهر الدلائل و كثرة طرق العلم يثلجان الصدر و يزيلان اضطراب القلب ،

---

(1) المرجع السابق : ص 251-252.
(2) البقرة / 260

ومنها أن صالت الإحسان إذا تجسد في الفاضلات و هو يعرف وجه منفعتها، و تفقد نفسه بالمحافظة على أداء حقها لتعد عليها، و كان أبعد من أن يخلط خبط عشواء))[1].

إن في إظهار مقصد الشارع من الأحكام استدلالا على وجود الله سبحانه و تعالى إذ فيه من حكمته دليل العناية الإلهية في أبرز صورة، كما فيه دليل العناية الموافقة بين الإنسان و الكون، فهذه الأحكام التي ثبت لنا بالاستقراء أنها موافقة لتحقيق مصالح الإنسان في العاجل و الآجل، نستنتج من خلالها الحكمة و العناية التي تدل على حقية مقاصدها، فهي تؤكد لنا ما ورد في قول الله تبارك و تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[2]. فهذا الدين بعقيدته و أحكامه موافق لحاجات الفطرة السليمة و هذا أيضا تابع لمعنى الإخبار.

ب إظهار حكم بعض الأحكام الشرعية و وصلها بين العقيدة و الشريعة

و فيما يلي سنقف مع بعض الحكم من الأحكام الشرعية التي وردت في القرآن الكريم و السنة النبوية:

أولا: الحكمة من تشريع الصيام:

لقد شرع الله سبحانه و تعالى الصيام لتزكية النفس و رياضتها، و في ذلك تحقيق لمصالح أفراد المجتمع، إذ يتقيهم من كثير من أنواع الخبائث، و يؤلف بينهم، يقول الدهلوي: ((الصوم حسنة عظيمة يقوى الملكية و يخلف البهيمية، و لا شيء مثله في صيقلة وجه الروح و قهر الطبيعة))[3].

و قد ذكر القرآن الكريم أن الصيام تشريع سابق على الإسلام: الرسالة الخاتمة، و هذا يؤكد استمرار صلاحية لتحقيق مصالح كثيرة للمسلمين في أي زمان و مكان. و لعل أهم حكم الصيام ما يلي:

---

(1) الدهلوي: حجة الله البالغة. ج1. ص 16-17.
(2) الروم: 30.
(3) الدهلوي: حجة الله البالغة: ج1. ص 143.

ب- الفوائد التربوية :

1- تحقيق العبودية الخالصة لله -تبارك و تعالى- إذ هو الصيام لأمر الله -عز و جل- الذي جعله فريضة علينا ، و أداء الفرائض من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله . فالصوم يخرج الإنسان من داعية هواه في الإقبال على الملذات إلى أن يلتزم ما أمر به الله -تعالى- ليختار أن يكون عبدا لله لا عبدا لها.

2- إدراك بعض معاني ربوبيته -تعالى- فالإنسان في سائر الأوقات قد يغفل عن النعم التي أسبغها عليه الله -تبارك و تعالى- لكنه حين يصوم يدرك قيمة ما أعطاه -سبحانه- من النعم فيتوجه إليه بالشكر . يقول النورسي : ((فإن صيام رمضان لهو مفتاح شكر حقيقي خالص و حمد عظيم عام لله -سبحانه- و ذلك لأن أغلب الناس لا يدركون قيمة نعم كثيرة غير مضطرين إليها في سائر الأوقات، لعدم تعرضهم للقساوة الجوع الحقيقي و أوضاره ، فلا يدرك -مثلا- درجة النعمة الكامنة في كسرة خبز يابس أولئك المتخمون بالشبع و بخاصة إن كانوا أثرياء منعمين ، بينما يدركها المؤمن عند الإفطار أنها نعمة إلهية ثمينة ، و تشهد على ذلك قوته الذائقة ، و لذا ينال الصائمون في رمضان ابتداء من السلطان و انتهاء بأفقر فقير شكرا معنويا لله- تعالى -منبعثا من إدراكهم قيمة تلك النعم العظيمة . أما امتناع الإنسان عن تناول الأطعمة نهارا فإنه يجعله يتوسل أن يدرك بأنها نعمة حقا ، إذ يخاطب نفسه قائلا : إن هذه النعم ليست ملكا لي فأنا لست حرا في تناولها ، فهي إذن تعود إلى واحد آخر ، وهي أصلا من إنعامه و كرمه علينا و أنا الآن في انتظار أمره ، وبهذا يكون قد أدى شكرا معنويا حيال تلك النعم))[1].

3- تحقيق التقوى :يقول -عز وجل- : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

فذكرت الآية أن الهدف من الصيام تحقيق التقوى ، و هذه التقوى هي التي تعصم الإنسان من الوقوع في المعاصي ، و قد حلل ذلك ابن عاشور بكون المعاصي تنقسم قسمين : الأول : قد ينجح في تركه عن طريق التفكير في المآل كالخمر و الميسر و السرقة فتركه يحصل بالوعد على تركه و الوعيد على فعله.

---

(1) النورسي : المكتوبات . ص 518.

(2) البقرة / 183.

التالي ... [illegible] ... عن الشهوة الطبيعية التي هي داعية تلك المعاصي ، فيحمل الصيام و سيلة لتقوى الله . إذ بعدل القوى الطبيعية التي هي داعية تلك المعاصي ، فيرتقي بالإنسان إلى المقام الروحاني ، فهو وسيلة للارتفاع من غبار الكدورات الحيوانية[1] . و لما كان الصيام يورث التقوى و ذكر الله عند الصائم فإنه من أعظم العبادات التي يتزود بها الإنسان لسعادته في الدنيا و الآخرة { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَاأُولِي الْأَلْبَابِ }[2]

ب- وصل الإنسان بالحياة الآخرة :

فمن فوائده أنه يجعل الإنسان متشوقا إلى ما ناله من نعمة الخلود ، فجهاده لشهواته يحقق له الانتصار المتمثل في الفوز بالجنة ، يقول الرسول -صلى الله عليه و سلم- (الصيام و القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول : الصيام أي رب منعته الطعام و الشهوات بالنهار فشفعني فيه ، و يقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان)[3].

و يقول عليه الصلاة و السلام (للجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون)[4] . فالحديثان ربطا الصيام بما يحققه من سعادة للمؤمن يوم القيامة . و هذا من شأنه أن يجعل الصائم مقبلا على أداءه أداء كاملا متوخيا تحقيق أهدافه التي دعا إليها الشرع ، يقول النورسي: ((إن شهر رمضان المبارك أشبه ما يكون بمعرض رائع للتجارة الأخروية أو هو سوق في غاية الحركة و الربح لتلك التجارة ، و هو كالأرض المنبة في غاية الخصوبة و الغناء لإنتاج المحاصيل الأخروية ، و هو كالغيث النازل في نيسان لإحياء الأعمال و بركاتها ، و هو بمثابة مهرجان عظيم و عيد بهيج مقدس لعرض مراسيم العبودية البشرية تجاه عظمة الربوبية و عزة الألوهية))[5] . إن الصيام من العبادات التي تعطي الإنسان عمرا ثانيا بدلا من هذا العمر القصير .

---

(1) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج1 . ص 158.
(2) البقرة / 197.
(3) أخرجه أحمد في مسنده (174/2)
(4) أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب: بدء الخلق . باب : صفة أبواب الجنة . حديث برقم 3257 . (434/2).
(5) النورسي : الكلمات . ص 518.

ب- الفوائد الاجتماعية :

للصوم فوائد اجتماعية ، إذ يكون مجتمعا يشعر بالوحدة و التماسك ، فهو فرصة يتخلص فيها كل من الغني و الفقير من الأمراض النفسية . فيشعر الغني بمعاناة المحتاجين فيحثه على البحث ، و عدم استشعار المسؤولية الجماعية ، أما الفقير فإن هذا الشهر فرصة لتطهيره من الإحساس بالحرمان و الحقد و الحسد ضد الأغنياء . إلى جانب كون الصيام يهذب أخلاق المسلم لأنه يعوده الابتعاد عن المعاصي و المنكرات التي تؤذي الآخرين كالغيبة و النميمة و قول الزور و المنكر عموما.

جـ- الفوائد الصحية :

إلى جانب ما يحققه الصيام من فوائد دينية و اجتماعية فإن من أهم فوائده أيضا : حفظ حياة الإنسان ، و تحقيق توازنه الصحي ، إذ أقر الطب أن الصيام فيه علاج لكثير من الأمراض و الوقاية منها مثل : انسياب البدن الصحة و ما يتعلق بالدورة الدموية و إراحة الأمعاء و تهدئة الأعصاب ، ففي مشروعية الصوم حفظ للكائنات و استمرار التقدم في سلالاتها[1].

و يذكر العلماء أن الصوم يستعمل للعلاج من هذه الاضطرابات الصحية :

1- اضطرابات الأمعاء المزمنة و المصحوبة بتخمر في المواد الزلالية و النشوية، و هنا ينجح الصيام ، و خاصة في عدم شرب الماء بين الأكلتين ، و تحقيق طول المدة بين الأكلة والأخرى كما هو الشأن في صيام رمضان ، و أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر و هذه أنجح طريقة لتطهير الأمعاء.

2- زيادة الوزن الناشئ من كثرة الغذاء و قلة الحركة فالصيام أنجح من كل علاج كما يساعد على هذا العلاج الاعتدال وقت الإفطار في الطعام ، و الاكتفاء بالماء في السحور.

3- زيادة الضغط الذاتي : و هو آخذ في الانتشار بازدياد الترف ، و الانفعالات النفسية ، ففي هذه الحالة يحقق الصوم نتائج ملحوظة و خاصة عند أصحاب الأوزان الزائدة عن الطبيعي.

---

[1] عبد الرزاق نوفل : صوم رمضان . ص 43-44.

أ- [illegible] المصحوبة بارتفاع الضغط ، و يكون في مرحلته الأولى ، ففي ظهور مصحوبة غالبا بزيادة في الوزن فهنا يكون للصيام علاجا نافعا . إذ أن السكر يهبط مع قلة الطعام و يهبط السكر في الدم بعد الأكل بخمس ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي في حالات البول السكري الخفيف و بعد عشر ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي بكثير . و لا يزال الصيام مع بعض النصائح في الغذاء أهم علاج في هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين ، خصوصا إذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعي ، و لم يكن هناك علاج لهذا المرض غير الأنسولين غير الصيام.

5- أمراض الدم المصحوبة بورم.

6- إلتهاب الكلى الحاد و المرض المصحوب بارتشاح و تورم.

7- التهابات المفاصل الحاد خصوصا إذا كانت مصحوبة بتيبس كما يحصل عند السيدات غالبا بعد سن الأربعين ، و قد شوهدت حالات تمشي في رمضان بالصيام فقط أكثر مما تمشي مع علاج مسكن بالكهرباء و الحقن و الأدوية[1].

و قد ذكر العلماء أن مسحات المعالجة بالسموم انتشرت كثيرا و أنه يعالج فيها أكثر الأمراض[2]. و في هذا تأكيد لقوله تعالى :- ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[3].

ثانيا . الحكمة من تشريع الحدود :

لغـــة :

الحد : الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر . و حد الدار ما تتميز به عن غيرها.

و حد السرقة و الخمر سمي به لكونه مانعا لمتعاطيه عن مثله و لغيره أن يسلك مسلكه[4].

إصطلاحا :

الحدود عقوبة مقدرة ، حقا لله تعالى[5].

---

(1) عبد العزيز إسماعيل : الإسلام و الطب الحديث . ص 33-35.
(2) محمد محمود الصواف : الصيام في الإسلام . ص 24-25.
(3) البقرة / 184.
(4) الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص 108.
(5) عبد الرحمان الجزيري : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة . ج 5 . ص 12-13.

و الحدود التي اتفق العلماء عليها هي : الزنا و القذف به و السرقة، و شرب الخمر سواء أسكر أم لا ، و الردة ، و الحرابة . و إذا وقفنا مع هذه الحدود ، و نظرنا إلى خطر هذه الجرائم وجدنا أنها أخطر ما يهدد استقرار و أمن الحياة البشرية . يقول الدهلوي ((اعلم أن المعاصي ما شرع الله فيه الحد ، و ذلك كل معصية جمعت وجوها من المفسدة أن كانت فسادا في الأرض ، و اقتضابا على طمأنينة الناس ، و كانت لها داعية في نفوس بني آدم لا تزال تهيج فيها . و لها صراوة لا يستطيعون الإقلاع عنها بعد أن أشربت قلوبهم هيامها ، و كان فيها ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من الأحيان و كان كثير الوقوع فيها بين الناس ، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة ، بل لا بد من إقامة ملامة شديدة عليها ، و إيلام ليكون بين أعينهم ذلك ، فيردعهم عما يريدونه))[1].

و إذا تقصينا عن الحكمة من وضع حدود لهذه الجرائم بالذات، وجدنا أنها جرائم لا تتغير بتغير الزمان و المكان ، فاقتضى ذلك أن توضع لها عقوبات محددة ثابتة تكون واقيه للمجتمع البشري من الوقوع في التهلكة.

إن هذه الحدود هي التي تساعد الإنسان على أن يكون خارجا عن داعية هواه ، مستسلما لأمر الله، مؤكدا على قوة الإرادة البشرية إذا تعلق الأمر بحمى الله -عز وجل- ((فالإنسان قد يستحيب لنوازعه الشريرة فيهتك الأعراض في غفلة من ضميره مدفوعا بدافع الغريزة الجنسية و مستسلما للمثيرات الخارجية ، أو يسرق الأموال مدفوعا بدافع التملك ، و قد يشرب الخمر تلبية لنداء شهوة عارضة ، و قد يقطع الطريق مستوليا على أموال الناس ، و مزهقا أرواحهم استهانة منه بالأحكام الشرعية و التقاليد المرعية وخروجها على السلطة الحاكمة . فلا عجب إذا رأينا الإسلام يحارب هذه الجرائم و يضع لها من القوانين الرادعة ما يجنب المجتمع شر الوقوع فيها ، فشرعت الحدود عقابا على هذه الجرائم و ردعا لمرتكبيها ، و تقويما لسلوكهم ، و عظة لغيرهم حتى لا يقعوا في مثل ما وقع فيه هؤلاء المعتدون))[2].

---

[1] الدهلوي : حجة الله البالغة : ج2 . ص 286.

[2] عبد العظيم شرف الدين . العقوبة المقدرة لمصلحة المجتمع الإسلامي . ص 13.

قد ينظر بعض قصار النظر إلى هذه الحدود على أنها قاسية ، و الحقيقة أن فيها حماية للمجتمع البشري ، إذ أفادت التجارب أن هذه الحدود تستأصل الأدواء بدلا من علاجها بأسلوب خطإ كالسجن للسارق –مثلا–.

و من الحدود التي وضعها القرآن الكريم و دعا إلى تطبيقها موضحا الحكمة من ذلك ، حد الزنا:

يقول تبارك و تعالى : { **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** }[1].

و يقول : { **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**}[2].

يستنتج العلماء من خلال الآية الأولى حكمة تحريم جريمة الزنا ، فقوله { **إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً** } تعليلا مبالغا فيه من عدة وجوه :

1- وصفه بالفاحشة الدال على فعلة بالغة الحد الأقصى في القبح

2- التأكيد بحرف التوكيد.

3- إدخال فعل (كان) المؤذن بأن خبره وصف راسخ مستقر ، فأكد أن الفحش وصف لازمة له لا تفارقه سواء علمه الناس من قبل أم لم يعلموه إلا بنزول الآية[3].

و قوله تعالى : { **وَسَاءَ سَبِيلًا** }.

أي أنه سبيل سيء يؤدي إلى فساد المجتمع في جميع شؤونه ، فينحل عقده و يختل نظامه . لقد شدد القرآن الكريم في تحريم الزنا و العقوبة عليه لأنه يمس النسل و الأنفس و الأعراض بالسوء ، فيشيع الفساد في المجتمع.

-إن انتشار الزنا يؤدي إلى شيوع الفوضى في النظام العائلي ، و انقطاع العلاقة بين الأبناء و الآباء ، إذ يؤدي إلى تعريض النسل للإهمال ، و تحطيم العلاقات الأسرية التي هي سبب صيانة الأحيال و الحفاظ على حاضرها و مستقبلها ((إن العلاقات الاجتماعية القائمة على العلاقات العائلية ستبدأ في الانهيار و التزلزل إذا شاع الوجود غير الشرعي

---

(1) الإسراء / 32.
(2) النور / 2.
(3) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج15 . ص 90.

للأبناء (أبناء الزنا) و للمرء أن يتصور مصير الأبناء ، فيما إذا كانوا ثمرة الزنا و مقدار العناء الذي يتحملونه في حياتهم من لحظة الولادة و حتى الكبر ، و علاوة على ذلك فإنهم سيتحولون إلى عنصر من عناصر إثارة الجريمة في المجتمع الإسلامي الذي يمكن أن يتحول بالزنا إلى مجتمع حيواني ، تغزوه الجريمة في كل جوانب وجوده))[1].

-إن الزنا خلل عظيم في المجتمع يؤدي إلى المساس بالأعراض ، و تعريض المرأة للمهانة و الاحتقار من جميع الأطراف .

-لقد أثبت العلم الحديث أن أخطر مرض يهدد البشرية في الوقت الحاضر ناتج عن العلاقات غير الشرعية ، فمرض الإيدز يحطم مجموعات كبيرة من البشر صحيا ونفسيا و هذا يؤكد الإعجاز التشريعي في الإسلام ، و أن أحكامه أحكام رب حكيم.((أثبت العلم و دلت التجارب على أن إشاعة الزنا هي سبب الكثير من الأمراض و المآسي الصحية التي تعمد إلى نقل جرثومتها إلى المجتمع السليم أيضا ، و كل المعطيات تشير إلى فشل مكافحة هذه الأمراض من دون مكافحة الزنا أصلا))[2].

و قوله -تبارك و تعالى-: **{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }**[3].

هذه الآية حددت حد الزنا ، و نظرا لكونه- تبارك و تعالى -يعلم أن هناك من الناس من تأخذه الرأفة بهؤلاء المجرمين ، ألزمهم بتطبيق أمر الله -سبحانه و تعالى -مخاطبا فيهم يقينهم بالله و اليوم الآخر . فمن كان على صلة بالله -عز وجل- و متيقن بحدوث البعث لا يمكن أن يتسلل الشك إلى نفسه في حكمته- عز وجل -، و أوجب -سبحانه- حضور طائفة من المؤمنين لتنفيذ العقاب للوعظ بما يرونه من إقامة حكم الله على من يتعدى حدوده . إن جريمة الزنا تتعدى الشخصين لتشمل جميع المجتمع.

و **إهمال تطبيق أحكام الله -عز وجل- يورث الجرأة على حدود الله و هذا يؤدي إلى شيوع الفساد و الدمار . و هنا ندرك الحكمة من الإشهاد على تطبيق العقوبة** ، ففي

---

(1) ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل . ج8 . ص 415.
(2) المرجع نفسه : ج8 . ص 415.
(3) النور /2.

ذلك رادع عن الاقتراب من الجريمة . إذ يوجد كثير من الناس يخافون الفضيحة أكثر مما يخافون العقاب.

و الـذي نخلص إليه أن القرآن الكريم قد أوضح الحكم من العبادات و المعاملات هذه الحكم تحقق مصالح الإنسان في العجل و الآجل ، والهدف الأساس منها ربط الإنسان بالله -تبارك و تعالى- و تحقيق نعمة الخلود في الحياة الآخرة وكلاهما هدف عقدي كما أن هـذه الحكـم تحقـق الإلزام التطبيقي للأحكام ،و هو تحقيق للصلة الوثيقة بالله -عز وجل-إذ يجعل الحياة تبعا لما أمر به.

و هـذا لا يعني أن الإلزام التطبيقي عند المسلم لا يتحقق إلا بإدراك الحكمة ، إذ إدراكنا لها في كليات الدين يجعل استسلامنا للاستجابة في الجزئيات تلقائيا . فالمؤمن الذي يدرك قيمة العبادة يجد في تقبيله للحجر الأسود حلاوة الإيمان و إن كان لا يدرك الحكمة من ذلك.

و مـن جهـة ثانـية تصل هذه الحكم بين العقيدة و الشريعة ، من حيث يمكن الاستدلال بها على حقية مصدرها عن طريق استكشاف مناحي الإعجاز التشريعي . فتكون من طرق الاستدلال على وجود الله -عز وجل- فهي من منهج القرآن في الوصل بين العقيدة و الشريعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث :

الوصل بين العقيدة و العبادات

و العقيدة والمعاملات في القرآن الكريم

تمـــهيـــــد

المبحث الأول : الوصل بين العقيدة و العبادات .

أولا : مفهوم العبادة و صلتها بالعقيدة .

ثانيا : الصلاة و صلتها بالعقيدة .

1- تعريف الصلاة .

2- مقاصد الصلاة .

3- التاطير العقدي للصلاة في القران الكريم .

4- الصلاة و الحديث عن الكون .

5 - تأثير الصلاة على الإيمان .

المبحث الثاني : الوصل بين العقيدة و المعاملات .

أولا : العقيدة و صلتها بالمعاملات (التأثير و التأثر).

ثانيا : بعض الأحكام الأسرية ووصلها بالعقيدة في القران.

أ- مشروعية الأسرة و علاج مشاكلها في القرآن الكريم.

1- الحكمة من مشروعية البناء الأسري .

2- علاج القرآن لبعض المشاكل التي تعترض الأسرة .

ب- بعض أحكام الطلاق ووصلها بالعقيدة في القرآن الكريم .

1- الحكمة من مشروعية العدة .

2- أحكام العدة و الإيمان بالله و اليوم الآخر .

3- الطلاق و الحديث عن الكون .

4- الطلاق و القضاء و القدر .

5- الطلاق و الترغيب و الترهيب .

6- الطلاق و التقوى .

7- **البعد الحضاري لوصل أحكام الطلاق بالعقيدة.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إن الـــذي يتتـــبع الأحكام الشرعية في القرآن الكريم : العبادات أو المعاملات، يجدها قد صيغت بطريقة تضمن لها الأداء التطبيقي في الواقع ، حين أهملت خصائص هذه الصياغة عند عرض المسلمين لأمور دينهم —في كثير من الأحيان–على المستوى التطبيقي أدى ذلك إلى وقـــوع خلـــل كبير في حياتهم . فبالنسبة للعبادات أفرغت من محتواها الروحي الذي يجعلها فعالة ومؤثرة في حياة الفرد و المجتمع ، و قد يكون سببا في إقبال غير المسلمين على الإسلام.

أمـــا المعـــاملات فـــإن فقدانها حين العرض لتلك الخصائص يتسبب في التراجع الحضـــاري عـــند المسلمين على جميع المستويات : الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية وغيرهـــا ... لأن تلك الأسس هي التي تبقي لها الصفة الأساسية التي تعطيها القدسية عند التطبيق : الربانية .

و قـــد حاولت في هذا الفصل الوصل بين العقيدة و الشريعة من خلال موضوعين أرى أنهما من أهم ما نحتاج إلى علاجه في أوساطنا ،و هما : الصلاة في مـــجال العبادات والطلاق في مجال المعاملات أو ما يسمى بأحوال الأسرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

الوصل بين العقيدة و العبادات

أولا : مفهوم العبادة و صلتها بالعقيدة .

ثانيا : الصلاة و صلتها بالعقيدة .

1- تعريف الصلاة .

2- مقاصد الصلاة .

3- التأطير العقدي للصلاة في القرآن الكريم .

4- الصلاة و الحديث عن الكون .

5- تأثير الصلاة على الإيمان .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقـــوم بناء الشخصية السوية في الإسلام على أسس تجعل الأداء التطبيقي لكل ما يأتي به الإنسان في هذه الحياة الدنيا فعالا ، سواء أكان هذا الأداء للعبادات أم المعاملات.

و لهذا اهتم القرآن الكريم بالوصل بين العقيدة والعبادات كأساس متين من أجل تحقـــيق ذلـــك ،لأن العبادات إذا كانت موصولة برباط قوي من الإيمان الواثق كان من شأنها أن تكون مبعثا لتقويم جوانب الحياة كلها .

و لعل السبب في عدم الإقبال على أداء العبادات أو أداؤها مفرغة من روحها هو عـــدم إدراك كـــثير من المسلمين لهذه الحقيقة ، فما مفهوم العبادة وكيف وصلها القرآن بالعقيدة؟.

أولا : مفهوم العبادة و صلتها بالعقيدة :

1- تعريف العبادة :

أ- لغة :

تدور مادة العبادة حول معان لغوية هي :

الانقـــياد و الخضوع و التذلل ، يقال : طريق معبد أي مذلل للسير عليه بسهولة ـــــيحة لكثرة الوطء عليه ، كما يقال : بعير معبد أي مذلل للركوب ، والعبادة : الطاعة و تعـــبد : التنسك، و العبودية : الخضوع و الذل ، يقال : عبد عبادة ، و عبودية بمعنى ضع و خضع و انقاد و ذل[1].

ب- اصطلاحا :

للعـــبادة تعـــريفات كـــثيرة تعود كلها إلى الطاعة و الخضوع المطلق لله – تبارك وتعالى– و لها معنيان ، معنى عام و معنى خاص :

---

[1] الفيروزابادي : القاموس المحيط . ج1 . ص 312. و انظر كذلك : الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص 330-331.

وهـذا الخـوف لا ينـبني في نفس الإنسان إلا عن معرفة قوية بالله - تعالى وصفاته ، يقول - سبحانه - : {إنما يَخْشَى اللّه منْ عباده الْعُلَماءُ }[1].

و قـد أوضح القرآن الكريم أن الحكمة من خلق الإنسان هي عبادة الله -- تبارك وتعالى - و لذلك لا يتحقق الارتقاء الوجودي للإنسان إلا إذا كان عابدا لله - سبحانه وتعالى - يقول - عز و جل - : {وَمَا خَلَقْتُ الْجنَّ وَالْإنسَ إلّا ليَعْبُدُون}[2].

و في تحديـد المعنى الواسع للعبادة يقول المودودي : " إن خوفك لله - تعالى -في كـل شـأن من شؤون حياتك ، و جعلك مرضاة الله نصب عينك ، و اتباعك لقانونه ورفضك لكل منفعة تنالها ، أو يمكن أن تنالها بمعصية ، و صبرك على كل مضرة تصيبك أو يمكن أن تصيبك بطاعته ، ذلك كله من عبادتك لله -تعالى -وحياتك هذا الطريق من أولهـا إلى آخـرها عبادة ، و ليس الأكل و الشرب و النوم و اليقظة ، والقعود و القيام والمشـي و السكوت ، إلا من العبادة في حياة كهذه ، هذه هي العبادة و هذا هو معناها الحقـيقي و ما غرض الإسلام إلا أن يجعل الإنسان يعبد الله مثل هذه العبادة في كل حين مـن أحـيانه ، و قـد افترض عليه لهذا الغرض مجموعة من العبادات . تهيئه هذه العبادة الكـبيرة، فإنـه ليست هذه العبادات المفروضة إلا بمثابة التربية للعبادة الكبيرة و المنشودة فكل هذه التربية على أحسن وجه يؤدي إلى العبادة الحقيقية على الوجه المراد ومن أجل ذلك جعلت العبادات عين الفريضة في الإسلام ، و قيل : إنها أركان الدين "[3].

وتأكـيدا لكون الإسلام تميز بجعل جميع أعمال الإنسان عبادة إذا كانت خالصة لوجـه الله – تـبارك وتعالى- يقول محمد المبارك "...كان للإسلام فضل عظيم في أن أسبغ على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة إذا قصد بها وجه الله ومرضاته وعملت على وجهها المشروع وكانت في سبيل تحقيق أهدافها المقصودة المشروعة ، فالزارع والصانع و الـتاجر والطبيب و المهندس و العامل والموظف و المعلم و المتعلم وغيرهم من أصحاب

---

(1) فاطر / 28.
(2) الذاريات / 56.
(3) المودودي : مبادئ الإسلام . ص 129-130.

لأعمـــال تعتبر أعمالهم عبادة إذا قصد بها نفع عباد الله ، والاستغناء عن الحاجة إلى الناس وإعالة العيال "[1].

أمـــا المعـــنى الخـــاص: يقتصر على العبادات التي فرضها الله - عز وجل - علينا و جعـــلها أركانا للإسلام ، يقول الرسول - صلى الله عليه و سلم - " بني الإسلام على خمـــس شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة والحج و صوم رمضان "[2].

2- العبادة حق لله – تبارك و تعالى - :

إن الإيمان بربوبية الله – تبارك و تعالى – يوجب على الإنسان التوجه بالعبادة إلى الله وحـــده لا شريك له ، و قد كانت هذه القضية ، محورا رئيسيا في جدال القرآن مع مشركي العرب الذين كانوا يقرون بأن الله هو الخالق ، لكنهم لا يتوجهون إليه بالعبادة .

و المنطق السليم يقتضي أن الذي يملك و يحكم هو الذي يستحق أن يعبد، ولذلك حين نتتبع آيات الذكر الحكيم ، نلاحظ أن الدعوة إلى عبادة الله – تبارك و تعالى – تأتي في غالب الأحيان معللة بملكيته – عز وجل – لكل شيء .

يقول – سبحانه و تعالى - : **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ.مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }**[3].

و يقول : **{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**[4].

و يقول : **{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ }**[5].

---

(1) محمد المبارك : نظام الإسلام : العقيدة و العبادة . ص 169.
(2) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان . باب : دعاؤكم إيمانكم حديث رقم 8 .(1 / 20).
(3) الفاتحة /2-4.
(4) البقرة / 21-22
(5) الأنعام / 162-164.

الأعمـــال تعتبر أعمالهم عبادة إذا قصد بها نفع عباد الله ، والاستغناء عن الحاجة إلى الناس وإعالة العيال "[1].

أمـــا المعـــنى الخـــاص: يقتصر على العبادات التي فرضها الله – عز وجل – علينا و جعـــلها أركانا للإسلام ، يقول الرسول - صلى الله عليه و سلم – " بني الإسلام على خمـــس شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة والحج و صوم رمضان "[2].

2– العبادة حق لله – تبارك و تعالى – :

إن الإيمان بربوبية الله – تبارك و تعالى – يوجب على الإنسان التوجه بالعبادة إلى الله وحـــده لا شريك له ، و قد كانت هذه القضية ، محورا رئيسيا في جدال القرآن مع مشركي العرب الذين كانوا يقرون بأن الله هو الخالق ، لكنهم لا يتوجهون إليه بالعبادة .

و المنطق السليم يقتضي أن الذي يملك و يحكم هو الذي يستحق أن يعبد، ولذلك حين تتبع آيات الذكر الحكيم ، نلاحظ أن الدعوة إلى عبادة الله – تبارك و تعالى – تأتي في غالب الأحيان معللة بملكيته – عز وجل – لكل شيء .

يقول – سبحانه و تعالى – : {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ.مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }[3].

و يقول : { يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[4].

و يقول : { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ }[5].

---

(1) محمد المبارك : نظام الإسلام : العقيدة و العبادة . ص 169.
(2) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان . باب : دعاؤكم إيمانكم حديث رقم 8 .(1 / 20).
(3) الفاتحة /2-4.
(4) البقرة / 21-22.
(5) الأنعام / 162-164.

و يقول : {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى.الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى.وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى.وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى.فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى }[1].

فكل الآيات السابقة تدعونا إلى عبادة الله بكل حياتنا و صلاتنا و نسكنا و تسبيحنا ... لأنه هو الذي خلقنا و أنعم علينا جميع آلاء الوجود .

يقول عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : ((كل من يؤمن بربوبية الله -جل جلاله- في الخلق و الإمداد بالبقاء و بالإنعام على عباده ،و بأنه المحيي المميت المحاسب المجازي إلى سائر صفات الربوبية ، و يؤمن بأن الله خلق الناس ليبلوهم ويضع في تصوره معاني العبادة و مفاهيمها ، فإنه لابد أن يدرك عن طريق اللزوم الفكري الذي لا شك فيه أن العبادة حق الرب على عباده ، و أنه لا يجوز توجيهها لغير الله مطلقا ، إذ توجيهها لغير الله إما كفر به كليا و إما كفر به كفرا جزئيا ، و هو ما يسمى شركا في إلهيته أو في إلهيته و ربوبيته معا))[2].

و قد أوضح الرسول - صلى الله عليه و سلم – لمعاذ بن جبل هذا الحق يقول :بينما أنا رديف النبي - صلى الله عليه و سلم- ليس بيني و بينه إلا آخرة الرحل فقال: يا معاذ قلت : لبيك رسول الله و سعديك... قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله و رسوله أعلم ، قال : حق الله على عباده أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا . ثم قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ فقلت : الله و رسوله أعلم،قال : حق العباد على الله أن لا يعذبهم ."[3].

3 – **العبادة تكريم للإنسان :**

إن العبادة حق لله – تبارك و تعالى – على عباده ، لكن توجه الإنسان بها إلى الله – عز و جل – في الإسلام توجه واع مبن على العقل (في غالب الأحيان) و في أداء هذا

---

(1) الأعلى / 1-5.

(2) محمد المبارك : العبادة في الإسلام . ص 34.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب: اللباس ، باب : إرداف الرجل خلف الرجل ، حديث رقم 5967 (4 / 84) و في كتاب : الرقاق ، باب : من جاهد نفسه في طاعة الله ، حديث رقم 6500 (4 / 191) و في كتاب: الجهاد ، باب : اسم الفرس و الحمار ، حديث رقم 2956 (2 / 320) و في كتاب : الاستئذان ، باب : من أجاب بلبيك و سعديك ، حديث رقم 6267 (4 / 145) و في كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي- صلى الله عليه وسلم- أمته إلى توحيد الله تبارك و تعالى ، حديث رقم 7373 (4/ 378).

حـق تحقـيق لكرامة الإنسان و إثبات للهدف الأسمى من وجوده ، فكلما كان الإنسان عـابدا لله – تبارك و تعالى – كلما اقترب من تحقيق إنسانيته الحقة .و كلما ترك العبادة حـط بهـا .يقـول محمد المبارك : " إن المعرض عن عبادة الله معرض عن إنسانيته وهو مسـتبدل بعبادة الله معبودا آخر أقامه عمليا في مكانه من مال أو شهوة أو عصبية جماعية أو هوى سياسي أو غاية علمية أو غير ذلك من مشاغل الإنسان الطبيعية المشروعة أو غير المشروعة ، مما لا يجوز أن يجعل معبودا يعبد من دون الله فيشغل القلب و يستنفد العاطفة و الفكر والعمل جميعا "[1].

و حين يجعل الإنسان هدفه في الحياة عبادة الله – عز و جل – فإنه بذلك يتخلص مـن جميع مظاهر الطاغوت " فلا عبادة إلا لله و لا استعانة إلا بالله ، وهنا كذلك مفرق طـريق ... مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية و بين العبودية المطلقة للعبيد ! وهـذه الكلـية (إياك نعبد وإياك نستعين) تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل والـتحرر مـن عبودية الأوهام و التحرر من النظم والتحرر من عبودية الأوضاع ، و إذا كـان الله وحده هو الذي يعبد و الله وحده هو الذي يستعان فقد تخلص الضمير البشري من استذلال النظم و الأوضاع والأشخاص ، كما تخلص من استذلال الأساطير و الأوهام والخـرافات "[2].وتوخي عبادة الله – هدفا – في الحياة يجعل الإنسان يستشعر ضآلة كل ما يصادفه من آفات لأنه يستمد قوة راقية من خالق كل شيء " إن جعل الله – تعالى – هدفا نهائيا يتجه إليه الإنسان في كل مناشطة (و هو معنى العبادة) لئن كان يشعر بضآلة الـنفس أمـام هذا الهدف الأسمى فإنه يشعر أيضا بعظمة النفس في تجاوز كل الأهداف الجزئـية في طـريق الرحلة إلى الله ، فعظمة الهدف تشعر بعظمة النفس إزاء الموجودات المحـيطة ، التي قد تعرقل المسيرة إلى ذلك الهدف أو تغوي ، بأن تكون هي نفسها أهدافا دون الهـدف الأعـلى ... فإذا كان الهدف المقصود هو الله كان استشعار الرفعة إزاء ما سـواه من الوجودات على قدر سمو هذا الهدف ، و كان الاستعلاء على المعيقات المثبطة

---

[1] محمد المبارك: نحو إنسانية سعيدة. ص 76-76.

[2] سيد قطب: الظلال. ج 1. ص 25.

يستمد من بعد الهدف و عظمته ، فلا يكون مع ذلك مجالا لخضوع و مذلة لشهوة جامحة أو مظهر من مظاهر الطبيعة العاتية "[1].

لقد انتشلت العبادة في الإسلام الإنسان من أن يكون عبدا لمن لا يستحق ذلك و يهبط من قيمته الوجودية فخلصته من عبادة جميع مظاهر الطاغوت .

إن عبادة الله – تبارك و تعالى – تحقيق لارتقاء الإنسان في الحياة الدنيا،وضمان لسعادة الخلود في الحياة الآخرة ، فإذا كان بهذه العبادة يتسامى إلى ما يضفي عليه فيوضات من صفات الله – عز و جل – فإنه في الحياة الآخرة ينال نعمة الخلود في جنة و التي هي من أكبر مظاهر التكريم الإلهي للإنسان .

و قد عبر القرآن الكريم عن مستلزمات العبادة بالأمانة ، فقال : **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}**[2].

فقد سمى التكاليف التي هي مجموع الأوامر و النواهي التي يتقرب بها إلى الله – عز وجل – بالأمانة ، لما بينها و بين الأمانة المادية من اشتراك ، فكلاهما يتحقق فيه معنى لاصطفاء و الإيداع و الجهاد و الجزاء وكلها معان تحقق بها عزة الإنسان .

يقول عبد المجيد النجار : " و إنما عبر عن التكليف بالأمانة لأن الأمانة هي الحفاظ على ما عهد به ، و رعيه و الحذار من الإخلال به سهوا أو تقصيرا أو عمدا ، و التكليف هو تحميل للأوامر و النواهي بطلب رعايتها و الحذار من الإخلال بها ، و ذلك بأدائها على وجهها الذي حملت به ، كما هو مطلوب في الأمانة أن يؤدى المعهود به فيها على وجهه كما هو ، فقد اشترك التكليف مع الأمانة في عناصر ثلاثة : الإيداع و المحافظة على المودع و أداؤه على وجهه..."[3].

و في هذه الثلاثة تتحقق رفعة الإنسان و سموه : ففيها اختيار له لتميزه ، وفيها إثبات لقوة إرادته بمغالبة الهوى .

---

(1) عبد المجيد النجار : قيمة الإنسان . ص 34-35.
(2) الأحزاب / 72.
(3) عبد المجيد النجار : قيمة الانسان.ص28

و إذا كان الإنسان المؤمن يجازى على الأمانة المادية ،إذا أداها [illegible] فإنه يجازى على الأمانة الكبرى و الامتحان فإنه بأدائه لأوامر الله و نواهيه ينال نعيم الخلود في الجنة [illegible] و تعالى : **{وبشّرِ الّذين آمنُوا وعملُوا الصّالحات أنّ لهُمْ جنّات تجري من تحتها الْأنْهارُ كُلّما رُزقُوا منْها منْ ثمرة رزْقا قالُوا هذا الّذي رُزقْنا منْ قبْلُ وأُتُوا به متشابها ولهُمْ فيها أزْواجٌ مُطهّرةٌ وهُمْ فيها خالدُون}**[1].

يقول عبد المجيد النجار : " إن هذا المعنى من الاكتمال و الرقي الذي يتأتى بالتكليف يتبدى فيه التكريم الإلهي للإنسان بما يعني من شأنه ، و يرفع من قيمته ، فهو واضعة لمصير الإنسان بيده ، عبر الجهاد ، و ليس من يملك مصير نفسه كمن يستأنف أمره في ذلك المصير ، و فيه انفتاح إلى أفق المستقبل ، و اندفاع للتحرك نحو الكمال في ذلك المستقبل ، و فيه ترتيب الثواب العظيم على الجهاد الموفق في الامتثال للأوامر و النواهي وهو مظهر عظيم للتكريم الإلهي "[2].

4 - **العقيدة مبعث الالتزام بالعبادة :**

لقد توجه اهتمام الإسلام في بنائه للشخصية المسلمة إلى تصحيح العقيدة ، ذلك أن كل ما يقبل عليه الإنسان مبعثه عقدي و هدفه عقدي.

و الإيمان الصادق بالله – تبارك و تعالى – وحده ، ينتهي بالإنسان المسلم إلى الثقة فيما يأمر به – سبحانه – و يدعو إليه ، و ذلك رغبة في رضاه ، و حبا في سعادة الآخرة .و لذلك نلاحظ أن كل ما جاء من أوامر إلهية لتطبيق العبادات و الأحكام عموما ، بدئ بنداء الإيمان أو ختم بشرطه ، و ذلك يثبت في أذهاننا أن العقيدة السليمة من المفترض أن تثمر امتثالا لله – عز و جل – فإذا تخلف هذا الامتثال كان بسبب غواش من الانحراف .

و لعل ما كان عليه حال العبادة في الجاهلية ، يصور لنا هذه الحقيقة فقد كان العرب يقولون عن الأصنام : **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**[3]. فعدم معرفتهم بالله المعرفة الصحيحة ألجأهم إلى ما هو محسوس و مشاهد لديهم ، فلما بنيت العقيدة على

---

[1] البقرة / 25.
[2] عبد المجيد النجار : قيمة الإنسان . ص 32.
[3] الزمر / 3.

أســـس قوية من المعرفة السليمة بالله – سبحانه – عن طريق المنهج القرآني القويم : تخلوا عـــن ذلك الأنس المزيف و لجأوا إلى العبادة الصحيحة التي تصلهم بالله – تعالى – دون وساطة .

إن التشـــوه في العقيدة ، يلحقه بالضرورة تشوه في العبادة ، يقول الميداني : " قد يضـــعف التصور الإيماني المتحرك الفاعل مع سلامة العقيدة المستقرة في القلب ، فتضعف بضعفه مشاعر العبادة التي هي ردود أفعال النفس السوية اتجاه التصورات الإيمانية المتحركة الفاعلة في ساحة التصور .

و قـــد ينعدم التصور الإيماني هذا أو يغشى عليه بأفكار و مفاهيم أخرى تسيطر عـــلى ساحة التصور ، فتنعدم مشاعر العبادة ، و تتوجه حينئذ شطر غير الله هائمة تائهة أو موجهة بتصورات أخرى ، و تدخل بذلك رياح الشرك إلى القلب والنفس "[1].

و مظاهر الانحراف في العبادة تنشأ نتيجة الفراغ العقدي أو الانحراف العقدي ، إذ الإيمان يقيم حارسا أمينا على الامتثال : " إن الإيمان يقيم دائما في القلب و العقل حارسا معـــنويا أمينا لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس و النوازع و الأحاسيس المادية ، قال لها ذلك الرادع: محظور .. ممنوع فيطردها و يهزمها .

إن أفعـــال الإنســـان إنما تصدر عن تمايلات القلب و المشاعر ، و هي تنبعث من شـــدة تحســـس الروح و حاجتها . و الروح إنما تمتز بروح الإيمان ، فإن كان خيرا يفعله الإنســـان ، و إلا يحاول الانسحاب ، و عندئذ لا تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التي لا ترى العقبى "[2].

و عن تأثير ضعف العقيدة على العبادة حدثنا القرآن الكريم ، عن قوم نوح، فلما ضعفت صلتهم بالله و اختفى علمهم بهذه الحقيقة ، لجأوا إلى عبادة ود و سواع و يغوث و يعـــوق و نســـرا ، فذكرالرسول أنها " أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا و سموها

1 محمد المبارك: نظام الإسلام : العقيدة و العبادة. ص 169

2 أخرجه البخاري في كتاب:الإيمان. باب :دعاؤكم إيمانكم حديث رقم.(20/1)

3 الفاتحة/2-4

4 البقرة/ 21-22

5 الأنعام/ 164/162

بإيمانهم ، فعملوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك و نسخ العلم عبدت "[1].

و إذا كانت العقيدة هي التي تثمر العبادة و توجهها التوجيه الصحيح فما هو تأثير العبادة على العقيدة ؟.

5- تأثير العبادة على العقيدة :

للعبادة تأثير قوي على استقرار الإيمان و تثبيته ، إذ أن الإيمان يكون فكرة باهتة ما لم يعضد بالعبادة ، فإذا تمسك المؤمن بالعبادة و أداها على وجهها المطلوب وجد حلاوة الإيمان ، لأنها تجعله على صلة دائمة بالله تبارك و تعالى -- وتؤكد امتثاله له -- عز وجل -- .

و في هذا المعنى يقول الله عز و جل - : **{ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }**[2].

يقول الزمخشري في تفسير قوله - تعالى - : **{ وتثبيتا من أنفسهم }** وليثبتوا بها ببذل المال الذي هو شقيق الروح ، و بذله أشق شيء على النفس ، إذا روضت بالمعامل، و تكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة ، لصاحبها و قل طمعها في اتباعه شهواتها ، و بالعكس فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين "[3].

و قياسا على الإنفاق ، فكل العبادات فيها تثبيت للإيمان في النفس، إذ فيها جميعا يتحقق معنى الجهاد للنفس في إتيانها ، و في توضيح ذلك يقول محمد المبارك : " و لقد أعد الإسلام لإحياء العقيدة في النفس و إيقاظها في الإنسان ، وقلبها من نظرة فكرية إلى قوة حيوية محركة ، سبيلا قويما ، فلم يكتف بإيمان العقل بوحدانية الواحد ، خالق السماوات و الأرض ، و ما بينهما ، و بالحياة الأخرى التي يصير الخلق إليها ويرجعون ، لكنه جعل لهذه العقيدة رياضة يمارسها معتقدها ، و مادة لا تنقطع عن إمدادها وتغذيتها ، و إيقاد جذوتها في النفس حتى تبرز في الإنسان إنسانيته على الصفات الأخرى ، وتبرز صلته بالخالق ، وتعلو على الصفات الأخرى ، فتظهر عبوديته التي تكمن فيها كل

---

(1) سبق تخريج الحديث .أنظر: ص ص 111 .

(2) البقرة / 265.

(3) الزمخشري : الكشاف . ج1 . ص 133

قوتـــه الحقيقية الباطنية النامية ، و تلك الرياضة هي العبادة ، فينقلب اعتقاد الفكر بعظمة الله وقدرته و إنعامه إلى خضوع لهذه العظمة و شعور بتلك القدرة . وتقدير لتلك النعم المستمرة و حب لمصدرها "[1].

و مظاهر العبادة تجليات لصفاء العقيدة و تمكنها من النفس . وقد أمر رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بها في بداية دعوته ، و ذلك لأن فيها تقوية له و للمسلمين في دعوتهـــم إلى الله -عز و جل - و كـــان مـــن أول ما نزل عليه - صلى الله عليه و ســـلم - : **{ يَاأَيُّهـــا الْمُزَّمِّلُ.قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا.نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا.أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا.إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا }**[2].

و عـــن آثار العبادة يقول سيد قطب: ((من أسرارها أنها زاد الطريق و أنها مدد الروح و أنها جلاء القلب و أنه حيثما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هـــذا التكلـــيف في حلاوة و بشاشة و يسر ... فكان الإعداد للقول الثقيل و التكليف الشاق و الدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن ...إنها العبادة التي تفسح القلب و توثق الصـــلة و تيســـر الأمـــر و تشـــرق بالـــنور ، و تفيـــض بالعزاء و السلوى والراحة والاطمئنان))[3].

إن العـــبادة إذا مارسها الإنسان ، وثق بصدق صلته بالله - تبارك وتعالى -فإذا داوم عـــلى ذلـــك قويـــت تصوراته الإيمانية و ازداد إقبالا على الله -عز و جل - يقول الميـــداني عـــن ممارسة العبادات مستوفية لشروطها بأنها: ((تقوي في نفس المؤمن جانب تصـــوراته الإيمانـــية ،و تذكره بربه ، وترفعه من التعلق بالأرضيات شيئا فشيئا ،و تصله بقاعدة الإيمان، الذي يمد ساحة تصوره المتحرك الفاعل بصور من عناصره رجاء أن يكون لها ردود أفعال سوية في النفس))[4].

لا شك أن العبادة هي التي تفعل العقيدة و تظهر آثارها و ثمارها ، و في هذا يقول النورســـي :((اعلم أن العبادة هي التي ترسخ العقيدة و تصيرها حالا و ملكة إن الأمور

---

(1) محمد المبارك : نحو إنسانية سعيدة .ص 75-76.
(2) المزمل / 1-6.
(3) الظلال : ج 1 . ص 142.
(4) الميداني: العبادة في الإسلام . ص 88.

الوجدانية و العقلية إذ لم تنمها و تربها العبادة التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ،تكمن آثارها و تأثيراتها ضعيفة ،وحال الإسلام الحاضرة شاهدة. واعلم أيضا أن العبادة سبب السعادة في الدارين و سبب لتنظيم المعاش و المعاد ... و سبب الكمال الشخصي و النوعي ... و هي النسبة الشريفة العالية بين العبد وخالقه))[1].

و قد انتشر الإسلام في عهده الأول على يد أناس اشتهروا بالعبادة، فهي التي تجعل العقيدة حية في النفوس ، فتصبح هذه النفوس رهينة لله –تبارك و تعالى –و هي التي تربي فيها تقوى الله لتذكيرها المستمر به –سبحانه و تعالى – يقول محمد المبارك : ((لقد بدأ أولئك المسلمون الأولون بفتح آفاق أنفسهم قبل أن يفتحوا آفاق العالم و تهيئوا و تجردوا لذلك العمل العالمي ، الضخم ، و لتلك الثورة الكبرى ، لقد كونت نواتها الأولى العبادة وتطهير النفس و تقوية صلتها بالله ، و وعيها لآفاق الوجود، لقد كانت اللبنة الأولى في تاريخ الدعوة ، و كانت بالنسبة للحضارة التي أقامها المسلمون بمثابة الجذور العميقة التي أنبتت وأثمرت))[2].

و كما يوجد للعبادة تأثير على تقوية الإيمان و جعله ملكة راسخة، فلها أيضا تأثير على الإقبال عليه .فإذا التزمت الجماعة المسلمة بالعبادة كسبت خصائص معينة كالاتحاد والاستقرار و التوازن ، فيدفع ذلك إلى التخلي عن الشر، فيؤدي إلى غيرة غير الملتزم بالعبادة . و يكون ذلك من دواعي الدخول في الإسلام بالنسبة لغير المسلم . كما سنرى ذلك بالنسبة للصلاة بصفة خاصة .

1 النورسي:كلمات صغيرتفي العقيدة والعبادة.ص 104 .وانظر:اشاراتالاعجاز.ص 147

2 محمد المبارك:نحوانسانية سعيدة.ص 196-197

ثانيا : الصلاة و صلتها بالعقيدة :

1- تعريف الصلاة :

أ- **لغة** : الدعاء ، و منها قوله تعالى : **{ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ }**[1].

و قوله – صلى الله عليه و سلم – ((خير أئمتكم الذين تحبونهم و يصلون عليكم و تصلون عليهم))[2].أي تدعون لهم و يدعون لكم ، و قيل التبريك والتمجيد ... وسميت هذه العبادة كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه[3].و صليت القناة : قومتها بالنار[4].

ب- **اصطلاحا** : هي أقوال و أفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير و مختتمة بالتسليم بشرائط مخصصة [5].

و قد تناول الفقهاء الصلاة و بسطوا في الحديث عما يتعلق بأحكامها، وفي هذا البحث سأركز على كيفية وصل القرآن الكريم بين العقيدة و الصلاة دون استطراد في الحديث عما هو موجود في الكتب الفقهية .

و الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، و الفيصل بين الإيمان والكفر إذ يقول الرسول – صلى الله عليه و سلم – : ((الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و تقيم الصلاة و تصوم رمضان ، و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا))[6].

و يقول : ((العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر))[7].

---

(1) التوبة / 103.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإمارة . باب : خيار الأئمة و شرارهم .حديث رقم 1355 (1481/3).

(3) الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن .ص 293.

(4) الزمخشري : أساس البلاغة . ص258.

(5) عبد الرحمان الجزيري : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة . ج : 1. ص 160.

(6) سبق تخريج الحديث .أنظر ص. 56 .

(7) أخرجه أحمد في مسنده (346/5) و ابن ماجة في سننه كتاب : إقامة الصلاة و السنة فيها . باب : ما جاء في من ترك الصلاة . حديث رقم 1078. (342/1) و الترمذي في سننه في كتاب الإيمان . باب :ما جاء في ترك الصلاة.حديث رقم 2618 . (14/5) و النساتي في سننه في كتاب : الصلاة.باب:الحكم في تارك الصلاة.حديث رقم 462(280/1) .

و قد أعطاها الله – عز و جل – منزلة لا تعدلها أية عبادة أخرى ، فقال – صلى الله عليه و سلم– معبرا عن ذلك : ((رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد))[1].

و قد أخبرنا القرآن الكريم أن الصلاة ليست وليدة الرسالة الخاتمة فحسب و إنما كانت في سائر الملل ، إلا أن هيأتها مختلفة .

يقول – تبارك و تعالى – متحدثا عن إبراهيم – عليه السلام – : **{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لعلَّهُمْ يَشْكُرُون }**[2].

و قد اقتصر إبراهيم في الآية على الصلاة – كما يذكر المفسرون – لأنها جامعة لمحاسن الدين فإذا ضيعها المؤمن ، فقد ضيع الدين كله ، وإذا حفظها ، كان ذلك داعية لأن يحفظ كل دينه[3].

و ورد في عهده –تعالى – إلى إبراهيم و إسماعيل قوله : **{ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }**[4].

و يأخذ الله – تعالى – الميثاق على بني إسرائيل ، فتكون إقامة الصلاة من أهم موادّه :

{ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ }[5].

و تنادي الملائكة مريم أم عيسى – عليهما السلام – آمرة لها بالركوع والسجود: **{ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}**[6].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب :الإيمان . باب : ما جاء في حرمة الصلاة . حديث رقم 2616 (13/5) و ابن ماجة في سننه في كتاب : الفتن . باب : كف اللسان في الفتنة . حديث رقم 3373 . (1314/2) .

2 إبراهيم /37

3 عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن. ج 5 ص 195

4 البقرة: /125

5 المائدة/ 12

6 آل عمران /43

و يوحي بهذا الله - تعالى - إلى عيسى - عليه السلام - فيقول : { وجعلني مُباركا أيْن ما كُنتُ وأوصاني بالصّلاة والزّكاة ما دُمْتُ حيّا }[1].

و مما ميزات الصلاة أن جعلها الله - عز و جل - مجلى للإيمان النقي ، يتحقق فيها معنى عبودية الإنسان لله ، و رفعته أمام البشر ، إذ في حضرته - سبحانه - يكاد يتلاشى وجود الإنسان ، فلا يشعر إلا أنه مجرد ذرة من هذا الكون الفسيح المسبح بحمد ربه ، و بصلاته هذه يتسامى لأن يكون أهلا لمناجاة الله - عز و جل - و يشعر بصفائه الروحي ، و تجرده من الخضوع لغير الله - تبارك و تعالى - و في هذا المعنى يقول محمد إقبال : " فالصلاة إذن سواء في ذلك صلاة الفرد أو صلاة الجماعة هي تعبير عن شوق مكنون الإنسان إلى من يستجيب لدعائه في سكون العالم المخيف ، و هي فعل فريد من أفعال الاستكشاف تؤكد به الذات الباحثة وجودها في نفس اللحظة التي تدرك فيها دائما فتتبين قدر نفسها و مبررات وجودها بوصفها عاملا محركا في حياة الكون"[2].

و قد كانت الصلاة أول العبادات التي فرضها الله - تعالى - على الرسول - صلى الله عليه و سلم - لتكون له عونا على إرساء عقيدة التوحيد و تثبيته في دعوته يقول - عز و جل - : { يا أيُّها الْمُزّمّلُ.قُمْ اللّيْلَ إلّا قليلا.نصْفَهُ أوْ انْقُصْ منْهُ قليلا.أوْ زدْ عليْه ورتّلْ الْقُرْآن ترْتيلا.إنّا سنُلْقي عليْكَ قوْلًا ثقيلًا }[3].

و يقول - تبارك و تعالى - : { وإنْ كادُوا ليَفْتنُونك عنْ الّذي أوْحيْنا إليْك لتفْتري علَيْنا غيْرَهُ وإذًا لاتّخذُوكَ خليلًا.ولَوْلا أنْ ثبّتْناكَ لقدْ كدْتَ ترْكنُ إليْهمْ شيْئًا قليلًا .إذًا لأذقْناك ضعْفَ الْحَياة وضعْفَ الْممَات ثُمّ لا تجدُ لك علَيْنا نصيرًا.وإنْ كادُوا ليسْتفزُّونكَ منْ الْأرْض ليُخْرجُوكَ منْهَا وإذًا لا يلْبثُونَ خلافَكَ إلّا قليلًا.سُنّةَ منْ قدْ أرْسلْنا قبْلَكَ منْ رُسُلنا ولا تجدُ لسُنّتنا تحْويلًا. أقمْ الصّلاةَ لدُلُوك الشّمْس إلى غسَقِ اللّيْلِ وقُرْآنَ الْفجْرِ إنّ قُرْآنَ الْفجْرِ كانَ مشْهُودًا.ومنْ اللّيْلِ فتهجّدْ به نافلةً لكَ عسى أنْ يبْعثَكَ ربُّكَ مقامًا محْمُودًا }[4].

---

(1) مريم / 31.
(2) محمد إقبال : تجديد الفكر الديني في الإسلام . ص 106-107.
(3) المزمل / 1-5.
(4) الإسراء / 73-79.

و تشير هذه الآيات إلى مساومات المشركين للرسول - صلى الله عليه وسلم في مسيرة دعوته إلى الله - عز و جل - و منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم ، و ما كان عليه آباؤهم . و مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراما كالبيت العتيق الذي حرمه الله ، وساومه بعض الكبراء منهم أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء[1].

لقد دعا الله - تبارك و تعالى - رسوله - صلى الله عليه و سلم -للثبات على عقيدته و رسالته بالإقبال على الصلاة يقول الرازي : " أمره - تعالى - بالإقبال على عبادته لكي ينصره عليهم ، فكأنه قيل له : لا تبال بسعيهم في إخراجك من بلدتك و لا تلتفت إليهم ، و اشتغل بعبادة الله ، و داوم على أداء الصلوات ، فإنه - تعالى - يدفع مكرهم و شرهم عنك ، و يجعل يدك فوق أيديهم ، و دينك غالبا على أديانهم "[2].

و مثل هذا قوله - تعالى - :{ **فاصْبِرْ على ما يقُولُون وسبِّحْ بِحمْدِ ربِّك قبْل طُلُوعِ الشَّمْسِ وقبْلَ غُرُوبِها ومِنْ آناءِ اللَّيْلِ فسبِّحْ وأطْرافَ النَّهارِ لعلَّك تَرْضى** }[3].

و قوله - سبحانه - { **ولقدْ نعْلمُ أنَّك يضِيقُ صدْرُك بما يقُولُون.فسبِّحْ بحمْدِ ربِّك وكُنْ مِنْ السَّاجِدِين. واعْبُدْ ربَّك حتَّى يأْتِيك الْيقِينُ** }[4].

لقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستعين على أداء الرسالة بالمداومة على العبادة و بخاصة الصلاة ، ليزداد ثباتا على دعوته ، و اعترافا بحق الله في عبوديته له . كان - عليه الصلاة و السلام - يقوم الليل و هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر ، فإذا سئل عن ذلك يجيب : ((أفلا أكون عبدا شكورا))[5].

2- مقاصد الصلاة :

إننا إذا حاولنا البحث عن السر في دعوة الله - تبارك و تعالى - للرسول - صلى الله عليه و سلم - إلى الاستعانة بالصلاة في أدائه لرسالة التوحيد ، وجدنا أن في الصلاة تذكيرا دائما بالله - عز و جل - يضفي على الإنسان القوة التي تهون أمامه كل الصعاب.

---

(1) سيد قطب : الظلال . ج 15. ص 2245.
(2) الرازي : التفسير الكبير : ج11 . ص 26.
(3) طه / 130.
(4) الحجر / 97-99.
(5) سبق تخريج الحديث . أنظر : ص 27.

المقصد الأساسي من الصلاة : ذكر الله – عز و جل – أو إرساء عقيدة توحيد .

- يقول – تبارك و تعالى – : { إِنَّني أَنا اللَّهُ لا إِله إِلَّا أنا فاعْبُدْني وأَقِمْ الصَّلاة لذكْري }[1].

- و يقول : { يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا إِذا نُودي للصَّلاة منْ يوْم الْجُمُعة فاسْعَوْا إِلى ذكْر اللَّه وذَرُوا الْبَيْع ذلكُمْ خيْرٌ لكُمْ إِنْ كُنتُمْ تعْلَمُون }[2].

- و يقول : { وأَقِمْ الصَّلاة طَرفي النَّهار وزُلَفًا منْ اللَّيْل إِنَّ الْحَسَنات يُذْهبْن السَّيِّئات ذلك ذكْرى للذَّاكرين }[3].

- و يقول : { وأَقِمْ الصَّلاة إِنَّ الصَّلاة تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاء والْمُنْكَر ولَذكْرُ اللَّه أَكْبَرُ واللَّهُ يعْلَمُ ما تصْنَعُون }[4].

- و يقول : { فذَكِّرْ إِنْ نفَعَتْ الذِّكْرَى.سيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى.ويَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى. الَّذي يصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى.ثُمَّ لا يمُوتُ فيها ولا يحْيَا.قدْ أَفْلَحَ منْ تزَكَّى.وذكَرَ اسْمَ ربِّه فصَلَّى }[5].

- و يقول –تعالى – : { في بُيُوت أَذنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسْمُهُ }[6].

تفيد هذه الآيات القرآنية أن المقصد الأصلي من الصلاة ، هو ذكر الله – تبارك و تعالى – فقد ينشغل الإنسان في حياته بأمور الدنيا ، فجعل الله –عز وجل– الصلاة تتحلل يومه ليكون على صلة دائمة به: ففي عقد النية تذكير للعهد الذي قطعه على نفسه في إخلاص العبادة لله وحده – سبحانه و تعالى – و في قراءة القرآن و توجه الإنسان إلى الله و استحضاره لمعاني الكلمات التي يرددها إقرار بربوبية الله وألوهيته ، يتجدد مع كل صلاة ، و لعلنا ندرك ذلك جيدا من خلال تكرار قراءة سورة الفاتحة – بالخصوص – في

---

[1] طه / 14.
[2] الجمعة / 9.
[3] هود / 114.
[4] العنكبوت 45
[5] الأعلى / 9-15.
[6] النور / 36.

الدين ، الا يقول سيد قطب : ((إن في هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية ، و كليات التصور الإسلامي و كليات المشاعر و التوجهات ، ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة و حكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها))[1].

و من خلال الحديث القدسي الذي ذكر فيه ، الله - عز و جل- قسمة الصلاة بينه و بين المصلي تتجلى لنا تلك الرابطة القوية التي تحدثها الصلاة بين الإنسان و ربه ، ((قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : " الحمد لله رب العالمين " قال الله : حمدني عبدي ، و إذا قال : " الرحمان الرحيم " قال الله : أثنى علي عبدي ، فإذا قال : ملك يوم الدين . قال الله : مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي ، فإذا قال : " إياك نعبد و إياك نستعين " ، قال : هذا بيني و بين عبدي و لعبدي ما سأل ، فإذا قال : " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين " ، قال : هذا لعبدي و لعبدي ما سأل))[2].

و في تفسير خطاب الله - عز و جل - لموسى - عليه السلام - : **{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}**[3]. يذكر الزمخشري ، أن معنى ذلك لتذكرني فيها ،لاشتمالها على الأذكار ، أو لذكره خاصة لا يشوبه ذكر غيره - عز و جل - و الإخلاص له لا يقصد فيها غرض آخر[4].

و يشير العلماء إلى أن الصلاة أفردت في الآية بعد ذكر العبادة مع اندراجها فيها لفضلها على سائر العبادات ، بما خصت به من ذكر الله - عز وجل - و شغل كيان الإنسان كله به - سبحانه - .و عن قوة الصلة التي تكون بين العبد و ربه في الصلاة يقول الرسول - صلى الله عليه و سلم - ((أما إن أحدكم إذا قام في الصلاة فإنه يناجي ربه ، فليعلم أحدكم ما يناجي ربه و لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة في الصلاة))[5] .و لأن الصلاة تقام لذكر الله - عز و جل - ذكرا خالصا من الشوائب نجد القرآن

---

(1) سيد قطب : الظلال : ج1 . ص 21.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الصلاة . باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . حديث رقم 395 . (1 / 296).
(3) طه / 14.
(4) الزمخشري : الكشاف . ج3 . ص 55.
(5) أخرجه أحمد في مسنده (2 /36).

ذكرهم يمدح في مواطن كثيرة المؤمنين الذين يقيمون صلاتهم في خشوع،و لايسهون عنها ، يقول – سبحانه و تعالى - : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ.الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}[1].

و يقول : {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ.الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}[2].

يقول محمد حسين فضل الله : " الصلاة ليست مجرد عمل عبادي ، يتمثل في الأفعال التي يؤديها المؤمنون في حركاتهم الصلاتية . بل هي حالة تعبيرية عن الذوبان في معنى العبودية والاستغراق في الإحساس بعظمة الله .. و رحلة روحية يلتقي الإنسان فيها بالله بروحه عندما تعرج روحه إليه من خلال الكلمات التي يقولها ، أو الأعمال التي يعملها ، و لا معنى لذلك إلا في أجواء الخشوع الذي هو سر الصلاة في معناها العبادي الذي يعطي لمفرداتها معنى عميقا في سر الروح .. و لهذا كان الثواب للمصلي ، بمقدار خشوعه في قلبه و إقباله على ربه .. إن الصلاة هي التعبير الحي عن الإيمان العميق بالتوحيد لله ، فلابد أن تخشع أمامه ، بكل كيان الإنسان في موقفه أمام ربه "[3].

و في قوله – سبحانه و تعالى - : **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}**[4].تأكيد على وجوب وعي الإنسان بذكره لله – عز و جل – أثناء صلاته ، و إلا انتفت فائدتها، و في تحديد معنى هذه الآية ، يقول أبو حامد الغزالي : " قيل سكارى من كثرة الهم و قيل من حب الدنيا ، و قيل : المراد ظاهره ، ففيه تنبيه على سكر الدنيا ، إذ بين فيه العلة ، فقال: **" حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ "** و كم من متصل لم يشرب خمرا و هو لا يعلم ما يقول في صلاته"[5].

و الفائدة التي تتحقق للإنسان من ذكر الله – عز و جل – هي أن يعيش على صلة دائمة به – سبحانه و تعالى - و لما كانت الصلاة تتكرر في اليوم عدة مرات فهي إذا حققت هذا المقصد كان من شأنها أن تغرس في الإنسان استشعار روح المسؤولية في جميع أقواله و أفعاله ، يقول الميداني :" إن الله – عز و جل - شرع لعباده ، و هو العليم بما فطرهم عليه ألوان العبادات القولية و العملية في الدين الذي اصطفاه لهم ، لتكون هذه

---

(1) المؤمنون /1-2.
(2) الماعون / 4-5.
(3) محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن . ج1 . ص 146-147.
(4) النساء / 43.
(5) الغزالي : إحياء علوم الدين . ج1 ص 58-59.

لعبادات مساعدات على ذكر الله ، فإذا حضر هذا الذكر في ساحة الشعور المتحرك الفاعل على الوجه المطلوب ، كان من شأنه أن يستثير في النفس مشاعر العبادة النفسية والقلبية ، ذوات الآثار العملية في السلوك ، إذ تجعل السلوك يلتزم بصراط الله المستقيم بغية الظفر برضوانه الذي يحقق للعابد سعادة الدنيا و سعادة الآخرة ."[1]

و عن النسبة العالية التي تحدثها الصلاة للمصلي بربه يقول النورسي: " إن الصلاة نسبة عالية ، و مناسبة غالية ، و خدمة نزيهة بين العبد وسلطان الأزل ، فمن تلك النسبة أن يعشقها كل روح ، و أركانها متضمنة للأسرار .. و من شأن تلك الأسرار أن يحبها كل وجدان .. وإنها دعوة صانع الأزل إلى سرادق حضوره خمس دعوات في اليوم والليلة لمناجاته التي هي في حكم المعراج "[2].

ب - **المقاصد الثانوية من الصلاة** : تحدثنا فيما سبق عن كون المقصد الأساسي من أداء الصلاة هو ذكر الله – عز وجل –إلا أنه وردت في القرآن الكريم و السنة النبوية نصوص تفيد وجود مقاصد ثانوية ، يمكن وضعها تحت هذا العنوان : إكساب النفس البشرية القدرة على الجهاد .

فالإنسان إذا كان يستشعر في أدائه للصلاة الرقابة الإلهية ،ويقيمها على الصورة التي فرضها الله - عز و جل - ، كان من شأنها أن تمده بالقوة الفاعلة التي تهيمن على جميع تصرفاته . و تجعله يتميز بالشجاعة و الثبات في مواجهة مختلف المواقف و من أهم ما ركز عليه القرآن الكريم في حديثه عن مقاصد الصلاة :

[– النهي عن الفحشاء و المنكر :

إن الصلاة بمداومة الإنسان عليها من شأنها أن تجعله منتهيا عن الفحشاء و المنكر، و في ذلك يقول - تبارك و تعالى - : **{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }**[3]. وفي تعليل كيفية نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، يقول ابن عطية : " و ذلك عندي بأن المصلي ، إذا كان على الواجب من الخشوع والإخبات و تذكر الله – تعالى – وتوهم

---

(1) الميداني : العبادة في الإسلام . ص 58-59.
(2) النورسي : إشارات الإعجاز. ص52 .
(3) العنكبوت / 45.

بوقوف بين يدي العظمة و أن قلبه و إخلاصه مطلع عليه مرقوب ، صلحت لذلك نفسه و تدلـــت وحامرها ارتقاب الله — تعالى — فاطرد ذلك في أقواله و أعماله ، و انتهى عن الفحشاء و المنكر ، و لم يكد يفتر حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله، فهذا معنى هذا الإخبار ، لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون"[1].

و يـــرى ابن عاشور أنها تنهى عن الفحشاء و المنكر لأنها تشتمل على مذكرات ـــالله من أقوال و أفعال من شأنها أن تكون للمصلي كالواعظ المذكر بالله —تعالى — إذ ـــتنهى سامعه عن ارتكاب ما لا يرضي الله ، و هذا كما يقال : صديقك مرآة ترى فيها عـــيوبك . ففي الصلاة من الأقوال : تكبير الله و تحميده وتسبيحه و التوجه إليه بالدعاء و الاســـتغفار و قراءة فاتحة الكتاب المشتملة على التحميد و الثناء والاعتراف بالعبودية له و طلـــب الإعانة و الهداية منه ، واجتناب ما يغضبه و هو ضلال ، و كلها تعرض لمرضاة الله ، و الإقلاع عن عصيانه ، و ما يضفي إلى غضبه ، فذلك صد عن الفحشاء و المنكر .

و في الصلاة أعمال قلبية من نية و استعداد للوقوف بين يدي الله . و ذلك يذكر بـــأن المعـــبود جديـــر بأن تمتثل أوامره ، و تجتنب نواهيه ، فكانت الصلاة بمجموعها كالواعظ الناهي عن الفحشاء و المنكر[2].

و ليس في قوله — تعالى — " **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** " ما يفيد حتمية هذه النتيجة ، و إنما النفوس التي لا تطغى عليها الشهوات ، و تكون مرتبطة بالله تعالى — تحصل معها هذه النتائج لأن تكرار الصلاة ينمي هذا الانتهاء .

و علـــيه فـــلا نستغرب وجود أناس كثيرين يؤدون الصلاة لكنها لا تنهاهم عن الفحشـــاء و المنكر ، لأنها ليست مستوفية لحقوقها، يقول الميداني : " إن من شأن الصلاة المستوفية لعناصرها و المشحونة بذكر الله الذي هو روح العبادة أن تنهى المصلي الذاكر

---

(1) ابن عطية : المحرر الوجيز . ج4 . ص 319.
(2) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج20 . ص 259.

لـــربه فـــيها عن الفحشاء والمنكر ، فيكون هذا النهي مذكرا له بالاستقامة على طاعة الله والتزام صراطه المستقيم "[1].

و يـــأتي تذييل الآية بقوله تبارك و تعالى - : " **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** " و في ذلك تأكيد للمقصد الأول من الصلاة ، و للعلماء في تفسير هذا الجزء من الآية وجهان أوهما ما ذكره ابن عطية و أنه على الإطلاق : أي أنه هو الذي ينهى عن الفحشاء و المنكر لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب[2].

و الـــثاني : أن ذكر الله في الصلاة أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر ، في قدره وأثره و جلاله ، و في ذلك يقول ابن عاشور : " ذكر الله هو الإيمان بوجوده و أنه واحد فـــإنما أمـــر رسوله -- صلى الله عليه وسلم -- و أراد أمر المؤمنين بعملين عظيمين من البر أردفه بأن الإيمان بالله هو أعظم من ذلك "[3] . وهذا الإيمان هو الذي يفعل الصلاة .

2 – محاربة مظاهر الضعف البشري :

لقد دعا الله -- تبارك و تعالى — المؤمنين إلى الاستعانة على قضاء أمورهم، ومغالبة أنفسهم في تقبل أوامره -- عز و جل -- بالصلاة ، لأنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية و البدنـــية مـــن الطهارة و ستر العورة، وصرف المال فيها والتوجه إلى الكعبة و العكوف عـــلى العبادة ، و إظهار الخشوع بالجوارح و إخلاص النية بالقلب ، و مجاهدة الشيطان ومناجاة الحق و قراءة القرآن . و التكلم بالشهادة[4].

يقـــول — تبارك و تعالى - : **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }**[5].

فحين ينتاب الإنسان الضعف و لا يجد له ملجأ في الصلاة إذا كان غير عابد لله -- تبارك و تعالى — قد يؤدي به الضعف إلى الاستسلام للهزات الحياتية ، يقول سيد قطب : " و حـــين يطـــول الأمد ، و يشق الجهد قد يضعف الصبر أو ينفذ إذا لم يكن هناك زاد

---

(1) الميداني : العبادة في الإسلام . ص 60.
(2) ابن عطية : المحرر الوجيز . ج4 . ص 320.
(3) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج20. ص 261.
(4) أبو السعود :إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ج1. ص 98 .
(5) البقرة /45-46.

... يعون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة. حين تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة "[1].

و قد كان الرسول - صلى الله عليه و سلم - إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة و تؤكد الآيات القرآنية طبيعة ضعف النفس البشرية ، إذا لم تكن محصنة بالقوة للتغلب على ما يعترضها " إن الإنسان في صلاته و هي رأس العبادات يشعر أنه متجه إلى المطلق، يتجاوز لقيود الزمان و المكان ، مهيمن عليها ، بما استشرف من عظمة المقصود بالعبادة فيحصل له بذلك شعور بالعلو و السمو ، و إحساس بتفوق الذات في المحيط الكوني "[2].

هذا الشعور بالتفوق الذي يستمد من الصلة الدائمة بالله - تبارك و تعالى - يجعل الإنسان مسيطرا على الجزع في نفسه و نزوعها إلى الانفراد بالتملك يقول تبارك و تعالى: { إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ }[3].

و في محاربة الحس المتبلد و عدم مراعاة أحوال اليتامى ، يقول الله - عزوجل - : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ }[4]. فقوله - سبحانه - : { فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } يفيد أولئك الذين لم تنفعهم صلاتهم في إتيان مقاصدها و هي : مراعاة أحوال اليتامى والمساكين ، فلو كانوا مقيمين للصلاة كما أرادها الله - عز و جل - لأتت ثمارها في المجتمع ، يقول سيد قطب : " إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان ، إنما هي تحول في القلب يدفعه إلى الخير و البر بإخوانه في البشرية المحتاجين إلى الرعاية و الحماية ، و الله لا يريد من الناس كلمات ، وإنما يريد معها أعمالا تصدقها ، و إلا فهي هباء ، لا وزن لها عنده و لا خير "[5].

---

(1) سيد قطب : الظلال . ج1 . ص 142.
(2) عبد المجيد النجار : قيمة الإنسان . ص 35.
(3) المعارج / 19-23.
(4) الماعون / 1-5.
(5) سيد قطب : الظلال . ج8 . ص 264.

فالصـــلاة التي تحارب مظاهر الضعف البشري ، و تجعل الإنسان على صلة دائمة بالله - تبارك و تعالى -، مقبلا على ما يرضيه، قاهرا لشهواته ليست مجرد تلك الحركات التي يؤديها ، و إنما تلك التي تغذي التصور الدائم لمعاني الكلمات التي يقولها ، و لذلك يؤكد القرآن الكريم بتعابير مختلفة على حقيقة الصلاة التي يريدها من عباده : { إلا على الخاشعين }[1].

{ الذين يقيمون الصلاة }[2].

{ الذين هم على صلاتهم دائمون }[3].

3 – التأطير العقدي للصلاة في القرآن الكريم :

أ – نداء الإيمان :

حين تتبعنا للآيات القرآنية التي وردت في الحديث عن الصلاة نجد أن بعضها بدئ بنداء الإيمان ، و أغلبها وردت فيه الصلاة كجزء من أهم صفات المؤمنين . إيمانا صحيحا، و الذي نلاحظه أن الآيات التي ورد فيها ذكر الصلاة ، و بدئت بنداء الإيمان هي التي كان فيها أمر الله – تبارك و تعالى – موجها للالتزام بتشريع جديد على المؤمنين . أو الانتهاء عن أمر يلهي عنها ، و هذا النداء أقوى في التأثير، و فيه تذكير للالتزام بعهد الإيمان مع الله – عز و جل – و من هذه الآيات :

قوله – تعالى – { يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين }[4].

و قوله : { يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون }[5].

و قوله : { يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا

---

(1) البقرة / 45.
(2) المائدة / 55.
(3) المعارج / 23.
(4) البقرة / 153.
(5) النساء / 43.

ماء فتيمموا صعيدا طيّبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يُريد اللّه ليجعل عليكم من حرج ولكن يُريد ليطهركم وليتمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرون }[1].

و قوله : { ياأيُّها الّذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون }[2].

و قوله : { ياأيُّها الّذين آمنوا إذا نُودي للصّلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون }[3].

فقد بدأنا بالآية الأولى : نلاحظ فيها دعوة للاستعانة بالصبر و الصلاة على أمر عظيم سيقبلون عليه و هو الجهاد في سبيل الله ، و هذا بدأ بنداء الإيمان .

إذ التخلي عن أمور كانوا متمسكين بها في الجاهلية و الإقبال على أخرى جديدة يحتاج إلى مدد من الله عز و جل - فقد عمل الرسول - صلى الله عليه و سلم - على غرس الإيمان في نفوسهم ، و أتى الوقت الذي يجسدون فيه مدى ارتباطهم بالله – عز و جل – و الصلاة من مظاهر الممارسات العقدية التي تختبر حقيقة الإيمان و تعين على الالتزام بما أمر به الله – عز و جل – و هي من القوى التي تساعد على تخطي المشاق إنها الزاد الذي يجدد الطاقة ، يقول ابن عاشور : "وافتتح الكلام بالنداء لأن فيه إشعار بخبر مهم عظيم ، فإن شأن الأخبار العظيمة التي تهول المخاطب أن يقدم قبلها ما يهيئ النفس لقبولها قبل أن يفجأها "[4].

و الحديث في هذه الآية عن الصبر و الصلاة ، تمهيد للحديث عن الجهاد و كيف يجعلان الإنسان يتمتع بالشجاعة التي تهون أمامه المشاق ، و هذا ما تؤكده الآيات التالية لها ، يقول – تعالى – { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ.وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }[5].و يمكن إدراج الآية الثانية ، أي قوله – تعالى – : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا

---

(1) المائدة / 6.
(2) الحج / 77.
(3) الجمعة / 9.
(4) ابن عاشور : التحرير و التنوير . ج1 . ص 52.
(5) البقرة / 154-156.

واسْجُدُوا واعْبُدُوا ربَّكُمْ وافْعَلُوا الْخيْر لعلَّكُمْ تُفلحُون }[1]. ثم بعين هذه الآية ورد بعدهـا مباشرة قوله – تعالى – { وجاهدُوا في اللّه حقّ جهاده هُو اجْتباكُمْ وما جعل عَلَيْكُمْ في الدّين منْ حَرَجٍ ملّة أبيكُمْ إبْراهيم هُو سمّاكُمْ الْمُسْلمين منْ قبْلُ وفي هـذا ليكُونَ الرّسُولُ شهيدًا عليْكُمْ وتكُونُوا شُهداء على النّاس فأقيمُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ وَاعْتَصمُوا باللّه هُوَ مَوْلاكُمْ فنعْمَ الْمولى ونعْمَ النّصيرُ }[2].

و معنى الجهاد في الآية : جهاد الكفار أولا ، و جهاد الأنفس في الاستحابة لأمر الله –تبارك و تعالى –[3] ، و لقيمة الصلاة و دورها في تحقيق نوعي الجهاد ، و جعل الشجاعة ملكة في النفس البشرية ،تكرر ذكرها في الآيتين متتاليا. أما قوله –سبحانه وتعالى– : { يَاأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وأَنْتُمْ سُكارى حتَّى تَعْلَمُوا ما تقُولُون ولا جُنُبًا إلّا عابري سَبيلٍ حتّى تغْتسلُوا وإنْ كُنتُمْ مرْضى أوْ على سفر أوْ جاء أحدٌ منْكُمْ منْ الْغَائط أوْ لَامَسْتُمْ النّسَاءَ فَلَمْ تَجدُوا مَاءً فتيمّمُوا صعيدًا طيّبًا فامْسحُوا بوُجُوهكُمْ وَأيْديكُمْ إنّ اللّهَ كَانَ عفُوًّا غفُورا }[4].

ففي الآية دعوة إلى التخلي عن أمر كان من أحب الأمور إلى النفوس في الجاهلية، فقد كانت مجالسهم لا تنعقد إلا بوجود الخمر ،و أشعارهم تدل على مدى حبهم لها ، وتمسكهم بها ، فلما كانت كذلك ناداهم الله –عز و جل– باسم الإيمان لاجتناب تناولها أثناء الصلاة ،وكان هذا تمهيدا للدعوة إلى تركها نهائيا، فقد روي عن علي بن أبي طالب ، قال: ((صنع لنا عبد الرحمان بن عوف طعاما فدعانا و سقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت : (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ونحن نعبد ما تعبدون) قال : فأنزل الله – تعالى – :{ يَاأَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ }[5].))[6]

---

(1) الحج / 77.
(2) الحج / 78.
(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج12 . ص 99.
(4) النساء / 43.
(5) النساء /43.
(6) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: تفسير القرآن. باب : من سورة النساء. حديث رقم 3026 (5 / 222).

و في الآيـــة الرابعة يقول تعالى { يا أيُّها الَّذين آمنُوا إذا نُودي للصَّلاة منْ يوْم الْجُمُعة فاسْعوْا إلى ذكْر اللَّه وذرُوا الْبيْع ذلكُمْ خيْرٌ لكُمْ إنْ كُنتُمْ تعْلمُون}[1].

إن الـــتجارة و جمع المال من أكثر ما يشغل الإنسان في حياته الدنيا ، و قد كان الصحابة ينشغلون عن الجمعة بالتجارة ، فنزلت هذه الآية و ما بعدها لدعوتهم إلى الإقبال عـــلى الله ، و تـــرك البيع إلى أن تنتهي الصلاة ، و قد ناداهم بنداء الإيمان لتذكيرهم بأن إيمانهم بالله يوجب عليهم الاستجابة لما ناداهم إليه و أنه خير لهم في الدنيا و الآخرة[2].

ب – ربطها بالحياة الآخرة :

حـــين تتبعنا للآيات القرآنية التي وردت فيها الصلاة نلاحظ أنها ربطت بالحديث على الآخرة بصورتين :

الأولى : نســـتنتج مـــنها أن الإقـــبال على أداء الصلاة من أسبابه الإيمان بالحياة الآخرة، فالخوف من مصير الإنسان هناك يدفعه إلى أداء الصلاة ، و من هذه الآيات قوله تعالى – :

{ فـــي بُـــيُوت أذن اللَّـــهُ أنْ تُـــرْفع ويُذْكر فيها اسْمُهُ يُسبِّحُ لهُ فيها بالْغُدُوِّ والْآصـــال.رجـــالٌ لا تُلْهيهمْ تجارةٌ ولا بيْعٌ عنْ ذكْر اللَّه وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة يخافُونَ يوْمًا تتقلَّبُ فيه الْقُلُوبُ والْأبْصارُ }[3].

– و يقول – تعالى – : { طس تلْك آياتُ الْقُرْآن وكتاب مُبين.هُدًى وبُشْرى للْمُؤْمـــنينَ.الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلَاةَ ويُؤْتُون الزَّكَاة وهُمْ بالْآخرَة هُمْ يُوقنُونَ.إنَّ الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ بالْآخرَة زيَّنَّا لهُمْ أعْمَالهُمْ فهُمْ يعْمهُونَ }[4].

– و يقـــول – عز و جل – : { الم.تلْكَ آياتُ الْكتاب الْحكيم.هُدًى ورَحْمَةً للْمُحْسنينَ.الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلَاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهُمْ بالْآخرَة هُمْ يُوقنُونَ.أُولَئكَ علَى هُدًى منْ ربِّهمْ وأُولَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ }[5].

---

(1) الجمعة / 9.
(2) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج7 . ص 12.
(3) النور / 36-37.
(4) النمل / 1-4.
(5) لقمان / 1-5.

فقد أفادت هذه الآيات القرآنية أن السر في إقبال المؤمنين على مجموع المحاسن التي ذكرت هو تصديقهم بالحياة الآخرة ، فإيمانهم بوجود يوم يجازى فيه الناس على أعمالهم يدفعهم إلى الإقبال على فعل الخيرات و على رأسها الصلاة ، يقول سيد قطب : " و إقامة الصلاة و أداؤها على وجهها الحقيقي و في وقتها أداء كاملا ، تتحقق به حكمتها و أثرها في الشعور و السلوك ، و تنعقد به تلك الصلة الوثيقة بين القلب و الرب ، و يتم به هذا الأنس بالله و تذوق حلاوته التي تعلق القلوب بالصلاة ...و اليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب البشري ، وتطلعه إلى ما عند الله واستعلائه على أوهاق نفسه ، و ترفعه على متاع الحياة الدنيا و مراقبة الله في السر والعلن و في الدقيق و الجليل و الوصول إلى درجة الإحسان التي سئل عنها الرسول - صلى الله عليه و سلم -- فقال : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "[1]. [2]و قد ذكر المفسرون أن قوله — تعالى — : {وهم بالْآخرَة هُمْ يُوقنُونَ }. جملة اعتراضية كأنه قيل : و هؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات ، هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان ، لا من عداهم لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب و رجاء الثواب "[3].

- أما الصورة الثانية التي وردت عليها الآيات : فنستنتج منها ما يفيد أن الصلاة تحقق للإنسان السعادة في الحياة الآخرة ، و من هذه الآيات قوله – تعالى – :{ وَالَّذينَ صَبَرُوا ابْتغَاءَ وَجْه رَبِّهمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سرًّا وَعَلَانيَةً وَيَدْرءُونَ بالْحَسَنَة السَّيِّئَةَ أُوْلَئكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار.جَنَّاتُ عَدْن يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ منْ آبَائهمْ وَأَزْوَاجهمْ وَذُرِّيَّاتهمْ وَالْمَلَائكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهمْ منْ كُلِّ بَاب.سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بمَا صَبَرْتُمْ فَنعْمَ عُقْبَى الدَّار }[4].

و يقول : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمنُونَ.الَّذينَ هُمْ في صَلَاتهمْ خَاشعُونَ.وَالَّذينَ هُمْ عَنْ اللَّغْو مُعْرضُونَ.وَالَّذينَ هُمْ للزَّكَاة فَاعلُونَ.وَالَّذينَ هُمْ لفُرُوجهمْ حَافظُونَ ... وَالَّذينَ

---

(1) سبق تخريج الحديث. أنظر ص 56.
(2) الظلال : ج21. ص 2783.
(3) أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . ج6 . ص 272.
(4) الرعد / 22-24.

هـــم علـــى صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون }[1].

و يقـــول سبحانه و تعالى : { أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقـــرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا }[2].

إن هـــذا الخطـــاب موجه إلى الرسول -صلى الله عليه و سلم- و فيه دعوة إلى الإقـــبال على صلاة الليل ليؤتيه الله ما وعده في الدار الآخرة و هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فمن الأولى أن يكون غيره مخاطبا به .

يقول سيد قطب : " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " بهذه الصلاة و بهذا القرآن . و التهجد به و بهذه الصلة الدائمة بالله ، فهذا هو الطريق المؤدي إلى المقام المحمود و إذا كـــان الرســـول صلى الله عليه و سلم – يؤمر بالصلاة والتهجد ليبعثه ربه المقام المحمـــود المـــأذون له به ، و هو المصطفى المختار ، فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل ليبلغوا المقام المأذون لهم به في درجاتهم ، فهذا هو الطريق ، و هذا هو زاد الطريق "[3].

و قـــد ورد في ربط الصلاة بالحياة الآخرة أحاديث كثيرة الهدف منها الترغيب في أداء الصلاة على أحسن وجه و الترهيب من نتيجة التقصير في أدائها.

و مـــنها قولـــه صـــلى الله عليه و سلم – : { من حافظ عليها كانت له نورا وبـــرهانا و نجاة من النار يوم القيامة ، و من لم يحافظ عليها لم تكن له نورا و لا نجاة و لا بـــرهانا و كان يوم القيامة مع قارون و فرعون و هامان و أبي بن خلف }[4]. { خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن و لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، و من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، إن شاء

---

(1) المؤمنون / 1-11.
(2) الإسراء / 78-79.
(3) سيد قطب : الظلال . ج15 . ص 2247.
(4) أخرجه أحمد في مسنده (169/2) . و الدارمي في سننه في كتاب : الرقاق . باب : في المحافظة على الصلاة . (301/2- 302) .

عذبه ، و إن شاء أدخله الجنة }[1].

و قد ورد عن الرسول - صلى الله عليه و سلم - كذلك أنه نصح من سأله مرافقته في الجنة بكثرة السجود : (عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة و حط بها عنك خطيئة)[2].

أما عن رؤية الله -تعالى- يوم القيامة فمما ورد في ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا -تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا)[3]

إن كل ما يبشر به الإنسان من نعيم يحصله بسبب الصلاة يتضاءل أمام البشارة برؤية الله – عز و جل – فإن هذه البشارة من شأنها أن تجعل الإنسان مجدا في الإقبال على الصلاة حريصا على إتيان ثمارها ،لأن هدفه يستحق الجهاد . و هو إذا بشر بالجنة سعد بذلك و عمل من أجل تحصيله ، فما بالك إذا بشر برؤية خالقه و خالق الجنة و نعيمها ؟.

4 –الصلاة و الحديث عن الكون :

كثيرا ما يتبع الخطاب القرآني، الأمر الإلهي بالدعوة إلى العبادة و بخاصة الصلاة، بالحديث عن الكون ، و لعل الهدف من ذلك تربية مهابة الله في نفس الإنسان حتى لا يقصر في أدائه للصلاة ،و ذلك إعادة تذكيره بوجود الله و قدرته من خلال التأمل في المخلوقات ، حتى يتوصل إلى أن الله حين دعاه إلى الصلاة أو العبادة على العموم، إنما لكونه – سبحانه و تعالى – يستحق ذلك . فالذي خلق هذا الكون و سخره من أجل رعاية الوجود الإنساني من حقه على العباد أن يصلوا له و يسبحوا بحمده كما تفعل جميع المخلوقات .و من الآيات التي تحدثت عن الصلاة و أتبعتها بالحديث عن الكون قوله – تبارك و تعالى - :

---

(1) أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب: الصلاة . باب : في من لم يوتر حديث 1420 (450/1) و مالك في موطئه في كتاب : صلاة الليلة . باب :الأمر بالوتر . حديث رقم 14 (123/ 1) .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الصلاة . باب: فضل السجود و الحث عليه . حديث رقم 488 . (353/1) .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : المواقيت ، باب : فضل صلاة العصر .حديث رقم 554 (190/1) و في كتاب : التوحيد . باب قول الله تعالى { وجوه يومئذ نضرة إلى ربها ناظرة} حديث رقم 7434 (390/4) و مسلم في صحيحه كتاب : المساجد . باب: فضل صلاتي الصبح و العصر . و المحافظة عليهما . حديث رقم 633 (431/1) .

{ .. وأمرنا لنسلم لربّ العالمين وأنْ أقيموا الصّلاة واتّقوهُ وهُو الّذي إليْه تُحشرُون وهُو الّذي خلق السّماوات والأرْض بالحقّ ويوْم يقُولُ كُنْ فيكُونُ قوْلُهُ الْحقُّ ولهُ الْمُلْكُ يوْم يُنفخُ في الصُّورِ عالمُ الْغيْبِ والشّهادة وهُو الْحكيمُ الْخبيرُ }[1].

{ قُلْ لعبادي الّذين آمنُوا يُقيمُوا الصّلاة ويُنفقُوا ممّا رزقْناهُمْ سرًّا وعلانيةً منْ قبْل أنْ يأْتيَ يوْمٌ لا بيْعٌ فيه ولا خلالٌ. اللّهُ الّذي خلقَ السّماوات والأرْضَ وأنزلَ منْ السّماء ماء فأخْرج به منْ الثّمرات رزْقًا لكُمْ وسخّر لكُمْ الْفُلْك لتجْري في الْبحْر بأمْره وسخّرَ لكُمْ الْأنْهارَ }[2].

لقد ذكرت في هذه الآيات مجموعة من الحقائق مرتبطة ببعضها :

الدعوة إلى الإسلام لرب العالمين ، و من مظاهر هذا الإسلام إقامة الصلاة و سائر مظاهر العبادة ، ثم الحديث عن الجزاء ، و أخيرا ختمها بالحديث عن الكون ودلائل القدرة الإلهية فيه .و الحديث عن مظاهر قدرة الله في الكون ودلائل ربوبيته في هذه المواطن ،فيه استدلال على البعث الذي يتحقق فيه جزاء المسؤولية على العبادة – وتأكيد على أحقية الله – سبحانه و تعالى – بهذه العبادة ، و حقية هذه العبادة من جهة أخرى . فبيان إثبات عقيدة التوحيد من خلال الآفاق فيها إثبات لأحقية الله – تبارك وتعالى – بتشريع الصلاة و غيرها من الأوامر و النواهي . يقول سيد قطب : " إن الاستسلام لرب العالمين ضرورة و واجب .. فهو الذي إليه تحشر الخلائق .. فأولى لهم أن يقدموا بين يدي الحشر-الحتمي-ما ينجيهم ، وأولى لهم أن يستسلموا له اليوم استسلام العالمين ، قبل أن يقفوا أمامه مسؤولين .. فالله الذي يؤمرون بالاستسلام له هو الذي خلق السماوات و الأرض . و الذي يخلق يملك و يحكم و يقضي ويتصرف"[3].

---

(1) الأنعام / 71-73.
(2) إبراهيم / 31-32.
(3) سيد قطب : الظلال . ج7 . ص 1133-1134.

5- تأثير الصلاة على الإيمان :

إن كل ما يتعلق بالصلاة من أفعال و أقوال له تأثير على الإيمان ، ففي الأذان تجديد و إيقاظ للإيمان ـــ و في الأداء الفعلي للصلاة تحقيق لحلاوة الإيمان ، و تثبيت له من النفس ، فما قيمة الإيمان إذا لم يتوجه المؤمن إلى الله بالسجود والدعاء ؟.

أ- صلاة الجماعة و تأثيرها على الإيمان :

إن صلاة الجماعة تشعر المؤمن بقيمة إيمانه و تزيده ثقة بإسلامه ، لأنها تطبع الحياة العامة بطابع الإسلام ، و هذا له تأثير كبير على الشعور بالطمأنينة و الاستقرار النفسي و في أداء الإنسان لصلاة الجماعة تقوية لإيمانه بإيمان الآخرين، فهو حين يصلي مع مجموعة من الناس يشعر و كأنهم جميعا يقولون له:أنت على حق في عبادتك لله وحده يقول النورسي عن فضيلة صلاة الجماعة و التي استشفها كما يقول من خلال " نون " قوله ـ تعالى ـ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }[1] . "رأيت أنه بسبب مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أديتها في جامع " با يزيد " يكون كل فرد منها بمثابة شفيع لي ، و رأيت أن كل فرد من أفراد تلك الجماعة شاهد و مؤيد لما أظهرته من أحكام و قضايا في قراءتي ، فولد ذلك عندي الشجاعة الكافية لأقدم عبادتي الناقصة و أرفعها مضمومة مع العبادة الهائلة لتلك الجماعة إلى الحضرة الإلهية المقدسة .

و بينما كنت أتأمل في هذا ، إذا بستار آخر يرفع و رأيت أن جميع "مساجد إسطنبول " قد اتصلت و ترابطت بعضها ببعض ،فأصبحت تلك المدينة كهذا الجامع واستشعرت بشرف أدعيتهم جميعا ، بل تصديقهم كذلك ، و هناك رأيت نفسي محشورا في تلك الصفوف الدائرية على مسجد سطح الأرض المتحلقة حلاقات حول الكعبة المشرفة ، فحمدت الله كثيرا و قلت : " الحمد لله رب العالمين " ... إن لي كل هذه الكثرة الكاثرة من الشفعاء و ممن يرددون معي، و يصدقونني في كل ما أقوله في الصلاة .

و قلت ما دام الستار قد رفع هكذا خيالا .. و أصبحت الكعبة المشرفة بحكم محراب لأهل الأرض ، فلأغتنم إذن هذه الفرصة ، و لأدع فيها خلاصة الإيمان التي أذكرها في التشهد و هي : " أشهد ألا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله : و أسلمها أمانة

---

(1) . الفاتحة / 5 .

عند الحجر الأسود ، متخذا الصفوف شهداء عليها ، و هنا انكشفت حالة أخرى إذ رأيت : أن الجماعة التي انضممت إليها قد أصبحت ثلاث جماعات و دوائر :

الأولى : هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين على وجه الأرض قاطبة .

الثانية : هي جماعة الموجودات كافة حيث **{ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وتَسْبِيحَهُ }**[1]. فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى و في تسبيحاتها العظمى .. و أن ما يسمى وظائف الأشياء و أعمالها ، إن هو إلا عناوين عبادتها و عبوديتها.. فطأطأت رأسي حاسرا أمام هذه العظمة قائلا : " الله أكبر " و تأملت في نفسي ،و في الدائرة الثالثة: ورأيت عالما يبدأ من ذرات وجودي و ينتهي إلى حواسي الظاهرة فهو عالم صغير وصغير.. إلا أنه عظيم جدا يدعو إلى الحيرة و الإعجاب و هو عالم ظاهره متناه في الصغر، إلا أن حقيقته عظيمة و وظائفه جليلة "[2].

إن تأثير صلاة الجماعة على الإيمان عبر عنه النورسي تعبيرا رائعا . و هذا التأثير يشعر به الإنسان الذي يتذوق معاني الكلمات القرآنية و يقبل على أداء صلاة الجماعة بإخلاص .

ب– الصلاة و الدعوة إلى الإيمان :

إن الصلاة من مظاهر العبادة التي كان لها تأثير في الإقبال على الإيمان بالنسبة لغير المسلمين قديما و حديثا .

فمما يذكر أن ماهان وزير ملك الروم أرسل روميا إلى أبي عبيدة – رضي الله عنه – يطلب منه بعث خالد ابن الوليد – رضي الله عنه – إليه كي يتحدث معه ، و لم يصل الرسول الرومي إلى المسلمين إلا عند غروب الشمس ، فلم يمكث يسيرا حتى حضر وقت صلاة المغرب ، فأذن المؤذن من كل ناحية و صلوا حتى إذا فرغوا من صلاتهم قال خالد – رضي الله عنه – : " هذا وقت مساء ، و لكن إذا كان غدا غدوت إلى صاحبك إن شاء الله فارجع إليه و اعلمه ذلك ".

---

[1] النور / 41.
[2] النورسي : المكتوبات . ص 506-507.

فقعد الرومي عند القوم ، و لم يبرح ،و جعل ينظر إليهم كيف يصلون و يدعون و يستغفرون ، و يتضرعون ، فأعجبه ذلك منهم ، فقال عمرو بن العاص – رضي الله عنه : " أيها المسلمون إن الرسول قد وقع في قلبه حب الإيمان . و قال أبو عبيدة رضي الله عنه : و الله إني لأرجو أن يكون الله – عز و جل – قد قذفه في قلبه وحببه إليه و عرفه فضله.

ثم أقبل الرومي على أبي عبيدة – رضي الله عنه – فسأله أسئلة ثم قال له الرومي : " أنا أشهد لبيكم أنه صادق و أنكم صادقون " و لكن إن أنا أسلمت وجاهدت معكم تضمنون لي الجنة ؟ .

فقال أبو عبيدة : أو تعرف الجنة يا رومي ؟ فقال : كيف لا أعرفها و قد وصفها لنا عيسى ابن مريم – عليهما السلام – في الإنجيل .

قال أبو عبيدة : فنحن نضمن لك الجنة على الله -تبارك و تعالى – أنك إن أسلمت و صليت و صمت و جاهدت و لم تغير و لم تبدل فإنك من أهل الجنة إن شاء الله - تعالى - ، قال الرومي : اشهدوا علي بأجمعكم أني من المسلمين[1].

و يقول أحد الذين أقبلوا على الإيمان من غير المسلمين و كانت الصلاة سبب ذلك (زكي عربي ، يهودي اهتدى إلى الإسلام) .

" إن مشاعري كانت تلتهب حرقة كلما رأيت مسجدا أو جمعية لنشر الإسلام أو رأيت رجلا يصلي في ركوع و خشوع و ما سمعت المؤذن يؤذن في الفجر أو الظهر أو في أي وقت آخر إلا شعرت بصوت المؤذن الذي ينبعث من الأفق فوق المئذنة شعرت به صوت الله الذي يفصل بين الحق و الباطل ، و الحلال و الحرام ، و يهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم ، و أركب السيارة في السفر وعلى طريق بين الحقول و بين الفضاء تقع عيني على رجل متواضع يقف بين يدي الله بثياب رثة مهلهلة يقف على مصلى صغيرة مفروشة بالرقيق من الحصير ، على شاطئ ترعة متواضعة يصلي لله في خشوع و ابتهال كانت نفسي تهفو إلى أن تصلي مثل صلاته ، و كنت أعتقد أن هذه نفحات الله في الأرض ، يلقيها في نفوس عباده الصالحين "[2].

---

[1] نقلا عن فضل البهي : السلوك و أثره في الدعوة إلى الله . ص 171-172.
[2] محمد عزت الطهطاوي : الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين . ص 145-146.

و عـــن أثر اهتمام المسلمين بالصلاة على غيرهم يقول (جي أي ليفاري وهو أسـقف نصـــراني مشهور) : ما من فرد يتصل بالمسلمين لأول مرة إلا أخذ يعظم دينهم هـــذا... و حيثما يمكن أن توجد في الطريق العامة ، أو في محطة السكة الحديدية ، أو في الحقل ، فإن من أكثر الأشياء شيوعا أن ترى الرجل منهم يترك في اللحظة التي يقوم فيها بـــأداء أعماله أيا كانت ، بدون أدنى تأثير بالرياء أو الظهور ، و في سكينة و تواضع لكي يؤدي صلواتها في أوقاتها المحددة .

و أكثر من ذلك انه ما من فرد رأى يوما ساحة الجامع الكبير يوم الجمعة من شهر رمضـــان ، و هـــي غاصة بما قد يربو على 15.000مصل ، و كلهم جميعا منهمكون في صـــلاتهم مظهـــرون أعمق آيات الإجلال و الخشوع في كل إشارة يبدونها إلا تأثر تأثرا عمـــيقا بهـــذا المشـــهد ، أو أخذ فكرة عن تلك القوة التي ينضوي مثل هذا النظام تحت لوائها،على حين نجد النظام الدقيق الذي يتجلى في دعوة الناس اليومية إلى الصلاة ، عندما يـــؤذن الداعي في وقت السحر ، قبل أن يتنفس الصبح ، أو بين ضوضاء ساعات العمل وضجيجها ، أو عندما يرخي الليل سدوله كذلك مفعمة بتلك الرسالة ذاتها[1].

– إن هذا التأثير للصلاة على غير المسلمين يمكن أن يندرج تحت الإعجاز الروحي للعـبادات في الإســـلام ، إلا أن العلم الحديث اثبت كثيرا من مظاهر الإعجاز في الصلاة يمكن أن تكون من دواعي الإيمان لغير المسلمين و تثبيتا للمؤمنين على إيمانهم . و من أهم مـــا أثبـــته العـــلم الحديث أن الصلاة أنجع وسيلة لعلاج مرض دوالي الساقين عن طريق صيانتها و تقويتها لجدران الأوردة و الصمامات و تخفيف الضغط على الطرفين السفليين وتسهيل عملية وصول الدم إلى القلب [2].

---

[1] فضل البهي : السلوك و أثره في الدعوة إلى الله . ص 166-167.

[2] للتوسع في الموضوع انظر صالح نعمان : منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر . ص 376 – 391 .

المبحث الثاني :

الوصل بين العقيدة و المعاملات

أولا : العقيدة و صلتها بالمعاملات (التأثير و التأثر) .

ثانيا : بعض الأحكام الأسرية ووصلها بالعقيدة .

أ- مشروعية الأسرة و علاج مشاكلها في القرآن الكريم.

1- الحكمة من مشروعية البناء الأسري .

2- علاج القرآن لبعض المشاكل التي تعترض الأسرة .

ب- بعض أحكام الطلاق ووصلها بالعقيدة في القرآن الكريم .

1- الحكمة من مشروعية العدة .

2- أحكام العدة و الإيمان بالله و اليوم الآخر .

3- الطلاق و الحديث عن الكون .

4- الطلاق و القضاء و القدر .

5- الطلاق و الترغيب و الترهيب .

6- الطلاق و التقوى .

7- البعد الحضاري لوصل أحكام الطلاق بالعقيدة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : العقيدة وصلتها بالمعاملات (التأثير و التأثر):

إن مقتضى إيمان الإنسان بالعقيدة الإسلامية : الإيمان بالله وملائكته ورسله والقضاء و القدر و اليوم الآخر . يوجب الالتزام بالناحية العملية . ونظرا لكون أي تصرف إنساني أو انضباط بمنهج من المناهج يكون مبعثه عقديا . فقد حرص الإسلام على بناء العقيدة في نفوس المسلمين طيلة العهد المكي لتكون استجابتهم لتطبيق أحكام الإسلام عملية إجابة تلقائية تقتضيها الأسس الإيمانية التي ربوا عليها و التي من أهمها الإقرار بتسليم بربوبيته سبحانه و تعالى . و بعد ما اكتملت الرسالة المحمدية نقلت إلينا الدين متكاملا تتنفس فيه الشريعة بالعقيدة وتتنفس العقيدة بالشريعة.

و بناء على ما سبق لا يمكن أن يعتبر أي مجتمع إنساني إسلاميا –في ظل المفهوم القويم الصحيح للإسلام– إلا إذا كان هناك تزاوج بين العقيدة والشريعة . ((إن الشريعة الإسلامية في مفهومها الصحيح لا تفصل بين العقيدة والحياة و بين العبادة والسلوك ، و لا يمكن أن يكون المسلم مسلما حتى تنعكس عقيدته الربانية على سائر أعماله الدينية و الدنيوية ، و لا يكون المؤمن مؤمنا حتى تظهر عبادته الخالصة لله على سائر تصرفاته الفردية و الاجتماعية ، و صدق الله العظيم القائل في سورة العصر : **{ وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وتواصوْا بالصَّبْرِ. }**[1] و لا يمكن كما تقرر سورة العصر أن ينعم الناس بالعمل الصالح ولا يمكن أن ينطلقوا في مضمار التواصي بالحق و التواصي بالصبر إلا بعقيدة الإيمان بالله لأنها الأصل الأعظم في إصلاح الإنسان و تكامله و انطلاقه في الحياة ، بل هي المعين الذي لا ينضب في استمرار الإنسان على التوازن و الكمال))[2].

و إذا كانت العقيدة لها تأثير على جانب المعاملات في الإسلام فإن هذه المعاملات (الأحكام التشريعية) لها أيضا تأثير على العقيدة ، و يتجلى لنا ذلك إما بطريقة استرجاعية استدلالية لما أحدثته هذه الأحكام في المجتمع الإسلامي الأول ، فنلاحظ – مثلا– كيف كان لتطبيق الحدود تأثير على نظافة المجتمع الإسلامي ،حتى أن الجرائم في حياتهم كانت معدودة . و كيف قضت الزكاة على مشكلة الفقر التي يعاني منها العالم

---

(1) العصر / 1-3.

(2) عبد الفتاح ناصح علوان : في الشريعة الإسلامية فقهها و مصادرها . ص 37-38.

الآن . فحين طبقت على وجهها الصحيح حققوا بذلك مستوى رفيعا من التكافل والمودة و لم تمتد أيديهم إلى الغرباء لطلب المساعدة —كما هو الوضع الآن– و قد ارتقى المجتمع في عهد عمر بن عبد العزيز إلى درجة لم نجد الزكاة من يأخذها . إن في استرجاع ذلك تثبيت لإيمان الإنسان. فكيف يكون حال العقيدة إذا عاشت في مجتمع تطبق فيه الشريعة في كل المجالات؟.

– أما الطريقة الثانية التي تؤثر بها أحكام المعاملات على العقيدة سواء بالنسبة للإنسان المؤمن أو غيره كدعوة للإقبال على الإسلام فهي بإظهار الإعجاز التشريعي في أحكام الإسلام . فما هو مفهوم هذا المنحى من الإعجاز ؟ و كيف يكون دافعا للإيمان؟.

لقد تكلم علماء المسلمين بالتفصيل في مناحي الإعجاز الأخرى : البلاغي و التاريخي و النفسي و العلمي . أما الإعجاز التشريعي فلم يهتموا به كثيرا . و قد تتبعت كتاب : فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي[1] و قد جمع فيه كل الكتب التي تحدثت عن إعجاز القرآن منذ ظهور الفكرة إلى يومنا هذا ، فوجدت أنه لم يذكر كتابا واحدا خصص لهذا الأمر ، ما عدا بعض الفقرات و التي تعتبر ضئيلة مقارنة بالمناحي الأخرى وقد عرفه صلاح الخالدي ، فقال : ((المقصود بالإعجاز التشريعي ، تشريعات القرآن و نظمه و مناهجه و المبادئ التي قررها ، و القيم التي دعا إليها ، و الأسس التي أرساها ، والهداية التي يهدف إليها.

لقد تضمن القرآن الكريم تشريعات و مناهج و مبادئ و نظم شملت كافة مجالات الحياة ، سواء في حياة الفرد أم في حياة المجتمع ، و سواء في الجانب العقدي أم في الجانب العبادي أو الأخلاقي ، أو الدستوري ، أو العسكري ...إلى غير ذلك . و لدى المقارنة بين ما أقره القرآن من المبادئ و التشريعات في تلك المجالات و الجوانب المختلفة ، و بين ما أقرته البشرية في تاريخها الطويل ، وما اهتدت إليه عقول عباقرتها و مفكريها وعلمائها يظهر الفرق البعيد ما بين تشريعات القرآن و تشريعات البشرية . و من ذلك نتعرف على الإعجاز التشريعي في القرآن))[2].

---

[1] نعيم الحمصي : فكرة إعجاز القرآن .
[2] صلاح الخالدي:البيان في إعجاز القرآن . ص 231.

و يقول أبو زهرة عن الإعجاز التشريعي للقرآن : ((و هو معجز أيضا بما اشتمل عليه من أحكام تشريعية لم تكن معروفة في عصره ، فنظام الميراث الذي اشتمل على بيان أحكامه لا يمكن أن يدعي قانوني أن هناك نظاما أمثل منه أو قريبا منه في عدالته والقانونيون في فرنسا و إنجلترا و أمريكا الذين تهيأ لهم أن يعرفوه ، قرروا أنه أمثل النظم على الإطلاق ، و نظامه في الولاية على النفس والمال و على حقوق المرأة ، لم يكن معروفا في عصره ، كما أن نظامه في الحرية والعدالة الاجتماعية و التكافل بين البشر كل هذا لم يسبق به . و ما أظن أن نظاما ما قد لحقه في ذلك السبق ، و كل ذلك كان على يد نبي أمي و في بلد ليس فيه معهد يدرس و لاجامعة تحقق))[1].

و يرى محمد سعيد رمضان البوطي أن التشريع القرآني من أجل مظاهر الإعجاز في هذا الكتاب ((فمن البديهي أن آخر ما يتوج به تقدم أي أمة من الأمم هو تكامل البنية القانونية و التشريعية في حياتها ، و الذي ظهر في الجزيرة العربية بالإسلام عكس هذا القانون البديهي تماما ، فقد ظهر تشريع كامل في أمة بدائية لا ترى حاجة إلى قانون وليس لهذا اللغز حل إلا أن القرآن وحي من الله))[2].

-تأثير الإعجاز التشريعي على الإقبال على العقيدة الإسلامية :

لقد أدت إلى انتشار الإسلام عوامل كثيرة ، فكما كان لإعجازه البلاغي واللغوي أثر كبير في تحدي عرب الجاهلية و إقبال كثير منهم على الإيمان بربانيته والاقتناع بذلك . فقد كانت لتشريعاته في جميع مناحي الحياة تأثيرات كبيرة في توسعه بسرعة فائقة.

يقول محمد عبده : ((كانت حاجة الأمم إلى الإصلاح عامة ، فجعل الله رسالة خاتم النبيين عامة كذلك . لكن يندهش عقل الناظر في أحوال البشر ، عندما يرى أن هذا الدين يجمع إليه الأمة العربية من أدناها إلى أقصاها في أقل من ثلاثين سنة ، ثم يتناول من بقية الأمم ما بين المحيط الغربي و جدار الصين في أقل من قرن واحد ، و هو أمر لم يعهد

---

[1] أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام . ص 29-30.
[2] البوطي: من روائع القرآن : نقلا عن نعيم الحمصي . فكرة إعجاز القرآن . ص 410.

في تـاريخ الأديـان ، و لذلك ضل الكثير في بيان السبب ، و انتهى إليه المبطلون فبطل العجب))[1].

ثم يذكـر الشـيخ أن السبب في ذلك يرجع إلى ما انطوى عليه هذا الدين من مـناحي الإعجاز الكثيرة : ((و من هذا تعلم أن سرعة انتشار الدين الإسلامي ، و إقبال النـاس عـلى الاعتقاد به من كل ملة إنما كان لسهولة تعقله ، و يسر أحكامه، و عدالة شـريعته ، و بالجملـة فـإن فطر البشر تطلب دينا، و ترتاد منه ما هو أمس بمصالحها ، وأقـرب إلى قلوبهـا و مشاعرها ، و أدعى إلى الطمأنينة في الدنيا و الآخرة ، و دين هذا شأنه ، يجد إلى القلوب متخذا ، و إلى العقول مخلصا بدون حاجة إلى دعاة ينفقون الأموال الكثيرة و الأوقات الطويلة و يستكثرون من الوسائل و نصب الحبائل لإسقاط النفوس فيه. هذا كان حال الإسلام في بساطته الأولى و طهارته التي أنشأه الله عليها ، و لا يزال على جانب عظيم منها ، في أطراف الأرض إلى اليوم))[2].

و كـل المنصفين يتفقون على أن هذا الدين يحمل بين تشريعاته عوامل قبوله عند البشـر في كل زمان و مكان ،ذلك أن الإسلام فكرة سائغة و شريعة عادلة و نظام قويم مـثله مـثل الماء العذب المنهمر ، لا يصادف أرضا مطمئنة إلا غمرها و عمرها أيا كان جوهـا ، و أيا كانت تربتها ، و هكذا انفتحت للإسلام عقول الأمم و قلوبها على تنائي أقطارها و اختلاف ألسنتها و ألوانها و نظمها وعوائدها وموروثاتها.

ولعـل أهـم الخصائص التي تفيد حقيقة الإعجاز من الجانب التشريعي : النظرة الشـمولية للإنسـان جسـدا و روحا و مراعاة ذلك في تشريع أمور الأسرة والاقتصاد والعلاقات البشرية عموما .

و الأمـر الثاني : موافقة التشريع الإسلامي للفطرة البشرية ، مما يجعله مقبولا عند البشر في كل زمان و مكان . و في ذلك يقول ابن عاشور : ((ثم إن الحكمة في أن يجعل الله- تعـالى -ديـن الإسـلام الفطرة أنه لما أراد جعله دينا عاما لسائر البشر ، دائما إلى انقضـاء هـذا العالم ، جعله مساوقا للفطرة المتقررة في نفوس سائر البشر لتكون الجامعة العامة للبشر مشتقة من الوصف العظيم المشترك بينهم و هو وصف الفطرة ، لأن شعوب

---

[1] محمد عبده : رسالة التوحيد . ص 94.
[2] المرجع نفسه : ص.98

... هم مختلفون في الأخلاق و العوائد و المشارب و التعاليم ... لا يمكن جمعهم جمعا عميما غير وهمي في جامعة واحدة ما لم يكن عمودها و قاعدتها شيئا مركزا في سائر النفوس ، وقدرا مشتركا بينهم لا يختلف و لا يختلف فذلك ضمان لانتفاء الغواية عن اتباعه و أمته ، بحيث لو انحرفوا قليلا لا يلبثون أن يراجعوه و يهتدوا إلى إقامته))[1].

و قد كان لوصف الإسلام بالفطرة أثر كبير في الإقبال عليه و سهوله التخلص من العقائد و التشريعات الفاسدة و الاحتماء بهديه الإلهي ((إذ لا يستهان أن يصم الإسلام أذن جناحيه أمما مختلفة الحضارات و الآراء و الأخلاق والعادات في عصور مختلفة ما لم يكن مبنى أصوله على أساس واحد يجمعها هو الفطرة))[2].

و الذي نخلص إليه أن هناك تأثيرا و تأثرا بين العقيدة و أحكام المعاملات ،فكما أن العقيدة مبعث الالتزام بأمر الله -تبارك و تعالى- في هذا المجال ، فإن لهذه المعاملات أو الأحكام تأثيرا على العقيدة ، ففي أحضان تطبيق الشريعة تنعم العقيدة بصفائها و ثباتها وعطائها ، كما أن تطبيقها يمكن أن يكون دافعا للإقبال على العقيده الإسلامية ، حين يتحقق المجتمع الإسلامي المستقر تحت ظل الشريعة أو عن طريق إظهار مناحي الإعجاز التشريعي إذا غاب التطبيق الواقعي كما هو الحال في مجتمعاتنا التي نعيش ظروفا مشوشة بمختلف الاتجاهات ، و الإعجار التشريعي من عناصر المعجزة الدائمة التي تتحدى البشر في كل زمان ومكان وبخاصة في عصر الغزو الفكري الذي يسود العالم اليوم ، و الذي يهدف إلى تشكيك المسلمين في عقيدتهم و شريعتهم.

ثانيا : بعض الأحكام الأسرية ووصلها بالعقيدة في القرآن الكريم:

أ- مشروعية الأسرة و علاج مشاكلها في القرآن :

أ - الحكمة من مشروعية البناء الأسري في الإسلام:

قد جعل الإسلام الأسرة الأساس الأول للبناء الاجتماعي ، و لذلك أولاها القرآن الكريم اهتماما بالغا باعتبارها ملاذ الفرد و المجتمع . و حين نتتبع آي الذكر الحكيم نجد بين الحين و الآخر حديثا موجها للمسلم يتعلق بهذه اللبنة ، يجعل الإنسان يستشعر

---

(1) ابن عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام . ص 20.
(2) المرجع نفسه : ص 22.

لمسؤولية التامة بزاد ما يتعلق بالأسرة ، ذلك لأنه يعالج قضايا هامة و حساسة في حياة الفرد ، المجتمع كالحياة الزوجية و كل ما يتعلق بها.

و لبناء المؤسسة الأسرية جعل الإسلام المنطلق المشروع لذلك الزواج . فما الحكمة من مشروعية الزواج كما يحددها الإسلام؟.

لقد شرع الإسلام الزواج لحكم كثيرة استنبطها العلماء من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية ، فهو مشروع للتناسل بالقصد الأول و ينبه طلب السكن والازدواج و التعاون على المصالح الدنيوية و الأخروية ، و الاستمتاع بالحلال .

يقول أبو حامد الغزالي : ((و فيه فوائد خمسة : الولد ، و كسر الشهوة ، و تدبير المنزل ، و كثرة العشيرة ، و مجاهدة النفس بالقيام بهن))[1] و يقول يوسف حامد العالم ((الزواج له مقصد أصلي ، و مقاصد تبعية مكملة للمقصد الأصلي . أما المقصد الأصلي : فهو يتمثل في المحافظة على النسل و حفظه من الانقطاع ، و ما عداه مما يقصده الإنسان من منافع الزواج يعتبر من المقاصد التبعية المكملة والمتممة للمقصود الأصلي))[2] و سنقف مع أهم هذه المقاصد :-

الولد أو الذرية :

و المقصود من ذلك استمرار النوع البشري . فقد كانت الحكمة من خلق آدم- عليه السلام- الخلافة في الأرض و استمرار البشرية ، يقول تبارك وتعالى: **{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }**[3].

و قد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحث على الزواج و يؤكد على اختيار المرأة الولود ، يقول : (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)[4].

---

(1) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج2 . ص .27.

(2) يوسف حامد العالم : المقاصد العامة للشريعة الإسلامية . ص 403.

(3) البقرة / 30.

(4) أخرجه أبو داودفي سننهفي كتاب:النكاح باب:تزوج الولود،حديث رقم 2050(1/625)
والنسائي في سننه في كتاب:النكاح باب:كراهية تزوج العقيم حديث رقم 3227(6/373-374)وأحمد في مسنده(3/158-245)

و في هذا المعنى يقول محمد مصطفى شلبي : ((و من يتأمل قوله تعالى : {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم }[1] يجدها تشير إلى أن الزواج شرع للنسل ، لأنه أخبر أن النساء موضع حرث الرجال والحرث لا يكون إلا للإنبات وكذلك قوله : { وقدموا لأنفسكم }))[2]. و في تحصيل الذرية تحقيق لأغراض كثيرة كلها فيها تحقيق للقرب من الله- تعالى- :

1- موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

2- محبة رسول الله -صلى الله عليه و سلم- في تكثير من به مباهاته.

3- طلب التبرك بدعاء الولد الصالح.

4- طلب الشفاعة بموت الولد إذا مات قبله[3].

- المودة و السكن :

لقد خلق الله -تبارك و تعالى- كلا من الرجل و المرأة في حاجة إلى الآخر و جعل الزواج السبيل الذي يكمل به كل واحد منهما حاجات ضرورية في حياة الثاني ، و لا يمكن أن تستمر الحياة الزوجية إذا كانت خالية من المودة و السكن ، يقول -سبحانه وتعالى-: { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون }[4]، و يقول -تعالى -: { هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها }[5] و يفسر محمد حسين فضل الله السكن بأنه يتمثل : ((فيما يحس به كل واحد منهما أن الآخر جزء من ذاته و قطعة من نفسه ، بحيث يعيش في فراغ شعوري هائل عندما يشعر بالابتعاد عنه و الحرمان منه ، و ذلك من طبيعة التجاذب الذاتي الذي يتحرك في كيان الإنسان من خلال الفطرة التي فطر الناس عليها ، مما يجعل المسألة لا تقتصر على الجانب الجنسي في موازاة العلاقة المتنوعة في أحاسيس الإنسان و تطلعاته .. و هكذا يكون التعبير بالسكن في دائرة العلاقة الزوجية ، تعبيرا عما يتجاوز السكينة البحتة الجسدية الباحثة عما يشبع

---

(1) البقرة / 223.

(2) محمد مصطفى شلبي : أحكام الأسرة في الإسلام . ص 40.

(3) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج2 . ص 28.

(4) الروم / 21.

(5) الأعراف / 189.

جوع الغريزة ويروي ظمأها إلى السكينة الروحية التي يخرج بها الإنسان من الشعور بالعزلة والوحدة والوحشة إلى الشعور بالاندماج و الأنس و الالتقاء بالآخر مما يعمق في داخله السكينة الروحية في كل آفاق الذات ..و ربما كان التعبير بكلمة (أزواجا) إيحاء بالعلاقة الزوجية التي تمثل الرباط الوثيق الشرعي بين الرجل و المرأة فهي التي يحس كل منهما بالشعور بامتلاء الفراغ الروحي في ذاته ، حيث يشعر بأن هناك إنسانا ينتظره و يخصه و يعيش معه مسؤولية الحياة كلها مسؤولية تجاه نفسه كما هو الجزء من الجزء)[1] إن هذا الأنس و الشعور بالاستقرار النفسي لا يمكن أن يوجد خارج العلاقة الزوجية المشروعة ، و هذا ما يؤكده الضياع و الشتات الذي يعيشه أولئك الذين يبنون علاقات مشبوهة و إن كانوا يشبعون رغباتهم الجسدية.

إن مشروعية الزواج على الصورة التي جاء بها الإسلام موافقة تماما لما تحبه الفطرة السليمة و ترضاه ، و لذلك ختم الله- تبارك و تعالى -الآية 21 من سورة الروم بقوله : { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** } و قد نلاحظ أن الله يريد للناس أن يجعلوا التفكير أساسا لحركة العقيدة في الذات فيما يكشف لها من دلائل العظمة في خلق الله ، مما يوحي لها بعظمة الله من أقرب طريق[2]. و الآية هذه تؤكد قوله تعالى : { **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** }[3] فالزواج من آيات الأنفس.

- طهارة الفرد و المجتمع :إن الزواج يعصم المتزوج من الوقوع في الخطإ ، ذلك لأن فيه تحصينا له وفي تحصين الفرد حصانة للمجتمع من انتشار الفاحشة و ما ينتج عنها من أبناء غير شرعيين . و قد رغب الرسول- صلى الله عليه و سلم- في الزواج لسد المنافذ التي توقع في الحرام.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول ال-له صلى الله عليه وسلم-: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[4]و عن ابن عباس رضي الله عنه أن

---

[1] **محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن .ج18 . ص 125.**
[2] **محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن . ج18 . ص 125.**
[3] **فصلت / 53.**
[4] **أخرجه النسائي في سننه في كتاب : النكاح ، باب : الحث على النكاح . حديث رقم 3209. 3210.(6/ 365-366).**

رسول الله -صلى الله عليه و سلم -قال : (أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا و الآخرة : قلبا شاكرا و لسانا ذاكرا و بدنا على البلاء صابرا و زوجة لا تبتغيه في نفسها و ماله)[1].

و الذي نلاحظه أن الأحاديث المتعلقة بالزواج غالبيتها فيها تأكيد على البعد الديني -أي ربط الصلة بالله- تبارك و تعالى- من خلال هذا المشروع . و لعل أبرز هذه الأحاديث قوله -صلى الله عليه و سلم- : (تنكح المرأة على مالها و تنكح المرأة على جمالها وتنكح المرأة على دينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)[2]. و عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم -: (لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، و لا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، و لكن تزوجوهن على الدين، و لأمة خرساء سوداء ذات دين أفضل)[3]. و عن وصف الرجل قال: (إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض و فساد كبير)[4].

إن الحياة الزوجية عشرة طويلة تتعرض فيها المؤسسة الأسرية إلى عواصف و هزات كثيرة أثناء رحلتها ، فإذا أحسن الطرفان الاختيار و كان مبنيا على أساس الدين ، يكونان بذلك قد سلكا الطريق السليم . لأن الدين هو الذي يعطي القدرة على الصبر في الضراء وحسن التدبير في جميع الأحوال.

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده (278/5). عن ثوبان قال : لما أنزل الله {الذين يكنزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله } قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : قد نزل في الذهب و الفضة ما نزل ، فلو أن علمنا أي المال خير اتخذناه . فقال : أفضله لسانا ذاكرا و قلبا شاكرا و زوجة مؤمنة تعينه على إيمانه . و عن عمر بن الخطاب مثله (311/5).

[2] أخرجه أحمد . (80/3) .

[3] أخرجه ابن ماجة في كتاب :النكاح ، باب: تزوج ذات الدين . (595/1)

[4] أخرجه الترمذي في سننه ، في كتاب : النكاح . باب : إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه . حديث رقم 1084 (394/3) و ابن ماجة في كتاب : النكاح . باب : الأكفاء حديث رقم 1967 (633-632/1)

ب- علاج القرآن لبعض المشاكل التي تعترض الأسرة.

أ- النشوز :

لقد دعا القرآن الكريم كما رأينا سابقا المقدمين على الزواج إلى الاختيار على أساس الدين ، و ذلك لتجنب الكثير من المشاكل التي قد تعترض هذه المؤسسة ولكن قد تحدث بعض الآفات – و ان أحسن الاختيار – و من هذه الآفات النشوز . فكيف عالج القرآن الكريم هذه المشكلة؟ .

لغة : النشز : ما ارتفع من الأرض [1].

شرعا : نشوز المرأة بغضها لزوجها و ترفعها عن طاعته أو عصيانها له[2]

و أورد القرطبي تعريفات ذكرها العلماء للنشوز منها:

- كراهية كل واحد من الزوجين صاحبه .

- و نشزت تنشز فهي ناشز ، و نشصت تنشص و هي المرأة سيئة العشرة.

-و نشزت المرأة استصعبت على بعلها ، و نشز بعلها عنها ضربها[3].

يقول تبارك و تعالى : { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا }[4].

يقول تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا }[5]. و يقول تعالى : { وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا

---

[1] الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص 514.
[2] المرجع نفسه : ص 514.
[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن : ج5 . ص 170-171.
[4] النساء / 34.
[5] النساء / 35.

صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[1].

إن المنهج الإسلامي هو المصدر الإلهي لا ينتظر وقوع النشوز بالفعل، ثم يقدم العلاج الذي يمكن أن يحمي الأسرة من الدمار ، بل يسارع إلى علاج النشوز قبل استفحاله و الحفاظ على هذه المؤسسة الرئيسية في الحياة . و من خلال هذه الآيات نلاحظ أن الله -تبارك و تعالى -أعطى للرجل الحق في استعمال بعض الوسائل لكي يحافظ على استمرار النظام الأسري.

و قد بدأ بالتدريج في تقديم العلاج لانحراف المرأة فدعاه إلى تقديم الموعظة الحسنة لها ، فقال : { وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ } ووعظهن تذكيرهن أمر الله بالاستجابة لطاعة الزوج و حسن الصحبة و جميل العشرة[2].و لكن قد لا ينفع الموعظة مع بعض الأشخاص ((لأن هناك هوى غالبا ،أو انفعالا جامحا ، أو استعلاء بجمال أو بمال، أو بمركز عائلي، أو بأية قيمة من القيم تنسي الزوجة أنها شريكة في مؤسسة و ليست ندا في صراع، أو مجال افتخار))[3].

هذه الأمور تستدعي أن يأتي العلاج الثاني الذي وصف في الآية القرآنية وهو الهجر في المضاجع { وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ } و هو رد فعل من الرجل قد يهبط كبرياء المرأة . فإذا لم ينفع كل ما سبق يأتي العلاج المتمثل في الضرب ، و هذا الضرب لا يكون للتعذيب و الإهانة ، و إنما كمحاولة لتذكير المرأة بأنها تحتاج دائما إلى حماية الرجل. و قد أشار الباحثون في علم النفس إلى أن بعض النساء لا تشعر بالرجل الذي تحب أن يكون قيما عليها و ترضى به زوجا إلا حين يضربها . و هذا النوع من النساء --- ربما- هو الذي يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة ليستقيم[4].

---

[1] النساء / 128-130.
[2] القرطبي :الجامع لأحكام القرآن . ج5 .ص 171.
[3] سيد قطب : الظلال . ج5 .ص 654.
[4] سيد قطب : الظلال . ج5 . ص 654.

و يذيل القرآن الآية ، بإرجاع السلطة و القوة لله -تبارك و تعالى -فلا يترك هذه الأحكام مجرد قوانين جافة ، بل يختمها بإرجاع الأمر كله لله ((أي إن كنتم تقدرون عليهن فتذكروا قدرة الله فيه بالقدرة فوق كل يد فلا يستعلي أحد على امرأته ، فالله بالمرصاد . فلذلك حسن الاتصاف هنا بالعلو و الكبر))[1].

وهذا تذكير للطرفين بعبوديتهما لله عز و جل- و إنما هذه الإجراءات هي لتحقيق أمره { **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** }.يقول ابن كثير : ((تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب ، فإن الله العلي الكبير وليهن ، و هو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن))[2].

إن التعقيب بهاتين الصفتين من صفات الله -تبارك و تعالى -من شأنه أن يبخر مشاعر البغي و الاستعلاء إن طافت ببعض النفوس . و هذا هو منهج القرآن في الترغيب والترهيب[3].

- في حال نشوز الزوج :

و قد دعا القرآن الكريم الزوجين إلى علاج المشاكل التي تحدث بينهما دون تدخل طرف آخر ، فقال -عز و جل- : { **وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ** }[4]. فإذا وجدت المرأة أن زوجها معرض عنها فقد وضع الله -عز و جل ثلاثة حلول لهذا الوضع :

فإذا خافت أن تصبح مجفوة و قد يؤول ذلك إلى الطلاق ، فلا جناح إن رغبت في البقاء على عصمته أن تتنازل عن حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت ، و هذا ما أشار إليه القرآن الكريم:{ **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا** }و هذا الصلح خير من الفراق[5].

---

(1) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج5 . ص 173.
(2) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج2 . ص 278.
(3) سيد قطب : الظلال . ج5 . ص 656.
(4) النساء / 128.
(5) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج2 . ص 406.

و عـــن عائشة رضي الله عنها قالت : (أن سودة بنت زمعة و هبت يومها لهـــا وكان النبي -صلى الله عليه و سلم يقسم لعائشة بيومها و يوم سودة)[1]. و قال سعيد بن منصور أنبأنا عبد الرحمان بن أبي الزناد عن هشام عن أبيه أن عروة قال : أنزل الله في ســودة و أشباهها { **وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا** }و ذلك أن سودة كانت امرأة سنت ففرقت أن يفارقها رسول الله -صلى الله عليه و سلم- و ظلت بمكانها منه، و عرفت من حب رسول الله -صلى الله عليه و سلم- عائشة و منزلتها منه فوهبت يومها من رسول الله -صلى الله عليه و سلم- لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله- صلى الله عليه و سلم -[2].

أمـــا الحالة الثانية : فهي بلوغ الرجل درجة التقوى ، و الإحسان إلى هذه المرأة . لقولـه -تعـــالى- : { **وَإِنْ تُحْسِـــنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** } و هنا يخاطـــب الله -عز و جل -في الرجل صلته بالله في علاقته بالمرأة ، و يذكره بالجزاء لعله يخاف الله فيما يتخذه من قرارات . يقول ابن كثير: ((وأن تتحشموا مشقة الصبر على ما تكـــرهون منهن، و تقسموا لهن أسوة أمثالهن ، فإن الله عالم بذلك و سيجزيكم عن ذلك أوفر الجزاء))[3].

ثم يذكـــر الله تعالى عدم إمكانية العدل بين النساء ، فإن كان لا بد من ذلك فلا يميل كل الميل عن واحدة و يتركها كالمعلقة . ثن يذكره سبحانه و تعالى بالتقوى وغفران الله لما سلف.

-في حال وجد النفور من الطرفين :

و حـــين تفشـــل كـــل الوسائل السابق ذكرها فإن المنهج القرآني لا يترك الأمر للزوجين . و حفاظا على هذه المؤسسة الخطيرة يلجأ إلى إجراء أخير قد ينقذ هذا الدمار ، و هو الحكمين : فإن أرادا إصلاحا و كانت في نفسيهما بذور خير فإن الله سيوفقهما إلى الحفـــاظ على هذه الأسرة ، فهما مع ثورة الغضب الموجودة في كليهما قد لا يستطيعان

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : النكاح باب : المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها . حديث رقم 5212 (3/ 392) .

(2) أخرجه البيهقي في سننه ، كتاب : القسم و النشوز ، باب : ما جاء في قول الله عز وجل {و إن امرأة خافت من بعلها نشوزا} (7 / 296.297).

(3) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج2 . ص 410.

تحديد ما يريدانه . فالحكم من أهله و الحكم من أهلها سيقرران ما فيه الصلاح، إن البقاء أو الفرقة .

يقول سيد قطب في تفسيره قوله- تعالى- : { **إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** }:((و هذه هي الصلة بين قلوب الناس و سعيهم و مشيئة الله و قدره ...إن قدر الله هو الذي يحقق ما يقع في حياة الناس ، و لكن الناس يملكون أن يتجهوا و أن يحاولوا . و يقدر الله -بعد ذلك ما يكون- و يكون عن علم بالسرائر و عن خبرة بالصوالح. { **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا** }))[1].و الذي نلاحظه من خلال ما سبق الربط المتين بين الأحكام و العقيدة و هذا يوحي بأهمية هذه المؤسسة و حرص القرآن على سلامتها من الفتن .

-**الطلاق كحل نهائي للمشاكل الزوجية** (تشريع الطلاق من مظاهر إعجاز القرآن) :

الطلاق أبغض الحلال عند الله ولكنه من الحلول:

لقد رأينا كيف حرص الإسلام على المؤسسة الأسرية ، و عالج ما يمكن أن يطرأ عليها من آفات ، و بالرغم من اعتبار الطلاق أبغض الحلال عند الله -تبارك وتعالى- فقد جعله مشروعا.

روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : (ما أحل الله شيئا أبغض إلى الله من الطلاق)[2]و قال (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة)[3]، و لكن قد تطرأ على الأسرة أمور تصبح الحياة الزوجية معها مستحيلة و يصبح من المتعذر تحقيق المقاصد التي تحدثنا عنها سابقا.

فتغيب كل الأهداف : الفردية و الاجتماعية و الحضارية و تصبح المؤسسة الأسرية مبعث شقاء في المجتمع ، هنا جعل الإسلام الطلاق العلاج الناجح لهذا الخلل.يقول سيد قطب : ((إذا لم يقدر لتلك المنشأة العظيمة النجاح ، و إذا لم تستمتع تلك الخلية الأولى بالاستقرار ، فالله الخبير البصير الذي يعلم من أمر الناس ما لا يعلمون لم يرد أن

---

[1] سيد قطب : الظلال :ج5. ص 656-657.

[2] أخرجه أبو داود في سننه في كتاب : الطلاق ، باب : في كراهية الطلاق حديث رقم 2177. (2/ 254)..

[3] أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب : الطلاق ، باب : كراهية الخلع للمرأة . حديث رقم 2055. (1/ 662).

يجعـل هذه الرابطة بين الجنسين قيدا و سجنا لا سبيل إلى الفكاك منه مهما اختنقت فيه الأنفـاس ، و نبت فيه الشوك و غشاه الظلام ، لقد أرادها مثابة و سكنا . فإذا لم تتحقق الغايـة –بسـبب– واقع من أمر الفطر والطبائع، فأولى بهما أن يتفرقا و أن يحاولا هذه المحاولة مرة أخرى و ذلك بعد استنفاذ جميع الوسائل لإنقاذ هذه المؤسسة الكريمة .و مع إيجـاد الضمانات التشريعية والشعورية كي لا يضار زوج و لا زوجة ،و لا رضيع و لا جنين .وهذا هو النظام الرباني الذي يشرعه الله للإنسان))[1].

و قـد يرى المتغربون في تشريع الطلاق تقويضا لدعائم الأسر ، وتهديما لما استقام منها ، و تعريضا لأبناء المجتمع للتشرد و الضياع . إلا أن هذا لا يعد ضررا بجانب الضرر الأكـبر الذي يرجع على الحياة الاجتماعية في ظل الأسرة المضطربة ، و الحياة العكرة التي يعيشـها المتباغضان تحت سقف واحد ، كما أن الإسلام لا يضيع حقوق الأطفال ، بل يضع لكل وضع علاجه.

ثم أيهمـا أفضل؟ : ما هو عليه المجتمع الإسلامي الطاهر الذي يقيم علاقاته تحت ضـوء الشرع أم المجتمع الغربي الذي يحافظ على الشكل الخارجي للأسرة و في كل بيت خيانة و نجاسة؟.

إن قـيمة تشريع الطلاق في الإسلام تتضح لنا بجلاء بمقارنة هذا التشريع بتشريع الطلاق في المسيحية ، و التي تتفق أغلب المذاهب فيها على عدم إجازة الطلاق من جانب الزوج ، بل جعلت إنهاء الزواج دائما بحكم المحكمة و هي تتفق كلها على أن الأصل هو أن الزواج علاقة أبدية لا تقبل الانحلال ، فهي علاقة إلهية مقدسة و ما جمعه الله لا يفرقه الإنسـان . و أكثر المذاهب تشددا عندهم : المذهب الكاثوليكي : إذ لا يقر الطلاق أو التطلـيق لأي سـبب مـن الأسباب ، و لا يجيز سوى الافتراق في المعيشة أو الانفصال الجسماني الذي لا ينهي روابط الزوجية[2] ،و هذا التشريع عندهم من أهم أسباب انتشار الفسـق و الفجـور ، و هـو تشريع مضاد للفطرة البشرية التي لا تتفاعل إيجابيا إلا مع التشريع الإلهي ، لأن الله أعلم بمن خلق.

---

[1] سيد قطب : الظلال : ج2 . ص 238-239.
[2] الزواج و الطلاق في الشريعة الإسلامية. ص 41-42.

ب- بعض أحكام الطلاق ووصلها بالعقيدة في القرآن الكريم :

1- الحكمة من مشروعية العدة :

يقول الله عز و جل : { وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[1].

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[2]

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}[3].

{ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}[4].

{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}[5].

{ وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ

---

[1] البقرة / 228.
[2] البقرة / 231.
[3] البقرة / 232
[4] الطلاق / 1.
[5] الطلاق / 2.

يُسْـــرًا. ذَلِـــكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}[1].

العدة : لغة : هي الشيء المعدود [2].

إصـــطلاحا : أجل ضرب لانقضاء ما بقي من آثار الزواج ، أو تربص يلزم المرأة عند زوال النكاح .

و العدة أنواع ثلاثة :عدة الإقراء – عدة الأشهر – عدة وضع الحمل.

و الســـبب في مشروعية العدة بالنسبة للمطلقة هو منع اختلاط الأنساب بعضها ببعض ، لأن المراد بها معرفة أن رحم المرأة خال من الحمل من زوجها الأول قبل أن يباح لها التزوج بغيره . أما بالنسبة للمتوفي عنها زوجها فلا ستبراء رحمها و حفاظا على مشاعر أهل زوجها بخروجها بمجرد الوفاة.

و في مشـــروعية العـــدة إيجاد فرصة للطرفين لإعادة النظر في القرار المتعلق بفرق الحـــياة الزوجـــية . يقول سيد قطب : ((فإنه لا بد من فترة معقولة يختبر فيها الزوجان عواطفهمـــا بعـــد الفرقة ، فقد يكون في قلبيهما رمق من ود يستعاد وعواطف تستجاش ومعان غلبت عليها نزوة أو غلظة كبرياء ، فإذا سكن الغضب و هدأت الشرة و اطمأنت النفس استصغرت تلك الأسباب التي دفعت إلى الفراق و برزت معان أخرى و اعتبارات جديـــدة و عاودهـــا الحـــنين إلى اســـتئناف الحياة أو عاودها التجمل رعاية لواجب من الواجـــبات ، و الطـــلاق أبغض الحلال عند الله ، و هو عملية بتر لا يلجأ إليها إلا حين يغيب كل علاج))[3] .

إن بقـــاء المـــرأة في بيـــت الزوجية أثناء العدة ، و عدم منع الشرع لها من التزين والـــتجمل لزوجها ، يمكن أن يعيد علاقتهما من زوايا إنسانية وعاطفية أو جنسية أو من زاوية دينية باستشعار التقوى . و بخاصة حين تهدأ ثورة الغضب عند كل منهما [4]. وهذا معـــنى قوله تعالى { **لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** }. و لعل عدم إتباع هذه

---

(1) الطلاق / 4-5.
(2) الأصفهاني : معجم مفردات القرآن . ص 336.
(3) سيد قطب : الظلال : ج 2 . ص 264.
(4) محمد تقي المدرسي : من هدي القرآن . ج 6 . ص 51.

خطـوات الشرعية في إجراء الطلاق يعد من أهم الأسباب التي أدت إلى ارتفاع نسبته في مجتمعات الإسـلامية . و مشـروعية العدة في الطلاق من أهم دلائل إعجاز الشريعة الإسلامية ، إذ تدل دلالة قوية على كمال حكمته –سبحانه و تعالى و علمه بخفايا النفوس و أسرار علاجها . و أنى للفكر البشري القاصر أن يتوصل إلى إدراك مثل هذا العلاج؟.

2- أحكام العدة والإيمان بالله و اليوم الآخر :

يقـول الله – تـبارك وتعالى- :{ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُـنَّ أَنْ يَكْـتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَـتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَـيْهِنَّ دَرَجَـةٌ**}[1] ، ويقـول – سبحانه وتعالى – {**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِـكُوهُنَّ بِمَعْـرُوفٍ أَوْ فَـارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّـهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْـرَجًا**}[2].تتحدث هاتان الأيتان عن الأحكام المتعلقة بالعدة فبالنسبة للمرأة يمكن أن تغلب عليها النوازع النفسية فتدفعها إلى إنكار الحمل . فقد فسرت حرمة الكتمان بأن ذلـك يمـنع طريق المراجعة أمام الزوج ، أو يؤدي إلى نسبة الولد إلى غير أبيه كما كان يحدث في الجاهلية[3]. وفسر سيد قطب ذلك تفسيرا نفسيا : إذ أن رغبة المرأة في أن تثبت لنفسـها ولغيرهـا قدرتها على بناء حياة جديدة ، وأن إخفاقها في الحياة الأولى لا يرجع لعجـز أو نقص فيها ، هذا الإحساس يدفعها إلى إنكار حملها لاختصار الوقت في تحصيل حياة زوجية جديدة فخاطب فيها الله – عز وجل – جانب الإيمان بالله واليوم الآخر حتى لا تتغلـب علـيها نوازعها وروح الانتقام ((ويلمس قلوبهن بذكر الله الذي يخلق ما في أرحامهن ويستحيش كذلك شعور الإيمان بالله واليوم الآخر فشرط هذا الإيمان ألا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ، وذكر اليوم الآخر بصفة خاصة له وزنه هنا ، فهناك الجزاء .

هـناك العوض عما قد يفوت بالتربص . وهناك العقاب لو كتمن ما خلق الله في أرحامهن ، وهو يعلمه لأنه هو الذي خلقه فلا يخفى عليه شيء منه، فلا يجوز كتمانه عليه

---

[1] البقرة / 228.
[2] الطلاق / 2.
[3] سيد قطب : الظلال : ج2 . ص 245.

-- سبحانه -- تحت تأثير أي رغبة أو هوى أو غرض من شتى الأغراض التي تعرض لنفوسهن))[1].

لقد أثارت الآية الجانب الإيماني بركنيه الأساسيين : الإيمان بالله واليوم الآخر ، في التشديد على ضرورة الالتزام بأحكام الله ، للتأكيد بأن الإيمان يفرض الامتثال ، فلا إيمان بدون استجابة للأوامر الإلهية ، وقد أورد المفسرون أن هذه الآية نزلت في الرجل يريد أن يطلق زوجته فيسألها هل بك حمل فتكتمه إرادة أن تفارقه فيطلقها وقد كتمته [2].

وفي قوله -تبارك وتعالى- :**{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}**[3].

- وقوله: **{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا }**[4].

في هاتين الآيتين يتحدث القرآن الكريم على بلوغ الأجل بالنسبة لعدة المرأة وكيفية التصرف معها . فقد كان الرجل في الجاهلية حين يقترب انتهاء أجل العدة يراجع المطلقة ليس بالمعروف وإنما لتطويل الأمد عليها والاعتداء إذ لا إمساك بعد انقضاء الأجل . ومعنى ذلك مراجعتهن من غير ضرار أو تخليتهن حتى تنتهي العدة. فلا يمسكوهن قصد الضرر والاعتداء فيترك المطلق المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها للتطويل عليها أو الإلجاء إلى الافتداء . وقد قيل أن الرجل كان يتزوج و يطلق ويعتق ويقول : كنت ألعب فنزلت هذه الآية للتحذير من ذلك[5].

كما أنه روي أن أحدهم كان كلما اقترب انتهاء الأجل راجع مطلقته ليس قصد المعاشرة بالمعروف وإنما قصد الإضرار بها فكان يقول لها : والله لا آويك ولا أفارقك وهذا هو الإمساك ضرارا . وفي ذلك قال ابن عباس ومجاهد : كان الرجل يطلق المرأة

---

(1) سيد قطب: الظلال .ج2 . ص 246.
(2) شهاب الدين أبي الفضل: العجاب في بيان الأسباب . ج 1 . ص 580.
(3) البقرة / 231.
(4) الطلاق / 2.
(5) البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ج 1 . ص 552.

فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضرارا حتى لا تذهب إلى غيره ، ثم يطلقها فتعتد فإذا شارفت على انقضاء العدة طلق لتطول عليها العدة ، فنهاهم الله- تعالى - عن ذلك[1] .
واعتبره ظلما للنفس بتعريضها لغضب الله -سبحانه- في الدنيا والآخرة .

ومن الحالات التي خاطب فيها الله -عز و جل- إيمان المؤمنين (إيمانهم بالله واليوم الآخر) حالة انقضاء العدة ووجود رغبة عند الطرفين في الرجوع إلى بعضهما والاعتراض من قبل الأهل على ذلك .إذ يقول- سبحانه و تعالى -:**{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوف ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }**[2]

فقد حدث في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم – أن أحد الصحابة وهو معقل بن يسار كانت أخته تحت أبي البداح فطلقها ، وتركها حتى انقضت عدتها ثم خطبها فرضيت وأبى أخوها أن يزوجها وقال : وجهي من وجهك حرا إن تزوجته ، فنزلت الآية، قال مقاتل : فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معقلا فقال : إن كنت مؤمنا فلا تمنع أختك عن أبي البداح . فقال : آمنت بالله وزوجوها منه [3].

وفي رواية أخرى عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلا من المسلمين على عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم – فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت عدتها ، فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقال له : يا لكع أكرمتك بها وزوجتكما فطلقتها والله لا ترجع إليك أبدا آخر ما عليك . قال : فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعلها فأنزل : **{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ...}** إلى قوله:

{ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } فلما سمعها معقل قال : سمع لربي وطاعة ، ثم دعاه

---

(1) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج1 . ص 498 .
(2) البقرة / 232.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطلاق باب (وبعولتهن أحق بردهن)حديث رقم 5331(523/6)

فقال : أكرمك وأزوجك[1].

فمن الروايتين نلاحظ أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – جعل الامتثال شرط الإيمان ونشاهد استجابة الصحابي لأمر الله – تعالى – دون نقاش قائلا: سمعا لربي وطاعة.

وفي الآيـــة الكريمة نلاحظ القرب الذي حظي به الصحابة- عليهم رضوان الله- وتجلـيات صـفاته من خلال أحكامه –سبحانه – التي نالوا الشرف في أن يكونوا أسبابا لنزولهـا. { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } فقد علم حاجة الزوج إلى زوجته وحاجتها إليه وعـلم رفـض الـولي لذلـك فأنزل الحكم القويم لهذا الوضع . وهو يعلم – سبحانه- ما يترتب عن وقوف الولي ضد رغبة هذين المحبين من خلل في المجتمع.

ولتنفيذ الأمر خاطب في الإنسان المؤمن إيمانه بالله واليوم الآخر. فهذه هي فرصة اختـبار صدق الإيمان أو مدى الاستجابة لأمر الله . يقول سيد قطب : ((والإيمان بالله واليـوم الآخر هو الذي يجعل هذه الموعظة تبلغ إلى القلوب حين تتعلق هذه القلوب بعالم أرحـب من هذه الأرض ، وحين تتطلع إلى الله ورضاه فيما تأخذ وما تدع ...والشعور بأن الله يريد ما هو أزكى وما هو أطهر من شأنه أن يستحث المؤمن للاستجابة ، واغتنام الزكاة والطهر لنفسه وللمجتمع من حوله ،ولمس القلب بأن الذي يختار له هذا الطريق هو الله الـذي يعـلم مـا لا يعلمه الناس من شأنه أن يسارع إلى الاستجابة كذلك في رضا واستسلام))[2].

إن الإيمان بالله واليوم الآخر يجعل الإنسان يستشعر المسؤولية في كل ما يقدم عليه مـن تصرفات وقرارات . ومن شأن هذا الإيمان إن كان صادقا أن يؤثر على مسار حياة الإنسـان والجماعـة التي يعيش وسطها .لأن المؤمن الصادق ((هو الذي يعيش الشعور بالمسؤولية في عمق حياته من خلال إيمانه باليوم الآخر الذي يرغب في الحصول على النتائج الطيبة فيه على مستوى المصير ... فيدفعه ذلك إلى الوقوف عند حدود الله والسير

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: التفسير ، باب : ما جاء ومن سورة البقرة .حديث رقم 2981(201/5).

[2] سيد قطب : الظلال : ج2 . ص 253 .

على خطط التقوى ...))[1].

3- الطلاق والحديث عن الكون :

ورد الحديث عن الكون بعد الحديث عن الطلاق مباشرة في قوله -تعالى- :

{وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا.وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا.وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[2].

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}[3] .

إن تكرار الحديث عن الكون في هذه الآيات له أبعاد كثيرة فقد تحدثت الآيات الأولى عن حدوث الافتراق بين الزوجين بعد فشل محاولات الإصلاح .فإذا اقتضت الضرورة حدوث الانفصال بين زوجين دون إيجاد حل بديل عنه – ولا مانع من ذلك في الإسلام -فإن الله -عز وجل-يراعي حال هذين الزوجين ولا يتركهما يعيشان حالة القلق والاضطراب ، فحتى لو حدث الانفصال بين الطرفين عن تراض بينهما فإنه يترك آثارا سلبية تحتاج إلى شيء من الوقت لتندمل . في هذه الظروف الصعبة يذكر الله –تعالى – عبديه بألا يخافا من المستقبل لأنه -عز وجل- سيشملهما بكرمه وفضله ، ويزيل احتياجاتهما برحمة منه وبركة ولتأكيد قدرته -عز وجل -على ذلك وجه نظر الإنسان إلى التأمل في شمول ملكيته –سبحانه –للكون بكل ما فيه .

وقد بحث المفسرون عن السر في تكرار حديث الله –عز وجل-عن الكون ثلاث مرات في هذه الآيات وذكروا أن ذلك يرجع إلى تقرير ثلاثة أمور :

الأول : لأن الآية الأولى قبل الحديث عن الكون تحمل وعدا للزوجين إذا انفصلا بأن الله سيغنيهما { وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ }[4] ، ولإثبات ذلك

---

(1) محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن . ج 22. ص 327-328.
(2) النساء / 130-132.
(3) الطلاق / 12.
(4) النساء / 130.

بتأكيده ورد بعدها قوله – تعالى- { **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** }[1] لتقرير قدرة الله وسعة جوده وكرمه .

الثاني : أوصت الآية بعد ذلك بالتقوى ولإبعاد التوهم بأن طاعة هذا الأمر تنطوي على منفعة أو ضرر لله -عز وجل- ورد عقبها قوله:{ **فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** }[2] ، لتأكيد غنى الله –سبحانه- عن الكل وهو مالك ما في السماوات وما في الأرض .

الثالث : التأكيد على قدرة الله على الإعدام والإ يجاد فإن عصاه قوم فهو قادر على إفنائهم والإتيان بآخرين يشتغلون بعبادته وتعظيمه إذ قدرته تشمل جميع المقدورات[3] إن تكرار الحديث عن ملكية الله – عز وجل – للكون وما فيه في هذا المقام ، وإن كان يعطي الأمل للمنفصلين في مستقبل أفضل فإن له تأ ثير ه القوي على التذكير بعظمة الله وإثارة مهابته في النفوس، وفي ذلك دفع للامتثال لأوامر الله –سبحانه – واجتناب نواهيه. فقد تأخذ الإنسان العزة بالإثم وينسى في غمرة الأحداث ما يجب عليه تجاه الله –عز وجل – فيأتي الخطاب القرآني لتذكيره بذلك . فإذا كان المطلق يملك مصير العلاقة الزوجية –حسب رأيه – يذكره الله – سبحانه – بأنه المالك الحقيقي لكل ما في السماوات والأرض، وأن الممتثل لأمر الله هو المستفيد، فإذا انحرف فإن الله غني عن طاعته وقادر على استبدال القوم الذين يعصونه بآخرين يمتثلون لأوامره .

وقد ذكر ابن كثير أن تذكير الله – عز و جل – بسلطانه العظيم من شأنه أن يكون باعثا على تعظيم ما شرع الله من الدين القويم [4].

يقول محمد حسين فضل الله في تفسير هذه الآيات : ((إنها الحقيقة التي تعرض نفسها على الفكر والشعور وتتحرك في كل اتجاه في عملية تحد وإيحاء بالقوة والثقة . ودعوة للالتزام والانضباط والعمل . ففي البداية كانت للإيحاء بالثقة بأن الله يغني كلا من سعته لأن ملكه وسع السماوات والأرض وما فيهن فكيف يمكن للإنسان مع هذه الحقيقة

---

(1) النساء / 132
(2) النساء / 131.
(3) الرازي : التفسير الكبير . ج11 . ص 56-57.
(4) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 7 . ص 47.

ن يخاف الفقر على نفسه في أية حالة من الحالات ثم كانت الدعوة إلى التقوى ومراقبة الله في كل الأمور .والعمل بطاعته فيما يأمر به وفيما ينهى عنه . هذه الدعوة التي وجهها الله إلى أهـل الكتاب وإلى المسلمين وأراد منهم الالتزام بها في خط الإيمان وأطلق هذه الحقـيقة بعـد ذلك في مقام التحدي لمن أراد أن يكفر بالله ولا يراقبه بأن الله كان غنيا حكيما في كل أفعاله لأنهم جزء مما في السماوات والأرض الذي هو ملك الله –سبحانه – ثم وجههم إلى أن يعملوا ليكونوا تحت رعايته التي هي سر وجودهم ووجود كل شيء في السماوات والأرض مما يحتويه ملكه))[1].

ويرى الرازي أن تكرار ذكر الله –تعالى – للسماوات والأرض أولى من الاكتفاء بذكره مرة واحدة ((لأن عند إعادة ذكر الدليل يخطر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول وكـان العـلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجلى فظهر أن هذا التكرير في غاية الحسن والكمال .

وأيضـا فإذا أعدته ثلاث مرات وفرعت عليه في كل مرة إثبات صفة أخرى من صفات – جلال الله– نبه الذهن حينئذ لكون خلق السماوات والأرض دالا على أسرار شـريفة ومطالب جليلة . فعند ذلك يجتهد الإنسان في التفكير فيها والاستدلال بأحوالها وصـفاتها على صفات الخالق – سبحانه وتعالى– ولما كان الغرض الكلي من هذا الكتاب الكريم صرف العقول والأفهام عن الإشتغال بغير الله إلى الإستغراق في معرفة الله وكان هـذا الـتكرير ممـا يفـيد حصـول هذا المطلوب ويؤكده لاجرم كان في غاية الحسن والكمال))[2].

إن في إعادة ذكر السماوات والأرض ترسيخا للمعاني الموجودة في الآيات وكلها تندرج تحت الأمر بطاعة الله – عز وجل – .

وفي خـتام سورة الطلاق تأتي الآية الأخيرة آية كونية توجه أنظار المخاطبين بهذا الكـتاب إلى التأمل في الكون لاستخلاص العبر الجليلة { **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ**

---

[1] **محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن : ج7 . ص 349.**
[2] **الرازي : التفسير الكبير : ج 11 . ص 57.**

أحـاط بكُلّ شيْءٍ علْمًا }[1].تشير هذه الآية إلى خلق الله للسماوات السبع ومن الأرض مثـلهن[2] ونـزول أمر الله بينهن ،هذا الأمر الذي من ضمنه ما يتعلق- بالأسرة- ومن تشريع للإنسان عموما.

يقـول سيد قطب : ((وهذا الأمر يتنزل بين السماوات والأرض لينشئ في قلب المؤمن – عقيدة أن الله على كل شيء قدير – فلا يعجزه شيء مما يريد – وأنه قد أحاط بكـل شيء علما – فلا يند عنه شيء مما في ملكه الواسع العريض ، و لا مما يسرونه في خبايا القلوب .وهذه اللمسة قيمتها هنا من وجهين :

الأول : أن الله الـذي أحاط بكل شيء علما هو الذي يأمر بهذه الأحكام. فقد أنـزلها وهو يحيط بكل ظروفهم و ملابساتهم ومصالحهم واستعداداتهم ،فهي أولى بالاتباع لا يلتفتون عنها أدنى التفات ، وهي من وضع العليم المحيط بكل شيء علما .

الـثاني : أن هـذه الأحكام بالذات ، موكولة إلى الضمائر.فالشعور بعلم الله واطلاعه على كل شيء هو الضمان لحساسية هذه الضمائر في شأن لا يجدي فيه شيء إلا تقوى الله العليم بذات الصدور هكذا تختم السورة بهذا الإيقاع الذي يهول ويروع ، بقدر ما يحرك القلوب لتخبت وتطيع))[3] .

إن في هـذه الخاتمـة إعادة ربط للإنسان بربه ، ففيها تعريف للإنسان بالله-عز وجـل- فـإذا نسي في واقع الأحداث ربوبيته –تعالى – فلا شك أن هذه الآية إحياء لمعرفته بذلك .

ولمـا كانـت آيات السورة فيها دعوة للإستجابة لله وتقواه في السير على خط الإيمان ، جاءت هذه الآية تعرفنا بالله – تعالى – لأن التقوى نتاج المعرفة الصحيحة به – عـز وجل - فإذا تأمل الإنسان وأدرك من خلال آثار الله وجود الخالق وقدرته وعلمه زرع كـل ذلك في نفسه تقوى الله – سبحانه – فخشي عقابه واستشعر رقابته في سره وعلـنه إن هـذه الخاتمة استدلال عقدي على أمور تشريعية ختم بها الله –عز وجل –

---

(1)الطلاق / 12.

(2)ورد في تفسير السماوات السبع بأنها الكواكب السيارة . أما الأرضين السبع فهي القارات : داود سليمان السعدي : أسرار الكون في القرآن الكريم . ص 63. ص 156-157).

(3)سيد قطب : الظلال . ج28. ص 3606-3607.

السورة للمحاطبين ، فإذا لم يدركوا الحكمة من سن هذه القوانين ، وجهوا أنظارهم إلى خلق السماوات والأرض ليدركوا أن الذي تجلت قدرته وعلمه على المستوى الكوني قادر على حل مشاكلهم عالم بما يحتاجون إليه ، و ما هم إلا جزء صغير من هذا الكون العظيم. ففي هذه الآية استدلال على :

- الوفاء بما قدم إليهم من وعود باليسر بعد العسر .
- القدرة على معاقبة العاصين وهلاكهم ومجازاة المطيعين .

وقد ذكر الطباطبائي أن هذه الآية : ((بيان يتأكد به ما تقدم في الآيات من حديث ربوبيته –تعالى – وبعثة الرسول وإنزاله الذكر ليطيعوه فيه وإن في تمرده ومخالفته الحساب الشديد والعذاب الأليم وفي طاعته الجنة الخالدة كل ذلك لأنه قدير عليم))[1].

4- الطلاق وعقيدة القضاء والقدر :

تحدث القرآن الكريم أثناء تقريره لأحكام الطلاق عن التوكل على الله –سبحانه – وعن قدره في الكائنات . كما تحدث عن حكمته و إحاطة علمه ،وهاتين الصفتين من أوثق صفات الله – عز وجل – صلة بعقيدة القضاء والقدر .

وحين نبحث عن الحكمة من ورود الحديث عن ذلك في ثنايا موضوع الطلاق نستنتج أن الله الذي هو أعلم بمن خلق يعلم الحالة النفسية التي يكون عليها الزوجان في ظروف الانفصال ولكي يخفف عنهما الخوف من المصير والمجهول – بالنسبة إليهما – أتى بالحديث عن سننه القدرية في الكون والحياة والتي يعتبر الإنسان جزء منها .

لقد أعطى القرآن المنفصلين الأمل في المستقبل المنفتح ، إن التزما حدود الله وطمأنهما بعدم تركهما يواجهان الواقع بيأس وقنوط . يقول – سبحانه وتعالى – : **{ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا }**[2].

ومن الآيات التي تحدثت بوضوح عن التوكل على الله وقدره في الطلاق هي قوله –تعالى- **{ .. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا.وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ**

---

(1) الطباطبائي : الميزان : ج19 . ص 377.
(2) النساء / 130.

يتوكّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَـيْءٍ قَدْرًا }[1]. إن هذه الآيات تفيد أن التزام المنفصلين التقوى في إقدامهما على أمر الطلاق يكفيهما الخوف من المستقبل فقد تنتاب المنفصلين مشاعر الرهبة مما سيحدث لهما بعد الانفصال . فطمأنهما الله -سبحانه و تعالى - بأنه سيجعل لهما مخرجا من الضيق إلى اليسر وسيتكفل برزقهما . وقد ذكر العلماء في تفسيرها أنها مؤكدة لما سبق من الأحكام فمن يتق الله فيطلق للسنة ولا يضار المعتدة ولا يخرجها من مسكنها ويحتاط فيشهد. يجعل الله له مخرجا من الضيق إلى الخلاص[2].

و يذكر المفسرون أن معنى { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا }[3]: مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة[4] ومما يذكر عن الصحابة – رضي الله عنهم - أنه حين نزل قوله – تعالى :{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } ((أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا : قد كفينا . فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: ما صنعتم ؟ فقالوا : يا رسول الله تكفل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة . فقال : إنه من فعل ذلك لم يستجب له . عليكم بالطلب))[5].

وفي حديث عن أبي ذر الغفاري قال : ((جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يتلو علي هذه الآية{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} حتى فرغ من الآية ثم قال : يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم ، قال: فجعل يتلو بها و يرددها علي حتى نعست ثم قال : يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة . قال : قلت : إلى سعة و الدعة أنطلق حتى أكون حمامة من حمام مكة ، قال : كيف تصنع إن أخرجت من مكة ؟ قال : قلت : إلى السعة و الدعة إلى الشام ، و الأرض المقدسة ، قال : و كيف تصنع إن أخرجت من الشام ، قال : قلت : إذا و الذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، قال :

---

[1] الطلاق / 2-3.
[2] أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . ج 8 . ص 261.
[3] الطلاق / 2.
[4] النسفي : مدارك التنزيل و حقائق التأويل : ج 4 . ص 255.

أو خـــير من ذلك ؟ قال : قلت : أو خير من ذلك ، قال : تسمع وتطيع ، و إن كان عبدا حبشيا))[1] .

وذكـــر بعض المفسرين أن الآية نزلت بحق (عوف بن مالك الأنصاري) وهو أحـد أصـــحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم – الذي أسر ابنه فجاء يشكو هذا الحـادث وفقـر حاله ، وضيق ذات يده إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم- فنصحه بالصـبر، ففعـــل ذلك وفجأة بينما هو جالس في بيته دخل عليه ولده فتبين أنه استغفل الأعداء وفر من قبضتهم وجاء بحمل معه منهم[2].

والآيـــة لا تعـــني ترك السعي والركون إلى الكسل وإنما تؤكد وجوب مساندة التقوى للسعي والثقة بالله –تبارك وتعالى- ولكي لا يساء فهم التوكل على الله قال : - صـلى الله علـــيه وسلم – لأحد الصحابة ، حين سأله : يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقهـــا وأتوكـــل . قال :(أعقلها وتوكل)[3] . وقال: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا)[4].

والـــذي نستخلصـــه مما سبق من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الـــتوكل هـــو أن يســـعى الإنسان لأن يجعل عاقبة عمله وكدحه على الله ويوكلها بالله ويدعـــوه لتسهيل أمره ، فإنه لطيف بعباده رحيم بهم . وعلى كل شيء قدير والشخص الـــذي يعيش حقيقة التوكل على الله لا يجد اليأس إليه منفذا ، ولا يدب به الضعف ولا يشـعر بالنقص والصغر أمام المشاكل مهما كبرت ، ويبقى يقاوم ويواجه الأحداث بقوة وإتـــزان راســـخين ، ويعطـــــيه هذا الإيمان والتوكل قدرة نفسية عظيمة يستطيع معها تجاوز الصعاب.

إن حديـــث القرآن الكريم عن التوكل في هذه المواطن له أبعاد بالغة الأهمية. فكم مـــن الأشخاص الذين لا يسكن الإيمان قلوبهم ينهزمون أمام الهزات والصعاب، إذ يصل

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده (178/5-179).
[2] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج7 . ص 38.
[3] أخرجه الترمذي في سننه في كتاب : صفة القيامة و الرقائق و الورع . باب : أعقلها و توكل . حديث رقم 2517. (576/4).
[4] أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب : الزهد . باب : التوكل و اليقين . حديث رقم 4164. (4164/2) .

أمر ببعضهم إلى حد الانتحار . فكم هم الذين انتحروا بسبب عقدة الفشل في العلاقات الزوجية أو الجنسية [2]. فالقرآن الكريم يضع العلاج المناسب في المكان المناسب .

كما يمكن أن يفهم من الآية وقاية الإسلام من حدوث الطلاق أصلا إذ قد يكون الفقر والضيق من المآزق التي يواجهها الرجل في إدارة أسرته والإنفاق على أفرادها وهذا بتنمية روح الأمل بالله والتوكل عليه في روعه بأنه يضمن له رزقه ((وهذه الأفكار والمنهجية ترتكز على قيمة أساسية في الإسلام هي إيمانه بضرورة دفع الإنسان باتجاه المزيد من تحمل المسؤولية وليس تبرير الهروب منها))[1] .كما أن فيها حماية للرجل والمرأة المسلمين من الضياع بعد ضياع الحياة الزوجية .

ولبؤكد الله – عز وجل – للبشر إحاطة علمه بكل شيء و يغرس في أنفسهم السعي مع التسليم للقوانين الإلهية ختم الآية الثانية بقوله **{ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا }**[2] فلا مجال في هذه الحياة للعبثية والصدفة وهذا ينمي في الإنسان ((الإحساس بأن الحياة في انتصاراتها وهزائمها وفي أفراحها وأحزانها لا تتحرك في أجواء الفوضى ،بل تخضع لنظام كوني متوازن يضع كل شيء في موضعه . ويقدر لكل حدث قدره على مستوى الظواهر الكونية أو الظواهر الإنسانية ، فيدفعه ذلك إلى التعرف على أسرار الحياة ليشعر بالثبات في كل حركة الظواهر ، في قوانينها العامة فلا يعيش في أجواء الضياع والقلق والحيرة والعبثية . فيما يتحدث به الذين يسقطون أمام مصائب الحياة ومشاكلها))[3].

إن الله –عز وجل – وعد عباده بحل مشاكلهم ورزق من يتقيه، إلا أن ذلك يكون بضوابط وقوانين (قدرا) يجب على الإنسان السعي وفقها وعدم تجاوزها .

فإذا اتخذ الأسباب ووقع ما ليس منه مفر يأتي الرضا بما أراد الله –تبارك وتعالى – وفي الرضا بقضاء الله وقدره راحة نفسية كبيرة وتوازن لشخصية الإنسان المؤمن . يقول البقاعي : ((فمن توكل استفاد الأجر وخفف عنه الألم وقذف في قلبه السكينة ومن لم

---

[1] محمد تقي المدرسي : من هدي القرآن . ج16. ص 64.
[2] المرجع نفسه : ج16. ص 63.
[3] الطلاق / 3.
[4] محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن . ج22. ص 336.

يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التي يعتقد أنها هي المنجية ، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد في المقادير شيء ولا ينقص منها شيء))[1].

والرضا بالقضاء والقدر من أهم أنواع الصبر :((فالرضا بالقضاء والقدر أدب إسلامي موقعه عند الأحوال التي يغلب المسلم فيها على سعيه فيخيب فيه أو عند الحوادث الخارجة عن مقدرة الإنسان . فمن الأدب الديني أن يرضى ولا يجزع ، وهو ضرب من الصبر معلل باعتقاد أن قدرة الله أكبر من كل مقدرة فعدم تيسر المسبب مع السعي في الأسباب بدون تقصير يدل على أن الله لم تتعلق إرادته بحصوله لأنه علم أنه غير كائن. ونعم هو للرجل المسلم في حياته بحيث يكون مطمئن البال عند المصائب متأدبا مع ربه ملتفتا إلى ما عسى أن يأتي من اليسر بعد العسر ومن الفرج بعد الشدة . فالرضا بالقضاء والقدر سلوة وعزاء للمؤمن لكي يذهب حرج نفسه عقب الخيبة أو عند حلول المصيبة فهو أدب خاص بنفس المؤمن))[2].

وأخيرا يمكن تلخيص الأمور التي تؤكدها الآيتان للإنسان المؤمن في هذه النقاط :

1- الشعور بعدم الخذلان من الله –عز وجل – فيما يواجهه من صعاب ، فيبقى منطلقا مشدودا إلى الفرصة الغيبية التي وعده الله إتيانها من حيث لا يحتسب، وهذا لا يعني الإستسلام للكسل .

2- البقاء مشدودا إلى مسألة الرزق على أنها بيد الله ، فإذا أغلق باب انفتحت له أبواب فيعيش الضيق منتظرا السعة ، والشدة منتظرا الفرج من الله (منطلقا ساعيا)، وذلك بحرره من الإغراءات التي تجعله يتجاوز حدود الله – سبحانه– .

3- وكل ما سبق يتحقق على أساس الثقة بأن الله بالغ أمره .

4- اليقين بأن كل شيء مقدر عند الله ولا مجال للصدفة والعبث.

إن هذه المعاني تجعل الإنسان المؤمن مقبلا على الحياة بثقة وعزة ،يستمدها من عناصر الإيمان والتي من بينها : الإيمان بقضاء الله وقدره .

---

(1) البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات و السور . ج8 . ص 30.
(2) ابن عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام . ص 73.

5- الطلاق و الترغيب والترهيب :

ارتبطـــت بأحكـــام الطلاق صيغ كثيرة للترغيب و الترهيب و ذلك لكي يحدث التأني في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة ، و مراعاة الله – عز و جل – بعد اتخاذها والحذر من العاقبة في كل ذلك.

و من هذه الصيغ قوله – عز و جل -:

- { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ }[1].
- { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[2].
- { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[3].
- { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ }[4].
- { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا }[5].
- { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا }[6].

ففـــي هذه الصيغ ترغيب بإحاطة علمه – تبارك و تعالى- و وعد بإيجاد المخرج وتيسير الأمور و تكفير السيئات بالنسبة لمن يلتزم حدوده ، و فيها ترهيب كذلك بإحاطة علمه – تعالى – بكل ما يحدث في هذه الحياة الدنيا ، و ترهيب بأن من يتعدى حدود الله فهـــو ظالم لنفسه و نتيجة الظلم عند الله خطيرة . و سأقف هنا بالتركيز على الترغيب والترهيب بما حدث للأمم الخالية :

يقـــول – تبارك وتعالى – **{ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيـــنَ أُوتُـــوا الْكِـــتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ... إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ**

---

(1) البقرة : 231.
(2) البقرة :231.
(3) البقرة: 232.
(4) الطلاق : 1.
(5) الطلاق : 2.
(6) الطلاق:/4

ويـأت بآخـرين وكان اللّهُ على ذلك قديرًا }[1] ويقول : { وكأيِّنْ منْ قرْية عتتْ عنْ أمْر ربِّها ورُسُله فحاسبْناها حسابًا شديدًا وعذّبْناها عذابًا نُكْرًا.فذاقتْ وبال أمْرِها وكَانَ عَاقبَةُ أمْرِها خُسْرًا }[2].

لقد اشتملت الآيات التي تحدثت على أحكام الطلاق أنواعا عدة من طرق الردع عـن تجـاوز حدود الله – تبارك وتعالى - ، ولكسر تعالي النفس البشرية وهدايتها إلى الطريق السوي اشتملت على التحذير من الهلاك والدمار ، كذلك الذي لحق الأمم الغابرة حين عتت عن أمر ربها . وفي حديث القرآن الكريم عن هلاك الأمم في هذه المواطن لفت لانتباه الإنسان المسلم إلى أن الأسرة في ظل السنن الإلهية لا تختلف عن المجتمع الكبير – القـرية بتعـبير القرآن – الذي لو تعدى حدود الله تكون عاقبته الخسارة والدمار، كما يحكـي ذلك تاريخ الحضارات التي دكت وبقيت آثارها ليستدل بها أولوا الألباب (وقد حدثـنا القرآن الكريم عن العذاب الذي لحق قوم لوط وقوم شعيب وعاد وثمود وفرعون وأتـباعهم بسبب مخالفتهم شرع الله – سبحانه – وقد ذهب بعضهم بالطوفان وبعضهم بالصاعقة وبعضهم بالريح الصرصر العاتية ...).

يقول سيد قطب : ((ونجد أن هذا التحذير يساق هنا لمناسبة الطلاق وأحكامه . فيرتبط الطلاق وحكمه بهذه السنة الكلية . ويوحي هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس أمر أسـر أو أزواج . إنما هو أمر الأمة المسلمة كلها ، فهي المسؤولة عن هذا الأمر . وهي المسؤولة فيه عن شريعة الله ومخالفتها عن أمر الله فيه ، أو مخالفتها عن أمر الله في غيره من أحكـام هذا النظام أو هذا المنهج الإلهي المتكامل للحياة . هي عتو عن أمر الله لا يؤاخذ عليـه الأفراد الذين يرتكبونه إنما تؤاخذ به القرية أو الأمة التي تقع فيها المخالفة ، والتي تـنحرف في تنظـيم حـياتها عن نهج الله و أمره .فقد جاء هذا الدين ليطاع ولينفذ كله وليهـيمن على الحياة كلها . فمن عتا عن أمر الله فيه-- ولو كان هذا في أحوال الأفراد الشخصية – فقد تعرض لما تعرضت له القرى من سنة الله التي لا تتخلف أبدا))[3] .

---

[1] النساء / 131-133.
[2] الطلاق / 8-9.
[3] سيد قطب : في ظلال القرآن : ج28. ص 3604-3605.

وقد تحدثت الآيات عن العذاب الذي لحق القرى التي عتت عن أمر ربها في الدنيا ،من بين مظاهره ، تسخير الكون ضدها . كما أنها بعصيانها تخسر المكاسب التي تنال بتطبيق أمر الله ورسله ،ومن جهة أخرى سعيها وجهودها والأهداف التي كانت تسعى من أجل تحقيقها. هذا بالنسبة لخسران الدنيا ، أما في الآخرة فقد { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا }[1] وأي خسارة أكبر من ضياع الدنيا والآخرة معا .

إن التذكير بما حدث للأمم الخالية من الدمار بسبب الانحراف عن نهج الله – تبارك وتعالى – من شانه أن يكون داعيا للامتثال و عدم الجرأة على العصيان لأمر الله – سبحانه – إذ يعتبر استدلالا حسيا استرجاعا لمسيرة الأنبياء الدعوية مع أقوامهم .

6–الطلاق و التقوى :

يقول– تبارك وتعالى – :{ وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[2]. { يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا .}[3] { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ...}[4] { وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا }[5] { ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ

---

(1) الطلاق / 10.
(2) البقرة / 232.
(3) الطلاق / 1.
(4) الطلاق / 2.
(5) الطلاق /4.

سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا }[1] { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ... فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا }[2].

تكرر الحديث عن التقوى في الآيات التي تناولت أحكام العدة مرات عديدة ، وقد أرجع العلماء ذلك إلى كون هذه الفترة حرجة وتحتاج إلى إرادة وثبات في مراعاة حدود الله ، ولأنهـا((مصيرية بالنسبة لعلاقة الطرفين ففيها يراجع الرجل نفسه و يقيم زوجته من جديـد ليقرر الرجوع إليها أو الانفصال عنها . فيجب عليه أن يراقب الله في كل ذلك ويكون منصفا .ولعل الرجل بالذات يستطيع مضارة زوجته فيتلاعب بالعدة بعيدا عن علم أي أحـد . وحيث لا يوجد النظام الإسلامي المتكامل، فهو قادر على صنع ما يشاء دون أن يواجه أي إجراءات قضائية وقانونية تخالف هواه لذا فهو محتاج إلى مراقبة الله قبل كل شـيء وتقواه باعتبارها أهم الضمانات التنفيذية للحدود والشرائع))[3] ونظرا للتأكيد على التقوى في سورة الطلاق اعتبرها بعض المفسرين محورالسورة وما الحديث عن قانون الطلاق وسنن الله في الأمم إلا إطارا لهذا المحور [4].

وقـد مزج السياق القرآني الحديث عن التقوى وقانون الطلاق ، لأن الطلاق من الأحكام الفردية التي إذا غاب النظام الإسلامي الذي يحرس على تطبيقها لا يكون رادعا للأفراد في التزام حدود الله – عز وجل – إلا ما يملكونه من تقوى .

وإذا تتبعـنا مسار التقوى من خلال هذه الآيات نلاحظ أن الآية (232 من سورة البقرة) والآية (3 من سورة الطلاق) يتحدثان عن عدم المضارة بالمطلقة في تطويل العدة عليـها ، ودعوة إلى تقوى الله –عز وجل –لأنه هو العليم بخفايا الصدور ، وفيهما وعد للمطلق بأنه إذا راعى أحكام الله بالتزامه خط التقوى في الاستجابة لأوامره – تعالى – لم يضيق عليه وجعل له مخرجا من شدائده .

أمـا الآية الأولى من سورة الطلاق ففيها دعوة إلى الدقة في إحصاء العدة وعدم إخراج المعتدة من بيت الزوجية قبل انتهائها ، وهناك أمر للرجل بالذات بالإحصاء((لأن

.....

(1) الطلاق/ 5

(2) الطلاق/ 8-10

(3) محمد تقي المدرسي: من هدي القرآن .ج 16.ص 56

(4) المرجع نفسه: ج 16ص 48-49

الطـلاق بيده ولأنه المسؤول عن المرأة في سكنها ونفقتها وحمايتها، فلابد أن يحصي لكي يعـرف بالضبط متى يمكنه التحلل من هذه المسؤولية الشرعية ، والتأكيد على التقوى بعد الأمـر بإحصـاء العـدة يهدينا إلى ضرورة الدقة في الحساب ، لأن التقوى هي التي تمنع الكذب والتلاعب))[1].

وبعـد الحديث على أنواع العدة : عدة اليائسة ، والتي لم تحض ، والحامل ، يرد كذلـك الحديـث عن تقوى الله – عز و جل – (الآية / 4 من سورة الطلاق) وذلك تأكيدا لمراعاة ما سبق من الأوامر .

وفي الآيـة الخامسـة يأتي التأكيد مرة أخرى على التقوى { **ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** }[2] .

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية يكتمل معناها بالآية التي بعدها .

فكأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات ؟ فجاء الجواب { **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ** ... }[3].

ولا يمكـن أن يراعي الله ويلتزم أمره ويكرم المطلقة إلا أولئك الذين يتقون الله – تـبارك وتعـالى – فـالذي نلاحظه في مجتمعاتنا هو إخراج المرأة من بيتها بمجرد التلفظ بـالطلاق. وفي بعض الأحيان ، بمجرد حدوث الخلافات البسيطة تتعرض المرأة للطرد من بيتها وترى مختلف أنواع الإهانات . كل هذا لغياب عنصر التقوى في ممارسة الحياة.

وقد أجاب بعض المفسرين عن كيفية تكفير التقوى للسيئات ؟.

وذلـك لأنها من أسباب مغفرة الذنوب ويرى محمد تقي المدرسي أن ذلك يرجع لسببين :

الأول : لأن أخطـاء الإنسان التي توقعه في المآزق كالطلاق وخراب العلاقات نتيجة مباشرة لمنهجية خاطئة يتبعها في حياته كالهوى أو المناهج البشرية المنحرفة . وبالتالي عدم إتباعه لنهج الله القويم .والتقوى بمفهومها الواسع ليس مجرد الإيمان بالله والخشية منه

(1) المرجع السابق : ج 16 ، ص: 56
(2) الطلاق / 5
(3) الطلاق /6

ي هي إضافة إلى ذلك دعوة الإنسان إلى نهج ربه المستقيم الكفيل بتصحيح أخطائه وإزالة آثارها السلبية في الواقع .

الثاني : لأن التقوى حسنة كبيرة تشفع عند الله في الأخطاء الجانبية[1].

فتكفير السيئات عنه بتوفيقه للتخلي عما يبعده عن الله – عز وجل – والحسنات يذهبن السيئات . ((و لما كان الكريم لا يرضى لمن أقبل عليه بالعفو فقط ،قال :{ **وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** } بأن يبدل سيئاته حسنات ويوفيه أجرها في الدارين مضاعفا فيتحلى بالمقربات. وهذا أعظم من مطلق اليسر المتقدم))[2].

و يأتي في أواخر سورة الطلاق الخطاب بالتقوى لأولي الألباب فهؤلاء هم الذين يتدبرون ويعتبرون . ويخبرنا القرآن الكريم أن الله – عز وجل – قد أعطى للمؤمنين الأسباب التي تجعلهم يتقون ويفوزون بالنجاة في الدنيا والآخرة . ومنها فحوى خطابه لهم بأولي الألباب ، واللب هو مخ الشيء وعمقه ((وقد خاطب الله المؤمنين من هذه الزاوية لأن دراسة التاريخ وما صارت إليه تلك القرى والاعتبار منه يحتاج إلى الإيمان وإلى الألباب والبصائر التي هي محور الثواب والعقاب ... إن تقوى الله تعني تجنب الوقوع في سخطه وعذابه ، وهي لا تتحقق بالإيمان وحده ، بل لابد من لب يعرف به الإنسان ما يسخط الرب وما يرضيه))[3].

ومن أسباب التقوى التي أعطاها الله للإنسان المؤمن رسالة الرسول – صلى الله عليه وسلم- { **قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا.رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ** }[4] يقول البقاعي :((ثم علل الأمر بما أزال العذر فقال تنبيها بما من علينا به من المراسلة ، فإن مراسلات الأكابر فخر ، فكيف بمراسلات الملوك ، فكيف بمراسلة ملك الملوك . حاثا بذلك على شكره))[5].

---

(1) **محمد تقي المدرسي : من هدي القرآن . ج16. ص 70.**
(2) **البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات و السور . ج8 . ص 36.**
(3) **محمد تقي المدرسي : من هدي القرآن . ج16. ص 86.**
(4) **الطلاق/ 10-11**
(5) **البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.ج 8 .ص 38**

وهذه الأسباب يستنتجها أولوا الألباب أيضا من القراءة الكونية :

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}[1] .

يقول المدرسي :((وحيث دعتنا أكثر آيات السورة إلى تقوى الله جاءت الخاتمة تعرفنا بربنا – سبحانه – لأن التقوى بنت المعرفة فكيف إذن نزداد معرفة بربنا لكي نزداد تقوى ؟ لننظر إلى الآفاق من حولنا ،إلى السماوات والأرض ، وإلى أسمائه المتجلية في هذه الآفاق . إنها سبيلنا إلى معرفته – تعالى – فحيثما رميت ببصرك رأيت عجيب الصنع وعظمة الخلق، وأنى جلت ببصرك وتعمقت بفكرك فلن تجد إلا إجابة واحدة تقودك إلى حقيقة التقوى وسنام المعرفة))[2].

والذي نخلص إليه أن القرآن الكريم أكد كثيرا على التقوى في عرضه لأحكام الطلاق وذلك حرصا على المؤسسة الأسرية ، فإن تقوى الله يمكن أن تعطيها القدرة على الاستمرار ، ولكون الطلاق من الظروف الصعبة التي يمكن أن يمر بها طرفان كانا في يوم من الأيام لباسا لبعضهما، فإذا انفصلا كان ذلك من أصعب الأمور على نفسيهما . وربما كان مبعثا للانتقام إذا كان لأحد الطرفين رغبة في البقاء مع الثاني و لم يكن مرغوبا فيه .- وكم هي الأمور السلبية التي يشيعها الطرفان عن بعضهما لتبرير موقفيهما في مجتمعاتنا بسبب غياب التوعية الإيمانية وتقوى الله – تعالى –.

لذلك نلاحظ تأكيد القرآن على التقوى لأنها سبيل الإنسان للتغلب على المشاكل وحلها ولما فيها من زخم إيماني يثبت المؤمن على الحق ، ولأنها برنامج متكامل يجد فيه حلا لكل معضلة ومخرجا من كل حرج مهما كان الظاهر باعثا على اليأس والقنوط .

.....

(1) الطلاق / 12

(2) محمد تقي المدرسي : من هدي القرآن .ج 16. ص 88

7- البعد الحضاري لوصل أحكام الطلاق بالعقيدة :

إن المتأمل في منهج القرآن الكريم في وضعه لأحكام الطلاق وكيفية صياغتها وعرضها يتوصل إلى أن هذه الأحكام لا يمكن أن تكون إلا ربانية المصدر لأنها ربانية الغاية . وهي في عمومها لا يمكن أن يلتزم بها إلا إنسان تشبع بروح الإسلام ، إذ أننا نلاحظ أن فيها خطابا لأناس رباهم الإسلام تربية إيمانية رفيعة المستوى (وهذه التربية تكاد تكون منعدمة في حياتنا). و إلا كيف نفسر وقوع الطلاق في مجتمعاتنا بهذه الصورة، وفي قرآننا من أساليب الوقاية ما يجعله نادر الحصول -لو كان هذا الخطاب يعيش في واقع يعايش القرآن ويعرف حدود الله- عز وجل -؟.

ولا يكتفي المنهج القرآني بإعطاء أساليب الوقاية من تهديم الأسر ، بل يعالج آفاتها الكثيرة في حالة وقوعه .فإذا وقع الطلاق يرتفع القرآن الكريم بالمنفصلين إلى مستوى عباد الله المتقين فيبقي على العلاقات الأخوية التي تلتزم حدود الله – تبارك وتعالى -فلا يتحول المجتمع إلى أعداء تتحكم في روابطهم علاقات الكره والبغضاء { **وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** }[1] فلا يعيشون العقد النفسية ورغبة الدمار والضباع لبعضهم ، فيتحولون من أشخاص فعالين إلى أشخاص هدفهم في الحياة روح الانتقام والدمار، وكم يفقد المجتمع من أشخاص بسبب هذه الكوارث؟.

إن منهج عرض القرآن لأحكام الطلاق يجعل المؤمن يشعر بسمو هذا الدين وجديته وانبثاقه من أصل غير بشري على وجه اليقين . لقد جاءت هذه الأحكام في القرآن ((في جو يشعر القلب البشري أنه يواجه قاعدة كبرى من قواعد المنهج الإلهي للحياة البشرية ، وأصلا كبيرا من أصول العقيدة التي ينبثق منها النظام الإسلامي . وأن هذا الأصل موصول بالله – سبحانه – مباشرة . موصول بإرادته وحكمته ومشيئته في الناس ، ومنهجه لإقامة الحياة على النحو الذي قدره وأراده لبني الإنسان ومن ثم فهو موصول بغضبه ورضاه ، وعقابه وثوابه ، وموصول بالعقيدة وجودا وعدما في حقيقة الحال))[2].

---

[1] البقرة / 237.

[2] سيد قطب : الظلال . ج2 . ص 236.

وبمقارنة بسيطة بين أحكام الطلاق في القرآن الكريم وما ورد بهذا الشأن في الفقه والقانون نستنتج بعض الملاحظات :

أولا : ما ورد في القرآن الكريم :

أ : في النشوز:

يقول تبارك وتعالى : { وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا }[1].

ويقول : {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا. وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا }[2].

ب العدة :

يقول تبارك وتعالى : {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[3].

ويقول : {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

---

[1] النساء / 128-130.
[2] النساء / 34-35.
[3] البقرة / 228.

وعشرًا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير }[1].

ويقول - تعالى - {يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا }[2].

ويقول {واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا}[3].

ثانيا : ما ورد في كتب الفقه :

لقد تناولت الكتب الفقهية أحكام النشور والعدة و توسعت في ذلك بتفريعات كثيرة ، ولكن بأسلوب بعيد عن المنهج القرآني في عرض هذه الأحكام[4].

ما ورد في القانون الجزائري في (النشوز العدة) :

أ - النشوز:

المادة : 55 . عند نشوز أحد الزوجين يحكم القاضي بالطلاق و بالتعويض للطرف المتضرر .

المادة : 56 . إذا اشتد الخصام بين الزوجين و لم يثبت الضرر وجب تعيين حكمين للتوفيق بينهما . يعين القاضي الحكمين حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة وعلى هذين الحكمين أن يقدما تقريرا عن مهمتهما في أجل شهرين[5].

---

(1) البقرة / 134.
(2) الطلاق / 1.
(3) الطلاق / 4.
(4) أنظر مثلا : عبد الرحمان الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة ، ج : 6. ص 286
(5) قانون الأسرة : ص 14-15.

ب : العدة :

مادة : 58 . تعتد المطلقة المدخول بها غير الحامل بثلاثة قروء ، واليائس من المحيض بثلاثة أشهر من تاريخ التصريح بالطلاق .

مادة : 59 . تعتد المتوفي عنها زوجها بمضي أربعة أشهر وعشرة أيام ، وكذا زوجة المفقود من تاريخ صدور الحكم بفقده .

مادة : 60 : عدة الحامل وضع حملها ، وأقصى مدة الحمل عشرة (10) أشهر من تاريخ الطلاق أو الوفاة .

مادة : 60: لاتخرج الزوجة المطلقة ولا المتوفي عنها زوجها من السكن العائلي ما دامت في عدة طلاقها أو وفاة زوجها إلا في حالة الفاحشة المبينة .و لها الحق في النفقة في عدة الطلاق[1].

إن الذي نستنتجه أن القرآن الكريم لا يهدف في وضعه للقوانين المتعلقة بالأسرة إلى الإلزام التطبيقي لها بالقوة وينتهي الأمر، بل النصوص القرآنية تؤكد لنا أن هذا المنهج تربوي يهدف إلى بناء الإنسان بناء متينا مراعيا في ذلك الحفاظ على دوام العلاقات الاجتماعية وعلاجها بشتى الأساليب : ، إظهار الأبعاد المقصدية من الحياة الزوجية التوعية ، البناء العقدي ...الخ

أما في كتب الفقه فالأحكام عبارة عن تفريعات واستطرادات لا توجد فيها أبعاد روحية .وفي كتب القانون هي عبارة عن مواد جافة لا يستنتج منها إلا الأمر بالإلزام التطبيقي ، ونظرا لابتعاد المسلمين عن القرآن الكريم وسيرهم وراء تفريعات الكتب الفقهية ومواد القانون ، اختفت الأبعاد التربوية عن حياتهم ، وكثرت آفاتهم .

يقول إبراهيم هلال:

((والقرآن الكريم والسنة الشريفة وإن اهتما بالقانون إلا أنهما لم يجعلاه الأساس في إصلاح الحياة أو حسن سير الأمور ، أو استقامة العلاقة بين الزوجين أو الأخوين أو الشريكين أو بين الناس عموما ، بعضهم وبعض ، وإنما نظر الإسلام إلى القانون على أنه

[1] المرجع السابق : ص 15-16.

آخر سهم يرمى به في مجال تحسين العلاقة بين الناس أو بين أبناء المجتمع ، وإنما الأساس هو التوعية بالخلق الفاضل ، والتدين ومراعاة الله في كل مجال من مجالات العلاقة بين الناس بعضهم وبعض . ولذلك نجد القرآن في تقنينه ، يتبع القانون دائما ، برجاء التقوى والأجر العظيم ، أو رجاء الخشية من الله ، أو عدم نسيان الفضل بين الناس بعضهم وبعض))[1].

ولكي نستخلص من كثير من الآفات التي طغت على مجتمعاتنا وعلى رأسها : الطلاق فإننا في حاجة إلى الجهود المكثفة لإنزال المنهج القرآني من مستوى القراءة والترتيل إلى مستوى المعايشة والحياة ، لأن خصائص المنهج القرآني تؤكد لنا أنه جاء ليعايش و إلا كيف نفسر تطرقه لأدق العلاقات الاجتماعية ، وإحاطته بأغوار النفس البشرية ؟

وإذا رجعنا إلى حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة – رضي الله عنهم – ندرك مدى تأثير هذا المنهج على حياتهم ، وكيف ساعد عل الاستقرار الأسري وسطهم ، فبنوا علاقاتهم على الصدق ، ومراعاة الله ... إن الاستقرار الأسري عامل أساسي في البناء الحضاري لأنه ينتج أفرادا فعالين ، لا يقضون حياتهم قيد الآفات الأسرية ، بل ينطلقون للإنتاج والتعمير .

---

[1] إبراهيم هلال : بحوث في العقيدة و التشريع . ص 142-143.

الفصل الرابع : جهود بعض علماء المسلمين في الوصل بين العقيدة و الشريعة

تمهيد

المبحث الأول : أبو حامد الغزالي:

أولا : حياته و سيرته العلمية.

ثانيا : إصلاحاته و علاقتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة.

1-رده على الفلاسفة.

2-إصلاح التصوف.

3-رده على الباطنية.

4-موقفه من علم الكلام و الفقه.

5-الوصل بين العقيدة و الشريعة في الإحياء.

المبحث الثاني : محمد الغزالي.

أولا: حياته و سيرته العلمية.

ثانيا: إصلاحاته و علاقاتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة.

1-إصلاح التعليم.

2-تصحيح المفاهيم العقدية المنحرفة.

3-رده على العلمانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

لقد تكفل الله- تبارك و تعالى -بحفظ دينه من التحريف ، فقال {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[1] فبالرغم مما يصيب المسلمين من فتور في تطبيق الإسلام على المستوى الواقعي جراء ما يعترضهم من صعوبات داخلية وخارجية فيفصلون بين عقيدتهم و الأحكام التي تلزمهم هذه العقيدة بتطبيقها.

فحين نتتبع مراحل التاريخ الإسلامي نجد أنه لا تخلو فترة من فتراته من وجود دعوة إصلاحية تحاول الإحاطة بعلاج أسباب الخلل . و هذا يؤكد ما قاله الرسول -صلى الله عليه و سلم -: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[2].

و قد تميزت جهود العلماء في التجديد و إعادة الوصل بين العقيدة والشريعة قديما و حديثا . بمحاربتها للأفكار التي كانت سببا في حدوث ظاهرة الفصل -مع اختلاف تغير التحديات- .

و لعل أهم التحديات القديمة ما ذكرناه آنفا من تأثر بالفكر الفلسفي اليوناني ، و تأزم الفكر الإسلامي بسبب النزعة التجريدية التي آل إليها...

و من جهود علماء المسلمين القدماء التي اتسمت بالنظرة الشمولية للإصلاح ما قام به أبو حامد الغزالي و ابن تيمية و الشاطبي و غيرهم.

أما حديثا فلعل أهم التحديات التي تواجه المسلمين الهجوم السافر على الشريعة الإسلامية من قبل دعاة العلمانية ، إلى جانب بعض مظاهر سلبيات التراث الفكري الإسلامي . فاتجهت جهود علماء المسلمين المحدثين إلى رد مطاعن الأفكار الوافدة ، كما اهتموا بإعادة تحديد مفاهيم المصطلحات بغية إعادة الفهم السليم إلى أذهان المسلمين كما هو الشأن مع مصطلح العقيدة و الفقه . فمثلا مصطلح العقيدة لم يفهم بشكل دقيق المحتوى الصحيح لمدلوله في الإسلام ، فكان أن دعا محمد المبارك إلى ضرورة إعادة ضبطه بما يوافق مدلوله في القرآن الكريم ، إذ أن

---

[1] الحجر / 9.

[2] أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب : الملاحم . باب : ما ذكر في القرن المائة . حديث رقم 4291 (512/2).و الحاكم في المستدرك : كتاب الفتن و الملاحم (522/4.)

مصـــطلح العقـــيدة يقابله مصطلح الإيمان في القرآن الكريم . و هو مصطلح أشمل لجانبي العقل و العاطفة في رأيه.

و قـــد اتجه في جل كتاباته إلى الصياغة التفعيلية للعقيدة فربطها بالسياسة والاقتصاد و الاجتماع كما هو منهج القرآن الكريم.

و لعـــل جهود غالبية علماء المسلمين حديثا تنحو نحو هذا الاتجاه . كما نلاحظ اهتمامهم بمصطلح الحاكمية بما يحمله من مدلول شرعي يكون في مستوى تحدي الأفكار الوافدة .

و قـــد اخترت في هذا الفصل من البحث عالمين من علماء المسلمين رأيت أهمـــا جمعـــا في كتاباهما بين الرد على تلك الأسباب التي أدت إلى الفصل بين العقيدة والشريعة و عرض الإسلام برؤية شمولية لا تهمل جانبا من جوانبه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

أبو حامد الغزالي

أولا : حياته و سيرته العلمية .

ثانيا : إصلاحاته و علاقتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة .

1-رده على الفلاسفة .

2-إصلاح التصوف .

3-رده على الباطنية .

4-موقفه من علم الكلام و الفقه .

5- الوصل بين العقيدة و الشريعة في الإحياء .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : حياته و سيرته العلمية :

هـو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي ، ولد في (طابران) من ناحية طهى إحدى مدن خراسان سنة 450هـ و كان والده فقيرا من الرجال الصـالحين ، لا يـأكل إلا من كسب يده في غزل الصوف ، و في أوقات فراغه يطـوف عـلى الفقهاء فيخدمهم ، و قد توفي و ترك ابنه صغيرا ، بعدما عهد به وبأخـيه إلى أحد المتصوفة لتعليمه ، و كان هذا المعلم بدوره فقيرا فلما نفذ المال الـذي تركه والده له و لأخيه ، طلب منهما الالتحاق بمدرسة من مدارس العهد التي كانت تمد الوافدين عليها بما يلزمهم من النفقة[1].

درس الغزالي جانبا من الفقه ببلده طوس على يد أحمد الراذكاني الطوسي ثم انـتقل إلى جرجان و هو لم يبلغ العشرين ، و هناك تعلم على نصر الإسماعيلي وكـان إلى جانب تعلم العلوم الدينية يعتكف على تعلم اللغتين الفارسية والعربية ثم انـتقل إلى نيسابور ، و بهذا الانتقال تبدأ مرحلة جديدة من حياته كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصيته و أفكاره العلمية ، إذ تلقى فيها العلم على أكبر علماء المدرسـة الأشعرية : الإمام الجويني [2] و في هذه الفترة بدأ عملية تصنيف الكتب ((قـرأ الغزالي على مشايخ عدة و اغترف من كل بحر ، و تسلح بسلاح قوي من العلم و تزود ما استطاع من المعرفة و أصبح بعد وفاة أستاذه الكبير إمام الحرمين و قـد اكتسب منه العلم الجم ، و أخذ عنه الجرأة في النظر و أصبح شابا ناضج التفكير قوي العارضة ، عنده من العلم و المعرفة ما يجابه الأعلام ، و من الفصاحة والذكـاء مـا يـنازل بـه الخصوم ، و يذب عن الدين و يقـارع كل خارج أو مارق))[3].

---

(1) السبكي : طبقات الشافعية . ج4. ص 102.

(2) هو أبو المعالي عبد الملك بن الجويني عبد الله بن يوسف ، اشتهر بإمام الحرمين . ولد 419 هـ/1058م بقرية قرب نيسابور ، و توفي سنة 478 هـ/1095م . (دائرة المعارف الإسلامية. ج7 . ص 107).

(3) إبراهيم القطان : الإمام الغزالي المعلم و المربي . ص 396.

بعد وفاة الجويني ترك الغزالي نيسابور لعدة أسباب من بينها : فساد الجو من حوله وكثرة الحساد له ، كما أنه لم يجد بعد الجويني شخصا يمكن أن يكون أستاذا له.

و في العراق اتصل بالوزير نظام الملك [1] و كان هذا الوزير يحب العلماء وينفق الأموال الطائلة على المدارس ، و طلبة العلم ، فأعجب بالغزالي ، و عرفه على العلماء الذين يحضرون مجلسه ، فاختلط بهم و ناظر كثيرا منهم.

و أظهر تفوقا عجيبا ، و براعة منقطعة النظير ، فصار مطمعا للأنظار وحديث المجالس و الأندية ، و بعد فترة قصيرة عينه نظام الملك مدرسا بالمدرسة النظامية ، ثم رئيسا لها ، و كانت في تلك الفترة أعظم مدرسة في العالم الإسلامي، و كان ذلك سنة : 484هـ [2].

و قد أظهر في تعليمه لطلابها العجب من كثرة العلوم و حلو الكلام و بقي فيها أربع سنوات [3].

و بعد ذلك ترك الغزالي التدريس و هو في أوج الشهرة و أعلى المراتب متجها إلى بلاد الشام والحجاز يقول : ((ثم دخلت الشام و أقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي إلا العزلة و الخلوة و الرياضة ، و المجاهدة ، اشتغالا بتزكية النفس ، و تهذيب الأخلاق ، و تصفية القلب لذكر الله – تعالى – كما كنت حصلته من علم الصوفية ، و كنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار و أغلق بابها على نفسي، ثم رحلت منها إلى بيت المقدس، أدخل كل يوم الصخرة و أغلق بابها على نفسي ، ثم تحركت في داعية فريضة الحج و الاستمداد من بركات مكة و المدينة ، و زيارة رسول الله –تعالى– عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل –صلوات الله عليه– ، فسرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم و دعوات الأطفال إلى الوطن ، فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن

---

[1] هو الحسن بن علي بن العباس الطوسي أبوعلي الملقب بنظام الملك. توفي سنة 561 هـ (السبكي : طبقات الشافعية . ج 6 . ص 141).
[2] سليمان دنيا : الحقيقة في نظر الغزالي . ص 24 . انظر كذلك : إبراهيم القطان . الإمام الغزالي المعلم و المربي . ص 397.
[3] المرجع نفسه : ص 397

الرجوع إليه، فآثرت العزلة به أيضا حرصا على الخلوة و تصفية القلب للذكر))[1] و استمر الغزالي على هذه الحال عشر سنوات ، و قد أصابته في حياته حالة نفسية جعلته يشك فيما يرى و يسمع ، و فيما يقول ، شك في المحسوسات ثم في المعقولات ، و ظل على هذه الحال قرابة شهرين ثم شفاه الله و عاد إلى الاعتدال .

و عن هذه المرحلة يقول : ((فلما خطرت لي هذه الخواطر ، و انقدحت في النفس حاولت لذلك علاجا ، فلم يتيسر ، إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل ، و لم يكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية ، فإذا لم تكن مسلمة لم يكن ترتيب الدليل ، فأعضل هذا الداء ، و دام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق و المقال ، حتى شفى الله من ذلك المرض و عادت النفس إلى الصحة والاعتدال ، و رجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن و يقين و لم يكن ذلك بنظم دليل و تركيب كلام ، بل بنور قذفه الله - تعالى - في الصدر))[2].

و بعد رجوع الغزالي إلى طوس استقر ببيته . و اتخذ إلى جانب بيته مدرسة للفقهاء ، و خانقاه للصوفية ، و وزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن و مجالسة الوعين و تدريس طلبة العلم ، و إدامة الصلاة و الصيام ، إلى أن وافته المنية بطوس يوم: الاثنين 14 جمادى الأخيرة سنة 505هـ [3].

أ - ثقافته و مؤلفاته :

يعتبر الإمام أبو حامد الغزالي ، من شخصيات علماء المسلمين القلائل الذين يشهد التاريخ بنبوغهم ، إذ تميز بثقافته الموسوعية ، و نبوغه في مختلف العلوم النقلية و العقلية و الروحية .

يقول عنه الإمام المراغي : ((إذا ذكرت أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من فروع العلم و شعب المعرفة ، أما إذا ذكر الغزالي ، فقد تشعبت النواحي ، و لم يخطر ببال الغزالي الأصولي الحاذق المتكلم إمام أهل السنة و حامي

---

(1) أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال. ص 596-597.
(2) المصدر نفسه : ص 581.
(3) السبكي : طبقات الشافعية . ج6 . ص 210و انظر كذلك : زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي . ص 76.

حماها ، و الغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم و خفيات الضمائر ، ومكنونات القلوب ، و الغـــزالي الفيلســـوف الذي ناهض الفلسفة و كشف عما فيها من زخـــرف وزيـــف ، و الغزالي الصوفي الزاهد . و إن شئت فقل ، إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره و رجل متعطش إلى كل شيء ، فهم إلى جميع فروع المعرفة))[1] .

لقـــد اكتسب هذا الرجل شخصيته الفريدة بفطنته و تمرسه بمختلف علوم عصـــره ، و قدرته على تحليلها و نقدها و اختيار أنفعها . ((و لعل السر في هذه المكانـــة ما كان يتمتع به من ذكاء حاد و فكر قوي استطاع به أن يخلع شخصيته على تراث سابقيه و يضفي من عبقريته على هذا التراث بعد هضمه و تمثله ، إلى حـــد أن يتضـــاءل إلى جانبه السابقون عليه ... أما بالنسبة لمن لحقه فإنه قد طبع الفكر الإسلامي من بعده بطابعه الذي لم يتخلص منه إلى اليوم ، إلى حد أن أصبح الأشاعرة من بعده مجرد مقلدين ، لا يقدرون الخروج عن فلكه ، بالرغم من كل محاولات الخصوم))[2].

لقـــد أخـــذ الغـــزالي من مشارب جميع العلوم فتشبع و ارتوى من منابع الصوفية ونسب نفسه إليهم إذ يقول : ((و إن اللمعة التي تظهر منا الآن ليست إلا مما بقي على منهاج أسلافنا و شيوخنا المتقدمين ، كالحارث المحاسبي ، و محمد بن إدريس الشافعي ، و المزني و حرملة و غيرهم من أئمة الدين رحمهم الله -تعالى- كما قال القائل :و كنا في العصر الأول ملوكا ، فصرنا سوقة و كنا فرسانا فصرنا رجـــالا ، و ليتنا لا ننقطع عن الطريق و الله المستعان على المصائب و هو المسؤول ألا يسلبنا هذا الرمق إنه جواد كريم))[3].

---

(1) **نقلا عن : رشدي عبد العزيز محمد . بين الغزالي و ابن رشد في المسائل التي عارض فيها الغزالي الفلاسفة. ص 33.**

(2) **محمود أحمد خفاجي : الإمام الغزالي ودوره في علم الكلام و الفلسفة . ص 161.**

(3) **أبو حامد الغزالي : منهاج العابدين . ص 96-97.**

و يذكر العلماء أن الغزالي تأثر كثيرا بأبي طالب المكي [1] في كتاب (قوت القلوب) و كذلك بالقشيري و قد ذكر ذلك بقوله : ((فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي))[2].

كما برع أبو حامد الغزالي في العلوم الفلسفية ، و درسها بهدف الرد على أخطاء الفلاسفة ، معتمدا في دراسته لها على جهوده الشخصية و لم يتخذ مدرسا في ذلك [3].وقد استفاد من دراسته هذه في نقد آرائهم كما نقد آراء الباطنية وعمل على إظهار المنهج الصواب لدراسة علم الكلام.

ترك أبو حامد الغزالي مجموعة كبيرة من الكتب ، ذكر السبكي [4] في طبقاته أنها تقارب الستين ، و ذكر شارح الإحياء الزبيدي[5] أنها تقرب من ثمانين كتابا[6].

و يرى عبد الحليم محمود أن أهم كتب الغزالي على الإطلاق : المنقذ من الضلال، و قد حدد فيه موقفه من علم الكلام ، و الباطنية و الفلسفة و التصوف.

-كتاب تهافت الفلاسفة ، و الذي رد به على انحرافات الفلاسفة و أثبت فيه أن العقل إذا لم يهتد بالدين ، عجز عن الوصول إلى المعرفة الصحيحة فيما وراء الطبيعة

و كتاب إحياء علوم الدين و قد لخصه بأن هدفه الإخلاص ، يقول: ((و لو لم يؤلف الغزالي غيرها لبقي هو الغزالي الصوفي الفيلسوف بطابعه و سماته و شخصيته لا ينقص شيئا .. و لكنه لو لم يؤلفها لما كان هو الإمام الغزالي صاحب الأثر الخالد))[7].

---

(1) هو : محمد بن عطية الحارثة العجمي ثم المكي ، صاحب كتاب : قوت القلوب توفي سنة 386هـ . (عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب. ج2 . ص 121).

(2) أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال . ص 594.

(3) زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي . ص 63.

(4) هو : ابن هبة الله بن سعيد بن هبة الله الموصلي الشافعي ، توفي سنة 655 هـ . (الذهبي: سير أعلام النبلاء. ج 3 . ص 120)

(5) هو محمد بن محمد الحسين الزبيدي . توفي سنة 205 هـ/1790م . (الزركلي: الأعلام . ج 7 . ص 70).

(6) عبد الحليم محمود : قضية التصوف . المنقذ من الضلال . ص 285.

(7) المرجع نفسه. ص 285.

ب – منهجه في التأليف :

جمع الغزالي في منهجه التأليفي بين النقل و العقل ، فلم يكن من المغالين في اتخاذ العقل مصدرا للأحكام و لا من الرافضين له في ذلك . و الذي يراجع مؤلفاته فإنه يلاحظ أن أغلبها ألف لمعالجة الآفات الفكرية التي أثرت على المجتمع الإسلامي في عهده فكانت دعوته بأسلوب علمي رصين و لم تكن مؤلفة للترف العقلي فحسب يقول عنها أحد الباحثين : ((كتابات الغزالي ككتابات ابن تيمية و محمد عبده ، تحمل في صميمها رسالة تجديدية إصلاحية واعية ترمي إلى تحقيق التغيير الجواني الذي هو شرط التغيير البراني مصداقا لما جاء في الكتاب الكريم في قوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }[1]))[2].

و لعل أهم ما تمتاز به طريقته في التأليف :

أولا : الاعتماد على الآيات القرآنية ثم إتباعها بالأحاديث النبوية ثم الأخبار و الآثار و بعدها يكثر من ذكر القصص و الحكايات التي تستولي على عقل القارئ و قلبه و تجعله منقادا لحديثه.

ثانيا : تفسير ما يراه غامضا من الأفكار المعروضة بالأدلة و الشواهد العقلية و المحسوسة ، يتفنن في التشبيه و تصوير الأشياء المعنوية أو العقلية بصور تجلوها كأنها شخوص ماثلة للأبصار .

ثالثا : اللجوء إلى أسلوب الحوار الذي يصطنعه لتقريب الأفكار إلى الأذهان.

رابعا:الاستناد في كلامه إلى الجملة القرآنية ((و نحن نجد في كلام الغزالي شواهد كثيرة على استعانته بالجملة القرآنية ، فهو مثلا في فاتحة كتابه (فضائح في الباطنية) يكثر من الاستعانة بالجملة القرآنية فترد هذه العبارات :-إن يردك الله بخير فليس لقضائه راد-،إن يمسسك بضر فما له سواه كاشف-هذا ضعيف يعول ذريته ضعافا- يعوزه قوت يوم و هو لايسأل الناس إلحافا- لأنهم لا يرجون لله وقارا- لم يزدهم دعاؤهم إلا فرارا- و إذا انقشع عنهم ظله أصروا واستكبروا

---

(1) الرعد / 11

(2) عثمان أمين : الجوانية الأخلاقية عند الغزالي .ص 138

استكبارا- فنسأل الله أن لا يدع على وجه الأرض منهم ديارا- وكل عبارة من هذه العبارات قد استمدت من آية قرآنية كريمة ، و أمثال هذا الاستمداد في كتب الغزالي كثير)) [1].

خامسا : مراعاة تفاوت الناس في خطابه إذ يمكن أن يفهم كلامه كل قارئ و إن كان من العوام -- في كثير منها - لأنه كان يحرص على إيصال أفكاره إلى جميع مستويات الناس و هو في ذلك متأثر بمنهج القرآن الكريم .

جـ- تأثير ثقافته وعصره على وصله بين العقيدة والشريعة :

يعتبر أبو حامد الغزالي من رجال العلم و الدعوة الذين كرسوا جهودهم العلمية و الدعوية من أجل إحياء التصور الإسلامي الصحيح و جعله مسيطرا على واقع المسلمين . و لما كان الوصل بين العقيدة و الشريعة يعني الإصلاح الشامل لأنه تحقيق للتطبيق الواقعي للإسلام كلا متكاملا ، فإن الغزالي قد عاش مكرسا جهوده من أجل تحقيق ذلك . و قد كانت هناك مجموعة من الأسباب جعلته يسعى لتحقيق هذه الغاية :

أ- مجيئه في عصر ظهر فيه الانحراف عن الجانب الإيماني و التطبيقي للإسلام بسبب الانشغال بأفكار المتكلمين و الفلاسفة و الباطنية و رواجها ، وانتشار مختلف مظاهر الآفات الاجتماعية و السياسية ((و كان العالم الإسلامي وقد تواضعت على إضعافه الفلسفة و الباطنية و أحدثتا تبلبلا فكريا يجره إلى الإلحاد في العقيدة و التدهور في الأخلاق ، و الاضطراب في السياسة ، في حاجة ملحة إلى شخصية قوية جديدة ترد إليه الإيمان بالعقيدة ، و الاعتماد على مصادر الدين الأصيلة ، و الاستقامة في الأخلاق و ينتج الإنتاج الجديد الذي تكسد معه سوق الباطنية و تركد ريحها ، و تعرض الإسلام عرضا عقليا جميلا تدحض معه حجج الفلاسفة و الباطنية . و كان لا بد لهذه الشخصية أن تكون جامعة بين العلوم العقلية و النقلية ...لقد رزق العالم الإسلامي و هو في أشد حاجة و أدق

---

[1] الشرباصي : الغزالي و التصوف الإسلامي . ص 106-107.

ساعة هذه الشخصية الفذة في منتصف القرن الخامس الهجري ، هي شخصية الغزالي))[1] .

و قد سمحت لأبي حامد الغزالي مكانته العلمية النظر إلى الأمور من واقع الممارسة ، ففي المجال السياسي كان على صلة بأكبر حكام عصره ، و على دراية بالواقع السياسي و ما يعتريه من فساد، فقد كان الفقيه أو عالم السياسة في حاشية ملوك السلاجقة و بخاصة الوزير ، نظام الملك –كما مر معنا– و قد كتب في الفكر السياسي موضحا حقيقة الملك و مفهومه في الإسلام ووظيفة الملك و من يحيطون به . و كان في ذلك يمثل رجل العلم المتشبع بعلوم الدين فقد عرضها بصورة ضابطة لمفهوم الحاكمية واصلة للسياسة بالعقيدة ، إذ كان يرى أن في وصل أمور الدنيا و سياستها بالإيمان بالله و الإيمان باليوم الآخر نجاة في الدنيا والآخرة ، فأعطى بذلك للسياسة مفهوما قيميا يضبط مسارها ،كما نلمس ذلك في كتبه : المستظهري ، فاتحة العلوم ، التبر المسبوك في نصيحة الملوك و إحياء علوم الدين.

ب– اشتغاله بالدعوة و التدريس :

فقد كان عالما و داعية ، و كان حريصا أن يجني من وراء العلم الذي يعطيه عمل نافع في الدنيا و الآخرة . و قد أكد على ذلك في أغلب كتبه فأعطى أسسا للتربية و التعليم تدل على فكر رجل فيلسوف وثيق الصلة بالله –عز وجل– و قد ساعدته مهمة التعليم على النفاذ إلى أصناف الناس و معرفة مواطن الغرور و الفساد عندهم فمكنه ذلك من القدرة الفائقة على تشخيص الأدواء واستجلاء الأدوية المناسبة ((لقد غاص الغزالي في أغوار الأنفس كما غاص في أعماق المجتمع و رصد كثيرا من الظواهر الاجتماعية و الأخلاقية التي نتجت عن سوء فهم حقيقة الدين ، و عن خداع النفس و تلبيس إبليس عليها أنها عاملة به ، سائرة على دربه أو عن غلبة الشهوات الظاهرة و الخفية على النفس و السلوك ، أو تأثير أصدقاء السوء و عبيد الدنيا أو غير ذلك))[2].

---

[1] أبو الحسن الندوي : رجال الفكر و الدعوة في الإسلام . ص 179-180.
[2] القرضاوي : الإمام الغزالي بين مادحيه و ناقديه . ص 78.

جـــ- الثقافة الموسوعية :

فقـــد تعـــلم مختلف العلوم و ابتعد عن قيود التخصص في علم واحد ، مما أعطـــاه القدرة على إدراك مواطن الخلل في علوم عصره و محاولة إصلاحها ، فلم يكـــن مجـــرد مقلد لمن سبقه ، بل كان مجددا مجتهدا حريصا على الإحياء الشامل لعلوم الدين نافذا إلى أسرار الشريعة.

ثانيا : إصلاحاته و علاقتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة :

عـــاش الغزالي في عصر انفتح فيه العالم الإسلامي على الحضارات الأخرى وتطورت فيه مختلف العلوم و تبلورت فيه الاتجاهات الكلامية و الفلسفية المختلفة وامتزجـــت العلـــوم الإسلامية بالفلسفة و قد أدى ذلك إلى التشويش على عقائد المسلمين وفهمهم للدين . و كان الغزالي قد اعتزل مدة إحدى عشرة سنة منقطعا عـــن الـــتدريس إلا أنه لم يكن غائبا عما يحدث في مجتمعه ، فأدرك أنه لابد من الـــرجوع إلى ســـاحة الدعوة لنصرة الدين و إنقاذ المسلمين مما علق بأذهانهم من تصـــورات خاطئة و قد أشار في كتابه " المنقذ من الضلال" إلى أن سبب رجوعه إلى نشـــر العلم بعد الإعراض عنه يرجع إلى ملاحظته فتور الخلق و إعراضهم عن الإيمان بسبب :

1 - الخائضين في الفلسفة

2-الخائضين في طرق التصوف

3. المتحمســـين إلى دعوة التعليم بسبب من معاملة الموسومين بالعلم بين الناس[1].

لقـــد أدرك الغـــزالي أن هؤلاء جميعا تسببوا في ابتعاد المسلمين عن الدين الصحيح و كان فضحهم جميعا من أسهل الأمور عليه ، فكان لزاما عليه أن يرجع إلى جهـــادهم، لقـــد ذكر أنه تتبع أحوال بعض الأشخاص و حاول معرفة سبب إعراضهم عن الشرع فوجد أن هناك من يقول : " هذا أمر لو وجب المحافظة عليه لكـــان العلماء أحدر بذلك ، و فلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي ، و فلان

---

[1] أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال . ص 602.

يشـــرب الخمـــر ، و فلان يأكل أموال الأوقاف و أموال اليتامى ، و فلان يأكل إدرار الســـلطان، و لا يحـــترز عـــن الحرام ، و فلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة ، و هلم إلى أمثاله ...

و قائل ثان يدعي على التصوف و يزعم أنه قد بلغ مبلغا ترقى عن الحاجة إلى العـــبادة ، و قائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة و هؤلاء هـــم الذيـــن ضلوا عن التصوف . و قائل رابع لقي أهل التعليم فيقول : ((الحق مشـــكل و الطريق إليه منسد ، و الاختلاف فيه كثير و ليس بعض المذاهب أولى من بعض و أدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأي أهل الرأي و الداعي إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك؟ .

و قائل خامس يقول : لست أفهم هذا تقليدا و لكنني قرأت علم الفلسفة وأدركت حقيقة النبوة ، و أن حاصلها يرجع إلى الحكمة و المصلحة و أن المقصود مـــن تعـــبداتها ضبط عوام الخلق و تقيدهم عن التقاتل و التنازع والاسترسال في الشـــهوات فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف ، و إنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة و أنا بصير بها مستغن فيها عن التقليد))[1].

لقـــد تفشت هذه الأمراض في المجتمع بسبب سيطرة علم الكلام والفلسفة والتصوف و الباطنية على أذهان الناس و لم تبق هذه الآراء في صفوف طبقة معينة فحســـب (العلماء) بل انتشرت في وسط عامة المسلمين مما أدى إلى ضعف إيمان أصـــناف الخلق و سوء فهمهم للدين . هذا ما دفع بأبي حامد الغزالي إلى نقد هذه العلوم وإظهار الحق للخلق و يعتبر هذا مجهودا ضخما لأن الغزالي لم يتكفل بالرد على هؤلاء في مؤلفاته و ينتهي الأمر، بل تحمل مسؤولية العودة بمسلمي عصره إلى الدين الصحيح عن طريق التعليم و التربية و لذلك عده العلماء حامل راية التربية والتعليم في العالم الإسلامي عبر العصور و مجدد المائة الخامسة للهجرة.

---

[1] المصدر السابق ، ص 602-603.

1 – رده على الفلاسفة :

لقد كتب الغزالي في الفلسفة كتابين أولهما : مقاصد الفلاسفة وكان ذلك سنة 486 هـ و قد كان مجهودا دراسيا هدفه دراسة الفلسفة وتحليلها و تضمن تلخيصا لما كتبه الفرابي و ابن سينا في الفلسفة و فيه ثلاثة أقسام:

أ – في المنطق.

ب – في الإلهيات.

جـ – في الطبيعيات.

أما الكتاب الثاني فهو المعنون بتهافت الفلاسفة وقد ألفه في نقد الفلسفة ذكر فيه أن هدفه من تأليفه التشويش على الفلاسفة و تسفيههم و الرد عليهم وإبطال آرائهم .

لقد طغت الفلسفة في عصر الغزالي و نظر إليها المسلمون نظرة انبهار وأصبحت تحول بينهم و بين الفهم السليم للدين و أبعدت كثيرا منهم عنه، فكان لزاما أن يوجد إنسان كأبي حامد، يمتلك الجرأة العلمية و الدينية التي تمكنه من الرد على هؤلاء . و عن سبب تألفيه لكتاب التهافت و موقفه من الفلاسفة يقول:((أما بعد فإني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب و النظراء بمزيد الفطنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات و استحقروا شعائر الدين : من وظائف الصلوات و التوقي عن المحظورات و استهانوا بتعبدات الشرع وحدوده لم يقفوا عند توقيفاته و قيوده بل خلعوا بالكلمة ربقة الدين ، يغنون من الظنون و يتبعون فيها رهطا يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا و هم بالآخرة هم كافرون، و لا مستند لكفرهم غير تقليد سماعي إلفي كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشؤهم و أولادهم ، و عليه درج آباؤهم و أجدادهم و غير بحث نظري صادر عن التعثر بأذيال الشبه ، الصارفة

عـن صـوت الصواب و الانخداع بالخيالات المزخرفة كالامع السراب كما اتفق لطوائف من النظار للبحث عن العقائد و الآراء في أهل البدع و الأهواء))[1].

و يذكـر أبـو حـامد أنهم انخدعوا في ذلك بأسماء هائلة كأفلاطون[2] وأبقـراط [3] ، و أرسطو [4] و أمثالهم فهؤلاء مع رزانة عقولهم و غزارة فضلهم منكرون للشرائع و النحل، و لتفاصيل الأديان و الملل فتجملوا باعتقاد الكفر تحيزا إلى هؤلاء و انخراطا في سلكهم [5].

و حـين ننظر في تعليل أبي حامد الغزالي لسبب تأليفه الكتاب نلاحظ أنه يربط بين خطإ الفلاسفة في تحديد مفهوم الألوهية و اليوم الآخر ، و سبب التحلل مـن الشـريعة و أحكامها ((ليتبين هؤلاء الملاحدة تقليدا اتفاق كل مرموق من الأوائـل والأواخـر على الإيمان بالله و اليوم الأخر و أن الاختلافات راجعة إلى تفاصـيل خارجـة عـن هذيـن القطبين اللذين لأجلهما بعث الأنبياء المؤيدون بالمعجزات و أنه لم يذهب إلى إنكارها إلا شرذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة و الآراء المعكوسـة الذين لا يؤبه لهم و لا يعبأ بهم فيما بين النظار و لا يعدون إلا مـن زمرة الشياطين الأشرار ، و غمار الأغبياء و الأغمار ، ليكف عن غلوائه من يظن أن التجمل بالكفر تقليدا يدل على حسن رأيه ، و يشعر بفطنته وذكائه))[6].

و يذكر سليمان دنيا أن هدف الغزالي من تأليفه لكتاب التهافت هو نزع ثقة الناس عن العقل كمصدر تتعرف منه المسائل الإلهية ، و عمله هذا محاولة عقلية لإثـبات قصـور العقل في ميدان الإلهيات ، و شهادة عقلية بأن للعقل حدا يجب الوقوف عنده[7].

---

(1) أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة . ص 71-72.
(2) توفي سنة 348 قبل الميلاد . (عبد الرحمان بدوي : الموسوعة الفلسفية. ج1 . ص 156).
(3) ولد سنة 460 قبل الميلاد و توفي سنة 375 قبل الميلاد . (ويل ديورانت : قصة الحضارة . ج4 . ص 466).
(4) ولد سنة 384 قبل الميلاد و توفي سنة 322 قبل الميلاد . (عبد الرحمان بدوي : الموسوعة الفلسفية . ج1 . ص 99).
(5) أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة . ص 72.
(6) المصدر نفسه . ص 72-73.
(7) سليمان دنيا : مقدمة تهافت الفلاسفة للغزالي . ص 22.

و قـــد فصل الغزالي أخطاء الفلاسفة في الإلهيات تفصيلا دقيقا ووصل إلى تكفيرهم في ثلاث مسائل :

إحداها : القول بقدم العالم ، و أن الجواهر كلها قديمة .

الثانية : قولهم إن الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص.

الثالثة : إنكار بعث الأجساد و حشرها[1].

و ســـنقف هنا عند المسألة الثانية ونرى عرضه لها و رده عليها . و قد تنبه الغزالي إلى أن في قول الفلاسفة هذا تهديم للشريعة .

يقـــول : ((و هذه قاعدة اعتقدوها ، و استأصلوا بها الشرائع بالكلية ، إذ مضـــمولها . أن زيدا مثلا ، لو أطاع الله تعالى أو عصاه ، لم يكن الله عز و جل عالما بما يتجدد من أحواله لأنه لا يعرف زيدا بعينه ، فإنه شخص ، و أفعاله حادثة بعد أن لم تكن ، و إذا لم يعرف الشخص لم يعرف أحواله و أفعاله ، بل لا يعرف كفر زيد ، ولا إسلامه ، و إنما يعرف كفر الإنسان و إسلامه))[2].

و شـــبهتهم في ذلـــك أن تغير المعلوم يفيد تغير العلم ، فلو علمها الله – تعـــالى- لأدى ذلك إلى التغير في ذاته و هذا محال ، و لكن الله يعلمها على وجه كـــلي ، ولكن الغزالي ، يرى أن هؤلاء إن كانوا يدعون أن الله لا يعلم الجزئيات نظـــرا لتغيرها ، فكيف إذا يعلم الكليات و أجناسها و أنواعها ، مع أن هذه فيما يـــرى متباعدة متعارضة من حيوانات مختلفة و أنواع النبات و الجماد ، فهل هذا الاخـــتلاف يوجـــب الاختلاف في علمه ؟ علما ((بأن الاختلاف و التباعد بين الأجـــناس و الأنواع المتباينة أشد من الاختلاف الواقع بين أحوال الشيء الواحد المنقسم بانقسام الزمان ، و إذا لم يوجب ذلك تعددا و اختلافا فكيف يوجب هذا تعددا و اختلافا))[3].

و هـــو يـــرى أن الله سبحانه يعلم الأشياء بعلم واحد أزلي ، لا يتغير في الحـــال، أو الاستقبال ، فعلمه بالحوادث المتغيرة لا يؤدي إلى التغير في علمه تعالى

---

(1) أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة . ص 305-306.
(2) المصدر نفسه . ص 206-209.
(3) المصدر نفسه . ص 211 - 212.

لأن هـــذه حال إضافة و تحول الشيء عن يمين الإنسان إلى شماله يفيد تغير إضافة عـــلى الذات و ليس تغير الذات ، كما إذا علمت أن شخصا من الناس سيحضر غـــدا ، فلا تغير يحدث في ذاتك بالنسبة لعلمك في الحاضر أو بعد حضوره . فالله تعـــالى يعـــلم الأشـــياء بعلم واحد أزلي لا يتغير في الحال أو الاستقبال ، فعلمه بالحوادث لا يؤدي إلى التغير في علمه تعالى[1].

و يـــرد أيضـــا على من نفى علم الله تعالى بغيره احترازا من لزوم الكثرة فـــيقول لهـــم بأنكم أيها الفلاسفة إن كنتم نفيتم علم الله بغيره تخلصا من الكثرة فـــإنكم لم تتخلصوا منها و يثبت ذلك بسؤال وجهه إليهم ، هل علمه بذاته عين ذاتـــه أو غير ذاته ، فإن جوابهم عن ذلك في الحالين يؤدي إلى حصول الكثرة في ذاته ، يقول : ((فإن قلتم أنه غير ذاته فقد جاءت الكثرة ، و إن قلتم إنه عين ذاته فما الفصل بينكم و بين قائل أن علم الإنسان بذاته عين ذاته و هذه حماقة ، إذ لا يعقـــل وجود ذاته في حالة هو فيها غافل عن ذاته ، ثم تزول غفلته ، و يتنبه لذاته فيكون شعوره بذاته غير ذاته لا محالة))[2].

و يـــرى الغـــزالي أن من كماله —سبحانه— أن يعلم جميع الأشياء ، و لو حصل لنا علم مقارن لكل حادث لكان ذلك كمالا لنا فليكن كذلك في حقه[3].

و قد رد الغزالي على الفلاسفة بمنهجهم المعقد ، و يذكر الباحثون في فكره أن جهوده مهدت الطريقة للتنكيل بالفلسفة بفضل المنهج الذي سلكه في هجومه عـــلى الفلسفة حيث قد تناولها بالنقد و ألجأها تقف موقف المتهم ، و ألجأ ممثليها أن يقفـــوا موقف المدافعين ، و كان ذلك انتصارا عظيما للعقيدة الإسلامية عادت به الثقة إلى نفوس أتباعها و المؤمنين بها ، و زالت عنهم مهابة الفلسفة و سيطرتها العلمية ، بعكس السابقين عليه ، فقد اتخذوا موقف الدفاع عن الإسلام و عقائده و الاعتذار عن الدين الإسلامي ، فكانت الفلسفة تهاجم الإسلام و هؤلاء

---

(1) أبو حامد الغزالي : المصدر السابق . ص 214.
(2) المصدر نفسه : ص 214-215.
(3) المصدر نفسه . ص 215.

يدافعـــون. و يـــنفون التهم الموجهة إليه و يحاولون أن يبرروا موقفهم فلم يجرؤ أحد أن يغزو الفلسفة في عقر دارها كالغزالي[1].

2- إصلاح التصوف:

تميز العصر الذي عاش فيه الغزالي بتطور الحركة الصوفية و ظهور كثير من البدع فيها و احتدام الصراع بين الصوفية و الفقهاء.

ويـــتحدث ابن حزم عن الصوفية -و قد عاش في القرن الخامس الهجري- أن منهم من يقول أن من عرف الله سقطت عنه الشرائع ،و زاد بعضهم و اتصل بالله ، ويقول أنه بلغنا بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجل يكنى أبا سعيد الخير من الصوفية مرة يلبس الصوف ،و مرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ، و مرة يصلي في اليوم ألف ركعة ،و مرة لا يصلي فريضة و لا نافلة و هذا كفر محض .

كمـــا يذكر أن هناك طائفة من الصوفية ادعت أن في أولياء الله -تعالى- مـــن هـــو أفضل من جميع الأنبياء و الرسل ، و قالوا من بلغ الغاية القصوى من الولايـــة سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة و الصيام و غير ذلك ، و حلت له المحـــرمات كلها من الزنا و الخمر و غير ذلك و استباحوا بهذا نساء غيرهم و قالوا إننا نرى الله و نكلمه ، وكل ما قذف في نفوسنا فهو حق[2].

و قـــد جاء الغزالي و الصوفية يروجون هذه الأفكار ، كان الصراع بينهم وبين الفقهاء على أشده بسبب اعتقاد الصوفية أنهم أهل الكمال و أن الفقهاء هم أهـــل الظاهر ، فدعا إلى الدين الصحيح ، و رغب في التصوف و بين أنه الطريق الحـــق إلى المعـــرفة اليقينية و السعادة الحقيقية ، و قد استطاع بما أوتي من صفاء الـــروح و جـــلاء القلب و ذكاء العقل و قوة الإيمان أن يهدىء من ثورة الفقهاء ويدعـــو إلى الديـــن الصحيح ويحبب التصوف إلى نفوس أهل السنة فتكاثر عدد المقـــبلين على طريق الذوق الموصل إلى المعرفة اليقينية و السعادة الحقيقية و تلقوا

---

(1) محمد حسنين أحمد البطح : الدعوة الإسلامية في القرن الخامس الهجري. ص 386.
(2) ابن حزم : الفصل في الأهواء و الملل و النحل. ج4 . ص 226.

هـذا التصوف بقبول حسن و أحلوه محلا رفيعا إبان القرنين الخامس و السادس للهجرة[1].

و عـن جهود الغزالي في الربط بين التصوف و الفقه يقول ابن خلدون : ((و جمع الغزالي بين الأمرين في كتاب (الإحياء) فدون فيه أحكام الورع والإقتداء ، ثم بـين آداب القوم و سننهم ، و شرح اصطلاحاتهم في عباراتهم ، و صار علم التصوف في الله علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط ، و كانت أحكامها تلقى من صدور الرجال))[2].

لقـد سـلك الغزالي طريق التصوف متسلحا بالعلوم الإسلامية الصحيحة فكـان تصوفه مبنيا على نور و بصيرة فجمع بين الحقيقة و الشريعة و احتكم إلى القـرآن الكريم و السنة النبوية . و هذا ما ضمن الاستمرار لأفكاره و إتيانها ثمارا طيبة في كل زمان و مكان.

والذي نستنتجه من تعريفه للتصوف في مواطن كثيرة من كتبه ، أنها كلها تؤكد على الانضباط بالشريعة .

فالتصـوف عـنده : ((تصفية القلب من مرافقة البرية و مفارقة الأخلاق الطبيعـية ، و إخمـاد صـفات البشرية ، و مجانبة الدواعي النفسانية ، و منازلة الصـفات الروحية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية و اتباع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الشريعة))[3].

و التصوف عنده يقوم على : ((أكل الحلال و الإقتداء برسول الله- صلى الله علـيه و سـلم -في أخلاقـه و أفعاله و أوامره و سننه و من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر ، لأن علمنا مضبوط بالكتاب و السنة أخذ هذا المذهب بالورع و التقوى لا بالدعوى))[4].

و قد عرف الغزالي التصوف بجميع ما يكتنفه من أحوال ، و توصل إلى أن كثيرا من المتصوفة في عصره ابتعدوا عن الصواب و تمسكوا بالقشور بدل الحق في

---

(1) مصطفى حلمي : الحياة الروحية في الإسلام . ص 111.
(2) ابن خلدون : المقدمة. ص 451.
(3) أبو حامد الغزالي : روضة الطالبين وعمدة السالكين. ص 111.
(4) المصدر نفسه . ص 111.

ذلك . و صنف في ذلك رسالة بعنوان : الكشف و التبيين في غرور الخلق أجمعين كما تعرض لذلك في الإحياء .

-الحقيقة و الشريعة و موقفه من التحلل من الشريعة :

تعتبر السمة البارزة التي طبعت كتب أبي حامد الغزالي : حرصه على التأكيد على تحكيم الشريعة في كل الأمور ، و هو يعتقد أن من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة ، أو الباطن يناقض الظاهر ، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان[1].

أما عن التحلل من الأحكام الشرعية فقد كان الغزالي متشددا على مدعي ذلك ، و قد كتب فتوى في ذلك بعدما سأله أحد السائلين. عن قوله في قلب خصه الله الحق بأنواع من الطرف و الهدايا. و منحه أصنافا من الأنوار و العطايا، يستمر له ذلك في جميع الأوقات و الأحوال ، متزايدة مع عدم العوائق و الآفات مع كون ظاهره معمورا ، بأحكام الشرع و آدابه ، مترها عن مآثمه و مخالفاته ويجد في الباطن مكاشفات و أنوار عجيبة .

ثم إذا انكشف له نوع يعرفه ، أن المقصود من التكاليف الشرعية والرياضات الدينية ،هو الفطام عما سوى الحق ، كما قيل لموسى عليه السلام: (أخل قلبك أريد أن أنزل فيه) فإذا تم الفطام، و حصل المقصود بالوصول إلى القربة ، و دوام الترقي من غير فترة، حتى إنه لو اشتغل بوظائف الشرع وظواهره، انقطع عن حفظ الباطن ، و تشوش عليه بالإلتفات عن أنواع الواردات الباطنية إلى مراعاة أمر الظاهر .

و هذا الرجل لا يترع يده من التكليف الظاهر ، و لا يقصر في أحكام الشريعة ، لكن الاعتقاد الذي كان له في الظواهر و التكاليف ، تناقص وتقاصر كما كان في الابتداء من التعظيم لوقعها عنده، و لكنه يباشر ها ويواظب عليها عادة ، لا لأجل الخلق ، و حفظ نظرهم و مراقبة الله ، بل صارت إلفا له ،و إن نقص اعتقاده فيها ، فهو يعظمها.ما حكمها؟ .

---

[1] الغزالي : إحياء علوم الدين . ج1 . ص 74.

و إن عرضت له شبهة "أن المقصود من الداعي و الدعوة ، حصول المعرفة والقربة ،و إذا حصل هذا استغنى عن الداعي و الواسطة ". كيف يعالجها ؟.

فـإن قلنا : المعرفة لا تنتهي أبدا ، بل تقبل الزيادة أبدا ، فلا يستغنى عن الداعي أبدا لا محالة . فربما قال :الداعي قد بين ما احتيج إلى بيانه ، و شرح معالم الطـريق وذهـب. فلو احتاج السالك إلى مراجعته في زوائد و إيرادات ، لم تمكن المراجعة في هذه المسألة .

فـيقول : ما هو طبيب علتي في هذه الحالة لأنه غاب عن إمكان المراجعة .فما علاجه؟.

الجـواب : و بـالله التوفـيق : ينبغي أن يتحقق المريد هنا أن من ظن أن المقصود من التكاليف و التعبد بالفرائض : الفطام عما سوى الله ، و التجرد له ، فهـو مصيب في ظنه أن ذلك مقصود ، و مخطىء في ظنه أنه كل المقصود ، و لا مقصـود سواه .بل لله -تعالى - في الفرائض التي استعبد بها الخلق .أسرار سوى الفطام ، تقتصر بضاعة العقل عن دركها.

و مـثل هذا الرجل المنخدع بهذا الظن ، مثل رجل بنى له أبوه قصرا على رأس جبل و وضع فيه شجرة من حشيش طيب الرائحة ،و أكد الوصية على ولده مـرة بعد أخرى ، أن لا يخلي هذا القصر عن هذا الحشيش طول عمره . و قال : إياك أن تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار ، إلا و الحشيش فيه .

فـزرع الولـد حول القصر أنواعا من الرياحين ، و طلب في البر و البحر أوتادا من العود و العنبر و المسك ، و جمع في قصره جميع ذلك من شجرات كثيرة مـن الرياحين الطيبة الرائحة . فانغمرت رائحة الحشيش لما فاحت هذه الروائح . فقال: لاشك أن والدي ما أوصاني بحفظ هذا الحشيش إلا لطيب رائحته ، و الآن قد استغنينا بهذه الرياحين عن رائحته ،فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيق على المكان فرماه من القصر ، فلما خلا القصر من الحشيش ، ظهر من بعض ثقب القصر حية هائلـة ، و ضربته ضربة هائلة أشرف بها على الهلاك فتنبه حيث لم ينفعه التنبه إلى

أن الحشيش كان من خاصيته دفع هذه الحية المهلكة ،و كان لأبيه بالوصية بالحشيش غرضان :

أحدهما : انتفاع الولد برائحته ، وذلك قد أدركه الولد بعقله .

و **الثاني** : اندفاع الحيات المهلكات برائحته و ذلك مما قصر عن دركه بصيرة الولد فاغتر الولد بما عنده من العلم، و ظن انه لا سر بين معلومه و معقوله كما قال تعالى : **{ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنْ الْعِلْمِ }**[1] ، **{ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ }**[2] و المغرور من اغتر بعقله فظن أن ما هو منتف عن علمه فهو منتف في نفسه ، و لقد عرف أهل الكمال أن قلب الآدمي كذلك القصر ، وأنه معشش حيات و عقارب مهلكات ، و إنما رقيتها و قيدها طريق خاصة : المكتوبات و المشروعات بقوله- تعالى- : **{إن الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا }**[3] ، و قوله- تعالى- : **{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ }**[4].

فكما أن الكلمات الملفوظة و المكتوبة في الرقية تؤثر بالخاصة في استخراج الحيات بل في استسخار الجن و الشياطين ، و بعض الأدعية المنظومة المأثورة تؤثر في استمالة الملائكة إلى السعي في إجابة الداعي ، و يقصر العقل عن إدراك كيفيته و خاصيته و إنما يدرك ذلك بقوة النبوة ، إذا كوشف السر بها ، من اللوح المحفوظ.

فكذلك صورة الصلاة المشتملة على ركوع واحد ، و سجودين و عدد مخصوص ، و ألفاظ معينة من القرآن ، متلوة مختلفة المقادير :

عند طلوع الشمس و عند الزوال و الغروب ، و تؤثر بالخاصة في تسكين التنين المستكين في قلب الآدمي . يلدغه و ينهشه في القبر ، متمكنا من جوهر الروح و ذاته أشد إيلاما من لدغ مكن من الخالب أولا ثم يسري أثره إلى الروح.

---

(1) النجم / 30.
(2) غافر / 83.
(3) النساء / 103 .
(4) البقرة / 183.

و إلـــيه الإشارة بقوله -صلى الله عليه و سلم- : (ليسلط على الكافر في قبره تسعة و تسعون تنينا تنهشه و تلدغه حتى تقوم الساعة...)[1].

و يكـــثر مثل هذا التنين في خلق الآدمي و لا يقمعه إلا الفرائض المكتوبة فهـــي المنجية من المهلكات ، و هي أنواع كثيرة بعدد الأخلاق المذمومة . { **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** }[2].

فإذن في التكليف غرضان : أدرك أحدهما ، و غفل عن الآخر و ننبه على هذه المعرفة بالتأمل في ثلاثة أمور :

الأول : بداية حال إبليس ، و أنه كيف وصف بأنه كان معلم الملائكة ثم سقط عن درجة الكمال بمخالفة أمر واحد : إغترارا بما عنده من العلم و غفله عن أســرار الله في الاســتعباد ، و لم يسقط عن درجته إلا بكياسته و فطنته وتمسكه بمعقوله ، في كونه خيرا من آدم -عليه السلام -.

فنـــبه الخلـــق بهذا الرمز على أن البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء وكياسة ناقصة.

الثاني : حال آدم- عليه السلام- ، و أنه لم يخرج من الجنة إلا بركوبه نهيا واحدا. ليعلم أن في ركوب النهي إبطال الكمال لخالقه .

الأمر الثالث : حال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فإن هذا المغرور لعله يقول : إنه لم نسلم له رتبة الكمال .

ثم إنه صلى الله عليه و سلم لم يزل يلازم الحدود و يواظب كل المكتوبات إلى آخـــر أنفاسه ، بل يزيد على فرائضه وأوجب عليه التهجد و لم يوجب على غيره و قيل له : { **يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا.نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا** }[3] و إنمـــا أوجبت عليه هذه الزيادة لأن الخزانة كلما ازداد جوهرها نفاسة و شرفا ينبغي أن يزداد حصنها إحكاما و علوا ، فلذلك قيل في تعليل إيجاب التهجد :

---

(1) أخرجه الدارمي في سننه في كتاب : الرقائق ، باب : في شدة عذاب أهل النار. (2/334).

(2) المدثر / 31.

(3) المزمل / 1-3.

{ إِنَّـــا سَـــنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا }[1]. فتبين له أن هذه الصلوات هي حصن الكمال ، فلا يبقى إلا به .

و لعل المغرور المعتوه يقول إنه كان يواظب عليها إشفاقا على الخلق لأجل الإقـــتداء ، لا لحاجته إليها في حفظ الكمال . فيقال له ، فلم زاد عليه في التهجد وجوبا ؟. هلا قال : إن مبلغ درجة النبوة يستغني عما يحتاج إليه غيره ، و لو قال لقـــبل منه ، كما قبل منه أنه أحل له تسعة من النساء ، بل ما شاء فإنه بقوة النبوة يقوى على العدل مع كثرة النساء ، كما قبل من المدرس أن يأمر تلامذته بالتكرار و التسهد ليلا وهو ينام. و يقول : إني بلغت درجة استغنيت بها عن ذلك.

و لـــيس يـــترك أحد تكراراه بهذه الشبهة . و لعل هذا إذا اختاره ضحك الشـــيطان و ســـخر منه ، و قال له : أنت أكمل من النبي و الصديق، و كل من واظـــب على الفرائض و عند هذا يقطع الطمع من صلاحه ، فهو ممن قيل فيهم : { وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا }[2].

أمـــا ما ذكره من أنه لو اشتغل بالتكاليف لشغله ذلك عن القربة التي نالها والكمـــال الـــذي بنـــله ، فهو كذب صريح و محال فاحش قبيح لأن التكاليف قسمان:

أمر و نهي :

أما المنهيات : مثل الزنا و السرقة و القتل والضرب و النميمة و الكذب والقـــذف ...فـــترك ذلـــك كـــيف يشغل عن الكمال؟ . و كيف يحجب عن القربة؟والكمال ، كيف يكون موقوفا على ركوب هذه القاذورات؟.

و أما المأمورات : فكالزكاة و الصوم و الصلاة .

فكيف لا تعجبه الزكاة و لو أنفق جميع ما له فقد دفع السوء عن نفسه ؟ و لو صام جميع دهره ، فهل يفوته بذلك إلا سلطنة الشهوة ، فما الذي يفوت من الكمـــال بترك الأكل ضحوة النهار ، في شهر واحد هو رمضان ؟. و أما الصلاة فتنقسم إلى : أفعال و أذكار : و أفعالها : قيام ، و ركوع و سجود.

---

[1] المزمل / 5-6.
[2] الكهف / 57.

و لا شك في أنه لا يخرج من القربة بالأفعال المعتادة ، فإن لم يصل فيكون إمـا قائما و مضطجعا . و غير المعتاد هو السجود و الركوع و كيف ينحجب عن القـربة ما هو سبب القربة ؟ قال الله لنبيه -صلى الله عليه و سلم - { **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** }[1] ومن عشق ملكا ذا جمال ، فإذا وضع وجهه على التراب بين يديه استكانة له ، وجد في قلبه مزيج روح ، و راحة و قرب .

و لذلـك قال -صلى الله عليه و سلم- (و جعلت قرة عيني في الصلاة)[2] ومقـتداه و إمامـه الرسول -صلى الله عليه و سلم و- لا ينبغي أن يتوهم الولي الخالص أنه بعيد عن خداع إبليس ، ما دام في هذه الحياة ، بل لا ينجو عنه الأنبياء غير أنهم محفوظون ، كما قال -تعالى -: { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** }[3].

و أمـا أركـان الصلاة فتكبير و فاتحة و ركوع و سجود ، و تشهد لا فريضة إلا هذا ، فما وجه الضرر في قوله : (الله أكبر) و في (الحمد لله)والالتجاء إلـيه ، و اسـتعانته و طلب الهداية إلى الصراط المستقيم و هذا مضمون الفاتحة . وكل ذلك مناجاة مع الله -تعالى- .

و إن صـح مـا يقوله مثلا : و في كل يوم آلاف نفس ، فليصرف هذه الأنفـاس المعدودة إلى الذكر و السجود ، و لينقص هذه اللحظات من درجات كماله ، ليأمن بهذه المكتوبات من ضرر التنين الذي لا يعتد بشر سواه و يتخلص من خطر الخطإ في هذا الاعتقاد .

و لا شـك في أن الخطأ ممكن فيه إن لم يكن مقطوعا به ، و إن قال : إن عزوف القلب إلى ترتيب الأفعال و الأذكار ، هو الذي يشغلني عن درجة القرب، فهو دعوى محال ، لأن الهدى لا يحتاج إلى تكلف الحفظ . بل المشتهر غيره ، إذا

---

[1] العلق / 19.

[2] أخرجه النسائي في سننه في كتاب : عشرة النساء ، باب : حب النساء . حديث رقم 3949 . (72/7) .

[3] الحج / 52.

حفظ شيئا مرة يناسب حاله ، لم يعتبر اليقين مع حفظ طريقه و إلحاحه ، بل يجد من نفسه في ذلك هزة أخرى و نشاطا .

فكيف لا تكون قرة عين العبد في مناجاة محبوبه و خدمته التي رسمها وارتضاها له[1].

و يؤكد الإمام الغزالي في كل كتاباته على أن المتصوف يجب أن تكون جميع أعماله موزونة بميزان الشرع ، و إلا فهو مبتدع و الذي يخرج عن الشرع لا يلتفت إليه حتى و لو مشى على الماء أو طار في السماء و يذكر أن من علامات المتصوف: أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على حد توقيفاته إيرادا و إصدارا ، و إقداما و إحجاما ، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل ، إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها و لا يصل فيه إلا من واظب على جملة من النوافل ، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض[2].

و في كل كتاباته يصر على الفكرة نفسها حتى تكون مبدأ لسالك طريق الصوفية . ففي رسالة (أيها الولد) يقول : ((اعلم أن الطاعة و العبادة متابعة الشارع في الأوامر و النواهي بالقول و الفعل يعني كل ما تقول و تفعل و تترك ... ينبغي لك أن يكون قولك و فعلك موافقا للشرع ، إذ العلم و العمل بلا إقتداء الشرع ضلالة ، و ينبغي لك أن لا تغتر بالشطح و طامات الصوفية))[3].

و الغزالي من الناقمين على القول بوحدة الوجود لما تؤدي إليه هذه المقولة من إلحاد وأخطاء ...((...و على الجملة ينتهي الأمر إلى قرب ، يكاد يتخيل منه طائفة الحلول ، و طائفة الاتحاد ، و طائفة الوصول و كل ذلك خطأ))[4].

و الخلاصة أنه يقرر نظرية معتدلة في التصوف السني الذي يؤكد قداسة الشريعة و الالتزام بتكاليفها و يبعد القول بوحدة الوجود و يسلك بالإنسان طريقة

---

(1) السبكي : طبقات الشافعية . ج6 . ص 268-283. و أنظر : عبد الحليم محمود : قضية التصوف. المنقذ من الضلال. ص 138-153.
(2) أبو حامد الغزالي : ميزان العمل . ص 102.
(3) أبو حامد الغزالي : رسالة أيها الولد .ص 278.
(4) أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال . ص 597.

النجاة في الدنيا و الآخرة مقتديا في ذلك بنصوص القرآن الكريم و السنة النبوية والمعتدلين ممن سلكوا طريق التصوف كالقشيري و غيره.

لقد وجد الغزالي الحقيقة التي كان ينشدها في الطريق الصوفي ، و لكن لم تصرفه هذه الحقيقة عن الشريعة و لا حولته عن العقيدة المعتدلة ، بل ظل متمسكا بمبدأين هامين حفظا عليه دينه :

الأول : تقديسه للشرع و إتباعه الدقيق له .

و الثاني : وجهة نظره في الله من حيث هو ذات قديمة مخالفة للحوادث ، و أن النفس الإنسانية قد تستطيع أن تتصف بصفات الكمال فتتقرب بذلك من الله و تعرفه أكثر من غيرها . و لكنها لا تستطيع التحقق بمعنى الإلهية على أي نحو من الأنحاء، و بذلك أقفل الغزالي الباب في وجه أصحاب وحدة الوجود[1].

رأيه في القول بالاتحاد و الحلول :

لقد رد الغزالي و يعلم عقلي على الذين يقولون بالاتحاد و الحلول و الذين يرون أن العبد صار هو الرب و صارا شيئا واحدا ، و الذين يرون أن الرب حل في العبد والعبد حل في الرب و هذا كلام غريب عن الإسلام.

و يذهب الغزالي إلى أن القول بهذا الكلام فيه خطر و تشويش على الدين الصحيح . و هو كلام متناقض يجب تنزيه الله -عز و جل- عنه [2] و يرد على هذا الرأي بطريقة القسمة المنطقية التي تبين الحالات الممكنة للاتحاد ، و تبرهن على استحالتها ، و قد تعرض لذلك بخاصة في كتابه (المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى).

و يرى أن القائل بالاتحاد بين ذاتين يجد نفسه أمام احتمالات ثلاثة :

الأول : أن تظل كل ذات منهما موجودة .

الثاني : أن تفنى إحداهما و تبقى الأخرى .

الثالث : أن تفنيا معا.

---

[1] أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام. ص 113.
[2] أبو حامد الغزالي : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. ص 121.

ففي الاحتمال الأول : لا تصبح إحدى الذاتين هي الأخرى ، بل تظل كل واحدة قائمة بنفسها ، و هنا لا يمكن الكلام عن اتحاد ، و مثال ذلك ، أن صفات الإرادة و العلم و القدرة توجد في ذات واحدة ، و لكنها ليست متحدة فيما بينها، إذ مما هو مسلم به أن الإرادة غير العلم و القدرة.

أما الثاني : و القائل بفناء إحداهما و بقاء الأخرى فلا يمكن الحديث فيه أيضا عن نوع الاتحاد . إذ كيف يتحقق اتحاد بين موجود و معدوم ؟ فهذا تناقض.

أما في الاحتمال الثالث : و القائل بفناء الذاتين معا فليس هناك حاجة إلى إثبات بطلانه بل الأولى الحديث عن الانعدام بدل الحديث عن الاتحاد.

و النتيجة أن القول بالاتحاد بين الذوات المتماثلة باطل فضلا عن الذوات المختلفة . فإنه يستحيل أن يصير هذا السواد ذاك السواد كما يستحيل أن يصير هذا السواد ذلك البياض ، و ذلك العلم ، و التباين بين العبد و ربه أعظم من التباين بين السواد أو العلم[1].

و يؤول الغزالي شطحات بعض الصوفية الصادقين ، و يرى أنها على التوسع والتجوز اللائق بعبادة الصوفية و الشعراء ،فلتحسين وقع الكلام يسلكون سبيل الاستعارة و من هذه الأقوال قول أبي يزيد البسطامي : انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ، فنظرت فإذا أنا هو . و يكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه ، و هواها و همها لا يبقى معه متسع لغير الله ، و لا يكون له هم سوى الله –تعالى– فإذا لم يخل في القلب سوى الله و جماله صار مستغرقا به كأنه هو، لا أنه هو تحقيقا . و فرق بين قولنا كأنه هو ، و بين قولنا هو هو.

و قول أبي يزيد البسطامي إن صح عنه ((سبحاني ما أعظم شأني)).فإما أن يكون ذلك جاريا على لسانه في معرض الحكاية عن الله تعالى .و إما أن يكون قد جرى هذا اللفظ على لسانه في سكر و غلبة حال . فإن الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال ، يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ الموهومة و حال السكر ربما لا

---

[1] **المصدر السابق : ص 121-122.**

يحتمل ذلك . فإن جاوزت هذين التأويلين إلى الاتحاد ، فذلك محال قطعا))[1]، فيفهم منه أمران : أحدهما : النسبة بين الجسم و بين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين ، فالبرىء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك، و الثاني النسبة بين العرض و الجوهر فإن العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر بأنه حال فيه ، ((و ذلك محال على كل ما قوامه بنفسه ، فدع عنك ذكر الرب –تعالى– في هذا الغرض ، فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام ، فلا يتصور الحلول بين عبدين ، فكيف يتصور بين العبد و الرب– تعالى –))[2].

رأيه في الشطح عند الصوفية :

يقول : ((و أما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله –تعالى – و الوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعاوى الاتحاد و ارتفاع الحجاب. والمشاهدة بالرؤية ، والمشافهة بالخطاب،و يتشبهون فيه بالحسين بن المنصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، و يستشهدون بقوله : أنا الحق و بما يحكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : سبحاني سبحاني...فإن هذا الكلام يستلذه الطبع ، إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات و الأحوال فلا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم))[3].

ويسترسل في قوله : ((و الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة ، لها ظواهر رائعة ، وفيها عبارات هائلة و ليس وراءها طائل و ذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن فيض في عقله و تشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه و هذا هو الأكثر ، و إما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهمها وإيرادها بعبارات تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم و عدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة و لا فائدة لهذا الجنس من

---

(1) المصدر السابق: ص 122-123 ـ ق ق ق

(2) المصدر نفسه : ص 124.

(3) الغزالي : إحياء علوم الدين . ج1 . ص 48.

الكـــلام إلا أنه يشوش القلوب ، و يدهش العقول ، و يحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معان ما أريدت بها ، ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه[1].

و الذي نخلص إليه أن الغزالي في تصوفه كان معتدلا ، يناهض ما يناهض الإسلام ، و ينقضه بمنطق العقل برغم مروره بأحوال الصوفية و مقاماتهم .

3 – رده على الباطنية :

من المعروف أن الباطنية فرقة من أدعياء التشيع ، سموا بهذا الاسم لادعائهم أن لظواهـــر القـــرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشرة و يـــرون أن من اكتفى بالظواهر و تقاعد عقله عن الخوض في الخفايا و الأسرار و البواطن كان تحت الأواصر و الأغلال . معنى بالأوزار و الأثقال ، و يقصدون بهذه الأواصر التكاليف الشرعية .

و من تسمياتهم :

أ- **الإسماعيلية** : نسبة إلى إسماعيل بن جعفر ، و يزعمون أن أدوار الإمامة انتهت به إذ كان هو السابع من محمد -صلى الله عليه و سلم- . و أدوار الإمامة سبعة عندهم.

ب – **التعليمية** : لأن مبدأ مذاهبهم إبطال الرأي و إبطال تصرف العقول، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم ، و أنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم.

جـــ – **القرامطة** : نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم.

د – **الخزمـــية** : نسبة إلى حاصل مذهبهم و هو حط الشرع و التحلل من التكالـــيف ، و تســـليط الـــناس على إتباع اللذات و الشهوات و (خرم) لفظ أعجمي، ينبئ عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان إليه ، و كل من سمي كذلك كان من الذين يبيحون المحرمات و يحلون المحظورات[2].

و يذهـــب علماء المسلمين إلى أن هذه الفرقة من أخطر الفرق المبتدعة في الديـــن ، ويرى البغدادي أن ضررها أعظم من ضرر اليهود و النصارى و المجوس

---

(1) **المصدر السابق: ص 49.**

(2) **أبو حامد الغزالي : فضائح الباطنية . ص 11-17. و أنظر : الشهرستاني : الملل والنحل . ج1 . ص 192.**

بـل أعظـم مـن مضرة الدهرية ، و سائر أصناف الكفرة ، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان[1].

و لقد استفحل خطر هذه الفرقة في أوساط المسلمين ، في عهد أبي حامد الغـزالي، لما كانوا يدعون إليه من أفكار تناهض حقيقة الدين الإسلامي فدفع به ذلـك إلى تأليف كتاب يظهر فيه فضائحهم حتى يحذرهم المسلمون . و قد أشار أبو حامد الغزالي في مقدمة كتابه (فضائح الباطنية) إلى أن سبب تأليفه له يرجع إلى أمرين:

الأول :رغبته في الوقوف على أخطائهم و تحذير المسلمين منها.

الثاني : طلب الإمام المستظهري ذلك منه[2].

و لهـذه الفـرقة دعوات خطيرة سرية فلسفية إلحادية هدفها التشكيك في أركان الدين و مما يروجونه التساؤل عن معنى رمي الجمرات و السعي بين الصفا والمروة، و هم ينفذون إلى عقول العامة بطرق خاصة ، وقد أجمل أبو حامد الغزالي حيلهم التي يوصون بها و يطبقونها في جذب الناس إليهم فيما يلي:

1- **الزرق** : وهو الخداع .

2- **النفرس** : أي الخطفة و القدرة على الحدس و التخمين .

3- **التأنـيس** : بـث الأنـس من الداعية في نفس المدعو حتى يستأنس وينجذب .

4- **التشكيك** : و هو إثارة الشكوك في نفس المدعو حول مسائل الدين والقرآن و الأحكام .

5- التعلـيق : أي ترك الشخص الذي ثارت في نفسه الشكوك برهة من الزمن لتعمل الشكوك في نفسه عملها .

6- الـربط : أي ربـط المدعـو المستجيب بأيمان مغلظة على الكتمان والطاعة.

---

(1) البغدادي : الفرق بين الفرق. ص 265-266..

(2) أبو حامد الغزالي : فضائح الباطنية : ص 3-4.

7- التدليس : و هو أن تذكر للمدعو بعضا من الأسرار و يطوي البعض الآخر ليدلس عليه و يموه.

8- التلبـــيس : أن تقدم له مقدمات مقبولة مسلمة ثم يستنتج منها نتائج باطلة .

9- الخلع : و هو حمل المدعو على ترك التكاليف الشرعية .

10- السلخ : حمله على ترك عقيدة الدين [1].

و من أهم الآراء التي انحرفوا فيها قولهم في الإمام المعصوم :

إذ ذهـبوا إلى أنـــنا لا يمكنـــنا الوصول إلى الحقيقة عن طريق العقل نظرا لاختلاف العقول و تعارضها ، و لذلك كانت ضرورة الإقرار بمعلم معصوم . وقد ســلم الغزالي بصواب رأيهم في الحاجة إلى معلم معصوم ، و لكن معلمنا المعصوم هــو محمد -صلى الله عليه و سلم -، فإن اعترضوا بموته رد عليهم بغيبة معلمهم فــإن قــالوا : معلمنا قد علم الدعاة و بثهم في البلاد و هو ينتظر مراجعتهم إن اخــتلفوا أو أشــكل مشكل ، فنقول : و معلمنا قد علم الدعاة و بثهم في البلاد و أكمــل التعلــيم ، إذ قال الله -تعالى -{ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** }[2] و بعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته.

كمــا أنه سألهم عن الإمام أين هو ؟ فقيل : إنه غائب و سيعود ، فقال : مــتى سيعود ؟ قالوا لا ندري ؟ قال : و إلى أن يعود ماذا نحن فاعلون ؟ فلم يجد جوابا لذلك[3].

و مــن آرائهــم تــأويل ظاهر نصوص القرآن بما يقضي على التكاليف الشرعية:

---

(1) المصدر السابق : ص . 21-32.

(2) المائدة/ 3.

(3) أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال : ص 591.

و قـــد لجأ الباطنية إلى التأويل لإخفاء حقدهم على الإسلام ، فلما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن و السنة النبوية صرفوهم عن المراد بهما إلى تأويلات لا أصل لها.

يقـــول ابـــن الجوزي : ((و قد تستر هؤلاء بالإسلام و مالوا إلى الرفض وعقـــائدهم و أعمـــالهم تباين الإسلام بالمرة ، فمحصول مذهبهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة و العبادات و إنكار البعث و لكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم بل يزعمون أن الله حق و أن محمدا رسول الله و أن الدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر و قد تلاعب بهم إبليس فبالغ))[1].

و الـــتأويل الذي يعتمده الباطنية يختلف عن مفهوم التأويل لدى المفسرين والفـــرق الكلامية ، فلم يرتضوا التأويل اللغوي ، و لا قياس العقل و إنما قبلوا -فقـــط- التأويل الذي يأتي عن طريق الإمام الذي هو معصوم عندهم ، و يعرف أسرار الدين الحقيقية التي هي مستودعة عنده[2].

من تأويلاتهم :

((معـــنى الجنابة عندهم مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة استحقاقه ، و معنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ، و الزنا هو إلقاء نطفة العـــلم الباطن في نفوس من لم يسبق معهم عقد العهد ، و الاحتلام هو أن يسبق لسانه إلى إفشاء السر في غير محله فعليه الغسل أي تجديد المعاهدة ، و الطهور هو الـــتقوى و التـــنظف مـــن اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام ، و الصيام هو الإمساك عن كشف السر ، و الكعبة هو النبي ، و الباب علي ، و الصفا هو النبي و المروة علي))[3].

---

(1) ابن الجوزي : تلبيس إبليس . ص 142.
(2) عبد العزيز سيف النصر : التأويل الإسماعيلي. ص 554.
(3) أبو حامد الغزالي : فضائح الباطنية . ص 56.

الجهـــال بعـــلم الباطن فما داموا مستمرين عليها ، فهم معذبون ، فإذا نالوا علم الباطن وضعت عنهم أغلال التكاليف و سعدوا بالخلاص منها))[1].

إن هـــذه الـــتأويلات التي ذهب إليها الباطنية تقضي على حقيقة الشريعة الإسلامية ، و قد كان هذا هو الهدف الأساس لهذه الدعوة الهدامة . و لعل أبرز ما يوضح آراءهم الخبيثة قولهم في ختم النبوة :

فقد ذكر الغزالي أن الباطنية لا يؤمنون بأن محمدا -صلى الله عليه و سلم- خـــاتم النبيين . إذ يقول : ((إنهم قالوا : كل نبي لشريعته مدة فإذا انصرفت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته ، و مدة شريعة كل نبي سبعة أعمار -و هو سبعة قرون- فأولهم هو النبي الناطق ، و ثانيهم الأساس الصامت ، ثم إنه يقوم بعد وفاته ستة أئمة، إمام بعد إمام فإذا انقضت أعمارهم ، ابتعث الله نبيا آخر ينسخ الشريعة المتقدمة وهكذا يدور الأمر أبد الدهر))[2].

إن الإطار الذي يضع فيه الباطنية أئمتهم لا يجعل منهم أنبياء فحسب ، بل يرفعهم إلى منزلة الألوهية ، و هذه العقيدة باطلة ، (ختم النبوة) بمفهومهم لقوله تعالى:{ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** }[3].وقـــول الرسول صلى الله عليه و سلم : ((مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحســـنها و أكمـــلها و ترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنـــيان و يعجبون منه و يقولون لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة))[4].

---

(1) المصدر السابق : ص 57.
(2) المصدر نفسه : ص 43-44.
(3) الأحزاب / 40.
(4) أخرجه أحمد في مسنده(137/5).

و يتمثل خطر هذه الدعوات في أن لها أتباعا إلى يومنا هذا ، و قد ظهرت في العصر الحديث بعض الفرق الضالة و كلها تقوم على أساس عقيدة الإمامة التي لا تنقطع عند الإسماعيلية و التي تجعل الإمام من آل البيت[1].

4 – موقفه من علم الكلام و الفقه :

أتى أبو حامد الغزالي في زمن كانت العلوم الإسلامية فيه قد تطورت وتبلورت في مدارس مختلفة الاتجاهات و المشارب ، و بدأ بعضها يؤول إلى الضعف بسبب المحتوى و المنهج . و لعل أبرز هذه العلوم : علم الكلام و الفقه . فكيف نظر إلى هذين العلمين : و ما هو منهجه المقترح في ذلك ؟ و ما صلة ذلك بالوصل بين العقيدة و الشريعة ؟.

أ : علم الكلام :

لقد كان علم الكلام من أحوج العلوم إلى التطور و النمو ، ذلك لأن هدفه دفع الشبه بالأدلة و الحجج العقلية ، و العصر يتغير و كذلك الشبه تتجدد .

و قد بدأ علم الكلام في عصر الغزالي يؤول إلى التقليد و التعصب المذهبي، فجاء مغيرا ومجددا و نتيجة لذلك رمي بالزيغ و الانحراف ، إذ لم يسر –حرفيا– على الخط الذي رسمه أوائل الأشاعرة ، و لعل ذلك يتضح لنا من خلال رده على أحد تلامذته في كتاب (فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة) إذ يقول : ((أما بعد فإني رأيتك أيها الأخ المشفق و الصديق المتعصب موغر الصدر مقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين و زعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين والمشايخ و المتكلمين و أن العدول عن مذهب الأشعري و لو قيد شبر كفر و مباينته و لو في شيء نزر ضلال ، وخسر ، فهون عليك أيها الأخ المشفق المتعصب على ما يقولون و اهجرهم هجرا جميلا ...فأي داع أكمل و أعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم و قد قالوا أنه مجنون من المجانين و أي كلام أجل و أصدق من كلام رب العالمين ؟ و قد قالوا : أنه أساطير الأولين . و إياك أن تشتغل بخصامهم،

---

[1] **محمد يسري جعفر : بين الغزالي و علي بن الوليد من خلال كتابيهما : فضائح الباطنية و داسغ الباطل و حتف المناضل . ص 159.**

و تطمع في إفهامهم فتطمع في غير مطمع و تصوت في غير مسمع أما سمعت ما قيل :

كل العداوة قد ترجى سلامتها إلا عداوة من عاداك عن حسد[1]

ثم أكمل كلامه موضحا أن العدول عن رأي المتقدمين ليس مروقا عن الدين.((و لعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه ، فهو إلى الكفر و التناقض أقرب ، أما الكفر فلأنه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته ، و لا يلزم الكفر إلا بمخالفته ، و أما التناقض فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظر ، و ألا ترى في نظرك إلا ما رأيت و كل ما رأيته حجة و أي فرق بين من يقول : قلدني في مذهبي و بين من يقول قلدني في مذهبي و دليلي جميعا ؟ و هل هذا إلا التناقض))[2].

و حين نقرأ لأبي حامد الغزالي نجد أنه قد اهتم كثيرا بعلم الكلام ، إلا أنه لم يأخذه كما هو بل نقده و دعا إلى استعمال منهج سديد في أخذه و تعليمه.

و أوضح أن مقصود هذا العلم : ((حفظ عقيدة أهل السنة و حراستها من تشويش أهل البدعة فقد ألقى الله –تعالى– إلى عباده على لسان رسوله –صلى الله عليه– وسلم عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم و دنياهم كما نطق بمعرفته القرآن و الأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها و كادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها . فأنشأ الله –تعالى– طائفة من المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة))[3].

وإن كان أبو حامد الغزالي يقر بفضل هذا العلم في الدفاع على العقيدة الإسلامية فإن له عليه مآخذ منها : الجنوح إلى تقليد الخصوم في استخراج مناقضاتهم و مؤاخذاتهم بلوازم مسلماتهم . و هو يرى أن تعلم علم الكلام فرض كفاية و أنكر على علماء عصره تكليف عامة المسلمين بهذا العلم.

---

(1) أبو حامد الغزالي : فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة. ص 253 –254.
(2) المصدر نفسه: ص 256.
(3) أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال . ص 582..

إذ يصعب فهمه على الخاصة فما بالك بعامتهم ، ثم إنه تكليف بما لا يقع. و قد تجنب الرسول -صلى الله عليه و سلم و صحابته في الحاجة مسلك المتكلمين . لا لعجز منهم عن ذلك ، لأنهم لو علموا نفعه لأطنبوا فيه و خاضوا في تحرير الأدلة خوضا يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض[1].

و إن كان أبو حامد الغزالي قد كتب مؤلفات عدة في علم الكلام ، فإن رأيه أن هذا العلم فيه صنعة الجدل الذي يصعب فهمه على عامة الناس ، و لذلك فهو يرى أن منهج القرآن الكريم هو الأجدى لأن فيه دواء لكل المستويات العقلية والذي يظهر من خلال كتبه أن علم الكلام ما كانت تأتي من ورائه فوائد في عصره . و لذلك يصرح في بعض المواطن بتحريمه إلا على أحد شخصين ، يقول : ((أما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فإنه يشعر نفوس المستمعين بأن فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامي لا لكونه حقا في نفسه . و ربما يكون ذلك سببا لرسوخ العناد في قلبه ... و لذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات ، بل شددوا القول على من يخوض في الكلام ليشتغل بالبحث و السؤال ، و إذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه))[2].

أما الشخصان اللذان يجوز لهما :

فرجل : وقعت له شبهة لا يمكن زوالها بكلام وعظي أو خبر نقلي.

و ثان : يتعلمه ليداوي به مرضى وقعت لهم الشبهة[3].

و يصرح بأن الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي يزول بأدنى الشبه ،أما الحاصل بأدلة القرآن فهو الذي يرسخ حين يغذى بالمداومة على العبادة و ذكر الله -عز وجل-[4].

لقد كان للغزالي أثر واضح على علم الكلام إذ أدرك أن الغاية أمامه أوسع من الغاية التي كانت أمام رجال علم الكلام و إن كان فيهم . إذ كانت

---

(1) أبو حامد الغزالي : إلجام العوام عن علم الكلام . ص 335.
(2) أبو حامد الغزالي : فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة . ص 269-270.
(3) المصدر نفسه : ص 270.
(4) المصدر نفسه : ص 270.

غايـــة رجل الكلام التدليل على صحة العقائد بالأدلة العقلية بينما كانت غايته أن يصـــل مـــن وراء ذلك إلى التدليل على صحة ما جاءت به العقائد ثم خطا خطوة كـــبرى بعد ذلك فجعل الغاية العليا من وراء هذه العقائد هي السعادة الأخروية والتدليل على إمكان الوصول إليها بمراتب من الكمال النفسي و العمل و المجاهدة لأنـــه فهم أن الإسلام لا يقوم على التمسك ببعض العقائد الصحيحة فقط . بل الإســـلام أرفع من أن يصل إلى إدراكه بالتدليل إذ هذه نظرة ذوق باطن لا مجرد أحكام شرعية أو مجموعة قواعد جامدة .

و الإســـلام شيء لا يحده العقل بل تتذوقه الروح والإيمان الصحيح هو الإيمـــان بالنبوة ، و الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عمن يـــدرك بهـــا مدركات خاصة العقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان والـــبعد عن إدراك الأصوات و جميع الحواس عن إدراك المحسوسات ، وهو بهذا لم يـــنف المعـــرفة العقلية لكنه أنكر على أهل الكلام اعتقادهم بأن الكلام و النظر العقـــلي يوصلان إلى اليقين و يشعلان جذوة الإيمان في قلب غير مؤمن . فالإيمان الصحيح ليس قضية اقتناع ، بل قضية عاطفة و ذوق ، لذا أراد أن يرجع بالإسلام إلى عـــادة الســـلف و أن يحمل المسلم على البحث عن الحقيقة في القرآن ذاته ، يستمد منه كمال الإيمان لا من الاستدلال النظري و البراهين العقلية[1].

و الإيمان في نظر الغزالي ليس بمعرفة الشريعة بل بالعمل بما توجبه ، فلو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية لم تفده إلا بالعمل[2].

ب- الفقه :

أصاب الفقه في عهد الغزالي مظاهر كثيرة من الانحراف و القصور في أداء الوظـــيفة الأساسية التي تتمثل في تبصير الإنسان بموقف الشرع من الأمور ليربطه بالله -تعالى- و قد أدى إلى ذلك بمجموعة من الأسباب ، اهتم العلماء بإصلاحها . وقـــد كـــان للصـــوفية -على العموم- موقفا معارضا للفقهاء لاهتمامهم بظاهر

---

(1) خليل الجر ، حنا الفاخوري : تاريخ الفلسفة العربية. ص 34-78.
(2) أبو حامد الغزالي : رسالة أيها الولد. ص 274-277.

الشريعة فقط ، و غرورهم بما حصلوه من علم حصروه على الجدل . و البحث في المعاملات[1].

و اهـــتم أبو حامد الغزالي بتتبع الأسباب التي أدت إلى قصور الفقه و يرى أن من أهمها :

1- الاقتصـــار على المعاني الظاهرة للنصوص و اختصار مدلـــول كلمة الفقـــه : فهـــو لا يتبع الباطنية في ذهابهم إلى إبطال ظواهر النصوص ولا مذهب الحشوية الذين قصروا المعاني على الظواهر فقط، بل يدعو إلى إيجاد توازن و تكامل في فهم النصوص و يرى أن للنصوص أسرارا لا ينبغي إهمالها.

كما عاب على الفقهاء غرورهم بعلمهم و حصرهم مدلول كلمة "الفقه" في الفقـــه الشائع بينهم . و اعتقدوا أنهم في أعلى الدرجات مما أدى بهم إلى حب الشهرة و الجاه فتعطلت وظيفتهم و أصبح همهم تحصيل ما يرفع مكانتهم ، و هو يـــرى أن مدلول كلمة "الفقه" في أول عهد الإسلام يعني : علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، و مفسدات الأعمال ، و قوة الإحاطة بحقارة الدنيا و شدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، و استيلاء الخوف على القلب[2].

و قـــد ضـــم الفقهاء في عصره إلى أصناف المغرورين من الناس ، يقول : ((تـــركوا المهـــم مـــن العلـــوم ، و اقتصـــروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصـــومات ، و تفاصـــيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصـــوا اســـم الفقيه و سموه اسم الفقه و المذهب و ربما ضيعوا مع ذلك علم الأعمـــال الظاهرة و الباطنة ، لم يتفقدوا الجوارح و لم يحرسوا اللسان عن الغيبة ، والبطن عن الحرام ، و الرجل عن السعي إلى السلاطين ، و كذا سائر الجوارح و لم يحرسوا قلوبهم عن الكبر و الرياء و الحسد و سائر المهلكات))[3].

2- يرجع أبو حامد الغزالي تخلف الدراسات الفقهية في عصره إلى قصور همـــة عـــلماء عصره عن الاحتهاد و ميلهم إلى التقليد فهم لا يتنازلون عن تقليد

---

(1) الحارث المحاسبي : العقل و فهم القرآن . ص 32-33.
(2) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج1 . ص 44.
(3) أبو حامد الغزالي : الكشف و التبيين في غرور الخلق أجمعين . ص 467.

أئمتهم و لو ظهر الحق عند غيرهم . و من آفات التقليد : التعصب و الجدل . والاهتمام بالكفر للمخالف ، و حيرة الجمهور . و هذه الآفات كلها تؤدي إلى ضعف الإحساس بالإسلام لأنها تغير انتماء المقلد إلى الدين إلى انتماء للمذهب بكل تعصب.

3- الاهتمام بالمناظرات و الخلافيات : و يرى أبو حامد الغزالي أنها من الآفات الخطيرة التي أصابت الفقهاء لما تخلفه من آثار سلبية ، يقول : ((اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة و الخصام و إظهار الفضل و الشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة و المماراة و استمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس...))[1].

و يذكر أبو حامد الغزالي أن سبب الميل إلى هذه المناظرات تشجيع الساسة لذلك ، و قد ارتبط التناظر في غالبيته بين مذهب الشافعي و أبي حنيفة ، يقول : ((...فترك الناس الكلام و فنون العلم و احتالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص ...و زعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع و تقرير علل المذهب و تمهيد أصول الفتاوى ، و أكثروا فيها التصانيف و الاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات و التصنيفات و هم مستمرون إلى الآن))[2].

لقد اهتم أبو حامد الغزالي بالإصلاح و أوضح أن المناظرة المسموح بها لابد أن تتوفر فيها مجموعة من الشروط :

1-أن لا يشتغل بها من لم يتفرغ من فروض العين لأنها من فروض الكفاية.

2- أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم و فعل غيره عصى بفعله .

3- أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي ، و أبي حنيفة وغيرهما حتى إن ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له ...أما من ليس له مرتبة الاجتهاد -و هو حكم أهل العصر- فلو

---

(1) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين : ج1 . ص 58.
(2) المصدر نفسه : ص 55.

ظهـر له ضـعف مذهبه لم يجز له أن يتركه ، فأي فائدة له في المناظرة و مذهبه معلوم و ليس له الفتوى بغيره؟.

4- ألا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا.

5- أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إلى المناظر و أهم من المحافل ، و بين أظهر الأكابر و السلاطين . تخليا عن الرياء و حب الشهرة .

6- أن يكـون المـناظر مستعدا لإتباع الحق حيث و لو ظهر على لسان خصـمه . بحيث يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد غيره.

7- مناظرة من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم.

8- إتباع أساليب الجدل الشريف و تجنب الاحتيال و المصارعة بالكلام[1]

9- ربـط الفقـه بالواقع : إذ أكثر الفقهاء من الافتراضات و التفريعات البعيدة عن الحياة فمهمة الفقه ضبط الحياة الاجتماعية بين الناس إذا تنازعوا بحكم الشـهوات ، إلا أن الفقهاء انصرفوا إلى التفاريع الغريبة ((و ربما يتركون ما يكثر وقوعـه ، و يقولـون هـذه مسـألة خبرية ، أو هي من الزوايا ، و ليست من الطبوليات)) [2].

و الـذي نخلص إليه أن أبا حامد الغزالي قد عرف الثغرات التي كان يعاني منها الفقه في عصره و دعا إلى إصلاحها و ذلك بما يلي :

- ترك الجمود و التقليد و الرجوع إلى الاجتهاد .

توسيع دائرة الفقه ليفيد معنى ما كان عليه السلف الصالح

---

[1] أبو حامد الغزالي : المصدر السابق: ص 56-58.
[2] المصدر نفسه: ص 57.

وهنا ذكر أبو حامد الغزالي ضرورة ربط الأحكام الشرعية بالإيمان بالله و اليوم الآخر[1].

- عـــدم الاقتصـــار عـــلى حرفـــية النصوص ، و ذلك بإظهار أسرارها ومقاصدها.

- لابد من ربط الفقه بالواقع و الابتعاد عن الفروض الغريبة.

- هجرة الجدل و المناظرات لاتصافها بعدم البراءة.

5- الوصل بين العقيدة و الشريعة في الإحياء:

يعتـــبر أبـــو حـــامد الغزالي من مجددي الإسلام الذين اهتموا في إنتاجهم الفكـــري بالـــربط بين العقيدة و العبادات ، و العقيدة و المعاملات ، و قد رأينا كـــيف دعا إلى ضرورة ربط الفقه بالإيمان بالله تبارك و تعالى و الإيمان بالآخرة . ولعـــل أحســـن ما يوضح هذه الأفكار التي كان يدعو إليها كتابه : (إحياء علوم الدين)الذي يعتبر أهم كتبه ، و هذا الكتاب بالرغم مما ثار حوله من جدل بسبب عـــدم الدقـــة في اســـتخدام الأحاديث النبوية إذ كان يستشهد في بعض الأحيان بضـــعيف الحديث النبوي إلى جانب ما ورد فيه من القصص التي فيها نظر . فإنه من الكتب المهمة التي وحدت بين العلوم الإسلامية: العقيدة و الفقه و الأخلاق .

اهـــتم عـــلماء المسلمين بالكتاب عبر التاريخ الإسلامي ، و شرحه السيد محمـــد بـــن محمد الحسين الزبيدي الشهير بمرتضي في كتاب سماه : إتحاف السادة المـــتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين . كما قام بتلخيصه جمال الدين القاسمي استرشـــادا برأي الإمام الشيخ محمد عبده ، إذ قال له: ((إن أعظم كتاب للوعظ والإرشاد هو كتاب الإحياء لو جرد و اختصر اختصارا حسنا))[2].

و قد ذهب العلماء إلى أن الغزالي لو لم يؤلف غير كتاب (الإحياء) لكفاه ذلك لأن يكون عالما ، و عن هذا الكتاب يقول الشرباصي : ((و لا جدال في أن (الإحياء) مصدر مهم للخطيب و الواعظ و الداعية الديني ، إذ يستطيع كل منهم

---

[1] المصدر نفسه : ج1. ص 44 . و انظر : أبو حامد الغزالي : الكشف و التبيين في غرور الخلق أجمعين . ص 467-468.

[2] نقلا عن : أحمد الشرباصي : الغزالي و التصوف الإسلامي. ص 145.

أن يجـــد مواد الخطبة أو العظة أو المحاضرة الدينية مجتمعة ، مع دقة تفسير و براعة تصـــوير ، و إذا كان في الإحياء ما لا يصلح عرضه على العامة ، أو ما يحتاج إلى مـــراجعة ونظـــر فيما يتعلق بالحديث أو الأثر ، فإن الداعية لا يعجز عن الاختيار وحسن التصرف في هذا المجال))[1].

و قـــبل الحديث عن بعض العبادات في (الإحياء) سأتعرض باختصار إلى كتابي : العلم . و قواعد العقائد اللذين افتتح بهما و السر في ذلك.

أولا : كتاب العلم :

بـــدأ الغـــزالي كـــتاب (إحياء علوم الدين) بالحديث عن العلم و التعلم والتعلـــيم، و أتـــى بكثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي تتحدث عن ذلك ، و استخلص منها أن أعظم ما يحقق الإنسان هو القرب من الله - عز و جل -والسعادة الأبدية ، فأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها . يقول : ((إذا نظرت إلى العـــلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وســـعادتها و ذريعة إلى القرب من الله -تعالى- و لا يتوصل إليه إلا به . و أعظم الأشـــياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية ، و أفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها و لـــن يتوصل إليها إلا بالعلم و العمل ، و لا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا و الآخرة هو العلم ، فهو إذن أفضل الأعمال))[2]

و قـــد أشـــار الغـــزالي في مقدمة كتابه الإحياء أن سبب افتتاح الكتاب بالحديـــث عن العلم هو انتشار الانخداع بلامع السراب في زمنه - في هذا المجال- فـــأراد توضـــيح حقيقة العلم النافع. و قد تحدث في كتاب العلم عن مجموعة من الأمور هي :

الباب الأول : في فضل العلم و التعليم و التعلم .

الباب الثاني : في فرض العين و فرض الكفاية من العلوم و بيان حد الفقه والكلام من علم الدين و بيان علم الآخرة و علم الدين .

---

(1) الشرباصي : المرجع السابق . ص 146.

(2) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج1 . ص 23.

الـــباب الثالـــث : فيما تعد العامة من علوم الدين و ليس منه و فيه بيان جنس العلم المذموم و قدره.

الباب الرابع : في آفات المناظرة و سبب اشتغال الناس بالخلاف و الجدل

الباب الخامس : في آداب المعلم و المتعلم .

الـــباب السادس : في آفات العلم و العلماء و العلامات الفارقة بين الدنيا والآخرة .

الباب السابع : في العقل و فضله و أقسامه و ما فيه من الأخبار.

و حـــين تتبعنا لكتب الغزالي نلاحظ تأكيده على الجانب العملي من العلم فالعلم الذي لا يتبعه العمل لا فائدة منه ، بل قد يقذف بصاحبه في نار جهنم.

و الإنســـان الـــذي يعمل بما علم ، هو الذي يعد عظيما في نظر الغزالي . يقـــول : ((فمـــن عـــلم و عمـــل بما علم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت الســـماوات، فإنـــه كالشمس تضيء لغيرها و هي مضيئة في نفسها ، و كالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب ، و من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه)) [1].

لقد اشتغل الغزالي بالتعليم و خبر أغلب العلوم التي كانت سائدة في زمانه فأدرك أن خيرها ما يتبعه عمل يصل بين العبد و ربه ، و أشرف العلوم هي العلوم الشرعية إذا قادت الإنسان إلى تقوية علاقته بالخالق حينها يفوز بالدنيا و الآخرة . و قـــد كانت هذه النزعة التربوية واضحة في أغلب كتبه . و كان كثيرا ما يذكر حـــين تصنيفه لأمور العبادات و المعاملات أن هناك أمورا يجب أن تعلم ، ثم يشير إلى الجانـــب العمـــلي منها، فمثلا حين حديثه عن الزكاة يذكر أنه يجب أن يعلم الإنســـان المؤمن : الحكمة منها ... و في الحج لا بد من فهم موقع الحج في الدين ... ثم يـــتحدث عن المباشرة العملية لأحكام كل منهما [2] ، و هذا التفصيل له تـــأثير على النفس في الإقبال على الناحية العملية لأنه يجعل أحكام الدين واضحة أمام العقل .

---

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج1 . ص 69.
[2] المصدر نفسه : ص 262 و 314.

و كـــان الغزالي في تعليمه يحرص على غرس هذه النزعة (الوصل بين العلم والعمـــل) في المقـــتدين به ، فنجده –مثلا- في رسالة (أيها الولد) يقول : ((أيها الولـــد: لا تكـــن من الأعمال مفلسا ، و لا من الأحول خاليا ، و تيقن أن العلم المجـــرد لا يأخذ اليد ... أيها الولد : العلم بلا عمل جنون ، و العمل بغير علم لا يكـــون ، واعلم أن العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصي ، و لا يحملك على الطاعة لن يبعدك عن نار جهنم، و إذا لم تعمل اليوم و لم تدارك الأيام الماضية تقول غدا يوم القيامة: فارجعنا نعمل صالحا ، فيقال : يا أحمق أنت من هناك تجيء ...و لو قـــرأت العـــلم مائـــة ســـنة وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعدا لرحمة الله إلا بـــالعمل...أيهـــا الولد : لو كان العلم المجرد كافيا لك و لا تحتاج إلى عمل سواه لكان نداء : هل من سائل ، هل من مستغفر ، هل من تائب ضائعا بلا فائدة))[1].

و الغـــزالي و إن كان يدعو إلى الاهتمام بعلوم الدين فإنه لم يحط من قيمة العلـــوم الأخرى . إلا أن اعتبار هذه العلوم فرض عين يعطي قيمة روحية لكل ما يتعلمه الإنسان في الحياة الدنيا لأنه إذا تزود من علوم الدين بالقدر الذي يصله بالله -تبارك وتعالى --كان ذلك من شأنه أن يجعله إنسانا فعالا في الحياة [2].

و الـــذي يقرأ كتب الغزالي يلاحظ طغيان النزعة الدينية النفعية على آرائه أي الارتـــباط الوثـــيق بعلوم الدين لتحقيق الارتقاء الروحي لتوطيد العلاقة بالله -تعالى - في الدنيا و تحقيق الفوز برضاه --عز و جل- في الآخرة .

ثانيا : كتاب قواعد العقائد :

تـــناول فيه الغزالي ما يجب على المكلف معرفته من أمور العقيدة و جاء في أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة .

الفصل الثاني : في وجه التدريج في الإرشاد و ترتيب درجات الاعتقاد وقد تحدث فيه عن كيفية خطاب درجات الناس بعلم العقيدة .

---

[1] **أبو حامد الغزالي : رسالة أيها الولد . ص 174-277.**

[2] **انظر : تفصيل فرض العين و فرض الكفاية من العلوم في إحياء علوم الدين . ج1 . ص 25-34.**

الفصل الثالث : لوامع الأدلة للعقيدة .و يدور على أربعة أركان :

الأول : في معرفة ذات الله –تعالى– .

الثاني : في صفاته.

الثالث : في أفعاله .

الرابع : في السمعيات .

الفصل الرابع : في الإسلام و الإيمان و ما يتعلق بهما من مسائل .

و في مسلك الغزالي في عرضه لربع العبادات هذا المنهج تأكيد على الهدف الذي كان يتوخاه من كتابته لهذا المؤلف . ففي كتاب العلم تنقية للعلوم التي كانت سائدة في زمانه مما علق بها من شوائب و دعوة إلى الرجوع بالعلم إلى ما كان عليه السلف الصالح و تحصيل ثماره الطيبة . فهو يريد التأكيد على أنه يسعى من خلال هذا المؤلف إلى تحقيق علم و عمل يرقيان بالإنسان المسلم إلى مرتبة الكمال الإنساني التي خلق من أجلها .

أما الحديث مباشرة بعد ذلك عن قواعد العقائد ، فهو بناء للإنسان المؤمن من الداخل حتى يكون مستجيبا لأداء الأحكام و في تحديده لمفهوم شهادة التوحيد، تأكيد على الترابط الوثيق بين العقيدة و الشريعة في الإسلام فمما يندرج تحت شهادة التوحيد (ألا إله إلا الله).

الاعتقاد بأن الأفعال لله– تعالى –فلا موجود سواه إلا هو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه و أكملها و أتمها و أعدلها فهو –عز و جل– حكيم في أفعاله ، عادل في أقضيته ، و هو كذلك متفضل بالخلق و الاختراع والتكليف ، لا عن وجوب.

و هو– عز و جل –يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم و الوعد ، لا بحكم الاستحقاق و اللزوم له ، إذ لا يجب عليه لأحد فعل و لا يتصور منه ظلم، و لا يجب عليه لأحد حق ، و كما يجب العلم بأن حقه– تعالى في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه –عليهم السلام –لا بمجرد

العقـــل . إلا أنـــه بعث الرسل و أظهر صدقهم بالمعجزات القاهرة ، فبلغوا أمره و نهيه ووعده ووعيده، فوجب تصديقهم فيما جاءوا به.

كمـــا يندرج تحت : شهادة (أن محمدا رسول الله) أن رسالة محمد - صلى الله عليه و سلم - هي الخاتمة ، و ألزم الخلق بتصديقه في جميع ما أخبر عنه من ربه من أمور الدنيا و الآخرة[1].و سأتعرض هنا لكيفية عرضه لبعض العبادات :

أ- الزكاة :

تعتبر فريضة الزكاة من أهم أركان الإسلام التي تبرز فيها خاصية الإعجاز في التشـــريع الإسلامي ، إذ يتميز بها كقانون رباني لمعالجة مشكلة الفقر من جهة ومعالجة النفس البشرية و ما يطرأ عليها من أمراض الشح و الكبر حين تجري بين يديهـــا النعم الكثيرة من جهة أخرى ، و في فرض الزكاة إثبات لعزة الإنسان إذ تعطيه الثقة و التكريم حين يستجيب لأمر الله و يجعل كلمته هي العليا على النفس البشرية التي قد يقهرها حب الدنيا و الغرور بما في يديها ، و في أداء هذه الفريضة يظهر التكافل الاجتماعي في أجلى صوره.

و قد عالج أبو حامد الغزالي موضوع الزكاة على مستويين :

الأول : فقهـــي سلك فيه منهج الفقهاء في تفصيل ما يتعلق بأنواع الزكاة وشروطها و مصاريفها.

و الثاني : خاص به و يتميز بمحاولة النفاذ إلى معرفة الأسس التي تبنى عليها هـــذه الفريضة و الأسرار الخفية التي تتميز بها . و هذا الذي سنحاول معرفته لأن الأول مـــتداول للجميع في كتب الفقه . أما الثاني فقد يوجد في بعضها إلا أنه من مميزات منهج أبي حامد الغزالي :

أ- خطبة كتاب :أسرار الزكاة :

و تعتـــبر توطـــئة عقدية أوضح من خلالها مفهوم فريضة الزكاة ، فبين أن المال مال الله ، الذي تميز عن خلقه بالغنى المطلق ، ثم أنه- عز و جل- أفاض على بعـــض عباده من نعمه و جعل بعض عباده في حاجة إلى بعض على سبيل الابتلاء

---

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج1 . ص 109-110.

والامتحان ، ولقيمتها وأهميتها ربطها الإسلام بالصلاة التي هي أعلى الأعلام إذ قال- تعالى -: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}[1] و يقول الرسول -صلى الله عليه و سلم- : ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة ...))[2] كما أنه -عز و جل- شدد الوعيد على الذين يكتر ون الذهب و الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم . و معنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة[3].

2- الزكاة مجلى للإقرار بعقيدة التوحيد و مظهر تعبدي :

استنتج أبو حامد الغزالي أن الحكمة من جعل الزكاة من مباني الدين الأساسية مع أنها تصرف مالي و ليست من عبادة الأبدان لاشتمالها على معنى التوحيد، يقول : ((إن التلفظ بكلمتي الشهادة إلتزام للتوحيد و شهادة بإفراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فإن المحبة لا تقبل الشركة ، و التوحيد باللسان قليل الجدوى ، و إن ما يمتحن به درجة المحب مفارقة المحبوب و الأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم ، و ينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب ، واستزلوا على المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم))[4].

فالزكاة تعبير عملي على الإقرار بعقيدة التوحيد و ابتلاء لحب الإنسان لله -تبارك و تعالى- الذي هو شرط من شروط توحيد العبادة.

و في تحديد معنى التعبد في الزكاة تعرض أبو حامد الغزالي إلى كون الزكاة من الأمور التعبدية التي تجمع بين ما هو معقول و ما هو تعبدي محض . فما هو معقول يتمثل في حق الفقير و إخراجه من حاله . أما ما هو تعبدي محض و هو

---

(1) البقرة / 43.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب :الإيمان ، باب : دعاؤكم إيمانكم . حديث رقم 8 (20/1) ، و مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام و دعائمه العظام . حديث رقم 22 (45/1).

(3) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج 1 . ص 245.

(4) المصدر نفسه : ج 1 . ص 253.

مجـــرد امتحان للعبد في إقراره بالعبودية لله فهو النزول على جزء معين من ماله . ((فلا يجزئ ورق عن ذهب و لا ذهب عن ورق و إن زاد عليه في القيمة))[1].

و يـــرى الغزالي أن في ذلك تعبا لصعوبة تمييز أجناس ماله و إخراج حصة كل مال من نوعه و جنسه و صفته إلا أن ذلك مقتضى التعبد. و التساهل فيه في رأيه قادح في التعبد[2].

و اســـتنتج الغزالي أن الناس في إنفاق أموالهم ثلاثة أقسام ، و ذلك حسب درجتهم في التعبد :

القســـم الأول :صـــدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ، اختاروا الله فنزلوا عن جميع أموالهم ، و لم يدخروا دينارا و لا درهما .

القســـم الثاني : درجتهم دون الأولى ، و هم المسكون أموالهم المراقبون لمواقيـــت الحاجات و مواسم الخيرات ، و قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجـــة دون التنعم ، و صرف الزائد على الحاجة إلى وجوه البر مهما اختلفت . وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة.

القســـم الثالث : و هم المقتصرون على مقدار الواجب ، لا يزيدون عليه ولا ينقصون ، و هو أقل الرتب [3].

3-آداب أداء الزكاة :

إذا اســـتقر في نفـــس الإنسان أن المال مال الله و أن الزكاة ابتلاء لإيمان المؤمن كانت هناك مجموعة من الآداب لا بد من الحرص عليها في أداء الزكاة :

أ- مراعاة وقت أدائها فيسارع بإعطائها لمستحقيها ، و الحكمة من ذلك في رأي أبي حامد الغزالي هي :

- إيصال السرور إلى قلوب الفقراء .
- مبادرة لعوائق الزمان أن تعوق عن الخيرات .

---

(1) المصدر السابق : ج1. ص 251.
(2) المصدر نفسه : ج1. ص 252.
(3) المصدر نفسه : ج1. ص 153.

ب- أن تـــؤدى الزكاة سرا تجنبا للرياء ، و تحقيقا لقول الله -عز و جل- {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}[1] ومحتوى الآية أن ذلك أبعد عن الرياء و السمعة. فإذا اقتضت الحاجة الإظهار أمكن ذلك كأن يكون الهدف الترغيب في الزكاة[2].

جـــــ- عدم إفساد الصدقة بالمن و الأذى ، تحقيقا لقوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى }[3]. يقول الغزالي : ((و عندي أن المـــن له أصل ومغرس و هو من أحوال القلب و صفاته ، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهـــرة عـــلى اللسان والجوارح ... أما الأذى فظاهره التوبيخ و التعيير و تخشين الكلام و تقطيب الوجه ...))[4].

د- استصـــغار الصـــدقة : فإنه إن استعظمها أعجب بها ، و العجب من المهلكات و هو محبط للأعمال ، يقول تعالى : {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا}[5].

و هـــذا الاستصـــغار يتأتى من فهم حقيقة كون المال مال الله و هو حقه -تعالى ، ثم إن المسلم يبذله للثواب ، فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافا؟[6].

هـــ- انتقاء الأجود مما عند المزكي و الأحب إلى النفس ، يقول -تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ}[7].

و في إخراج ما هو أحب إلى النفس دلالة على حب الله -تعالى -، يقول الغـــزالي : ((و إذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله -عز و جل-))[8].

---

(1) البقرة / 271.
(2) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين : ج1 . ص 254.
(3) البقرة / 264.
(4) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين :ج1 ص 256.
(5) التوبة / 25.
(6) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج 1 . ص 257-258.
(7) البقرة / 267.
(8) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين : ج1 . ص 258.

مما سبق نلاحظ أن الغزالي قد حرص على توضيح ما يجب أن يكون عليه المزكي في أدائه للزكاة . أما الفقير الذي تجب فيه الزكاة فعليه أن يعي مجموعة من الأمور :

أولا : أن الله إنما سخر له من يعينه ليكفيه ضيقه و يكون متفرغا لعبادة الله -عز و جل- .و هو يرى أن في كثرة المال فتنة و ابتلاء للإنسان .

و عـــلى الفقير أن يدرك أن الله -تعالى- زوى عنه الغنى و في ذلك فضل عليه أكثر من فضله فيما أعطاه ، و يوجه الغزالي نظر الفقير إلى أن ما يأخذه من الغني رزقا من الله عز و جل و عونا له ، فيجب عليه صرفه إلى ما أباحه الله تعالى.

ثانـــيا : شـــكر المزكي لكن دائما يكون على يقين بأن الله -عز و جل- هـــو المـــنعم الحقيقي و هذا الغني جعله الله وسيلة وواسطة لإيصال هذه النعم إلى مستحقيها.

ثالثا : أن ينظر فيما يأخذه ، فلا يقبل إلا الحلال **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا.وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}**[1].

رابعا : التأكد من استحقاقه للزكاة و أخذ المقدار اللازم[2] .

لقد حرص أبو حامد الغزالي على إيضاح حقيقة الزكاة حتى لا تخضع نفس كـــل مـــن الغني و الفقير لمظاهر الضعف البشري التي تصرف الإنسان المؤمن عن عبادة الله -عز و جل-.

فركـــز على مبادئ أساسية و هي الاعتقاد الجازم بأن المال مال الله و أنه فتـــنة و ابـــتلاء ، و إخراجه مظهر من مظاهر العبادة . فيه أسرار تربوية : تزكي الإنسان من الشح و تعوده شكر المنعم ، و تشعر الفقير بفعاليته و قيمته في المجتمع و أن له فضل على الغني بقبول حق الله -عز و جل- .

ب – الحج : تحدث الغزالي كغيره من الفقهاء عن الحج و أعماله الظاهرة عـــلى الترتيب : من مبدإ السفر إلى الرجوع منه أما ما تميز به فهو ربطه بالإيمان بالله و اليوم الآخر و التركيز على بيان أسراره.

---

(1) الطلاق / 2-3.

(2) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين :ج1. ص 262-265.

1 – ربطه بعقيدة التعبد لله –تبارك و تعالى –:

أوضـــح الغزالي أن الحج عبادة العمر و ختام الأمر و تمام الإسلام و كمال الدين[1]، و قد شرفه الله –تعالى –بأن أنزل فيه قوله : **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}**[2].

و يـــرى الغـــزالي أن مناسك الحج تتجلى فيها مظاهر الرق و العبودية لله سبحانه أكثر من غيره من العبادات لأن فيه أمورا كثيرة لا يدركها العقل . يقول: ((ووضـــعه عـــلى مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق و من كل أوب ســـحيق شـــعثا غبرا متواضعين لرب البيت و مستكينين له خضوعا لجلاله واســـتكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه على أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلـــك أبلـــغ في رقهم و عبوديتهم و أتم في إذعانهم و انقيادهم ، و لذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس و لا تهدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا و المروة على سبيل التكرار ، و بمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق و العبودية . فإن الزكاة إنفاق ووجهه مفهوم و للعقل إليه ميل . و الصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله و تفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل و الـــركوع والســـجود في الصلاة تواضع لله عز و جل بأفعال هي هيئة التواضع وللـــنفوس أنس بتعظيم الله عز و جل فأما ترددات السعي و رمي الجمار و أمثال هـــذه الأعمال فلا حظ للنفوس و لا أنس فيها و لا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكـــون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد و قصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمـــر واجب الإتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه و صرف النفس و الطبع عن محل أنسه ، فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر باعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد))[3].

و يرى أبو حامد الغزالي أن الحج و الجهاد هما مظهر الرهبانية في الإسلام –فقـــط– ففيهما يتجرد الإنسان من كل الشهوات و الملذات ، و الاقتصار على

---

(1) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين : ج1 . ص 285.
(2) المائدة / 3.
(3) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين : ج1 . ص 315.

الضـــروريات و التجرد لعبادة الله سبحانه و تعالى و قد جعل البيت مقصدا لعباده يقبلون عليه متمسكين بمجموعة من الأقوال و الأفعال تقربا إليه سبحانه وتعالى[1].

إن الاعـــتقاد بأن هذا البيت بيت الله و التوجه إليه هو توجه إليه سبحانه وتعالى وفي قصده و القرب منه رغبة في حصول المقصد الأعظم : الفوز بالجنة يوم القيامة و بأعظم ما فيها : رؤية رب البيت . إن هذا من دواعي الإقبال و الشوق عـــلى استجابة دعوة الله للمؤمن إلى الحج . و المحب دائما في شوق إلى كل ما له إلى محـــبوبه إضـــافة و البيت مضاف إليه تبارك و تعالى فبالأحرى أن يشتاق إليه المؤمن لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل[2].

2-حرصـــه عـــلى إدراك المعاني الخفية لكل أعمال الحج ووصلها بالإيمان باليوم الآخر وصلا متينا:

- فعـــلى الحاج رد المظالم و التوبة الخالصة من جملة المعاصي ، فإذا كانت لديـــه رغبة في القبول فعليه أن يتطهر من حقوق الآخرين ، و يتوجه إلى الله بوجه قلـــبه كمـــا أنه يتوجه إليه بوجه ظاهره ، و هذا فيه تذكير بقطع العلائق لسفر الآخرة.

- طلـــب الـــزاد الحلال و هذا الزاد لا بد أن يذكر الحاج بزاد الآخرة : التقوى.

- طلب الراحلة و شكر المنعم على التسخير و ليتذكر المركب الذي يركبه إلى الآخرة و قد يكون أقرب.

-ثـــوب الإحرام : و ليكن مذكرا له بالكفن الذي سيلبسه لا محالة و ما أقرب الشبه بين الثوبين.

- و في الخـــروج مـــن البلد توجه إلى الله --تعالى--في سفر لا يشبهه سفر فلينظر في قلبه ماذا يريد و إلى أين يتوجه و من يقصد ؟ .

-و في الرحلة و ما يلاقيه من عقبات : عليه أن يتذكر الحياة البرزخية و ما يواجهه فيها مما أخبر عنه الإسلام.

---

[1] المصدر السابق :ج1 ص 314.
[2] المصدر نفسه : ج1 . ص 315.

-و في الإحـــرام و التلبية : إجابة لنداء الله -عز و جل- و ليتذكر بذلك نداء النفخ في الصور يوم الحشر.

-و في وقـــوع البصـــر على البيت : إحضار لعظمة رب البيت في النفس ورجاء الفوز برؤيته يوم القيامة.

-و في الطـــواف على الحاج أن يستحضر في قلبه من الخشوع و الخوف والمحـــبة ما يستحضره في صلاته ، و ليتفطن إلى أن المقصود بالطواف طواف قلبه بالذكر . وأنه بهذا الطواف يتشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين .

- و في الســـعي بـــين الصفا و المروة : تردد للعبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا إظهارا للخلوص في الخدمة و رجاء للملاحظة بعين الرحمة ؟ و ليكن ذلك مذكرا له بالميزان و تردد أعماله بين كفتيه.

- و في عرفة و الوقوف بها : فرصة للتضرع إلى الله و الابتهال إليه و فيها تذكير بيوم الحشر يوم يجمع الناس لرب العالمين.

- و في رمـــي الجمار : إظهار للرق و العبودية و ليفهم من هذا الرمي أن فيه إرغام للشيطان بامتثال أمر الله -سبحانه- تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه .

- و في زيارة المدينة المنورة : إحياء لتحرك الرسول صلى الله عليه و سلم في أرجائهـــا و أفعاله فيها و ليكن تقربه من ذلك، كأنه يتقرب من الرسول- صلى الله علـــيه و ســـلم- حيا . و ليسأل الحاج الله -عز و جل- أن يمنحه القرب من الرسول -صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وهذه وظيفة القلب في أعمال الحج.

- و يـــرى الغزالي أن مقياس معرفة قبول أعمال الحاج هي مجافاة القلب لـــدار الغـــرور و الرغبة في دار الأنس بالله -تبارك و تعالى- و أن تكون أعماله موزونة بميزان الشرع ، هنا يدرك قبول حجه و إثمار أعماله فيه[1].

-لقد استقى أبو حامد الغزالي . من فريضة الحج معان راقية لها دور كبير في ربط الإنسان بالله -تبارك و تعالى - منها :

---

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين : ج1 ص 316-320.

- الانتباه إلى تحقق المعنى العميق للرق و العبودية لله تبارك و تعالى- في أداء مناسك الحج .

- الحج رحلة تشبه الرحلة إلى الحياة الآخرة فعلى المؤمن اغتنام هذه الفرصة لمراجعة تصرفاته.

- الحج سفر إلى الماضي بالوقوف على رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم في أداء الدعوة إلى الإسلام و فيه قوة للمؤمنين و للدين الإسلامي باجتماع معتنقيه في صعيد واحد هدفهم واحد متجردين للضراعة و الابتهال.

والذي نخلص إليه أن جهود أبي حامد الغزالي في وصله بين العقيدة والشريعة اتسمت بالنظرة الشمولية لأمور الدين ، مكنه من ذلك ثقافته الموسوعية وتكوينه الديني الدعوي إذ كان حريصا على التمكين للجانب التطبيقي للإسلام ، وقد كان ملما بأخطاء العلماء في عصره في أغلب التخصصات : علم العقيدة والفقه و الفلسفة و التصوف ، وحاول الرد عليها بكل قدراته العلمية لأنه كان يراها الأسباب الأساسية في الفصل بين العقيدة والشريعة .وكان يدعو إلى ضرورة الوصل على كل المستويات : الدعوة والتعليم والتأليف .وهذه الجهود التي بذلها هي التي ضمنت لعلمه وفكره الاستمرار إلى وقتنا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :

محمد الغزالي

أولا: حياته و سيرته العلمية.

ثانيا: إصلاحاته و علاقاتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة.

1 -إصلاح التعليم.

2-تصحيح المفاهيم العقدية المنحرفة.

3-رده على العلمانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : حياته و سيرته العلمية :

أ – مولده و أسرته:

ولد الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا في الخامس من ذى الحجة عام : ألف وثلاثمائة و خمسة و ثلاثين من الهجرة الموافق : الثاني و العشرين من شهر سبتمبر عام ألف و تسعمائة و سبعة عشر من الميلاد في قرية" نكلا العنب" و هي إحدى قرى مركز " إيتاي البارود " بمحافظة البحيرة[1].

و قد أنجبت هذه المحافظة الكثير من كبار أهل الأدب و العلم ، مثل المجاهد الشاعر محمود سامي البار ودي و الشيخ محمد عبده و محمود شلتوت و حسن البنا و محمد البهي و غيرهم كثير[2].

و قد ولد الشيخ لأسرة متدينة، فكان والده تاجرا من حفظة القرآن الكريم و كانت والدته سيدة فاضلة متدينة . وكان الابن الأكبر لوالده بين سبعة إخوة فكانت تعلق عليه الآمال الكبيرة في هذه الأسرة المتواضعة .

وكان والد الشيخ الغزالي رجلا زاهدا محبا للإمام أبي حامد الغزالي ، فلما رزق بهذا الطفل أسماه محمد الغزالي [3].

يقول القرضاوي : ((ولكأنما كان والده الرجل الصالح الشيخ" أحمد السقا" ينظر بنور الله حين أفهم أن يسمي ابنه محمد الغزالي تيمنا باسم حجه الإسلام ، أبي حامد الغزالي صاحب الإحياء ،فقد كان الرجل – رحمه الله – كما حكى لنا الشيخ، ذا نزعة صوفية و كان أمله منذ رزق بطفله أن يكون وارثا للغزالي فسماه هذا الاسم المركب (محمد الغزالي) فالغزالي جزء من اسم الشيخ و ليس لقبا لعائلته كما يتوهم بعض الناس.

---

(1) أحمد مصطفى فضلية : الإمام محمد الغزالي و شهادة التاريخ . ص 19.
(2) عماد الدين خليل، عبد الحليم عويس ، رمضان عبد التواب ، محفوظ عزام : الشيخ محمد الغزالي ، صور من حياة مجاهد عظيم و دراسة لجوانب من فكره . ص15.
(3) عبد الحليم عويس : الشيخ محمد الغزالي ، تاريخه و جهوده و آرائه. ص 7.

و لم تخيب الأقدار ظن الوالد الطيب ، فإذا (غزالي القرن الرابع عشر) يحمل روح (غزالي القرن الخامس) في إحياء الدين و تجديده و بعث الحياه في جسد الأمة الهامد على أساس من تعاليمه ،وإن كان في كل من " الغزاليين" ما ليس في الآخر ،وقد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل و الله يهب من فضله ما يشاء لمن يشاء و الله ذو الفضل العظيم))[1] .

ب-مراحل تعليمه:

بدأ الشيخ محمد الغزالي رحلته مع العلم من الكتاب في قريته ،إذ حفظ القرآن الكريم وهو في سن العاشرة ، ويحكي الشيخ عن نفسه وعندئذ قائلا ((كنت أتدرب على إجادة الحفظ بالتلاوة في غدوي ورواحي و أختم القرآن في تتابع صلواتي و أثناء سيري في الطريق و قبل نومي و في وحدتي.....))[2].

بعد ذلك تدرج فالتحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي ثم حصل على شهادة الكفاءة (3 سنوات بعد الابتدائي) ثم حصل على الثانوية (وهي سنتان بعد الكفاءة[3]. " وفي دراسته في الأزهر كان يناقش شيوخه ومعلميه بالحجة البالغة ، و قد شهدوا له بالنبوغ المبكر ، و لم يكن الشيخ أثناء دراسته بالمعهد يرضى ظلما على أحد من زملائه و كان المدافع عنهم والصوت المعبر عن رغباتهم و الصائح الراشد لشكواهم . فلا يلود بالصمت إذا ضاع حق زميل له أوتعرض لظلم ما "[4].

و في سنة 1937م التحق الشيخ محمد الغزالي بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر ، و تخرج فيها سنة 1941م ، ثم تخصص في الدعوة ، و حصل على درجة التخصص في التدريس و هي تعادل درجة الماجستير ، و كان ذلك سنة 1943م من كلية اللغة العربية[5] و في هذه المرحلة كان الشيخ قد وضع أقدامه على طريق

---

[1] القرضاوي : الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن . ص 186.
[2] نقلا عن علاء محمد الغزالي : السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي ، بحث منشور ضمن العطاء الفكري للشيخ الغزالي . ص 183.
[3] عبد الحليم عويس : الشيخ محمد الغزالي تاريخه و جهوده و آراؤه. ص 8.
[4] أحمد مصطفى فضلية : الإمام محمد الغزالي و شهادة التاريخ . ص 20.
[5] المرجع نفسه. ص 21-22.

الثقافة الإسلامية الرشيدة،فكان فهمه للقرآن ، متعدد المواهب ، مطلعا على كل الآفاق الثقافية، يحرص على التعمق في الثقافة الإسلامية والأدب العربي[1].

ج – أهم المناصب التي تقلدها بعد رحلته العلمية :

*عين إماما وخطيبا بمسجد القبة الخضراء سنة : 1943 م .

*مدير عام الإدارة العامة للتدريب بوزارة الأوقاف .

*مدير عام الدعوة بوزارة الأوقاف المصرية سنة : 1971 م .

*مستشار المساجد بوزارة الأوقاف .

*أستاذ بجامعة أم القرى سنة : 1977 م.

*وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة سنة : 1981 م.

*أستاذ بجامعة قطر.

*رئيس المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر.

*المشرف العام على جامعة الأمير عبد القادر بالجزائر.

*أمين أمناء الجامعة الإسلامية بدولة باكستان [2].

و حصل على مجموعة من الأوسمة :

1 – وسام الجمهورية من الطبقة الأولى سنه 1988م.

2– جائزة الملك فيصل سنة 1989م.

3– جائزة التمغة بامتياز من باكستان سنة1990م.

4– وسام الجمهورية من الطبقة الأولى سنة :1995م.

---

(1) عبد الحليم عويس : صور من حياة مجاهد عظيم .ص 15

(2) ياء محمد الغزالي : السيرة الذاتية للشيخ محمد الغزالي . وانظر : عبد الحليم عويس : الشيخ محمد الغزالي تاريخه وآراءه .ص 8

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- جائـــزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة1991 م من المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية في مصر و أعلنت النتيجة سنة 1992م.

6- اختير لجائزة " كاتب العام" لسنة 1991 م لما تميز به من نشاط فكري وعـــلمي و هي جائزة تقدمها جريدة الشرق الأوسط السعودية تحمل اسم " علي وعثمان حافظ".

7- حصـــل أثناء إقامته بالجزائر على أعلى وسام سلمه له رئيس الدولة وقتئذ "الشاذلي بن جديد" على جهوده في جامعة الأمير عبد القدر الإسلامية[1].

د – أهم من تأثر بهم الشيخ محمد الغزالي :

1- حسن البنا :

يعتبر البنا من أبرز الشخصيات التي أكد الشيخ محمد الغزالي تأثره وإعجابه بـــه في كثير من مؤلفاته .و يرى فيه الداعية و العالم الذي جمع بين مختلف العلوم يقـــول :" أنـــا واحد من الذين صحبوا حسن البنا و تربوا على يديه و أفادوا من علمه ،قد لاحظت في دراستي الطويلة للرجال أن الله جمع في حسن البنا مواهب عـــدد مـــن الزعماء الإسلاميين الكبار أمثال جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و رشيد رضا فكان إذا تحدث بين الناس التقى في حديثه ما تميز به أولئك الرجال كما تلقى الأشعة في عدسة صافية تجمع ما تفرق و تضاعف أثره ..." [2].

و يذكـــر الشـــيخ أن (حسن البنا) كان في خطبه يبعثر العلم كما يبعثر الـــزارع الحب في الأرض ، و قد ساعده على ذلك موهبة لم يؤتها رجل قبله إلا أبو حامد الغزالي الذي كان قادرا على أن يشرح للعامة أفكار الفلاسفة ، و يجعل معقدها سهلا سائغا[3].و من الشيوخ الذين ذكرهم الغزالي و تأثر بهم:

---

(1) عبد الله المصري : الداعية الشهيد : ص 34

(2) محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر .ج 5 .ص 4

(3) المصدر نفسه : ج 5 ص 5

2- عـــبد العظـــيم الـــزرقاني : كان مدرسا بكلية أصول الدين و هو صاحب كتاب " مناهل العرفان في علوم القرآن "و كان يجمع بين العلم والأدب.

3- في معهـــد الإســـكندرية تأثـــر بالشيخ " عبد العزيز بلال " والشيخ "إبراهـــيم الغـــرباوي " و كانا يتصفان بالتربية النفسية الراقية و العبادة و التقوى ويمزجان الدرس برقابة الله و طلب الآخرة .

4- الشيخ محمود شلتوت : و كان مدرسا للتفسير ، و له قدم راسخة في علوم الشريعة إجمالا[1].

و يذكـــر الشيخ الغزالي أنه يعترف بفضل هؤلاء لكنه و بعد خبرته العلم والحـــياة أوجد لنفسه مدرسة خاصة يقول عنها " المدرسة التي أعتبر نفسي رائدا فـــيها أو ممهـــدا لها تقوم على الاستفادة من جميع الاتجاهات الفكرية و المذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس و الاجتماع و السياسة و الاقتصاد و التاريخ و مزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب و السنة.

إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلا مع رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة و الحديثة وربما كان أسلافنا القدامى قد رزقوا من سلامة الفطرة و حدة الذكاء ما يجعلهم قادرين عـــلى حسن الفهم و الحكم .ولكننا في هذا العصر لا نصل إلى مستواهم إلا بعد دراســـة مضاعفة كما يستعين صاحب النظر القصير بالمناظر المقربة حتى يعرف ما يقرأ أو حتى يدرك من بعيد مالا يستطيع رؤيته بالعين المجردة [2].

هـــ – تلاميذه :

من الصعب تحديد تلاميذ الشيخ الغزالي ،فقد تخرج على يديه أجيال من طلـــبة العـــلم في العالم الإسلامي ، إذ كان كثير التنقل من بلد إلى أخر ليس في

---

[1] الشيخ محمد الغزالي بقلمه ، ضمن كتاب : قطب عبد الحميد قطب : خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين و الحياة . ج 1 .ص 14

[2] المرجع نفسه : ص 15

الجامعـــات فحسب بل في المساجد و المنابر الدعوية و الملتقيات العلمية ، و لا يكـــاد يوجـــد بيت خلال المسيرة العلمية للشيخ محمد الغزالي لا يوجد فيه من لا يعرفه و لا يسمع أحاديثه أو يقرأ كتبه .

و من أبرز تلاميذه :

الأستاذ الدكتور "عزت السروجي " و قد كان يدرسه في جامعة الأزهر يقول : كان في منهج تدريسه لنا لا يهتم بعرض الخلافات في المسائل ، ويريد أن تستمد من القرآن الكريم و سنة رسول الله –صلى الله عليه و سلم –و لم يكن يميل إلى مؤلفات المتكلمين و يعيب عليهم أنهم في استدلالهم لا يأخذون إلا ببعض أجـزاء الآيات ...[1] ومن المواد التي كان يدرسها الشيخ محمد الغزالي في جامعة الأزهـــر مـــادة " النظم الإسلامية كما درس مادة الأخلاق في كلية التربية سنة 1970م مـــن خـــلال كتابه "خلق المسلم " و من تلاميذه في هذه الفترة الأستاذ الدكتور أحمد شحاتة و جمعة الخولي...

و في الجزائـــر تخرجت على يديه الدفعات الأولى التي درست بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية و قد كان له الفضل الكبير في الارتفاع بهم إلى مستوى يليق بطلبة العلم الشرعي عن طريق توجيهاته الصريحة و طريقة تعليمه المعتدلة .

و مـــن أبـــرز تلامـــيذ الشيخ الغزالي الذين يسيرون على نهجه في العلم والدعوة:

1- الدكتور يوسف القرضاوي :

يذكـــر القرضـــاوي أنه قبل لقائه بالشيخ كان يقرأ له كثيرا ، و كان معجبا به إلى أن أتيحت له فرصة الالتقاء به في المعتقل سنة :1948م يقول :" كان الشيخ إمامنا في الصلوات، و خطيبنا في الجمعة ،و مدرسنا في الحلقات ، مع أخيه ورفـــيقه العالم الفقيه:سيد سابق... وكان الشيخ يلقي علينا محاضرات في موقف الإســـلام مـــن استبداد الحكام،كانت نواة للكتاب الذي أصدره بعد الخروج من

(1) عزت السروجي : أستاذ بكلية الدعوة جامعة الأزهر . اتصلت به في القاهرة يوم 13 /2003/12م

المستقل و هو:" الإسلام و الاستبداد السياسي "..ثم ازددت اقترابا من الشيخ في فترة الدراسة بكلية أصول الدين، فكنت و أخي و صديقي: أحمد العسال.على صلة وثيقة به نزوره و نتحدث إليه و نستمع منه و كثيرا ما كان يدعونا إلى الغذاء في بيته في (درب السعادة) بحي الأزهر فنشبع من جيد طعامه كما نشبع من جيد كلامه "[1].

2 - عبد الحليم عويس :

و يذكر أنه في سنوات الوعي من عمره أصبح يعيش في خندق الشيخ الغزالي ،و قد يترك محاضراته بكلية دار العلوم و يذهب إلى سماع محاضرات الشيخ الغزالي بكلية أصول الدين.

يقول :" لم أكتف بأن أجلس إليه كل أسبوع في بيته العامر بالدين، و لا أن أعرض عليه أموري -الخاص منها و العام-و أنا أواجه مجتمع القاهرة وتحديات القاهرة الفكرية إبان فترة من أسود فترات مصر في تاريخها الحديث.

و قد أمسك الإمام الشيخ عبد الحليم محمود – رحمه الله – بتلابيبي – غير مرة – و أنا أدخل كلية أصول الدين أيام كان عميدا لها ، فسألني عن "بطاقة الكلية " فأريته " بطاقة كلية دار العلوم " و شرحت له رغبتي في متابعة محاضرات الشيخ الغزالي ، فابتسم الرجل العظيم و دعالي و للشيخ الغزالي ، و سمح لي بالدخول.."[2]. لقد كان الشيخ محمد الغزالي كالشجرة الطيبة أتت أكلها الطيب في كل بلاد المسلمين . ولذلك يصعب إحصاء تلاميذه ، فكل مسلم مخلص عاصر الغزالي يشهد لهذا الرجل بالفضل .

و - صلته بالجزائر:

كان الشيخ الغزالي يشتغل بالدعوة في دولة قطر ، و حين قرر حاكم الجزائر " الشاذلي بن جديد" فتح الجامعة الإسلامية " جامعة الأمير عبد القادر "

---

(1) القرضاوي : الشيخ الغزالي كما عرفته .رحلة نصف قرن .ص 14-17

(2)عبد الحليم عويس : صور من حياة مجاهد عظيم ، ودراسة لجوانب من فكره ص 6-7

حـــرص عـــلى أن يكون الشيخ من مؤسسيها فخوطب أمير قطر بذلك ، و كان الغـــزالي قـــد أمضى في هذه الدولة خمس سنوات فوافق على انتقاله إلى الجزائر . وشاء الله أن يحضر الشيخ حفل الافتتاح سنة1984م[1].

وقـــد عمـــل الشيخ بهذه الجامعة مدة خمس سنوات كان فيها نعم المربي والعـــالم الذي يقتدي به طلبة الجامعة و غيرهم ، لقد كانت مدرجات الجامعة لا تكفي الحضور ، إذ كان يحضر محاضراته الكثير من محبيه.

و كان يدرس بالجامعة مادة التفسير كما كان يلقي محاضرات على طلبة الدعـــوة و الإعـــلام و صار في هذه الجامعة موجها و أستاذا و مفتيا يزوره الناس للفـــتوى في الجامعة و في بيته .و من أهم أعماله في الجامعة و خارجها الدعوة إلى الله و تحلـــيل قضـــايا المسلمين ، و نقد ما يعانون من أمراض و مآس . و أصبح الـــناس ينـــتظرون حديثه الأسبوعي الذي يلقيه في التلفزة يوم الاثنين يستمع إليه جمهـــور الـــناس ، و يفهمونـــه في مختلف أرجاء البلاد لسهولة عباراته، ووضوح فكرته، و صدق لهجته ، وحسن استشهاده بالقرآن الكريم الذي يجري على لسانه بيســـر واضح فتفهمه الجماهير بفطرتها لأنه يخاطبها في أعماقها و ينفذ إلى أعماق قلوبها[2].

و يعتـــبر الغـــزالي في الجزائـــر المجدد الذي أعاد للجزائريين ما أحياه في أوساطهم " عبد الحميد بن باديس" و " الإبراهيمي" من روح الدين الإسلامي.

و نظـــرا لثقل المسؤولية و الأعمال المرهقة في رد كيد الأعداء و مخ جهال المحـــيطين به ، تعب الشيخ و أصيب بأزمة قلبية و بعد فترة غادر الجزائر عائدا إلى مصر سنة 1989م تاركا صوته المنبه في قلوب المخلصين من الجزائريين الذين حزنوا لرحيله.

---

[1] **محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر . ج5 . ص 206. و انظر : علاء محمد الغزالي : السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي ، ضمن العطاء الفكري للشيخ محمد** الغزالي.ص 193

عمار طالبي : الشيخ الغزالي كما عرفته في الجزائر.ص 80

و بالرغم من مغادرته الجزائر بقي يتتبع أخبار هذا البلد الذي أحبه، و دعا له بكل خير يقول في أحد كتبه :" و قد تركت الجزائر بضع سنين و لكني كنت أتابع أخبارها ، أبتهج لها بخير ، و أنقبض لها بحزن." [1]. و بعد منع الأذان من التلفاز الجزائري ، و سمع بذلك من إذاعة لندن كتب تحت عنوان :"كبوة في الجزائر " يسجل رأيه في الموضوع يقول :" و قد سمعت من إذاعة لندن أن الأذان منع من التلفاز الجزائري فلن يعلن بعد اليوم و أن ذلك يتم إرضاء للفرنكفونية التي تريد تجريد المجتمع من الصبغة العربية و الإسلامية لينفسخ المجال أمام الثقافة الفرنسية وحدها..إن الأذان لا يستغرق أكثر من دقيقتين ، فهل الإذاعة التي تسرف في اللهو و التسلية تضيق بهاتين الدقيقتين؟" [2].

و كتب الشيخ عن وجوده في الجزائر و نشاطه فيها ،في مواضع كثيرة وبقي دائما يذكر أن هذا البلد أكرمه و قدره يقول :" إن الجزائر حكومة وشعبا أخجلتني من كثرة ما كرمتني و قدرتني "[3].

و قد بقي طلبة الجامعة التي احتضنتها و احتضنته أوفياء له ، و أصبح فكره يحيا دوريا كل سنة في ذكرى وفاته (ملتقيات الشيخ محمد الغزالي)و في غيرها.

ز- شهادة بعض علماء العصر له:

لقد فجع العالم الإسلامي كله بفقدان الشيخ محمد الغزالي،و رأى علماء المسلمين في رحيله غياب الراية التي كانوا يحتمون بها و يستمدون منها القوة والشجاعة في مواجهة الباطل .

يقول محمد عمارة :" لقد كان الشيخ الغزالي الراية التي نحتمي بها و كانت شجاعته تعطينا الشجاعة في مواجهة الباطل ، و خشيته لله تعطينا الطمأنينة على أننا نسير على طريق ا لحق فلأكثر من نصف قرن كان الغزالي مالكا لقلب و عقل الفقيه ولتجربة العالم الشجاع، و المجاهد المرابط على ثغور الإسلام.

---

[1] محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر .ج 5ص 206.

[2] المصدر نفسه : ج 5 .ص 206

[3] محمد الغزالي : الحق المر : ج 3 .ص 26

و لقـــد أدركت و أنا الذي سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين مـــن أعلام الفكر الإسلامي ، وكتبت عنهم الكتب و الدراسات – أدركت أنني حـــيال الشـــيخ الغـــزالي لست بإزاء مجرد داعية متميز أو عالم من جيل الأساتذة العظماء، أو مؤلف بارع غزير الإنتاج ، أو مفكر متعدد الاهتمامات ، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الإسلام لتتجدد به حياة المسلمين ، أدركت أنني بإزاء جميع ذلك ، و أكثر منه و أهم ، فالرجل صاحب رسالة ، جعل من حياته و من ثمرات فكره و قلبه مشروعا فكريا متكاملا ، هو عطاء مواهبه العدة الذي قدمه في ميدان تجديد الإسلام و إنهاض أمته " (1).

و يقـــول عـــبد الحليم عويس :" سيبقى الشيخ محمد الغزالي قمة من قمم فكرنا الإسلامي ، وسيبقى داعية أدى دوره في حدود إمكاناته البشرية التي تخطئ وتصيب ، لكنه الداعية الذي عاش في مصر و في غير مصر أكبر من كل المناصب و الإغـــراءات ...واجه رؤساء الدول و واجه نظما شيوعية و اشتراكية و علمانية وقومـــية لا دينـــية .. و قامت الجماهير بأقوى مظاهرات وراءه تطالب بتحكيم الإســـلام ، و برفض الانسحاق أمام الإيديولوجية المستوردة أو المفروضة علينا من الشرق أو الغرب : أيام كان هناك شرق !! .

كان يقال عنه في الجزائر أنه ثاني اثنين أولهما عبد الحميد بن باديس " رحمه الله " بعـــثا الصـــحوة الإسلامية فبي الجزائر . و علما الأمة الجزائرية كيف تحب الإســـلام ، و كـــيف تدرك أن الإسلام بعلم و حق هو أعظم الأديان و أصدق الأديان " (2).

أما القرضاوي فيقول عنه:

"لقد عرفت الشيخ منذ نحو نصف قرن فعرفت فيه العقل الذكي ،و القلب النقي ،و الخلق الرضي ،و العزم الأبي و الأنف الحمي ..عرفت الغزالي فما عرفت فـــيه إلا الصدق في الإيمان والفم الدافئ القول و الإخلاص في العمل و الرشد في

---

(1) نقلا عن : أحمد مصطفى فضلية . الإمام محمد الغزالي و شهادة التاريخ . ص 83-84

(2) عبد الحليم عويس : صور من حياة مجاهد عظيم و دراسة لجوانب فكره . ص11-12.

الفكـــر و الطهـــارة في الخلـــق و الشجاعة في الحق و المعاداة للباطل و الثبات في الدعـــوة و المحـــبة للغير و الغيرة على الدين و الحرص على العدل و البغض للظلم والوقـــوف مـــع المستضعفين و المنازلة للجبابرة و المستكبرين مهما أوتوا من قوة عرفـــت الشيخ الغزالي فعرفت رجلا يعيش للإسلام وحده ،لا يشرك به شيئا ولا يشـــرك بـــه أحدا ،فأيما عدو اقترب من قلعة الإسلام يريد اختراقها صرخ بأعلى صوته يوقض النائمين و ينبه الغافلين"[1].

حـــ- آثاره :

لقـــد ترك الشيخ الغزالي ثروة فكرية غزيرة ، إذ كان داعية غزير الإنتاج يخطـــب في المساجد و يحضر الملتقيات و الندوات في جميع بلدان العالم الإسلامي ويدرس طلبة الجامعات و يكتب في الصحافة .

لقد كان يرد على كل متربص بالإسلام و يوضح حقيقة الدين الصحيح فيرشد الصحوة ، ويهدي الحيارى في مسائل الدين و الحياة.

لقد بدأ الشيخ الغزالي التأليف في سن مبكرة ،و كان أول مؤلفاته "الإسلام و الأوضاع الاقتصادية "سنة1947[2] ،ثم استمر عطاؤه على مدار نصف قرن ترك فـــيها للمسلمين ثروة فكرية تناولت جميع قضاياهم ،يقول علاء محمد الغزالي في كتابات الشيخ " الشيخ الجليل لا يكتب من فراغ أو استهلاك لوقت تائه ، بل كـــل كلمة عناها و قصدها ، خرجت من مشاعر قلبه رد فعل لموقف أو هجوما على هامز أو لامز ،لا يعبأ بالرهبة التي تخيف الناس ، فهو متعلق بالله لا يقع على الأرض أبدا ، ولا ينسحب من الهجوم ليفر من الزحف ، يجابه التيار بكل ما ملك مـــن قوة ، إنه الرجل الذي أرخ للأوضاع الاقتصادية و تأمل في الدين و الحياة ، وصد الزحف الأحمر عن الإسلام ، وقابل مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، وانصـــف الإســـلام من المناهج الاشتراكية و الرأسمالية، ونطق الحق المر و تعمق بـــنظرات في القرآن و أفهم السنة لضعاف البصيرة و علمنا من هنا نعلم واستبعد

---

[1] نقلا عن: أحمد مصطفى فضلية : الإمام محمد الغزالي وشهادة التاريخ .ص 59

[2] محمد عمارة :الشيخ محمد الغزالي. الموقع الفكري والمعارك الفكرية . ص 25

ما ليس من الإسلام ، وحدد معالم الحق و عاش مع الله في الدعوة والدعاة وقف مجاهدا في معركة المصحف في العالم .

و عرفنا كفاح الدين ، و أجاد الدفاع عن العقيدة و الشريعة و رسخ ركائز الإيمان بين العقل و القلب ، و حذر من حصاد الغرور ، و أطلق قذائف الحق و أوفى الجانب العاطفي من الإسلام حقه ، عرف فن الذكر و الدعاء ووضع دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين و حمل هموم الداعية و سقط والقلم السيف في يده "[1].

و قد ترجمت كثير من كتب الشيخ الغزالي إلى الإنجليزية و الفرنسية والأوردية وغيرها و قد ألف ما يقارب من 58مؤلفا مطبوعا [2].

ط – وفاته :

دعي الشيخ الغزالي إلى حضور مهرجان "الجنادرية " الذي يقام بالرياض سنوات عديدة إلا أنه كان يعتذر عن حضوره ، و في سنة 1996 م قبل الدعوة وفي قاعة "الملك فيصل " للمحاضرات صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها مساء يوم الجمعة:17 شوال 1416هـ الموافق ل 09 مارس 1996م[3].

و قد طلب ابنه المهندس ضياء الدين من سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز أن يدفن الشيخ في المدينة المنورة إلى جوار النبي صلى الله عليه و سلم فسأله: هل هذه وصية الشيخ ؟فأجاب بالنفي ، و لكنه يحبذ ذلك فقبل الأمير ذلك بصدر رحب وأبلغ العاهل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز ، فاستجاب العاهل

---

[1] **علاء محمد الغزالي : السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي . ضمن العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي (حلقة دراسية) . ص 196-204.**

[2] **المرجع نفسه : ص 184-185.**

[3] **محمد عمارة : الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري و المعارك الفكرية . ص 17.**

وانظر : عبد الحليم موسى: محمد الغزالي تاريخه وجهوده و آراؤه .ص 15

السعودي لرغبة ولد الشيخ ، و نقل يوم الأحد إلى المدينة المنورة و دفن إلى جوار قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عيه و سلم [1].

و في رثائه يقول عصام الغزالي :

أتم الشـــوط بـــالموت المثالي ... و كـــان البدر في داجي الليالي
و قـــام عـــلى المنابر لم يدعها ... إلى أن أنـــاء شـــد الـــرحال
فحـــف من احتفال في أناس ... و شـــف إلى الملائك في احتفال
و قال : على رسول الله صلوا ... دعاني الله شـــوقا أو دعا لي
ســـلام الله يـــا أهلي عليكم ... فـــأهل الله ياأهـــلي حـــيالي
تركـــت العلم لم أترك يتامى ... ســـوى طـــلاب العلم هم عيالي
خلت منك المنابر من سيرقـــى ... و يسبح بعد سبحك في المجال[2]

ي- ثقافته و عصره و صلتهما بوصله بين العقيدة و الشريعة :

1 - إن المتتبع لحياة الشيخ محمد الغزالي و مؤلفاته ، يلاحظ أنه قد عايش أهم أحداث القرن العشرين ، و عاش نكبات العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانـــية ، فقـــد كانت أغلب الدول الإسلامية تعيش تحت سيطرة الاستعمار أو الوصاية الأجنبية . و لم يكن محمد الغزالي مجرد متفرج على الأوضاع ، بل كان يحـــتك بها و يعيشها ، و كان من أعضاء حركة الإخوان المسلمين التي تدعو إلى الإحـــياء الشامل للإسلام ، فعايش الأحداث السياسية في عهد كل من الملك فؤاد والملـــك فـــاروق و أدرك عصر عبد الناصر و السادات و مبارك[3]. كان يرى أن الإسلام و الاستبداد ضدان لا يلتقيان ، فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم وحده ، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية سياسية عمياء[4].

---

[2] مجلة التصوف الإسلامي . ع11 . أفريل 1996. نقلا عن : عمر عبد الله عبد الرحيم، فكر الشيخ محمد الغزالي في إطار مدرسة الإصلاح الإسلامي في مصر. ص 210.
[2] مجلة الأزهر : ج3 . 29 ربيع الأول سنة 1417 هـ . نقلا عن : أحمد مصطفى فضلية : الإمام الغزالي و شهادة التاريخ . ص 179.
[3] رمضان خميس الغريب : محمد الغزالي . حياته و عصره و أبرز من تأثر بهم . ص 154.
[4] محمد الغزالي : الإسلام و الاستبداد السياسي. ص 28.

و يـــرى الشـــيخ أن الإســـلام جاء لحماية الفطرة من الاستبداد الأعمى فحـــررها بشهادة التوحيد من كل الوثنيات . و قد اهتم بمفهوم السياسة و الحكم في الإسلام في كثير من كتبه ، منها : الاستبداد السياسي ، من هنا نعلم ....وكان في ذلك واصلا لنظم الإسلام بعقيدته لأن الخلل آت من هذا الفصل.

2- تميز العصر الذي عاش فيه محمد الغزالي بانفتاح العالم الإسلامي كليا عـــلى الحضارة الغربية و الانبهار بها ، فظهر التأثر بالناحية الاجتماعية مما أدى إلى انتشار دور البغاء ، و أوراق اليناصيب ، و التمرد على كل ما هو قديم في أوساط الشباب[1]، فأدى ذلك إلى الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي ، فكان ذلك دافعا إلى الاهـــتمام بالإحـــياء الديـــني إحياء شاملا للقضاء على الانحراف الاجتماعي ومظاهـــر الـــتدين المغشوش ، و قد ألف في ذلك : هذا ديننا و ظلام من الغرب و الغزو الثقافي يمتد في فراغنا ...

و في مجال الإصلاح الاجتماعي و الدعوة إلى تحكيم الشريعة كان للغزالي مواقـــف ضد دعاة التغريب . و من ذلك (المؤتمر الوطني للقوى الشعبية 1962م) الذي عقده جمال عبد الناصر . و تحدث فيه الغزالي مناديا بضرورة استقلال الأمة في تشـــريعها و بوجـــوب تميزها في تقاليدها و أزيائها ، فلا تكون نسخة مشوهة للغرب[2].

إلى جانب موقفه من قانون الأحوال الشخصية الذي عرف عند المصريين ب(قـــانون السيدة جيهان) ، حيث هاجمه الشيخ الغزالي هجوما عنيفا[3] متهما دعاته بإبعاد الشريعة و الاعتماد كلية على القانون البشري .

عـــلى المستوى الفكري انتشرت الفلسفة الوجودية و الماركسية و الفكر العلماني ، فكان لا بد أن يوجد من يواجهها بالعرض الجيد للإسلام . و لعل أهم

---

[1] رمضان خميس الغريب : الشيخ محمد الغزالي حياته و عصره و ابرز من تأثر بهم . ص 160-161

[2] يوسف القرضاوي : الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن . ص 30.

[3] المرجع نفسه: ص 299.

مـا يواجه الشريعة الإسلامية من تحديات - حاليا- الحركة الاستشراقية و الفكر العـلماني باستهدافهما تجزئة الدين الإسلامي و حصره في المفاهيم العقدية . فاهتم الشـيخ الغـزالي بالـرد على الهجوم على الإسلام و عرضه كلا متكاملا عقيدة وشريعة .

3- كما أن اشتغال الشيخ بالدعوة و التعليم مكنه من معرفة علل العصر الـذي يعيشه فأدرك أن من أسباب الفصل بين العقيدة و الشريعة الموروث الثقافي الـذي لا زال ينشـر في أوساطنا عقيدة الجبر و تعطيل الأسباب ، و الجنوح إلى التصوف السلبي ، فدفعه ذلك إلى توضيح حقيقة الدين الإسلامي لأبنائه عقيدة و شـريعة والدعوة إلى النظرة الشمولية للإسلام . و ساعده على ذلك إحاطته بما يتعلق بعلوم الدين : العقيدة و الفقه و التفسير و الحديث ...

ثانيا : إصلاحاته و علاقتها بالوصل بين العقيدة و الشريعة:

1- إصلاح التعليم :

كنـت قـد تعرضـت في الفصل الأول إلى مجموعة من أسباب حدوث الانفصـال بـين العقـيدة و الشريعة في واقع المسلمين ، وكان من بينها أسباب منهجـية .و سـأتعرض هنا إلى اهتمام الشيخ الغزالي بالتعليم كسبب من هذه الأسباب و ما هي الحلول التي يقترحها .

اهـتم الشـيخ بإصلاح التعليم لأنه يرى أن المؤسسات التعليمية هي التي تصنع الأفكار و توجهها ، و قد دعا إلى إصلاح التعليم في جميع بلاد المسلمين لما لحقـه من قصور أدى إلى تخلف الأمة الإسلامية عن الركب الحضاري ومن أهم المناحي التي وقف عندها كثيرا :

أ- فصل التعليم الديني عن التعليم المدني :

و هو يرى أن هذا الفصل من المخططات التي نجح الاستعمار في تحقيقها في وسـط المسلمين، فقد كان المسلمون قبل الغزو الاستعماري ، لا يفرقون بين علم شرعي وعلم مدني يقول: :" إن الاستعمار تمكن من فصل التعليم المدني عن التعليم

الديـــني في بـــلاد الإســـلام كلها و هو شيء لم يعرف في تاريخ الإسلام طوال العصور الماضية ، بل إنه قسم التعليم الديني نفسه أقساما شتى و ينتج عن ذلك أن تخرج أئمة و وعاظ و دعاة للإسلام لا يعرفون إلا 1 % مما يجب أن يعرف [1].

أحدث هذا الفصل شرخا كبيرا في عزل المسلم عن الحياة الحضارية ولهذا نجـده في كـــل مؤلفاته يؤكد على ضرورة الاهتمام بالكون ، لأن المستعمر كان يهـــدف مـــن وراء الفصل بين التعليم الديني و المدني تجهيل المسلمين بما يمكنهم حضـــاريا ، و الاهـــتمام بهذه الناحية في نظره يرقى إلى مستوى العبادة وأوضح الشيخ أن الإسلام لا يقوم على جامعات لاهوتية ، و لا على جامعات علمانية بل لابـــد أن يرسخ في تصور المسلم بأن طلبه للعلم المادي إذا كان مبنيا على أسس إسلامية هو أيضا عبادة لله ،فلا بد من الجمع بين العلمين يقول :" و أحب أن أنبه إلى أن كـــل قصور في العلوم المدنية لا يزيد دارسي الدين إلا خبالا ، لأن الإسلام ديـــن لا ترسخ قواعده ، و لا تنضج معارفه إلا في جو علمي واسع الآفاق ، و لا أدري كـــيف يفهم عظمة القرآن الكريم رجل لم يدرس علوم الأرض و السماء و ما بينهما"[2].

و كـــان الشيخ الغزالي معجبا بآراء حسن البنا في هذا المجال ، يقول :" ما أزال أذكـــر باحترام عميق نصح حسن البنا لطلاب الإخوان في كليات الحقوق والتجارة ، لقد أمرهم بالبقاء في كلياتهم و الإستبحار في علومها حين نصح البعض لهـــم أن يتركوها لأنها تدرس القوانين الوضعية ، و الأعمال الربوية قال لهم : لمن تـــتركون هـــذه الدراسات ؟ إن تركها يضر الإسلام و أمته ، أقصدوا أن تخدموا الحكم بما أنزل الله ، و أن تقيموا صروحا اقتصادية سليمة " [3].

---

(1) محمد الغزالي: مع الله . ص 141
(2) محمد الغزالي: علل وأدوية .ص 149
(3) محمد الغزالي : الغزو الثقافي يمتد في فراغنا.ص 73

و يعـــرض الشـــيخ الآثار السيئة التي نتجت عن الفصل بين التعليم الديني والمـدني،حيـــث أصبحت جامعة الأزهر تأخذ الناجحين الأوائل لكلية المعاملات والإدارة ، و ترمي بالمتأخرين إلى الشريعة و الدعوة .

بـــل إن جامعـــة الأزهـــر كلها لا يتوجه إليها إلا من يئس من الالتحاق بإحدى الجامعات الأخرى ، و يحذر الشيخ من هذه السياسة ، فحين يخص التعليم المدني بالكفايات و يرمى التعليم الديني بالنفايات فمستقبل هذا الدين مهدد ويرى الشـــيخ أن تعليم الدين يحتاج إلى عقل فيلسوف و عاطفة أديب ، و دقة مشرع ، وشجاعة فارس ، وبر والد ، و إيناس صديق [1] .

كمـــا نقد الشيخ التعليم الديني في كتابه " كيف نفهم الإسلام" ولاحظ عليه هذه المآخذ :

1- فقـــدان الخصـــائص الذهنـــية و النفسية التي ترشح أصحابها للعلوم الدينـــية، فلـــيس كـــل امرئ يصلح — مهما بلغت — ثقافته أن يشتغل بالنواحي الروحية ، أو الجوانب الإلهية في دنيا الناس . و نتج عن ذلك تكوين مجموعة الأئمة يشـــتغلون بما يكرهون العمل فيه ، و هؤلاء لا تؤمن جوانبهم و الدولة تحمل تبعة هذه الغضاضة[2].

2- التخصـــص المـــبكر قـــبل تحصيل ثروة محترمة من المعارف الإنسانية والدراســـات الكونية التي لابد منها قبل التوفر على علوم الدين ، و يعلل الشيخ ذلـــك بكـــون القرآن الكريم تعرض لمسائل نفسية و لمسائل اجتماعية و تشريعية يتطلـــب الخوض فيها طاقة ذهنية عالية ،فلا بد من التزود لذلك بمختلف العلوم ، فـــلا بـــد من الاطلاع على المسائل الإنسانية التي تشبعت و استبحرت في علوم الـــنفس و الاجـــتماع والأخلاق ، و كذلك في علوم النبات و الحيوان و الطبيعة والكيمياء[3].

---

[1] محمد الغزالي : معركة المصحف في العالم الإسلامي. ص 126.
[2] محمد الغزالي : كيف نفهم الإسلام . ص 32-33.
[3] محمد الغزالي : ص 34-36.

3- ضـــعف الاستيعاب لجملة الحقائق التي جاء بها الإسلام ، و الغلو في تقديـــر الأجـــزاء المبتورة التي تتاح معرفتها للبعض مع القصور في معرفة الأجزاء المكملة الأخرى مع ما يكون لها من خطر و أثر [1].

4- الانفصال بين العلم الذي يتعلم و شخصية العالم :

فهـــناك مجموعـــة من الدعاة لا تصدق أحوالهم أقوالهم :يتحدثون عن الله والآخـــرة و العـــبادة و التقوى لكنهم لا يعملون بمقتضى ذلك إلى جانب وجود مجموعة منهم تسللت إلى أنفسهم جرثومة التحاقد و التحاسد ، و يرى الشيخ أن احـــتراف التعلـــيم في أي مهـــنة أو صناعة قد يقبل إلا في مجال التعليم الديني ، فاحترافه لا يعتبر عملا للإسلام إلا إذا صحبه العمل و الخلق [2] . ولذلك يقول -تـــبارك وتعالى-:{ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** }[3].

و بعـــد تحليل هذه المآخذ يقرر الشيخ أن قلة شأن التعليم الديني و هوان شأنه يرجع إلى سببين رئيسيين :

الأول : عـــدم الوفـــاء بتأدية رسالة الإسلام من قبل من يحكمون باسم الإسلام و اتباعهم أهواءهم.

الـــثاني : سياســـة التغريـــب التي سلكها المستعمر و التي تهدف إلى عزل الإسلام عن الحياة ، و التي بقي لها أتباع من بعد رحيل المستعمر في سلوكهم العام و مثلهم العليا [4].

الحلول التي اقترحها للإصلاح:

كافح الشيخ من أجل إيجاد تعليم شامل يهيئ الأمة كلها للسير وفق نظام روحـــي و عمـــلي رتيب يجعل المدن و القرى و الشباب و الشيوخ متجانسين في

---

[1] المصدر السابق : ص 36-37.
[2] المصدر نفسه : ص 39-42.
[3] البقرة / 44.
[4] محمد الغزالي : كيف نفهم الإسلام : ص 44.

سلوكهم العام و مثلهم العليا[1] و لإصلاح التعليم يرى أن تتبع مجموعة من الخطوات :

أ- القضاء على الفكرة التي غرسها المستعمر وسط أبناء الأمة الإسلامية وهي النفور من إرسال الأبناء لتعلم الدين ، و هو في الحقيقة شرف لهم [2].

ب- مزج التعليم الديني و التعليم المدني يقول :" و نحن نكره انقسام التعليم إلى ديني و مدني ، و نرى للخروج من المأزق الذي خلقه الاستعمار أن يوحد التعليم كله على أساس أن تكون للدين برامج دقيقة شاملة تنظم أدواره كلها من المراحل الأولى إلى صفوف الجامعة العليا "[3] ويرى أن تقديم أقساط كافية من العلوم الشرعية لجميع المتعلمين يمكن من تخريج رجال للإسلام في كل الميادين.

جـ- الاهتمام بدراسة التاريخ الإسلامي ، و تاريخ الإنسانية قديما وحديثا ، و فتح مجالات الدراسات الواعية للتاريخ [4].

د- الاهتمام بتكوين فئة خاصة عملها البارز الفقه في الإسلام والإحاطة بعلومه ، تتكفل فيما بعد بنقله إلى العامة ، وفق تربية سليمة و استيعاب حكيم للنصوص ، لأن أغلب النكبات التي أصابت المسلمين كانت بسبب قلة العلماء الراسخين والخبراء الفاقهين [5].

و قد تتبع الشيخ الغزالي مختلف التخصصات في العلوم الشرعية و تتبع عثراتها و بحث في كيفية إصلاحها و جعلها واصلة بين العقيدة و الشريعة ، و أهم هذه العلوم :

---

[1] المصدر السابق : ص 46.
[2] محمد الغزالي : معركة المصحف في العالم الإسلامي . ص 127-128.
[3] المصدر نفسه : 130.
[4] محمد الغزالي : علل و أدوية . ص 147.
[5] محمد الغزالي : كيف نفهم الإسلام . ص 20-21.

ب - تعليم القرآن :

رأى الشـــيخ في المـــناهج الشائعة في بلاد المسلمين بالنسبة لتعليم القرآن قصورا كبيرا إذ تركز على الناحية الشكلية فقط فإذا كانت تقدم ببعاوات تجيد إن كانت صيتة – موسيقى الأداء ، و إن كانت غير صيتة تجيد الحفظ العادي فما الفائدة المرجوة من ذلك ؟.

و يـــرجع الخلـــل الموجود على هذا المستوى إلى طريقة التدريس و مناهج التربية ، و مناهج التعليم في مؤسسات تحفيظ القرآن نفسها ..[1].هذه لم تستطع أن تكـــون أداة توصيل بين الجيل و بين القرآن الكريم و مواريثه الثقافية.. فصار هناك توارث للتخلف و المرض [2].

ويسعى الشيخ إلى أن تطرح القضية للناقشة من قبل علماء متخصصين في التربـــية وعـــلم نفس الطفل للتوصل إلى طريقة تجمع بين الحفظ لاستمرار التواتر القرآني ، وفي الوقت نفسه الانتفاع بالمعاني القيمة التي يحملها ، فمما لا شك فيه أن الحافظة في السن دون العاشرة تكون أقوى و أقدر و كلما تقدمت السن قلت هذه الملكة فلابد من استثمارها و لكن لا يقتصر على ذلك فقط بل يجب التدرج مـــع الحافظين في إعمار عقولهم بالمعاني التي تتناسب و سنهم و تعويدهم البحث فيما وراء الألفاظ [3].

و قـــد تعـــرض الشـــيخ إلى نقد مدارس التفسير المختلفة و يرى أن هذه المـــدارس خدمت التفسير إلا أنها حملت إساءات كبيرة للفكر القرآني ، ومن هذه الإساءات النظرة الجزئية يقول :" القرآن ليس كتابا فنيا مقسما على قضايا معينة، ثم تنقطع فيه الرؤية الشاملة ، بل هو يعرض الكون و هو يبني العقيدة... و يعرض الكون وهو يربي الخلق ...و يمزج بين الجميع بطريق مدهشة..."[4].

---

[1] محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن : ص 56.
[2] المصدر نفسه : ص 55-56.
[3] المصدر نفسه : ص 33.
[4] المصدر نفسه : ص 42.

إن هذه النظرة الشاملة هي التي تعطي الحلول للأزمات الحضارية لأنها تعالج جميع جوانب الحياة ، فلا تهتم بالعقيدة و تهمل التشريع ، أو تهتم بالأخلاق و تترك الجوانب الأخرى . فأي نظرة جزئية تساوي شل المناحي الأخرى للتفاعل مع الحياة وبالتالي تتسبب في التراخي ثم الانسحاب الحضاري إن القرآن في نظر الشيخ غذاء متكامل العناصر يغذي البشر تغذية كاملة .

" إن الرؤية القرآنية لا يمكن أن تكون إلا حضارة كاملة ...فأخذه على أنه مجموعة قصص مثلا ، و دراسة فن القصة على أساس أن القرآن كله قصص لا يمكن أن يكون تصويرا صحيحا للقرآن ... و كذلك الأحكام الفقهية التشريعية و المعتقدات الإلهية و الآيات التي تأمر بالنظر في الكون و آيات التربية ، وما إلى ذلك من تعاليم إسلامية ..هي متماسكة في عصارة واحدة تجمعها من أولها إلى أخرها و من المستحيل أن أنظر إلى القرآن النظرة الجزئية التي تجعلني أعيش في جانب منه و أنسى الجانب الأخر ...لا يمكن إطلاقا أخذ جانب من القرآن و إهمال الجوانب الأخرى لأنها جوانب يجر بعضها بعضا ، متماسكا ...و النظرة الجزئية عندما سادت الفكر الإسلامي نشأ عنها ما يشبه الجسم المشلول في بعض أطرافه، أو في بعض أجهزته مع بقاء أجهزة أخرى حية ...إنه لا يستطيع أن يؤدي وظيفته مادام الشلل أو الخطأ جمد بعض الأجهزة أو بعض الأعضاء" (1).

و للقضاء على النظرة الجزئية و تحقيق النظرة الشمولية دعا الشيخ إلى ضرورة النظر في المنهج . فقد طغى على تفسير القرآن الكريم المنهج الفقهي الذي يهتم بالأحكام التشريعية في حين أن قضايا القرآن متعددة و لا يمكن النظر إليها بهذا المنهج لوحده .

يقول :" فالقول بأن منهج دراسة الأحكام ينقل ليصبح منهجا لدراسة الأخلاق و دراسة التربية ، فهذا غير صحيح لأن كل منهج له ضوابط ، و لكل مقصد طبيعته و خصائصه ... و هذا يعني : أن أبحث عن الكلمة : هل هي عامة؟ هل هي خاصة ؟ هل هي مطلقة ؟ هل هي مقيدة ؟ ... و هكذا . لكن عندما

(1) محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن . ص 71.

أدرس الأخلاق مثلا ، أو التربية ، أو قصص الأمم ، أو الكونيات وما يتصل بها ، فما علاقة ذلك بهذا المنهج ؟ و لماذا يفرض على بقية المحاور القرآنية التي لها طبيعتها ومقاصدها و أدواتها و مناهجها ؟ ... لا يمكن أن يقبل هذا "[1].

إلى جانب إعادة النظر في المنهج دعا الشيخ إلى ضرورة النظرة المتكاملة لفهم النص القرآني ، فلا يؤخذ منه جزء و يترك جزء ، فلا بد من تجنب بتر النصوص لكي نعطي معانيها الصحيحة، و قد أعطى نماذج للنظر الجزئي الذي جر على المسلمين التحرك تحت مفاهيم و شعارات خاطئة منها:

- لإثبات أن العمل من صنع الله ، اعتمد أهل السنة على قوله -تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }[2]، و هذا الكلام لو صح ما كان عبدة الأصنام مسؤولين عن انحرافهم العقدي [3].

و لتجنب الوقوع في النظرة الجزئية يرى الغزالي ضرورة الاهتمام بالتفسير الموضوعي بشقيه ، يقول :" ربما كان إنشاء تفسير موضوعي من هذا النوع يكون فيه معالجة لهذا الواقع ، و منطلق ثقافي لرؤية شاملة و متوازنة ... يضاف إلى ذلك أن النظرة الموضوعية للسورة كاملة ، و معرفة الأوضاع التي تدور حولها ، يمكن أن تساهم أيضا بتكوين المنطلق الثقافي للرؤية الشاملة .."[4].

و يرى الشيخ ضرورة النظر إلى العلوم المختلفة في مجال التفسير على أنها وسائل لفهم السنن الإلهية : كعلم اللغة و الفقه و أصوله ... و ليست غايات . كما يرى ضرورة توجيه التفسير توجيها عمليا يقوم على توطيد علاقة الإنسان بالكون و يخرج أناسا يجيدون الحركة العملية في مختلف المجالات [5].

---

[1] المصدر السابق : ص 47.
[2] الصافات / 96.
[3] محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن .ص 73.
[4] المصدر نفسه : 73.
[5] محمد الغزالي : تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل . ص 124. و انظر : كيف نتعامل مع القرآن . ص 57-58.

جـ - تعليم العقيدة :

تميز تدريس العقيدة الإسلامية بطغيان منهج المتكلمين ، و الذي طبع بطابع الفلسفة اليونانية ، و يرى الغزالي أن من أسباب انحطاطنا وقوفنا عند أفهام المتكلمين للعقيدة ، هذه الأفهام التي جنحت إلى التجريد و الخوض في قضايا لا تجني من ورائها إلا الخصام و الفرقة و قد اعترض على تراث المتكلمين شكلا ومضمونا " فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن و شرح وحاشية ، و تقرير ، وفي لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء ...على أننا إذا تغاضينا عن الشكل و تعرضنا للجوهر بالنقد و التمحيص لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان و غيرهم "[1].

و في مواطن كثيرة من كتبه يؤكد الغزالي أن الشطط الذي أصاب هذا الجانب من الثقافة الإسلامية يرجع بالدرجة الأولى إلى الانبهار بالفلسفة اليونانية ،فقبل ترجمتها كان المسلمون يجيدون فهم نصوص القرآن و السنة و يتفاعلون معها تفاعلا إيجابيا،فأبدعوا في جميع مناحي الحياة و ذاقوا حلاوة الإيمان المحرك.يقول :" و الواقع أن علم العقيدة عندنا لما اتسم بالجدل و أضفت عليه فلسفة يونان الأخذ و الرد، والبحث و التنظير تحول إلى علم جاف عقيم و أمسى قدرة عقل على الاستدلال لا قدرة قلب على تذوق حلاوة الإيمان و يجب أن نعود إلى قواعدنا الأولى "[2] .

و يقول : " و ليست المسلمين ما قرؤوا هذه الفلسفة و لا صححوا لها ترجمة ، إن إثمها أكبر من نفعها ...و من الخير أن نعود إلى ينبوع القرآن نستقي منه و نستفيد ، فذاك أولى و أصح.."[3].

---

[1] محمد الغزالي : عقيدة المسلم . ص 13-14.
[2] محمد الغزالي : سر تأخر العرب و المسلمين . ص 101.
[3] محمد الغزالي : تراثنا الفكري في ميزان العقل و الشرع . ص 82.

لقـــد رأى الغـــزالي في الرجوع إلى القرآن الدواء الذي يريح المسلمين مما أصابهم من آفات ، و قد اتبع هذا المنهج في عرضه للعقيدة في كتبه: عقيدة المسلم المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ركائز الإيمان بين العقل و القلب ....و لعل أهم ما كان يسعى الغزالي لتحقيقه في الدرس العقدي ما يلي :

1- تنقيـــته من الخلافات القديمة : أولا للنتائج السلبية التي تترتب عليه ، وثانيا لتغير الخصوم و الشبه.

2- توجـــيه العقل إلى الاهتمام بالمحكم من التنزيل " و أرشد المسالك أن نهـتم بـــالمحكم من التنزيل و نصرف إليه اهتمامنا و أن نتجاوز المتشابه فلا نحاول إعمال الفكر فيه إذ ليس للعقل مجال فيما وراء المادة "[1].

3- الاهتمام بإشراف العقيدة في كل مناحي الحياة الإنسانية " و الحق أن إشراف العقيدة يجب ألا يغيب عن عمل ما ، و أن عروة الإيمان يجب أن تشتبك بكل تصرف ، و أن مراقبة العزيز الحكيم يجب أن تضبط كل عاطفة ... و الناحية الانســانية في العقائد جليلة الخطر ، ليس يدرك مكانها إلا حكيم معني بالأهداف العليا للتربية الدينية "[2] .

4- و لتحقـــيق هذه الأهداف لابد من إعادة تنزيل منهج القرآن الكريم لـــدرس العقـــيدة ، هذا المنهج الذي يجمع بين خطاب العقل و القلب معا و عدم تغليب جانب على الآخر.و كل هذه الأهداف التي كان يتوخاها الشيخ تسعى إلى الوصل بين العقيدة و الشريعة.

د – تعليم الفقه :

عاب الغزالي على علماء المسلمين حصرهم لمفهوم الفقه فيما هو متعارف بينهم اليوم : عبادات و معاملات في حين تثبت نصوص القرآن الكريم أن المقصود بهذه الكلمة أوسع من ذلك فهناك فقه للفلك و فقه للنفس و فقه للأخلاق و فقه

---

[1] محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الإسلامية . ص 118.
[2] محمد الغزالي : كيف نفهم الإسلام : ص 138.

للحضـــارة إن كـــلمة الفقه في القرآن تعني الفقه الحضاري بكل ما تشتمل عليه كـــلمة حضـــارة من أبعاد و ليس ما اصطلح عليه الفقهاء أي استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية[1]. يقول- تبارك و تعالى-:{ **وَهُوَ الَّذي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** }[2] و قد نتج عـــن هذا التحديد لمفهوم الفقه إهمال الجوانب الأخرى للحضارة (ما يخرج عن المدلول المتعارف للفقه).

و يـــرى الغزالي أن الفقه بالصورة التي وصل عليها إلينا و التي تدرس في غالبيـــتنا اعـــتراه مـــا أصاب العقيدة من آفات مثل: التضخم و التجريد و إهمال مقاصد الشريعة . يقول :" و تقدم الفقه التشريعي حتى أصبح تجريدا ذهنيا جامدا بعيدا عن واقع الأمة غير قادر على قيادة حركة الحياة و الأحياء ، و أرى في ذلك انقـــلاب الوســـائل غايات لقد غلبت الآلية إلى درجة كادت تغيب معها مقاصد الشريعة "[3].

و يرجع الغزالي السبب فيما أصاب الفقه من انحصار إلى انفصال العلم عن الحكم ، إذ غلب على — العلماء الرغبة في عدم الاصطدام بالحكام فأهملوا كثيرا من قضايا المسلمين و اهتموا بفروع الفقه [4].

هذا الكم من الفقه التشريعي أصبح يشكل حائلا بين المسلمين ومصدرهم الأصـــلي : القرآن الكريم . و يرى الغزالي أن تأسيس منهج العودة للقرآن الكريم يقتضي نزع فكرة القدسية عن فهوم البشر فهذه الفهوم وليدة ظروف معينة و قد يتغير الفهـــم بـــتغير الظروف.كما يجب الاقتناع بأن هذه الأفكار قابلة للخطإ والصواب فتتخذ وسائل يستعان بها ،وليس أصولا تحجبنا عن النظرة القرآنية [5].

---

[1] محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن . ص 68-69.
[2] الأنعام / 98.
[3] محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن . ص 65.
[4] المصدر نفسه : ص 65.
[5] المصدر نفسه: ص 166.

و يذكـــر الغـــزالي أن النظرة التجزيئية للفقه عزلت التشريع عن العقيدة والتشريع عن الأخلاق مما تسبب في ضياعنا . يقول :" فلقد أعقب ضياع الحكم وانفصـــال العـــلم عن الحكم أو الثقافة عن السياسة .انفصال آخر فيه خطورة شـــديدة عـــلى الأمة و هو أن العلم الإسلامي انقسم بين فقهاء و متصوفة مع أن التربية التي أساسها العقيدة و الأخلاق بطرق شتى توحد فقهاء يشتغلون بالأخلاق و التربية ،فكثير من هؤلاء فقدوا الناحية الروحية التي فيها حرارة و عاطفة (وهم الفقهاء)و كثير من أولئك فقدوا الناحية العلمية التي فيها ضوابط و قانون فنشأ عن هذا زلزلة في الفكر الإسلامي "[1] .

2- تصحيح المفاهيم العقدية المنحرفة :

أدرك الشيخ الغزالي أن هناك مجموعة من المفاهيم العقدية المنحرفة تسللت إلى أذهان المسلمين فكانت من أسباب انحطاطهم وتأخرهم عن الركب الحضاري ولذلك نلاحظ أنه لا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته من توجيه للفهم الصحيح لهذه العلـــل . وقد كان يحز في نفسه أن تهزم هذه الأمة وهي التي استقبلت هذا الدين العظـــيم . إن هـــذا الدين الذي بعث به محمد –صلى الله عليه وسلم –دين عمل يؤثـــر الواقع على الخيال والحقيقة على الظن ، ويؤثر الحركة الماضية في مرضاة الله عـــلى اللغـــو والشقشقة، وقد نجح سلف هذه الأمة لوعيهم بمنهج هذا الدين[2]. لكن أتباعه حين انحرفوا عن مفاهيمه السليمة ، وأساءوا فهم القواعد التي أرساها تراجعوا إلى الوراء ، وأدهم أعداؤه.

و من أهم هذه المفاهيم :

أ – الصلة بين الإيمان و العمل :

شـــكلت ظاهـــرة الفصـــل بين الإيمان و العمل خطرا كبيرا على التاريخ الإسلامي، و هي لا تزال تشل انطلاق الأمة إلى هدفها ، و يرى الغزالي أن الذين ذهـــبوا هـــذا المذهـــب كانوا جهلة بحق الله– تعالى –، و ما أوجب على عباده

---

[1] المصدر السابق : ص 66.
[2] محمد الغزالي : الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر. ص 62.

، كانوا عجزة عن صياغة المجتمعات و تحصينها ضد التحلل و العطب [1] و القول بأن العمل لا صلة له بالإيمان يوجه اتهاما إلى هذا الدين بأنه يحمل في ثناياه ما يهدمه[2] .

كما يذهب إلى ضرورة تنقية التراث الإسلامي من مثل هذا الفكر لأنه يرى فيه عبثا بالإسلام و خيانة لجماهيره و إظلاما لمستقبله [3] ، وقد أرجع الشيخ الغزالي ما أصاب المسلمين من كوارث و نكبات إلى سوء فهمهم للدين الإسلامي و بترهم له. و المتتبع لنصوص القرآن الكريم و السنة النبوية لا يمكن أن يصل إلى نتيجة غير الإقرار بالارتباط الوثيق بين الإيمان و العمل .

فعندما أعلن أهل الإيمان إيمانهم و قالوا {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[4] مع هذا الإخلاص في الدعاء أخبرهم الله – تبارك و تعالى – أن استجابته مشروطة بالعمل وحده . و أن تحقيق ما يطلبونه مرهون بتضحيات و جهاد و تكاليف [5] {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[6].والملفت للانتباه أن نصوص القرآن الكريم التي تؤكد هذه العلاقة المشروطة كثيرة جدا.

أما بخصوص أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، فإن الشيخ الغزالي يرى ضرورة عرضها ببصيرة في ميدان التربية و الوعظ فهي كالأدوية يعالج بها

---

[1] محمد الغزالي : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين . ص 105.
[2] محمد الغزالي : عقيدة المسلم . ص 140.
[3] محمد الغزالي : الجرعات الأخيرة من الحق المر . ج6. ص 146.
[4] آل عمران / 192-194.
[5] محمد الغزالي : عقيدة المسلم . ص 144.
[6] آل عمران /195.

المريض أمراضا محددة في الأمة . فمن أسرف على نفسه ووصل إلى درجة اليأس والقنوط فيبشر بواسع رحمة الله – تعالى –ومن تهاون و تكاسل يذكر بما يقرع مسامعه من الوعيد الشديد . إلا أنه يجب الفهم دائما أن النطق بالشهادتين بداية لما بعده من اعتقاد وعمل لا ما تذهب إليه الأبصار الكليلة و الهمم القاصرة من أن النطق وحده كافيا[1].

والمتتبع للأحاديث التي ورد فيها الاكتفاء بشهادة التوحيد و اعتمدها دعاة الفصل بين الإيمان و العمل تقابلها مئات من نصوص الكتاب و السنة التي تفند ذلك. كما أن ما أجمل في بعض أحاديث الرسول –صلى الله عليه و سلم – يفسر بما فصل في مواطن أخرى. فقد ورد عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه قال : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله "[2]. فهذا الحديث ضم بعض الأعمال إلى الشهادتين و علق عصمة الدم و المال على فعلها[3].

إن قيمة الوصل بين الإيمان و العمل يمكن أن ندركها من خلال خطورة النتائج التي تترتب عن الفصل بينهما . و الغزالي يحمل المرجئة سبب سقوط الحضارة الإسلامية و الاستهانة بالتكاليف التي حملتها هذه الأمة ، فكانوا من وراء ذهول المسلمين عن القانون القرآني : يقول تعالى :{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }[4] .

ب – الاعتذار بالقدر في ترك العمل :

عالج الشيخ الغزالي هذه العلة انطلاقا من واقع المسلمين ، فتخاذلهم وميلهم إلى الركود يؤكد سريان عقيدة الجبر في نفوسهم ، و إلا كيف نفسر هزائمنا

---

[1] محمد الغزالي : عقيدة المسلم . ص 146.
[2] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : الإيمان ، باب : {فإن تابوا و أقاموا الصلاة} حديث رقم 25. (1/ 24). و مسلم في صحيحه في كتاب : الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله . حديث رقم 33 (52/1).
[3] محمد الغزالي : عقيدة المسلم . ص 146.
[4] الزلزلة / 7-8.

على كل المستويات ؟ ويرجع الغزالي انهيار الدولة الإسلامية إلى فشو هذه الضلالة بين الناس فشوا أدى إلى انتشار المنكر بلا نكير وإهمال الواجبات بلا نصيح [1].

وقد أرجع الشيخ سبب خلط المسلمين في فهم عقيدة القضاء والقدر إلى سوء فهمهم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية . وقد اشتغل في جهوده الفكرية بإصلاح هذه الفهوم السقيمة ، فبالنسبة لنصوص القرآن الكريم ، دعا إلى ضرورة النظرة الشمولية إلى مجموع النصوص التي تتحدث عن الموضوع ، فحين نراجع هذه النصوص نجد تأكيدها على حرية الإنسان ، وكون العلم الإلهي كاشفا وليس مجبرا يقول:"كل ميل بعقيدة القضاء والقدر إلى الجبر تخريب متعمد لدين الله ودنيا الناس وقد رأيت بعض النقلة والكاتبين يهونون من الإرادة البشرية ، ومن أثرها في حاضر المرء ومستقبله ، وكأنهم يقولون للناس : أنتم محكومون بعلم سابق لا فكاك منه ، ومسوقون إلى مصير لا دخل لكم فيه ، فاجهدوا جهدكم ، فلن تخرجوا عن الخط المرسوم لكم مهما بذلتم .

إن هذا الكلام الرديء ، ليس نضج قراءة واعية لكتاب ربنا و لا اقتداء دقيق بسنة نبينا ، إنه تخليط جنينا منه المر ..." [2].

وكانت إجابة الشيخ الساخرة لمن يسأله عن الجبر والاختيار تحمل حسرة كبيرة على سوء فهم هدا الدين من طرف فئة كبيرة من أتباعه ، فكان يقول :

الإنسان في الغرب حر وله قدرة وفي الشرق مسير لا قدرة له ولا إرادة[3] .

ومن أهم النصوص القرآنية التي تؤكد على قدرة الإنسان وحريته : الآيات التي ربطت بين العمل والجزاء ومنها قوله –تعالى – : {فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ. ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ

---

[1] محمد الغزالي : عقيدة المسلم . ص 120.
[2] محمد الغزالي : المحاور الخمسة للقرآن الكريم . ص 35.
[3] محمد الغزالي : عقيدة المسلم : ص 123.

لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }[1] .- وقوله -تعالى- { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى }[2] -وقوله- تعالى:{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى.وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى.ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى }[3] -وقوله-سبحانه-{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[4]

-وقوله-سبحانه- { وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[5]

فلا احتجاج مع هذه النصوص البينة بقدر ولا مكان للجبر ،وعلى المسيئين لفهم القرآن ألا يعكروا صفو هذا الدين[6] .

أمـا بالنسبة لنصوص الحديث النبوي فإن الغزالي يرى وجوب دراستها دراسة واعية ، فقد ورد منها ما يفيد ظاهره الجبر ، وليس أمامنا حيالها إلا أمران :

أ- إما صرف هذه الظواهر إلى تأويل قريب.

ب- وإما اعتبارها آثارا بها علة قادحة تسقطها عن درجة الصحة ولذلك يكون إيرادها في مجال التربية والتعليم غير جائز[7].

ويساند الغزالي الذين يرون أن القائلين بالجبر أناس مغفلون ، فهم بتمسكهم بهذه العقيدة يعلنون عداءهم للدين ويتمادون في العصيان والاغترار والمؤسف أن غالبية المسلمين تساورهم هذه الظنون المجنونة إذ فهموا أن المثوبة والعقوبة حظوظ تأتي خبط عشواء[8] .

---

(1) فصلت / 27-28.
(2) طه / 15.
(3) النجم / 39-41.
(4) التحريم / 7.
(5) الأعراف / 43.
(6) محمد الغزالي : المحاور الخمسة للقرآن الكريم . ص 42.
(7) المصدر نفسه : ص 46.
(8) المصدر نفسه : ص 44.

ب -ترك الأخذ بالأسباب :

و إلى جانب شيوع مبدإ الجبر في أوساط المسلمين وجدت بينهم فلسفة انقطاع الصلة بين الأسباب و المسببات ، فالنار قد توجد و لا يوجد الإحراق والماء قد يوجد ولا يوجد الري . وهذا الخطأ وقع فيه الأشاعرة و كان هدفهم تنزيه الله -تعالى- وذلك بالرد على الفلسفة التي تجعل الأسباب خالقه ، و هم و إن كانوا يهدفون من وراء رأيهم إثبات السلطة المطلقة لله فقد أخطأوا لأن الرد لا يكون بنفي خواص الأشياء . " و قد تكون عبارات الأشاعرة جانحة إلى إثبات التدخل الإلهي في كل أمر ، و هذا يوهم النيل من قانون السببية ، و عندي أن هذا الجنوح يرجع إلى طبيعة الرد على الخصوم أكثر مما يرجع إلى جحد السببية خصوصا في المجالات المجنونة التي دارت رحاها في علم الكلام " [1].

و أوضح الشيخ الغزالي أن العقيدة الصحيحة في هذه المسألة ما قرره القرآن الكريم ، و تبناه السلفيون و المعتزلة ، فهم يقررون أن الأسباب حقيقة وهي مرتبطة بالمسببات و ليس من المعقول إنكار ذلك و سنة الله اقتضت أن تخضع المسببات لأسبابها ، و لكن خرق العادة ممكن وواقع [2] .

إن تعطيل قانون السببية جر على المسلمين هزائم كثيرة ، كما حدث الأمر نفسه بالنسبة لأوروبا حين سيطرت الكنيسة في القرون الوسطى و تبنت القول بأن النتائج من الله ، و ليست من الأسباب التي يفعلها الإنسان .و القوانين التي يضعها العلماء إنما يضارعون بها الله [3] ، إلا أنهم فيما بعد صححوا وضعهم .

لقد سرت هذه العقيدة – تعطيل الأسباب – بين عامة المسلمين في مختلف العصور فأهملوا الأخذ بالأسباب في جميع المجالات : السياسية و الاجتماعية والاقتصادية فأصبحت الأمة الإسلامية تتلقى الانتصارات و الهزائم دون وعي ودون أخذ العبر و بحث عن أسباب النصر و عوامل الهزيمة . و بحسرة يتساءل

---

[1] محمد الغزالي : دفاع عن العقيدة و الشريعة . ص 113. و انظر : محمد الغزالي : الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر . ص 70.
[2] محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن . ص 144.
[3] المصدر نفسه : ص 144.

لشيخ عن أسباب غياب تعليق العلماء و الساسة و القادة تعليق محاسبة للنفس بكيف لم توضع أي تقارير عن فساد الأمة الإسلامية و هزيمتها في الأندلس وغيرها من الأماكن ؟ [1].

و في الاستدلال على ارتباط الأسباب بالمسببات استدل الشيخ بآي القرآن الكريم ، و سنة الرسول -صلى الله عليه و سلم -و سيرته.

فمن القرآن الكريم :

يقول -تبارك و تعالى -:{ **أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ** }[2] فقد ذكر القرآن كلمة الأسباب حين أراد النتائج إشعارا بالتلازم الثابت بينهما . فالآية جاءت ردا على المشركين الذين استنكروا الرسالة – و هم القادة و السادة – فرد عليهم إن استطعتم تحويلها منه إليكم فافعلوا [3].

و يقول – تبارك و تعالى -:{ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**}[4] .

و يقول :{ **حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ** }[5].

و على هذه الآيات أورد الغزالي[6] تعليق ابن تيمية إذ يقول :" إن أهل الهدى والفلاح يثبتون علم الله و قدرته و مشيئته ووحدانيته و أنه خالق كل شيء وربه ومليكه و مع هذا لاينكرون ما خلق من الأشياء التي يخلق بها المسببات ...

---

(1) المصدر السابق : ص 53-54.
(2) ص / 10.
(3) محمد الغزالي : تأملات في الدين و الحياة . ص 36-37.
(4) الأنفال / 11.
(5) الأعراف / 57.
(6) محمد الغزالي : ليس من الإسلام . ص 181-182.

ومن قال إنه يفعل ما يريد عند وجود هذه الأسباب لا بها ، فقد خالف ما جاء به القرآن ، وأنكر ما أوجده الله من القوى و الطبائع "[1].

أما من السنة النبوية :

فقد أوضح الرسول — صلى الله عليه وسلم — لأتباعه أن الأخذ بالأسباب المشروعة من القدر ، فقد سئل -صلى الله عليه و سلم - :" أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها ، وتقى نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : "هي من قدر الله"[2]. وقال — صلى الله عليه وسلم -:" تداووا فإن الله — عز وجل — لم يضع داء إلا ووضع له دواء غير داء واحد : الهرم ."[3].

واعتقاد الرسول —صلى الله عليه وسلم —بارتباط الأسباب بمسبباتها جعله يرسم خطة خروجه للهجرة من مكة إلى المدينة ، ويتخذ كل الأسباب التي تؤمن طريقه من مكة إلى المدينة، وكيفية تضليل من يبحثون عنه [4]. فارتباط الأسباب بالمسببات حقيقة كما ،أن إغفالها ضرب من الجنون . وقد تأخر المسلمون في ميادين شتى لأنهم لم يفقهوا هذه الحقيقة التي ترتكز عليها شؤون الحياة ويدور محورها أبدا[5].

والذي تخلص إليه أن الشيخ الغزالي أولى عقيدة القضاء والقدر والعمل بقانون السببية اهتماما كبيرا ، لأنه يرى أن هذين العنصرين من أهم أسباب تخلفنا وعزلنا للقرآن عن التفاعل مع الحياة والاستجابة لأوامره ونواهيه في جميع المجالات، إن القول بالجبر وعدم ربط الأسباب بالمسببات هو تعطيل للشريعة وفصل لها عن العقيدة.

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى . ج3 . ص 112.
[2] رواه ابن ماجة في سننه ، باب : ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء : حديث رقم 3437. (1137/2). و أحمد في مسنده 421/3 .
[3] رواه الترمذي في سننه في كتاب: الطب ، باب : ما جاء في الدواء و الحث عليه. حديث رقم 2038.(335/4) . و الحاكم في المستدرك ، كتاب :الطب ، باب : إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء. (197/4).
[4] الطب عبد الحميد قطب : خطب الشيخ محمد الغزالي . ج1 . ص 127. .
[5] محمد الغزالي : تأملات في الدين و الحياة . ص 36.

د - في مجال التصوف :

اهتم الشيخ الغزالي بالجانب العاطفي من الإسلام اهتماما كبيرا دفعه إلى كتابة مؤلفين يعتبران من أهم ما أنتجه في هذا المجال و هما : " الجانب العاطفي من الإسلام " و " ركائز الإيمان بين العقل و القلب ". إلى جانب العديد لانحراف التصوف في كتب كثيرة، و نفحاته العاطفية في كثير منها .

اهتم الغزالي بهذا الجانب من الثقافة الإسلامية لأنه رأى أنه أهمل من طرف علماء المسلمين ، كما رأى أننا لا يمكن أن نعيش معزولين عن روح هذا الدين الذي يجمع بين العقل و القلب . لقد رأى أن المسلمين انقسموا صنفين ، صنف اهتم بالعقل وأهمل العاطفة و الآخر اهتم بالعاطفة و أهمل العقل " و المسلم الكامل رجل نير الذهن و القلب معا ، حاد البصر و البصيرة جميعا ، تتعانق فكرته وعاطفته في معاملته لله ،و معاملته للناس ، فلا تدري أيهما أسبق ؟ صدق أدبه، أم حسن معرفته ، ولا تدري أيهما أروع ؟ خصوبة نفسه الجياشة، أم فطانة عقله اللماح "[1].

و يرى الغزالي أن التصوف كان له دور في التربية و الترقية الروحية عند المسلمين عجز عن أدائها كل من علماء العقيدة و الفقه " و ناحية الوجدان في العبادة ظفرت من المتصوفة القدامى بعناية رائعة فقد أولوا الأفئدة بعواطف حارة في علاقتها بالله و أمدوها بفيض من الأشواق النبيلة جعل أداء الطاعات كسماع الموسيقى المشتهاة ."[2] و يطرح الشيخ الغزالي مجموعة من الأسئلة من شأن الإجابة عنها أن تحقق للإنسان الارتقاء الروحي ،ويرى أنه ما أجاب عنها غير المتصوفة :

- كيف نربي في القلوب الإحساس بجلال الله و الخشوع لعظمته ؟ .
- كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق ؟.

---

[1] محمد الغزالي : الجانب العاطفي من الإسلام . ص 8.
[2] محمد الغزالي : ليس من الإسلام . ص 215.

- كيف نحول المعرفة بالله إلى مذاق حلو يطبع النفوس على الرقة و يصفي السرائر من كدرها ؟.

- كيف نجعل المرء مشتاقا إلى ربه فهو ببواعث من أشواقه يطيع و يسارع إلى مرضاته : و كيف نجعله هيابا لذاته فهو بدوافع القلق يبتعد من معصيته ويفزع من مساخطه ؟

- كيف يشهد المرء ربه في مجال السماوات و الأرض و يشهد أسماءه الحسنى فيما يقع من حركة و سكون على امتداد الزمان و المكان ؟[1].

إن الإجابة عن هذه الأسئلة لم يعرها اهتماما إلا هؤلاء الذين يسمون متصوفة ، فقد فشل كل من الفقه و علم العقيدة في ربط الإنسان بالله -تبارك وتعالى -، إذ تحول الفقه إلى الخوض في مسائل دون إدراك لروحها و تحول علم العقيدة إلى جدل عقيم خال من الأبعاد الروحية ، يقول :" إنني لست متصوفا وما أحب أن أنسب إلى فرقة من فرق المسلمين ... بيد أن الإنصاف يدفعني إلى القول بأن هذا الجانب المهم من الثقافة الإسلامية لم يلق العناية المستحقة لدى جمهرة الفقهاء و المتكلمين ،و أن المتصوفة برغم شطحاتهم و غلطاتهم هم الذين أفاضوا في هذا الحديث ، إن فقهاءنا كتبوا المجلدات في غسل الأطراف ، ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب و أن يضبطوه بأدلتهم الفقهية .

و إن المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة في الشؤون الإلهية المغيبة ما كان يعيبهم أن يحببوا الناس في الله ، و يرفعوهم إلى حضرته بأسلوب علمي محكم لقد كان ذلك -- و الله -- أجدى على الإسلام و أهله ،من بحوثهم العميقة في الذات و الصفات "[2].

---

[1] محمد الغزالي : ركائز الإيمان بين العقل و القلب. ص 96.
[2] المصدر نفسه : ص 97.

و يذكر الشيخ الغزالي فضل بعض هؤلاء المتصوفة عليه ، إذ أحسن صلته بالله على إثر كلمات قرأها لبعض علمائهم ، كالغزالي ،وابن عطاء الله السكندري وابن الجوزي و ابن تيمية و ابن القيم[1] .

و يقر مشروعية هذا الجانب من الثقافة الإسلامية لأنه يقوم بدور رفع الإنسان إلى مقام الإحسان و يعالج العلل النفسية و العقلية التي تحجب المرء عن ربه وتلصقه بالتراب ، أو التي تهتم بأشكال العبادات و لا ترتبط بمعناها و حكمتها.

يقول :" و لرجال التصوف باع طويل في هذا المضمار ، و عندما نضع جانبا الخرافات التي روجوها ، نجدهم أفلحوا في تكوين أجيال على قدر ملحوظ من دماثة الخلق ، و حسن السيرة ، و تقوى الله ، و على قدر ملحوظ من إعزاز الإسلام ، و الدفاع عنه ، و الاستشهاد في سبيله ، و إن كانت عواطفهم تلك لم يصحبها بصر نافذ إلى الوسائل الصحيحة و الخطوات الراشدة "[3].

مآخذه على التصوف :

و الغزالي بعقله النير و إن كان يشيد بفائدة التصوف إلا أنه يدرك تماما السلبيات التي أصابته و التي يعتبرها من أهم العلل التي وقفت في طريق التقدم الحضاري عند المسلمين ، و ترجع أهم الآفات التي أصابت التصوف الإسلامي إلى الفكر الأجنبي الدخيل :" إن تسرب البدع و الأفكار الأجنبية في الزهد جاء مع دخول الجماهير الهائلة من النصارى و المجوس و البوذيين و غير هؤلاء و أولئك في الإسلام ، و استصحابهم بعض المواريث و العادات التي قلما يتخلص أصحابها منها إلا بعد أمد يطول أو يقصر ..."[3] ، فقد صبغ التصرف الإسلامي برسوم من العبادات ليست من الإسلام ، كما استحدث الصوفية الاعتقاد بالأولياء فرجوا هذه الأمة ودينها .

---

[1] المصدر السابق : ص 101.
[2] محمد الغزالي : كيف نفهم الإسلام . ص 160-161.
[3] محمد الغزالي : ليس من الإسلام . ص 216-217.

و من أخطاء الصوفية الشائعة تغليبهم جانب العاطفة على العقل ، وتحكيم الشاعر التي أنسوا بها على شعائر الإسلام و صدق العاطفة ليس عذرا للخلط العلمي ، و لا للقول في دين الله بالهوى و الرأي فإن للإسلام ينابيع معروفة محصورة تؤخذ أحكامه منها وحدها ، و لا يؤذن لبشر بالتزيد عليها أو الإنقاص منها "[1].

– الحقيقة و الشريعة :

لا يوجد في نظر الشيخ الغزالي ، ما ذهب إليه المتصوفة من القول بوجود شريعة و حقيقة في الإسلام .و قد ذكر رأيا لابن عجيبة [2] فصل فيه بين الشريعة والطريقة و الحقيقة . فالشريعة في نظره أن يعبد الله ، و الطريقة أن يقصده والحقيقة أن يشاهده ، و هذا الكلام في نظر الغزالي لا أصل له و لا أساس له من الصحة ، ويقوم على التلاعب بالألفاظ ، و قد صور صاحبه للقراء أن الكتاب والسنة أقسام بعضها يشير إلى الشريعة ، و الآخر إلى الحقيقة و أعطى مثالا على ذلك ، قوله تعالى:{ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[3] : و قوله –صلى الله عليه وسلم– :" ما من أحد يدخله عمله الجنة "[4]. فالنص الأول – حسب رأي ابن عجيبة –: تشريع لأهل الشريعة و الثاني: تشريع لأهل الحقيقة "[5].

و يرى الغزالي أن هذا الكلام باطل و يؤدي إلى الاعتقاد بأن العمل لا يدخل الجنة و بذلك يعطل الشريعة . في حين أن الأدلة تظافرت على التأكيد على ترتب الجزاء على العمل . و منها قوله تعالى :{ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[6] و يقول :{ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ

---

[1] محمد الغزالي : الجانب العاطفي من الإسلام . ص 10.
[2] هو: أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة ، أحد متصوفة المغرب العربي ، توفي سنة 1224 هـ . (الزركلي : الأعلام . ج1 . ص 245).
[3] النحل / 32.
[4] أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب : صفات المنافقين و أحكامهم ، باب : لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. حديث رقم 72 . (2169/4).
[5] نقلا عن : محمد الغزالي . ركائز الإيمان بين العقل و القلب . ص 111.
[6] الأنعام / 127.

تَعْمَلُونَ}[1] و يقول :{ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[2].

و لكن الذي يريده الله -تبارك و تعالى- من عباده هو أن يتواضعوا له ويكبروا حقه و يخافوا لقاءه مهما قدموا من صالحات ،يقول -عز وجل:{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ .أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[3]. فمعنى قوله :{ يُؤْتُونَ مَا آتَوا} فعل الطاعات والحذر من عدم قبولها لأنها دون ما يجب لله و ليس فعل المعاصي و الحذر من عقابها[4]. و هذا أيضا ما يريده الحديث أي عدم الاعتزاز بالعمل و ليس نفي قيمته إنه نفي لأن يكون العمل ثمنا حقيقيا للجنة و هو ليس مناقضا للآيات السابقة وإنما هو كسر للغرور البشري[5].

و قد نقد الغزالي التصوف ، و إن كان يرى في كثير من حواليه حقولا للتربية التي لا توجد في مناحي الثقافة الإسلامية أو بالأحرى غيبت عنها .

و هذا النقد جاء نتيجة إدراكه أنه كان من أسرار تأخر المسلمين . وإحداث فجوة بين عقيدتهم و شريعتهم ، فحين غابت الأفهام السليمة عن أصل التصوف صوروا للمسلمين أن حقيقة التقوى تكمن في التواكل و أن هذه الدنيا مذمومة فأهملوا الشريعة و تركوا الحياة الدنيا لغيرهم يرقى و يتألق فيها: " والتصوف الإسلامي في صورته المقبولة ، لا يعدو أن يكون مزيدا من الصلة بالله والاعتصام به و التبتل إليه ، و هذا الفضل الملحوظ يجعل العابد عاشقا للصلاة أما لصيام بذالا للمال ، متحليا بالفضائل، نافرا من الدنايا ، متحمسا للحق ، آمرا بالمعروف و ناهيا عن المنكر "[6].

---

(1) الزخرف / 72.
(2) الأحقاف / 14.
(3) المؤمنون / 60-61.
(4) محمد الغزالي : ركائز الإيمان بين العقل و القلب . ص 112.
(5) المصدر نفسه : ص 112.
(6) المصدر نفسه : ص 136.

لقـــد حارب الغزالي الأفكار الصوفية السلبية لأنها لا تتفق مع روح الدين الإسلامي ، و لأنها تعزل الشريعة الإسلامية عن التفاعل مع الحياة و بعث الحضارة فيها و رأى أن هناك ثلاثة أمور في التصوف تعتبر مخيفة و مدمرة [1] :

1- كثرة المبتدعات مع جماح العاطفة :

و يذكر هنا ما ابتدعته المتصوفة من أمور كلفوا الناس بها و في هذا تغطية على ما كلفنا الله – تبارك و تعالى – به من مظاهر العبادة و هو المكلف الوحيد .

2- إلغـــاؤهم لقـــانون الســـببية : و قد كان من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية و اعتمادهم على ترويج الخرافات و خوارق العادات .

3- موقفهم من الدنيا : و هي سلاح خطير يستطيع بها الإنسان أن يخدم عقـيدته و يـــرفع شـــأنها إذا كان مؤمنا . و يحارب الفقر الذي شاع في أوساط المســـلمين . فقـــد عطلوا بموقفهم السلبي منها تشريعات وردت في القرآن الكريم والســـنة النبوية كان يمكن أن ترتقي بحياتنا عن وضعها الحالي في جميع المجالات – يقول –تبارك وتعالى –عن التمكين في الدنيا :{ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَـــلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**}[2] { **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** }[3] .

لقـــد دعا الشيخ الغزالي في أغلب كتبه إلى ضرورة تفعيل المسلم لحياته في الاتجـــاه الـــذي رسمه القرآن الكريم و السنة النبوية ، وهو يرى أن المثال العملي الأكمل للمعرفة التامة و الإقبال على الله ، يتجسد في شخص الرسول– صلى الله عليـــه و ســـلم– فإن انتباهه المشدود إلى الله – تبارك و تعالى – ما أوهى حسه بالحياة و لا علاقته بالخلائق [4].

---

[1] قطب عبد الحميد قطب : خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين و الحياة . ج1 . ص 384-387.
[2] النساء / 5.
[3] يوسف /56.
[4] محمد الغزالي : ليس من الإسلام . ص 216.

يقـــول : "وقـــد كان محمد بشرا كاملا ، وعندما أسلم كيانه كله لله ، وقـف يصـــلي حتى تورمت قدماه ، وقاوم الباطل حتى سال دمه ، وعاش طول عمـره في ومضـــات متصلة من ذكر الله و التفاني في عبادته . ومع هذه التقوى الغالـبة كان يحب الحلوى ويستعذب له الماء ، ويرتدي الثياب الحسنة . . .وكان زوجـا رجـــلا ، ورب بيـــت قادر ، وأبا أولاد يحسن رعايتهم .. تلك مظاهر الإنسانية النبيلة وعناصرها الكاملة "[1].

ويخلص الشيخ الغزالي إلى أن الموضوع الصحيح للتصوف الإسلامي يتكون من ثلاثة عناصر:

الأول : جعل الإيمان النظري شعورا نفسيا غامرا وتحويله من عقل يتصور إلى قلب يعي ويتحرك.

الـــثاني : تهذيـــب الـــنفس على ضوء نسبها الإلهي ، حتى تكون بنمائها واكـــتمالها أهلا للعبودية ،و مقتضى ذلك أن يكون الإنسان مستجمعا للفضائل منزها عن الرذائل حتى يرشحه هذا الترقي لقبول الله و رضوانه .

الثالث : النظر إلى الوجود الصغير في هذه الحياة على أنه جزء من الوجود الكـــبير الممـــتد بعد الموت ، فلا اغترار بالدنيا ، و لا استيئاس من الله و لا ضيق بالعودة إليه "[2].

و قـــد اســـتقى الشيخ محمد الغزالي هذه المعاني من القرآن الكريم و سنة محمـــد- صـــلى الله عليه و سلم -و كان يسعى لامتثالها في حياته و غرسها بين المسلمين .

3- رده على العلمانية:

حـــارب الشيخ الغزالي العلمانية انطلاقا من القناعة العقدية و التي هي من مقومـــات الإيمـــان : الله ربـــا و حكمـــا . و لا يمكـــن الفصـــل بين الربوبية

---

[1] المصدر السابق : ص 136.
[2] محمد الغزالي : ركائز الإيمان بين العقل والقلب . ص 127.

والحاكمية،وكل من يفعل ذلك فهو يرتد إلى الجاهلية { أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا}[1] يقول الشيخ " لا يحق للناس أن يتخذوا غير الله ربا أو حكما ، والذي يعبد غير الله جاحد للحق خائن للعهد . و كذلك الذي يتبع غير ما شرع و يحكم بغير ما أنزل !! لماذا نعطي بشرا ما حق منازعة الله في أمره ونهيه، و تحليله وتحريمه؟.

لماذا يملك إنسان ما أن يدع كلام الله جانبا ،و أن يطرحه وراءه ظهريا ثم يأتي لنا من عند نفسه بأحكام يزعم أنها أولى بالإتباع من أحكام الله ؟ أهو أصدق من الله ؟أهو أبصر منه بمصالح الخلق ؟ أهو أذكر لما نسي رب العالمين من حاجات الناس؟"[2]. و كان الشيخ ذكيا في ضبط المفاهيم واعيا أن الحرب على الشريعة الإسلامية قضاء تدريجي على الإسلام كله،فإذا اختفت الشريعة أدى ذلك إلى اختفاء الإيمان بالتدريج ،وبتر الشريعة وإبعادها باطل من الأباطيل وأجرأ المفتريات وإذا قبل مبدأ الحذف و الإلغاء لبعض تعاليم الدين ، فلن يبقى من الدين شيء ذو بال .

لقد انطلق الشيخ في رده على العلمانيين من إفهامهم أن الدين انقياد مطلق لله فيما أمر و نهى ،ثم إن علاقة الإنسان المسلم بربه تقوم على أساس مبدإ السمع والطاعة يقول -تعالى -:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }[3].

وفي حوار للشيخ مع أحد العلمانيين قال له :ماذا عليكم لو كسبتم الإيمان و الأخلاق و تركتم شؤون التشريع و الاقتصاد و الاجتماع يعملون فيها وفق العقل الحر ، والزمان المتجدد؟.فأوضح له الشيخ أن الإسلام كلا متكاملا عقيدة وشريعة لا يقبل البتر و التجزئة و قد حاول بنو إسرائيل قديما، فقيل لهم:{ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا

---

[1] الأنعام / 114.
[2] محمد الغزالي : هذا ديننا . ص 214.
[3] النساء / 65.

خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾[1] يقول الشيخ الغزالي :"إنك يا صاحبي مخادع كبير حين تعزل الإسلام عن الشرائع و المعاملات و حركات الحياة و الأحياء ، ثم تقول له: إنك كسبت جدلا طائلا ! .

هـــذا في الواقع حكم على الإيمان نفسه بالموت ! عندما ينطلق الغناء في كل فج يقول للسامعين:

جئت ولـــكن لا أدري مـــن أين أتيت؟

و لقد وجـــدت قدامي طريقا فمضيت؟.

أيكـــون إبعاد الدين عن الفن كسبا للإيمان أو للإلحاد؟و عندما يكون الزنا مباحا بتراضي الطرفين أيكون إبعاد الدين عن التشريع كسبا للإيمان أو للإلحاد؟[2]

لقـــد تبنى الشيخ الغزالي الدفاع عن الإسلام ضد الأطروحات العلمانية في كتبه و خطبه و محاضراته ، و كان ينطلق في حربه على العلمانيين من عرض سليم لأحكـــام الديـــن الإسلامي فكان يؤكد على إيضاح خصائص التشريع و إظهار مقاصـــده العليا أو استرجاع مدى فاعلية هذا التشريع على المسلمين أيام لم يكن هناك من يحاول التشويش عليه :

أ- اهتم بإيضاح مقاصد و خصائص التشريع القرآني في جميع المجالات:

ففـــي المجال الاجتماعي ، مثلا: -- اهتم كثيرا بمقاصد البناء الأسري وركز على ما يتعلق بالمرأة لأنها من أهم مداخل أعداء الإسلام .

كما ركز على مسالة "الحدود" و كيف أنها تقيم العدالة الإلهية في الأرض، و حـــين غاب تطبيقها في المجتمعات الإسلامية أدى ذلك إلى تلوث واقعهم ، كما أن اســـتبدال العقوبات الإسلامية بالقوانين الوضعية جر على المسلمين مزيدا من الضياع و الشتات و الحقيقة أن العقوبات السماوية ، رحمة بالناس و بر بالمجتمع ، إن الله إذا أرخـــص دم قـــاتل فلكي يحقن ألوف الدماء ، و إذا أرخص يد سارق

---

[1] البقرة / 85.

[2] محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر . ج5 . ص 152-153.

،فلكي يزرع الأمان في الأرض ...و لعل أكذب شيء في الأرض هـذه العاصفة التي يسمع صداها يتردد بين الحين و الآخر أن ادعوا عقوبة الإعدام أو انسوا ما أنزل الله من حدود"[1].

ب- مما ركز عليه الشيخ- أيضا – عقد المقارنة كلما سنحت الفرصة بين الأحكام الإسلامية و القوانين الوضعية. فالتشريع الإسلامي يحمل بين طياته ما يعطيه القداسة في التطبيق ذلك لأن الخضوع له من الخضوع لله تبارك وتعالى فهو منفذ في الظاهر والباطن لأن له أسسا عقدية وتربوية –:المصدر الإلهي الذي يجعل الإنسان يخاف المخالفة فهو يمثل خشيته من عالم الغيب و الشهادة ، وهو يلتزم التطبيق ليحقق سعادة الآخرة ففي العقوبة مثلا يسعى ألا تطبق عليه في الدنيا ليلقى الله طاهرا في الآخرة .

أما القانون الوضعي فإنه يخلو من الأبعاد الإيمانية و لذلك إذا غابت القوة غاب تطبيقه ،ولذلك تنفيذ القانون إذا نيط بالسلطة المادية وحدها كان شديد الإرهاق فإذا ابتعدت هذه السلطة لم يكن هناك ظل لقانون و لا تقدير لمصلحة[2].

إن احترام القانون يرجع في الأساس إلى أصله و غايته، يقول الشيخ:" إن قداسة القانون تعود قبل كل شيء إلى أصله و إلى علاقة الناس بهذا الأصل ، فإذا اعتمد القانون على أنه من عند الله ، جعل الناس هيمنته على أعناقهم حرصا من صلاتهم وزكاتهم . والتشريع الذي يستعمل هذه الغاية هو الذي تستقيم به الأحوال وتستقر به الأوضاع ،و الشريعة ضمان للصالح العام ، فإن مبناها على الرحمة ،وغايتها إسعاد الناس في عاجلتهم قبل آجلتهم ،الخير الذي أمر الله به عباده – و ما يأمر إلا بخير – تعود فائدته في الدنيا و مثوبته في الآخرة على فاعليه وحدهم ، الشر الذي نهاهم عنه –و ما ينهى إلا عن شر – ليس إلا وقاية من أذى

---

[1] محمد الغزالي : هذا ديننا . ص 246.
[2] المصدر نفسه : ص 242-244.

قريب أو بعيد و من شر جلي أو خفي "[1].

ج- اهتم الشيخ في حربه على العلمانيين برد افتراءات المستشرقين، لأنه يرى أن أفكارهم نتاج هؤلاء.فحين نقرأ كتاب جولد زيهر- مثلا -" العقيدة والشريعة " نجد توافقا كبيرا بين أفكاره وما يذهب إليه دعاة العلمانية في العالم الإسلامي ، و قد رد عليه الشيخ بكتاب " دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين "، أوضح من خلاله أن هدفهم الأول و الأخير من دراسة الإسلام هو فتنة المسلمين عن دينهم بأروع وسائل الختل و المداهنة " إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك من هذا الخصام المتحني . و التفاوت - إن وجد بينهم - إنما هو في الدرجة فقط ، فبعضهم أكثر تعصبا و عداوة من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه..إن أفكار هؤلاء المستشرقين تبناها ناس من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ،ويظهرون أنهم على ديننا ، و يروجون هذه الأفكار ، وكأنها نتاج عقولهم و ثمرات تفكيرهم ، و كل هاته الفتن تجعلنا ندع الهوادة في رد شبهات القوم ،و نكتب دونما توقير للأحسام المهشومة ، و إن ذعر عبادها وثارت ثائرتهم [2].

- نماذج من العلمانيين الذين قاوم الشيخ الغزالي أفكارهم:

لقد اتسمت معارك الشيخ الغزالي مع العلمانيين بشيء من الشدة و ذلك بقدر نفور هؤلاء من الإسلام و تنفيرهم منه و معاداتهم للدعاية إليه [3]، وقد كان صريحا معهم و سماهم بأسمائهم الحقيقية : خونة مرتدين غرسهم الغرب في جسد الأمة الإسلامية كالمرض الخبيث لابد من محاربته بقول الشيخ :"...ونتساءل : هل أركون و أبو زيد ومن سبقهما و من لحق بهما يمثلون أنفسهم في التحامل على القرآن ؟..كلا إن الذين قادوا الفكر المادي الشيوعي هم الذين يقودون الفكر

---

[1] المصدر نفسه : ص 245.
[2] محمد الغزالي : دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ص 8-9.
[3] القرضاوي : الشيخ الغزالي كما عرفته . رحلة نصف قرن . ص 65.

العلماني الإلحادي ، وسنرى كيف أنهم متآمرة للاستعمار العالمي الكافر بالله وبالمرسلين "[1].

ومن العلمانيين الذين رد عليهم الشيخ :

أ- خالد محمد خالد :

من الكتابات الأولى للشيخ الغزالي في رده على العلمانيين كتاب "من هنا نعلم" و رد به على كتاب " من هنا نبدأ " لخالد محمد خالد.

ألف خالد محمد خالد كتابه " من هان نبدأ " ليعرض فيه أهم المسائل التي يكافح دعاة العلمانية من أجل ترويجها ، و هذا الكتاب على شاكلة كتاب علي عبد الرازق " الإسلام و أصول الحكم " من حيث المحتوى ومن حيث صدوره عن واحد من الأزهريين. وقد اعتبر علماء المسلمين هذا الكتاب من الأسلحة التي أعطاها أبناء هذه الأمة لأعداء الدين لتمكينهم منه ." طلع كتاب "من هنا نبدأ "لا ليرسم الطريق الصحيح أو يضع الخطة المثلى ، بل ليعطي أعداء الإسلام

و خصومه سلاحا يشهرونه في وجوه المصلحين .و كم طرب الخصوم و صفقوا لهذا الاتجاه ، إنه عالم أزهري يريد أن ينحي الإسلام عن واقع الحياة ، إنه يلبس الحق بالباطل ، ويصرح بأنه كتب بعض فصول الكتاب ليهاجم به حملة الإسلام من حيث المبدأ والفكرة و هو بهذا يسجل على نفسه أنه خصم للإسلام و المسلمين "[2].

و يرى الشيخ الغزالي أن هذا الكتاب لو بدأ المسلمون فهم دينهم من عنده لمرقوا عن الإسلام . و مما تجدر الإشارة إليه أن خالد محمد خالد كان صديقا للشيخ الغزالي يقول :" و لكن ابن القيم لما رأى عوجا في كلام شيخ الإسلام إسماعيل الهروي – وكان صديقا له – قال: شيخ الإسلام حبيب إلينا و لكن الحق أحب إلينا منه ."[3]. هذا إلى جانب كون خالد محمد خالد تاب و تراجع

---

[1] محمد الغزالي : جرعات من الحق المر . ج5 . ص 62.
[2] صالح عشماوي : مقدمة كتاب من هنا نعلم لمحمد الغزالي . ص 3-4.
[3] نقلا عن المصدر نفسه : ص 11.

عن آرائه هذه . إلا أنها بقيت معتمدة ويرددها دعاة العلمانية . ولا زالت الحاجة إلى عرضها و تفنيدها موجودة.

و من أهم القضايا التي وردت في الكتاب و رد عليها الشيخ :

1- فصل الدين عن الدولة :

إن جهـود العلمانـيين تعمـل باستماتة لعزل الإسلام عن الحكم .ومن المغالطـات المكشوفة التي وردت في كتاب خالد محمد خالد تساؤله : ((ما حاجة الديـن إلى أن يكـون دولة ؟ هل الدين أدنى مرتبة من الدولة حتى يتحول إليها ويندمج فيها ؟))[1].

و يجيب الشيخ الغزالي :" هذا تساؤل عجيب من قال :إن تحول الفكرة إلى عمل يسيء إلى الفكرة؟ إن الفكرة لا ينال منها إلا أن تظل أمدا طويلا حلما يتردد في نفوس المصلحين .أما أن تواتيها أسباب التنفيذ فتعرض نفسها نظاما حيا و دولة نافعة ناهضة فأي عيب في ذلك ؟.

كمـا تساءل خالد محمد خالد : كيف يمكن للدين أن يكون دولة وهو عبارة عن حقائق خالدة لا تتغير ، بينما الدولة نظم تخضع لعوامل الترقي المستمر والتـبديل الدائم ؟. و يوضح له الشيخ الغزالي مفهوم الثابت و المتغير في الإسلام ويسـأله مرة أخرى: ما علاقة أشكال الحكم المتطورة بالروح التي يجب أن يصدر عنها الحاكم و هو يقوم على شؤون الناس ...؟[2].

و مـا يراه الشيخ أدهى هو تساؤل خالد محمد خالد((إن الدولة عرضة للنقد والتجريح ، وعرضة للسقوط و الهزائم و الاستعمار فكيف نعرض الدين لهذه المهانة ؟))[3].و يسأله : ((أي عار على الدين إذا لحقته الهزيمة على يد الدولة التي تنافح عنه))[4].

---

[1] نقلا عن : المصدر السابق . ص 48.
[2] المصدر نفسه: ص48- 49.
[3] نقلا عن المصدر نفسه : ص 49.
[4] المصدر نفسه : ص 49.

و مـــن خلال ردود الشيخ الغزالي على هذا الكتاب نستنتج أن العلمانيين ينطلقون في فصـــلهم بين الدين و الدولة من منطلقات غير سليمة ، سيئة الفهم للحقيقة ومنها :

- الادعاء بأن الرسول –صلى الله عليه و سلم – لم يكن حريصا على تمثيل شخصية الحاكم لأن مقام الرسالة أرفع مقام.

و يـــرد الشيخ الغزالي بأن حرص –الرسول صلى الله عليه و سلم– على ذلـــك فمما لم يكن منه بد استجابة لأمر الله :{ **فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ** }[1].{ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**}[2].

أما أن الحكم لا يليق بمقام النبوة و قيام الرسول –صلى الله عليه و سلم – بأعمـــال الحكـــام ممـــا يمس منزلته،فهذا أمر يرجع إلى تصورنا للحكم و أسلوب الوصول إليه و طريقة التصرف فيه[3].

- **لا صلة للدين بالدولة** : و السبب تحميل الإسلام أخطاء الحكام و قد أوضح الشيخ الغزالي أنه لا توجد دولة إسلامية بالمعنى الصحيح في واقع المسلمين، و لا يعني تطبيق بعض الدول لبعض الحدود كونها إسلامية ، فالإسلام غير محصور في الحدود فقط[4].

2- الحكم على الإسلام بملابسات القرون الوسطى :

و يتعجـــب الشيخ الغزالي من هؤلاء و ينبههم بأن الكنيسة تصالحت مع الحكام ضد الإسلام ((فملك إنجلترا يلقب رسميا بحامي المسيحية و البند الأول في بـرنامج حزب المحافظين ،إقامة حضارة مسيحية، و الحزب الحاكم الآن في إيطاليا وألمانيا و إسبانيا و غيرها، هو الحزب الديمقراطي المسيحي ،و قد صوتت الكثرة

---

(1) المائدة / 48.
(2) الجاثية / 18.
(3) محمد الغزالي : من هنا نعلم . ص 68.
(4) المصدر نفسه : ص 22-23.

في بلجيكا للحزب الاشتراكي المسيحي.و يوجد في دول أوروبا كافة ساسة لا يصدرون في أعمالهم ، إلا عن روح مسيحية خالصة "[1].و إسرائيل تمثل اليهودية على أنها دين و دولة و كل العالم يمدها بما يقويها ضد الإسلام . و الذي يراد منه أن يعيش فلسفة روحية مجردة : الإسلام وحده و أبناؤه يساعدون الاستعمار في القضاء عليه بما يروجونه من أفكار خاطئة .

و من أخطاء خالد محمد خالد في كتابه قوله : بوجود كهانة في الإسلام ومقارنتها بالكهانة المسيحية . يقول الشيخ الغزالي " ولقد شعرت بغضاضة شديدة ،ودهشة عميقة عندما تكلم الأستاذ خالد عن الكهانة و العقل ، فأراد أن يوهمنا بأن هناك كهانة شرقية إسلامية قد أعلنت الحرب على العقل البشري و التقدم العلمي باللدواهي ؟ أين هذه الكهانة الشرقية الإسلامية ذات البطش الرهيب بالعلم و عباقرته ؟"[2].

و ينبه الشيخ إلى السقطة الكبيرة لفكر خالد محمد خالد ،إنه يعتنق العصبية القومية المطلقة في الحكم ،و لذلك اجتهد في وضع إصلاحات –بزعمه– لكل من المسجد و الكنيسة ، و كأنه لا يؤمن بأن الله قال : **{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }**[3]. و قال : **{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ }**[4].

{ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ }[5].

و مما قاله خالد محمد خالد :" أتراني نسيت الكنيسة ؟ لا . و كل هذه المقترحات التي أدعو إلى تنفيذها بالنسبة للمسجد ،لابد أن تنظم الكنيسة أيضا فيؤلف من رجالها الراشدين من يشرفون على توجيه رسالتها توجيها يخلق الشعب الذي يحيا بالدين و لا يموت و لكي تثمر هذه الخطة ثمرها فلا بد من الدعاية

---

(1) المصدر السابق : ص 18-19.
(2) المصدر نفسه : ص 107.
(3) آل عمران / 19.
(4) آل عمران / 85.
(5) آل عمران / 83.

الواسعة النطاق عن طريق الإذاعة و المسرح الشعبي و إقامة مسابقات أدبية ذات جوائز مغرية للمؤلفين الذين يصوغون تعاليم الدين صياغة تترع بالناس إلى تمجيد الدين و الحياة"[1].

إن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن مسلم مخلص لدينه،فحين يقرأ يشعر القارئ كأنه أمام مبشر المسيحية.

لقد كانت هذه بعض الوقفات التعليمية للشيخ محمد الغزالي مع رجل أساء من أين يبدأ، فكان في حاجة إلى من يرشده و قد تراجع عن بدايته المعادية للإسلام لأنه علم أنها خاطئة.

ب- نصر حامد أبو زيد :

و هو في نظر الشيخ من الأشواك التي يذرها الاستعمار في جسم المجتمع الإسلامي ، و يتعجب الشيخ الغزالي من هؤلاء المرتدين فمع كرههم للإسلام يحرصون على البقاء في دائرته يقول :" لماذا؟ حتى يؤدوا وظائفهم في تخريبه من الداخل ، دودة " البلهارسيا " تريد أن تبقى داخل الجسم لتعوق نموه، و تنمي علله وتجره إلى الموت جرا ، و لذلك رأينا هؤلاء المرتدين عن الإسلام يرفضون العالنة بتركه، و يحرصون على البقاء فيه ..لكنهم في الوقت نفسه لا يقيمون صلاة و لا يؤتون زكاة و لا يقرون لله بسمع أو طاعة ، إنهم يعرفون إسلاما بلا نصوص و لا أركان . ويحاربون كل دعوة إلى الاحتكام إليه أو إحياء ما أماته الاستعمار من أمره ...لقد بلغت الأمور مرحلة لا تتحمل هذا النفاق ، ونحن نأبى كل الإباء أن يضرب الإسلام بأيد إسلامية ، و لا مكان بعد اليوم للبس أو نفاق ، إما أن نكونوا أيها الناس مع الإسلام باطنا و ظاهرا ، و إما أن تتركوه علانية و تكشفوا كفركم به."[2].

---

(1) نقلا عن محمد الغزالي : من هنا نعلم . ص 111.
(2) محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر . ج5 . ص 60.

و من افتراءات نصر حامد أبو زيد :

إسقاط القداسة عن النص القرآني ،فالقرآن بنظره منذ لحظة نزوله الأول على الرسول -صلى الله عليه وسلم- تحول من كونه نصا إلهيا، و صار فهما إنسانيا. وذهابه إلى هذا المنحى لكي يبرر لنفسه و لغيره دراسة النص القرآني كما ندرس النصوص الأدبية[1] .

و يرى الشيخ الغزالي أن كلام نصر حامد أبو زيد في غاية العثالة والسقوط ،فكيف تنقطع صلة الكلام بمنزله ،عندما ينقله الرسول إلى غيره ؟يقول - تبارك وتعالى - في سورة الزمر :{ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ.قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ}[2].

فقد تكررت كلمة " قل" في السياق خمس مرات فما معنى ابتعاد النص عن الله و تحوله إلى تراث بشري ؟ كما يذكر أن القرآن الكريم ظل يتزل على الرسول -صلى الله عليه و سلم- ثلاثا و عشرين سنة لم ينقطع إلا بوفاته .فلما تضايق الكافرون منه قالوا:{ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[3].

فكيف تحول القرآن من الربانية إلى البشرية ؟"[4].

ومن افتراءات هذا العلماني ذهابه إلى أن الواقع هو الذي يتحكم في النص، ولا يجب الوقوف عند نصوص الوحي ، و إلا انهارت دعوى صلاحيته لكل زمان

---

[1] نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن . ص 9 – 28 . و انظر الغزالي جرعات جديدة من الحق المر . ج : 5 . ص 61 .

[2] الزمر / 10-12.

[3] يونس / 15.

[4] نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن . ص 15 – 16 . و انظر محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر . ج5 . ص 61 – 62 .

ومكـــان .و يعطـــي مثلا على ذلك بتحرير المرأة . فالإسلام بدأ ذلك و أعطاها نصيبا من الميراث لم تكن تناله ،فيجب مواصلة إعطائها حقوقها و تسويتها بالرجل في الميراث احتراما للواقع الجديد[1] .

و قـــد عـــالج الشـــيخ الغزالي هذه المسألة في مواطن كثيرة و اكتفى هنا بالسخرية من قائلها :" يبدو أن الشارع وافاه الأجل قبل إنصاف المرأة بالمساواة الكاملة فلنكمل نحن ما قصر فيه"[2].

و مما قاله نصر حامد أبو زيد :" إن التمسك بالدلالات الحرفية للنصوص لا يـتعارض مـع مصـلحة الجماعة فحسب و لكن يضر الكيان الوطني ضررا بالغا."[3].

و ينـــبه الشـــيخ الغزالي إلى أن نصر حامد أبو زيد يطعن في قضية عموم الرسالة المحمدية وهو في ذلك يوافق المستشرقين الذين يذهبون إلى أن محمد -صلى الله علـــيه وسلم- بعث للعرب فحسب إلا أن ما أحرزه من نصر في شبه الجزيرة العربية أغراه بالتوسع[4].

و هذا الكلام قاله أستاذه " جولد زيهر" في كتابه :(العقيدة و الشريعة) و هو كلام سخيف ، فقد كان الرسول- صلى الله عليه وسلم -يعلم منذ نزول الوحـــي علـــيه أن رسالته عالمية ، وقد قال ذلك لقومه . يقول -صلى الله عليه وسلم-: " كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، و بعثت إلى الناس عامة "[5].

و كذلـــك كان يعلم -صلى الله عليه و سلم- أن دينه سيعلو .و القرآن الكريم يؤكد ذلك :{ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى**

---

[1] نقلا عن المصدر نفسه : ص 63.
[2] محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر . ج5 . ص 63. و انظر نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن .
[3] محمد الغزالي : جرعات جديدة من الحق المر :ج5. ص 63.
[4] المرجع نفسه :.ج5 ص 63.
[5] أخرجه البخاري في كتاب: التيمم. باب : حديث نزول آية التيمم . حديث رقم 335 (126/1) .

الدِّيـنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }[1] و يقول :{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا }[2].

جـ – المستشار محمد سعيد العشماوي :

و هـو قـانوني مفتر على الإسلام، آراؤه شبيهة بآراء سابقه و قد ذهب مذهبه في القول بتوقف سلطة الله التشريعية و انتقالها إلى الخلفاء و الفقهاء أو الجماعة الإسلامية ومما يقوله :" إنه مع انعدام الوحي و بعد فترة النبوة لايكون الحديث عن عمل الله و أمر الله و خلافة الله إلا دربا من التعابث و التخابث والتحايل .. القرآن ليس كتاب تشريع ،و لكنه في الأساس كتاب دين و إيمان ،وهو في ذلك عكس التوراة "[3].

و يرى الشيخ أن هذه الآراء المخبولة يهدف صاحبها من ورائها إلى جعل الجامعة العبرية ترشحه لجائزة نوبل. ومن جراءته تقليصه لآيات التشريع و هذا يدل على جهله بمثل هذه القضايا[4].

ومن افتراءاته طعنه في تحريم الخمر و قوله إن قياس تحريم المخدرات على الخمر قياس فاسد، فالخمر في نظره في القرآن الكريم مأمور باجتنابه و ليس محرما فالمحرم على سبيل القطع من الأطعمة و الأشربة ،ورد في قوله تعالى :{ **قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** ...}[5] و الاجتناب في رأي بعض الفقهاء أشد من التحريم و لكنه في الحقيقة أمر يتصل بالشخص المخاطب[6].

---

(1) الصف / 9.
(2) النور / 55.
(3) محمد الغزالي : الحق المر . ج3 . ص 11.
(4) المصدر نفسه :ج3. ص 11-14.
(5) الأنعام / 145.
(6) نقلا عن محمد الغزالي : الحق المر . ج3 . ص 10.

و يرد عليه الشيخ الغزالي أن الآيات التي ذكرها لاصلة لها بما يستدل عليه فهي في المحرم من الأنعام أما كلمة " اجتنبوا" فقد استعملها القرآن في تحريم الإشراك و التزوير يقول تعالى :{ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }[1] .

و يقول :{ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ }[2] فهل هذه الكلمة التي استخدمت في تحريم جرائم الشرك و الزور .. تترك للمخاطب بالخمر المجال كي يكون له الخيار في السكر أو الصحو ؟ و تحريم الخمر انعقد عليه إجماع المسلمين من سلف و خلف إلى يومنا هذا . و لا شك أن العشماوي لم يكن في وعيه عندما قال : إن الخمر ليست محرمة في القرآن الكريم[3].

ومن المواقف التاريخية للشيخ ضد العلمانيين شهادته في قضية قتل " فرج فودة" و التي تعتبر خلاصة آرائه في الحكم الشرعي ضد العلمانيين ، فقد طلبت المحكمة حضور الشيخ الغزالي على طلب دفاع المتهمين ليجيب عن أسئلة وجهها إليه الدفاع.

و خلاصة ما جاء فيها : - ليس بمؤمن يقينا من يجاهر برفض تطبيق الشريعة جحدا أو استهزاء .ليس بمسلم يقينا من يدعو إلى استبدال حكم الله بشريعة وضعية تحل الحرام وتحرم الحلال . من يأتي بهذه الأقوال يعتبر مرتدا و بقاؤه في المجتمع سم يحض الناس على ترك الإسلام فيجب على الحاكم قتله – و جهاز القضاء هو الذي يملك قتله .فإذا لم يطبق الحكم و أوقعه فرد من آحاد الأمة يعتبر مفتئتا على السلطة و أدى ما يجب أن نقوم به و لم يذكر الشيخ الغزالي له عقوبة في الإسلام[4].

---

[1] الحج / 30.
[2] الشورى / 37.
[3] محمد الغزالي : الحق المر . ج3 . ص 10-11.
[4] انظر : محتوى الشهادة بتوسع في كتاب : عبد الحليم عويس : الشيخ محمد الغزالي . تاريخه و جهوده و آراؤه . ص 90-100.

لقد اتسمت ردود الشيخ على العلمانيين بالشدة و الصراحة لأنهم أخطر مرض في جسم الأمة الإسلامية سماسرة للغرب. و هو يتعجب من جهلهم أو تجاهلهم .فهل حققت العلمانية نتائج مرضية في البلدان التي طبقتها ؟ كلا إنها تعيش على الطوى . إن علاج أوضاع المسلمين ليس مما هو وافد من الغرب ولنفرض أن أوضاع المرأة سيئة هل نعالجها بالانحلال و الفجور ، و حكام المسلمين هل يشبهون حكام الغرب في شيء، إن أولئك يسعون إلى البناء والتعمير، و هؤلاء يسعون إلى الاستعلاء و الشهرة[1] ، إننا في حاجة إلى ترشيد على جميع المستويات ، و لن تتحقق عزتنا إلا بالعودة المخلصة إلى ديننا فالأفكار المستوردة لا تصنع الحضارة في مجتمعنا لأنها لا تتفق مع جذور الأمة الإسلامية ،فإذا أرغمت الشعوب على ابتلاعها كانت النتيجة واقعنا المرير والانفصام الذي تشهده شخصية الكثير من أبنائنا.

و الذي نخلص إليه أن جهود الشيخ محمد الغزالي اتجهت إلى إعادة النظرة التكاملية للإسلام ، لأنه أدرك أن الخلل الذي أدى إلى تراجع المسلمين ينبثق من نظرتهم التجزيئية له ، فاهتم بجميع جوانب الثقافة الإسلامية لإصلاح ذلك .

و حين نراجع كتبه نلاحظ أنه اهتم بالعقيدة و الشريعة و الأخلاق ، فألف كتبا في جميع هذه الجوانب اتسمت بأنها تحمل رسالة دعوية تصبو لرؤية المسلمين في أعلى الصفوف . فاشتغل بتنقية التراث الإسلامي و سعى إلى ضرورة الرجوع إلى نصوص القرآن و السنة في حل الإشكاليات ،و تجاوز الخلافات، وتجنب التقعر في الجدل الذي لا يجنى من ورائه في الجانب العملي إلا الهزيمة والتخلف ، هذا على الصعيد الداخلي .

أما بالنسبة للفكر الوافد فقد حارب الفكر العلماني ، و دعاة الاستشراق ، ورأى أن أي مس بالشريعة هو امتداد إلى المس بالعقيدة.و أن المسلمين لن يستطيعوا استرجاع عزتهم إلا بأخذ الإسلام : عقيدة و شريعة .

---

[1] محمد الغزالي : الحق المر . ج6 . ص 155 . و لتتبع المزيد من مواقف الشيخ محمد الغزالي من العلمانيين ، انظر : الحق المر . ج1 . ص 23 . و ج5 . ص 120-121.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كانـــت الغايـــة من وراء هذا البحث إظهار الصلة بين العقيدة و الشريعة وإعـادة تفعيـلها في الواقع ، لذلك دعت الضرورة إلى البحث في مجموعة من العناصـر عـــلها تفـــي بالغرض ، و بعد الدراسة المتأنية لها أمكننا الوصول إلى مجموعة من النتائج :

أولا : من خلال ما تقدم توصلت إلى أن ظاهرة الفصل بين العقيدة و الشريعة كانت نتيجة حتمية لمجموعة من الأسباب .

أ – أســباب منهجية : بالرغم من أن الهدف الأساسي من تدوين العلوم تسـهيل عملية تحصيلها إلا أنه نتج عنه حدوث انفصام بين العقيدة و الفقه هذا الانفصـــام أصبح يعطي انطباعا جزئيا عن الإسلام من جهة ،و عزل المتخصص عـن الـنظرة الشمولية إلى الاهتمام بجانب واحد من جوانب الإسلام من جهة أخرى.

و انـــتقل هذا الانفصام إلى مناهج التعليم فأصبحت العلوم الشرعية تدرس منفصلة عن بعضها مما أدى إلى تنشئة أجيال انعكس هذا الانفصال على واقعها.

ب – تـــأزم الفكـــر العقدي : إذ أن كلا من علم العقيدة و علم الفقه سار في اتجاه لا يخدم الواقع الإسلامي -في كثير من الأحيان- بالجنوح إلى التجريد والانشغال بقضايا ثانوية .

جـــ – كما أدى الفكر الصوفي – بما طغى عليه من أفكار دخيلة – إلى رواج فلسفة الخلاص الفردي و نبذ التفاعل الحضاري .

د– وشـــكل الفكر الإرجائي ظاهرة خطيرة أدت إلى التحلل من الشريعة منذ نشوئها. وأصبحت في وقتنا الحاضر سمة غالبة على حياة المسلمين نتج عنها تهميشهم في أسباب خلاصهم من التبعية للغير .

هـــ – ومـــن أهم ما يعترض الوصل بين العقيدة و الشريعة كذلك في وقتنا الـــراهن الفكر العلماني ، فقد سيطر على كثير من العقول في المجتمعات

الإسلامية نافستا سمومه بما يبثه من أباطيل مضللة بما يستدعي اليوعية المستمرة لمخاطره ، في ذات الوقت كشف محاسن الشريعة و مواطن إعجازها .

أسهمت هذه الأسباب نتج عنها غياب المجتمع الذي يمثل الإسلام تمثيلا فعليا ، كما المنشودة في إعطاء صورة غير موضوعية وواضحة عنه ، و قد بينت أن الصورة تكمن في تخطي هذه الظاهرة ، و بخاصة من خلال تجاوز ثنائية المرجعية في أخذ أمور الدين ، و لا يعني هذا تجاهل التراث الفكري الإسلامي برمته ، بل أرى ضرورة الاستفادة منه برؤية واعية مع ضرورة إبقاء الهيمنة الدائمة لنصوص القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة.

كما أعتقد أنه من جملة مضامين الاستفادة الواعية و تجلياتها تنقية التراث الفكري مما شابه من سوء فهم لقضايا عزلوا بها الجانب العقدي عن الشريعة : كارتباط الإيمان بالعمل، و حقيقة الإيمان بالقضاء و القدر، و مسؤولية الإنسان في تحديد مصيره، و كذا مفهوم الحقيقة و الشريعة عند الصوفية إلى غير ذلك .

ثانيا : استنتجت ضرورة إظهار المنهج القرآني في عرضه لأحكام الشريعة ما يمثله من علاج ناجع ،اعتمادا على الحقيقة المجسدة فيه و المتمثلة في أن الوصل بمنهج جميع الأنبياء أكد عليها القرآن الكريم و هي دعوة صريحة إلى ضرورة الاستمرار في هذا النهج بالنسبة للإسلام بصورته المكتملة التي جاء بها سيدنا محمد – صلى الله عليه و سلم – و حتى يتأتى لنا ذلك ، أحاط القرآن الكريم أحكام الشريعة بأهم أركان العقيدة :

الإيمان بالله و الإيمان باليوم الآخر ، و أتبعها بالحديث عن الكون ، كما سلك إلى ذلك طريق الترغيب و الترهيب لتوطين المؤمن على ضرورة الالتزام بأوامر الله و تجنب نواهيه . و أظهر الأبعاد المقصدية للأحكام الشرعية كل ذلك إعطائها القدسية في الواقع التطبيقي . و قد استخلصت أن هذا المنهج طريق إلى حفظ الارتباط بين العقيدة والشريعة إذا لم يهمل من قبل المختصين . كما تبين

من خلال البحث أن بعض المفسرين اهتموا بإظهار هذا المنهج من خلال تفسيرهم المتكامل لنصوص القرآن الكريم، و هو ما أرى أنه يمكن أن يسهم في تدريس العلوم الشرعية بطريقة تربوية بناءة.

إن المتتبع للقرآن الكريم لا يغيب عن ذهنه الترابط المتين بين العقيدة و الشريعة ، فحين يعرض حكما من الأحكام لا يريد مجرد الإخبار و الإلزام التطبيقي و إنما يحشد كل أساليب التوعية و التأثير ، لأنه يهدف إلى بناء الإنسان في تفاعله مع الحياة تفاعلا إيجابيا و خلق وازع استشعار المسؤولية عنده .

ثالثا : توصلت من خلال عرض موضوعين من أهم مواضيع الشريعة في القرآن الكريم و هما : الصلاة و الطلاق ، إلى أن القرآن الكريم في عرضه لهما لم يأت بمجرد الأمر الإلزامي للتطبيق بل عرضهما محاطين بسياج عقدي متين تكمن به أسباب التربية والتوعية للإنسان المؤمن .

فقد عرضت الصلاة محاطة بنداء الإيمان بالله و الإيمان باليوم الآخر و ورد بعدها الحديث عن الكون المسبح بحمد الله ، حتى يشعر الإنسان أنه الكائن الوحيد الذي يعبد الله اختيارا و تثار في نفسه دواعي الغيرة حتى يكون جزء مسبحا بحمد ربه من أجزاء هذا الكون الفسيح الذي لا يفتر عن العبادة .

و كان في ذلك مشجعا بدواعي الترغيب و الترهيب ، من الفوز بالجنة و رؤية الله في الآخرة أو النهاية الخاسئة ، كما أوضحت أن هناك تأثيرا متبادلا بين العقيدة و العبادة .فكما أن العقيدة مبعث الالتزام بالعبادة فإن العبادة تثبت العقيدة و يمكن أن تكون دعوة إليها .

أما بالنسبة للطلاق فقد عرضه القرآن الكريم بصورة مختلفة عن الوضع القانوني و الفقهي فأحاطه بكليات العقيدة: الإيمان بالله و الإيمان باليوم الآخر أتبعه بالحديث عن الكون ،كما أنه لا يوجد موضوع من مواضيع الشريعة حشد له من الترغيب و الترهيب ما حشد للطلاق .

كل هذا له تأثير على المسار الحضاري للإنسان المسلم ، فإذا عرض موضوع بمنهج القرآن أمكننا تجنب كثير من حالات الطلاق و ما يحدث في مجتمعنا من ظلم بسببه ، فقد قدم لنا القرآن الكريم هذا الموضوع بمنهج يجمع بين الموعظة و البناء الروحي عن طريق وصله للمؤمن في اتخاذ قرارات حياته بأمور العقيدة .

كما تبين لي أن هذا الموضوع من أهم مظاهر الإعجاز التشريعي في الإسلام ، إذ عالج مشاكل المؤسسة الأسرية بما يؤكد قوله تعالى : **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }** [1] .

إذ نفذ في أحكامه إلى أدق خلجات النفس البشرية و ما يساورها من أفكار و قدم لها العلاج المناسب .فأي قانون في الدنيا يمكن أن يعطي مثل علاج القرآن لمشاكل الأسرة : من نشوز و عدة و انفصال و نفقة ... ؟

رابعا : حين غابت النظرة الشمولية للإسلام و أهمل منهج القرآن الكريم بسبب النظرة التجزيئية للتصور الإسلامي عمت جميع مظاهر الانحراف في مجتمعاتنا و أفلست الحضارة الإسلامية ، إلا أنه عبر التاريخ يظهر من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، فوجدت أنه من أبرز علماء المسلمين الذين اتسموا بالنظرة الشمولية للإسلام: أبو حامد الغزالي و محمد الغزالي .

فاهتما بمجموعة من القضايا الأساسية :

1-إظهار المعاني الحقيقية للمصطلحات.

2-تنقية التراث الإسلامي مما علق به من آفات .

3-التأليف بمنهج يجمع بين العقيدة و الشريعة.

4 – محاربة الأفكار السلبية الوافدة .

5– العمل على تحقيق ما يهدفان إليه عن طريق الدعوة و التعليم .

---

[1] الملك: 14.

فمن خلال جهود هذين العالمين توصلت إلى أن الإصلاح لا يحقق أهدافه إذا كان المصلح على قدرة علمية تؤهله فهم و استيعاب مختلف العلوم التي تتجاوز حدود التخصص الضيق — و ألا تكون صلته بالقرآن الكريم قائمة على حفظ فقط ، و إنما أن يكون واعيا و مدركا لخصائصه و أسراره مستوعبا نظرته الشمولية ..

كما أتضح لي أن الجهد الذي بذله العلماء بحاجة إلى إظهاره و تبنيه بصورة مستمرة من قبل الدعاة و المصلحين ضمانا لمحاربة مظاهر الخلل المتفشية .

و لتحقيق ذلك أرى أنه لابد من :

1- الاهتمام بتدريس العلوم الإسلامية بمنهج يصلنا بالقرآن الكريم ، فنأخذ العقيدة بمقاصدها . أما الفقه فتدرج مسائله مقرونة بآيات القرآن ، لأن ذلك يعطيها القدسية في مجال التطبيق . إذ أن الذي يسوق المسلمين إلى الإتباع و امتثال الأوامر هو ما يتحلى به المصدر من قدسية. ففاعلية هذه القدسية أقوى من الأدلة و البراهين لأنها تصل الإنسان بكلام الله مباشرة ، إنها هي التي تحرك الوجدان و تجعل المسلم مراعيا للرقابة الإلهية في إقباله على الجانب العملي من الإسلام .

2- تشجيع البحوث المتعلقة بالوصل بين العقيدة و العبادات و العقيدة و المعاملات و تقديمها مقارنة بكتب الفقه و القانون.

3-الاهتمام بصورة أوسع بمقاصد الشريعة و مظاهر الإعجاز التشريعي لأن في ذلك تحصينا للمسلم و دعوة للإسلام .

ونسأل الله التوفيق و السداد في القول و العمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــارس

فهرس الآيات 375

فهرس الأحاديث 407

فهرس الأعلام 410

قائمة المصادر والمراجع ... 420

فهرس الموضوعات ... 448

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات :

سورة	الآية	رقمها	الصفحات
الفاتحة	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.	4-2	182
	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.	5	210-180
البقرة	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ.	4-3	135
	يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.	22-21	182
	وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.	25	180-155
	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.	30	220
	وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	42	54
	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ	43	305
	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ..	44	331
	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.	46-45	202-200

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.	62	130
كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	73	79
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.	82	154
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ.	83	116
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.	85	355
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ	98	54
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.	110	159
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ	120	79
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ.	125	192
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.	127-128	106

جمعية الإمام عبد العزيز للعلوم الإسلامية

ربَّنا واجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لكَ ومِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لكَ	128	107 103
وأَرِنا مَناسِكَنا وتُبْ عَلَيْنا إنَّكَ أنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ)ربّنا		
وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِكَ ويُعَلِّمُهُمُ		
الْكِتابَ والْحِكْمَةَ ويُزَكِّيهِمْ إنَّكَ أنْتَ الْعَزِيزُ		
الْحَكِيمُ(٠)ومَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إبْراهِيمَ إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ		
ولَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وإنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ		
الصَّالِحِينَ(٠)إذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ		
الْعالَمِينَ ووَصَّى بِها إبْراهِيمُ بَنِيهِ ويَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إنَّ اللَّهَ		
اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.أَمْ كُنْتُمْ		
شُهَداءَ إذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ		
مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إلَهَكَ وإلَهَ آبائِكَ إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ		
وإسْحاقَ إلَهًا واحِدًا ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.		
وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ.	130	146
إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	131	103
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ	143	55
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ	145	80
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.	153	202
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ.وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.	154 156	203
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	164	79

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.
134	178	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.
160 181 180		كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ. فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
134 57 279 168	183	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.
171 79	184	وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.
169	197	وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَاأُولِي الْأَلْبَابِ
160 159	215	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ.
158	220	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.
221	223	نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ
253-232	228	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ

أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.		
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ.	231	230 233 245
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.	232	230 234 245 247
وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ	237	252
حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى	238	54
أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ... فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ	250-246	121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.		
بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي	260	166
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى.	264	307
وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ.	265	188
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ.	267	307
إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ	271	307
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ. الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ	275 281	138 139 140 141

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	لَا يُظْلَمُونَ.		
	لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.	284	143 142
آل عمران	وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ	3	84
	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ.	19	104 103
	يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ	43	361 192
	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ	52	108
	وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ.وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.	48 51	125
	فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ	61	80
	يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	78	63
	أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ.	83	351
	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.	85	361 102
	وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ	120	69

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ	142		144
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ	145		70
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ	187		123
رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.	192	194	340
فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا.	195		340
وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ	197		158
وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا.	5		382
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا.	10		158
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.	13		155
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ.	14		159
الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى	34		224

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بَعْضٍ وبِما أنفقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فالصّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حفِظَ اللّهُ واللّاتي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ فإنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إنَّ اللّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيرًا.		
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وحَكَمًا مِنْ أَهْلِها إنْ يُرِيدا إصْلاحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُما إنَّ اللّهَ كانَ عَلِيمًا خَبِيرًا.	35	224
يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنْتُمْ سُكارى حَتّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ ولا جُنُبًا إلّا عابِرِي سَبِيلٍ حَتّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ إنَّ اللّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُورًا.	43	197 202 204
يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللّهِ والرَّسُولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلًا. أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إلَى الطّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا.	59 60	96
فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.	65	20-96 354
مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ وَمَنْ تَوَلّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا.	80	85

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا.	103	279
مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ.	123	40
وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ.	128	226
وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا.	128	226
وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا.وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا..وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.	130 132	236 240
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا...إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا	131 133	246
وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا.	156	122
فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا.وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ	160-161	123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	عَذَابًا أَلِيمًا.		
163	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.	165	
126	يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.	171	
289 129 309	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.	3	المائدة
203	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	6	
192	وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ.	12	
124 116	وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا	12-13	

لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل. فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين.			
وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين. ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين.	20 21		119
قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين.	23		120
قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.	24		120
قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين.	25		120
قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين.	26		120
يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا...	41		118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سَمّاعُون لِلْكَذِبِ أَكّالُون لِلسُّحْتِ.	42	119
إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.	44	103 20 104
إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ. وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...	44 45	116
وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	46 47	125
فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ...	48	360
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ.	55	202
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.	64	122
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا	73	126

	منْهُمْ عذَابٌ أليمٌ.		
	يَاأَيُّها الَّذين آمَنُوا إنَّما الْخمْرُ والْميْسرُ والْأنْصابُ والْأزْلامُ رجْسٌ منْ عمَلِ الشَّيْطان فاجْتنبُوهُ لعلَّكُمْ تُفْلحُون.	90	134
	وأَطيعُوا اللَّهَ وأَطيعُوا الرَّسُول	92	54
	يَاأَيُّها الَّذين آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ...	95	134
	وَإذْ أَوْحَيْتُ إلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمنُوا بي وَبرَسُولي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بأَنَّنَا مُسْلمُونَ.	111	108
الأنعام	الْحَمْدُ للَّه الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّورَ	1	54
	وَمَا نُرْسلُ الْمُرْسَلينَ إلَّا مُبَشِّرينَ ومُنذرينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.	48	149
	انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ.	65	79
	وَكَذَّبَ به قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بوَكيلٍ.لكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.	67 66	85
	وَأُمرْنَا لنُسْلمَ لرَبِّ الْعَالَمينَ.وَأَنْ أَقيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذي إلَيْه تُحْشَرُونَ.وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْضَ بالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ في الصُّورعَالمُ الْغَيْب وَالشَّهَادَة وَهُوَ الْحَكيمُ الْخَبيرُ.	73-71	209 142
	وَهُوَ الَّذي أَنشَأَكُمْ منْ نَفْسٍ وَاحدَة فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَات لقَوْمٍ يَفْقَهُونَ.	98	338 79
	اتَّبعْ مَا أُوحيَ إلَيْكَ منْ رَبِّكَ لَا إلَهَ إلَّا هُوَ وَأَعْرضْ عَنْ الْمُشْركينَ.وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهمْ حَفيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهمْ بوَكيلٍ.	107-106	85

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ.	114		354 97
لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	127		350
قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ.	145		365
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ.	146		123
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ.	148		38 36
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.	151 153		118
ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا	154		117

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ.			
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ	162	164	182
وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.	43		343
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.	54		84
حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ.	57		345
يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ.	59		110
رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي.	62-61		110
وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.	85	112	113
وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	86		114
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا.	88		114
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ.	92-91		115
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.	96		150
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ	111		51
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى	138		121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ.		
116	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ.	145	
122	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ.	148	
221	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا.	189	
55	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ	2 4	الأنفال
435	وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ.	11	
79	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ.	22	
40	إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ.	29	
53	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ	18	التوبة
307	وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا.	25	
126 122	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.	30	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.	31		122
وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ.	34 35		157
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	103		191
وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ	106		51
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ.	3	يونس	84
ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.	15		363
يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ	57		163
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ. إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.	72-71		106
وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ.	84		109

هود	وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط. ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ.	84 86	112
	بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ.	86	113
	أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا.	87	113
	ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد.	89	114
	واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود.	90	114
	قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز.	91	114
	ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود.	94 95	115
	وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين.	114	195
يوسف	وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين	17	52
	وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين.	56	352
	إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون.	87	37

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ.	101	103 108
الرعد	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.	11	266
	وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ.	22 24	155
إبراهيم	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ.	7	40
	وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ.	23	155
	قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ.	31	135
	قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ. اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ.	31 ..2	209 142
	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ	37	192
الحجر	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.	9	258-77

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ.	39 40	103
	وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ.فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ.	78 79	115
	وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ.	99	35
	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ.فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ.	97 99	194
النحل	وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.	12	79
	ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	32	340
الإسراء	وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا	32	173
	وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا.وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا.إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا.وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا.سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا. أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا.	73 79	193
	أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا.	78-79	207
الكهف	وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا.	57	281
مريم	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.وَجَعَلَنِي	30-31	125-193

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا.		
	أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي.	46	146
طه	إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي.	14	195 196
	إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى.	15	343
	قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.	49 50	84
	فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى.	130	184**
الأنبياء	لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ	23	163 164
	وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا.	90	146
	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ	107	153
الحج	فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ.	30	366
	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.	52	282
	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.	77	203 204
	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ	78	204

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	النَّصيرُ.		
المؤمنون	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ.	1 2	197
	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ... وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.	1 11	207
	فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ.	27	112
	وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ.	60 61	351
النور	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	2	173 174
	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.	27	134
	نُورٌ عَلَى نُورٍ.	35	81
	فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ.	36	185
	فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ	36-	195

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	فيه القُلُوبُ وَالْأَبْصارُ.			
	كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.	41		211
	أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ.وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.	41	42	142
	وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ... إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاوَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	47	51	98
	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.	55		365 150
الشعراء	إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ.فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي.	107	108	110
	كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ.إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ.إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ.فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ.وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(.أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ.)وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ.وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ.	176	184	112
	إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ.وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ.فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.	185-187		115

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	فكذّبوهُ فأخذهُمْ عذابُ يومِ الظُّلّة إنّهُ كانَ عذابَ يومٍ عظيم.إنّ في ذلكَ لآيةً وما كانَ أكثرُهُمْ مؤمنين.)وإنّ ربّكَ لهُو العزيزُ الرّحيمُ.	189	191	115
النمل	طس تلكَ آياتُ القُرآنِ وكتابٍ مُبينٍ.هُدًى وبُشرى للمُؤمنين.الّذينَ يُقيمُونَ الصّلاةَ ويُؤتُونَ الزّكاةَ وهُمْ بالآخرةِ هُمْ يُوقنُونَ.إنّ الّذينَ لا يُؤمنُونَ بالآخرةِ زيّنّا لهُمْ أعمالَهُمْ فهُمْ يعمهُونَ.	1	4	205
	قالَتْ يا أيُّها الملأُ إنّي أُلقيَ إليّ كتابٌ كريمٌ.إنّهُ منْ سُليمانَ وإنّهُ باسمِ اللّهِ الرّحمانِ الرّحيمِ.ألّا تعلُوا عليّ وأْتوني مُسلمين.	29	31	**108
	فلمّا جاءتْ قيلَ أهكذا عرشُكِ قالتْ كأنّهُ هُو وأُوتينا العلمَ منْ قبلِها وكُنّا مُسلمينَ	42		108
	إنْ تُسمعُ إلّا مَنْ يُؤمنُ بآياتنا فهُمْ مُسلمُونَ.	81		103
القصص	واضْمُمْ إليْكَ جناحَكَ منَ الرّهْبِ	32		147
العنكبوت	اعبُدُوا اللّهَ واتّقُوهُ ذلكُمْ خيرٌ لكُمْ إنْ كُنتُمْ تعلمُونَ.	16		79
	اتْلُ ما أُوحيَ إليْكَ منَ الكتابِ وأقمِ الصّلاةَ إنّ الصّلاةَ تنْهى عنِ الفحشاءِ والمُنكرِ ولذكرُ اللّهِ أكبرُ واللّهُ يعلمُ ما تصنعُونَ.	45		195 198
الروم	ومنْ آياتهِ أنْ خلقَ لكُمْ منْ أنفسكُمْ أزْواجًا لتسكُنُوا إليْها وجعلَ بينكُمْ مودّةً ورحْمةً إنّ في ذلكَ لآياتٍ لقوْمٍ يتفكّرُونَ.	21		221
	فأقمْ وجْهكَ للدّينِ حنيفًا فطْرةَ اللّهِ الّتي فطرَ النّاسَ عليْها لا تبْديلَ لخلْقِ اللّهِ ذلكَ الدّينُ القيّمُ ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يعْلمُونَ.	30		78-129-167
لقمان	الم.تلْكَ آياتُ الكتابِ الحكيمِ.هُدًى ورحْمةً	1-5		205

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	لِلْمُحْسِنِينَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.		
السجدة	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ.	17	156
الأحزاب	مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ	7	54
	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ.	40	291
	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا.	49	134
	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا.	72	185
فاطر	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.	28	181
يس	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.	47	36
الصافات	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ.	96	335
	فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.	143	40
ص	أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ.	10	345
	وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ.	26	137
الزمر	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.	3	186

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ.قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ.	10 12	363
	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ.	38	83
	لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.	53	37
غافر	غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ	3	54
	فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ.	83	279
فصلت	فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ.	27-28	343
	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ.	53	78-222
الشورى			
	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.	13	111
	وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ.	37	366
الزخرف	مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ.	58	15
	وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.لَكُمْ فِيهَا	72-73	154-351

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	فاكهةٌ كثيرةٌ.		
الجاثية	ثُمَّ جعلْناكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.	18	360
الأحقاف	أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.	14	351
محمد	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ.	15	154
	إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ	25 26	98
الحجرات	فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ.	9	87
	قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا	14	103
	وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ.	15	45
الذاريات	قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ. فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(35)فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.	31 36	108
	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.	56	181-91
النجم	ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنْ الْعِلْمِ.	30	279
	وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.	41-39	343

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرحمان	يامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ.	33	80
	وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ.	46	153
	مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ	54	153
	وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ.	62	153
الواقعة	وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ. عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ. مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ. جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا.	10 26	155
الحديد	آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ	7	135
	قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.	17	79
المجادلة	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا.	1	84
الصف	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.	9	375
	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.	11-10	45
الجمعة	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ	9	195-203-205

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.		
الطلاق	يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا.	1	230 245 247 254
	فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا.	2	230 232 233 241 245 247
	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(2)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.	3 2	241 243 247 308
	وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا. ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا.	5 4	241 245 247 248 249 254
	أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ.	6	249
	وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا.فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا.	9-8	246
	وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ... فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا	10-8	248

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	أعدّ اللّٰهُ لهُمْ عذابًا شديدًا.	10	248 247
	قَدْ أنزلَ اللّٰهُ إليْكُمْ ذكْرًا. رسُولًا يتْلُو عليْكُمْ آياتِ اللّٰهِ مُبيِّناتٍ.	11 10	250
	اللّٰهُ الّذي خلقَ سبْعَ سماواتٍ ومِنَ الْأرْضِ مثْلهُنَّ يتنزّلُ الْأمْرُ بيْنهُنَّ لتعْلمُوا أنَّ اللّٰهَ على كُلِّ شيْءٍ قديرٌ وأنَّ اللّٰهَ قدْ أحاطَ بكُلِّ شيْءٍ علْمًا.	12	239 236 251
التحريم	يا أيُّها الّذينَ كفرُوا لا تعْتذرُوا الْيوْمَ إنَّما تُجْزوْنَ ما كُنْتُمْ تعْملُونَ.	7	343
القلم	إنَّا إلى ربِّنا راغبُونَ.	32	146
المعارج	إنَّ الْإنْسانَ خُلقَ هلُوعًا. إذا مسَّهُ الشَّرُّ جزُوعًا. وإذا مسَّهُ الْخيْرُ منُوعًا. إلَّا الْمُصلِّينَ. الّذينَ هُمْ على صلاتِهِمْ دائمُونَ	23 19	201
	الّذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائمُونَ.	23	202
نوح	إنَّا أرْسلْنا نُوحًا إلى قوْمِهِ أنْ أنْذرْ قوْمكَ مِنْ قبْلِ أنْ يأْتيهُمْ عذابٌ أليمٌ. قالَ يا قوْمِ إنِّي لكُمْ نذيرٌ مُبينٌ. أنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ واتَّقُوهُ وأطيعُونِ. يغْفرْ لكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ويُؤخِّرْكُمْ إلى أجلٍ مُسمًّى إنَّ أجلَ اللّٰهِ إذا جاءَ لا يُؤخَّرُ لوْ كُنْتُمْ تعْلمُونَ	4 1	109
	وقالُوا لا تذرُنَّ آلهتكُمْ ولا تذرُنَّ ودًّا ولا سُواعًا ولا يغُوثَ ويعُوقَ ونسْرًا.	23	110
	وقالَ نُوحٌ ربِّ لا تذرْ على الْأرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ ديَّارًا. إنَّكَ إنْ تذرْهُمْ يُضلُّوا عِبادكَ ولا يلِدُوا إلَّا فاجِرًا كفَّارًا	27 26	111
المزمل	يا أيُّها الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إلَّا قليلًا. نصْفهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قليلًا. أوْ زِدْ عليْهِ ورتِّلِ الْقُرْآنَ ترْتيلًا. إنَّا سنُلْقي عليْكَ قوْلًا ثقيلًا. إنَّ ناشِئةَ اللَّيْلِ هيَ أشدُّ وطْئًا وأقْومُ قيلًا.	6-1	193-189- 281-280

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدثر	وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ.	31		280
الأعلى	سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى.	5	1	183
	فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى. سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى. وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى. ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى.	15	9	195
الليل	فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى.	10	5	38
العلق	كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ.	19		282
البينة	وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ.	5	4	125
الزلزلة	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.	8	7	341 133
العصر	وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.	3	1	215
الماعون	أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.	5	1	201
	فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.	5	4	197

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الأحاديث	الصفحة
بهذا أمرت أم بهذا جئت إليكم....	15
تشهدين ألا إله إلا الله؟ قالت : نعم	56
احتج ادم و موسى ، و في لفظ أن موسى قال : يا رب أرنا ادم الذي أخرجنا من الجنة بخطيئته...	41
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه...	56
إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه...	223
إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله -تبارك و تعالى -: تريدون شيئا أزيدكم؟...	156
أربع من أعطينهن فقد أعطي خير الدنيا و الآخرة...	223
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله...	56-191
أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسكم...	110-188
أظل الله عبدا في ظله يوم لا ظل إلا ظله...	141
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر...	155، 156
أعقلها وتوكل.	242
أفلا أكون عبدا شكورا...	27-194
أما إن أحدكم إذا قام في الصلاة فإنه يناجي ربه...	196
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ...	341
أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا و الآخرة...	109
إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد ...	258
أنتم أعلم بشؤون دنياكم...	86
أن سودة بنت زمعة و هبت يومها لها...	227

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن كنت مؤمنا فلا تمنع أختك عن أبي البداح...	234
إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر...	156
	208
إن معقل بن يسار زوج أخته رجلا من المسلمين...	233
	234
أيما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير ما بأس...	228
الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و بلقائه...	20
الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله....	-56
	206
بني الإسلام على خمس...	182
	305
تداووا فإن الله -عز وجل- لم يضع داء إلا ووضع له دواء	346
تزوجوا الولود الودود...	220
تنكح المرأة على مالها...	223
خمس صلوات كتبهن الله على عباده...	207
	208
خير أئمتكم الذين تحبون...	191
رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة..	192
الصيام و القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة...	169
العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة...	191
عليكم بكثرة السجود...	208
فيأتون نوحا فيقولون....	109
قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين	196
كان النبي يبعث إلى قومه خاصة.....	364
كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ...	55
لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن...	223
لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا.....	124
للجنة ثمانية أبواب...	169
لو أنكم توكلتم على الحق حق توكله...	242
ليسلط على الكافر في قبره تسعة و تسعين تنينا...	280

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ما تجدون في التوراة في شأن الرحم ؟	119
ما من صاحب ذهب و لا فضة لا يؤدي منها حقها...	157
ما أحل الله شيئا أبغظ إليه من الطلاق...	228
ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل...	15
ما من أحد يدخله عمله الجنة....	350
ما منكم من أحد إلا و قد كتب مقعده من النار أو من الجنة.....	38
مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها	109
من حافظ عليها كانت له نورا و برهانا...	207
هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم	56
هل تدري ما حق الله على عباده...	185
هون عليك فإني لست بملك و لا جبار...	86
هي من قدر الله...	346
و جعلت قرة عيني في الصلاة...	282
يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم...	241
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...	222

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

1-إبراهيم عليه السلام :106-107 166 192

2-الإبراهيمي محمد البشير :23-46-321

3-أبي بن خلف :207

4-أبقراط :272

5-أتاتورك :72

6-آدم عليه السلام: 41-105-220-280

7-أركون محمد :69-357

8-أرسطو :272

9- إبن إسحاق :5

10-إسرائيل :115-116-118-119-121-123-124

11-إسماعيل -عليه السلام -:192

12-إسماعيل بن جعفر :287

13-الإسماعيلي نصر :261

14-الأصفهاني الراغب: 81-103-146-147

15-الأفغاني جمال الدين :317

16-أفلاطون :272

17-إقبال محمد :193

18-إبن أبي أمامة :11

19- إبن أنس مالك :5-24

20- أنطوان فرح :71

21-الأوزاعي :5

22-إبن باديس عبد الحميد:321-323

23-الباجوري :10

24-الباقلاني أبو بكر :18

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

25-البخاري محمد إسماعيل :110
26- -أبو البداح :234
27-البسطامي أبو يزيد :28 -32- 34--285-286
28-البصري الحسن :28
29-البغدادي عبد القادر :36 -287
30-البقاعي برهان الدين :151-243-250
31-البنا حسن :317-329
32-بونبارت نابليون :67
33-البوطي سعيد رمضان :217
34-التسخيري محمد علي :91
35-التفتازاني :10-15
36-التيجاني :46
37-إبن تيمية أحمد :29-34-35-38--53-128-180-258-266-345
38 إبن جبل معاذ :183
39-الثوري سفيان :5
40-إبن جديد الشاذلي :320
41-إبن جريج:5
42-جرير بن عبد الله :156
43-جريج بن عطاء :110
44-الجعد بن درهم :36
45-الجهم بن صفوان :36
46-إبن الجوزي جمال الدين :290
47-الجويني:261-262
48-إبن حجر :25
49-حرملة :254

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأ-حسين طه :69
أ-إبن حزم علي بن أحمد :163-164-165-275
52-حسين محمد الخضر :74
53-حماد بن سلمة :5
54-الحمصي نعيم :216
55-أبو حنيفة :25-297
56-الحوالي سفر بن عبد الرحمان :58-62
57-خالد محمد خالد :358-359-361
58-الخالدي صلاح :216
59-الخدري أبو سعيد :124
60-الخضر عليه السلام :35-36
61-إبن الخطاب عمر :40
62-إبن خلدون عبد الرحمان :276
63-خلف الله محمد :76
64-خولة :84
65-خليل عماد الدين :82-94
66-الخولي جمعة :319
67-دراز محمد عبد الله :105
68-الدهلوي أحمد شاه :166-167-172
69-دنيا سليمان :272
70-ديو رانت ويل :65
71-الذهبي :5
72-الراذكاني أحمد :261
73-الرازي فخر الدين :18-194-238
74- عبد الرازق علي:74-85-86-88-89-90

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

75-رضا محمد رشيد :317
76-رنان أرنست :78
77-الريس ضياء الدين :74
78-الزبيدي مرتضى : 265 -299-
79- الزرقاني عبد العظيم :318
80-الزمخشري محمود :129-188-196
81-إبن أبي الزناد عبد الرحمان :227
82-أبو زهرة محمد :217
83- أبو زيد نصر حامد :357-263-363-463
84-زيهر جولد :463
85- سابق سيد :319
86-السادات، :326
87-السبكي أبو نصر :265
88-السقطي سري :28
89-إبن سلام عبد الله :119
90-سليمان عليه السلام :108-156
91-السروجي عزت :319
92-سمك محمد صالح :148
93-السنوسي :46
94-سوزدون جورج :68
95-سودة بنت زمعة :227
96-سيد أحمد :47
97-الشاطبي إبراهيم بن موسى :258
98-الشافعي محمد بن إدريس :264-297
99-شحاتة أحمد :319

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

100-الشرياصي أحمد :299
101-شعيب -عليه السلام- :112-113-114-115 151 246
102-شلبي أحمد :126
103-شلبي محمد مصطفى :221
104-شلتوت محمود :318
105-شميل إميل :71
106-شميل شبلي :71
107-الشهرستاني :37
108-الشيباني محمد بن الحسن :92
109-أبو صير محمد طلعت :149
110-الضحاك :122
111- إبن أبي طالب علي :194
112- أبو طالب المكي:265
113-الطباطبائي سيد محمد سيد :240
114-الطهطاوي رفاعة :69
115-عائشة -رضي الله عنها- :227
116- إبن عازراء فنحاص :122
117-إبن العاص عمرو:212
118- إبن العاص عبد الله بن عمرو:223
119-العالم يوسف حامد :220
120-إبن عاشور محمد الطاهر :7-9-74-87-88-89-90-103-104
118-138-160-199-200--218
121-إبن عباس :110-122-222-233
122- عبد الرازق علي:74-85-86-88-89-90
123-عبده محمد :7-9-106-107-217-266-299-317

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

124- أبو عبيدة :40- 211- 212
125-عبد الله بن عمر :41-
126-العدوية رابعة :28
127- عبد العزيز بلال :318
128-إبن عبد العزيز عبد الله :325
129-إبن عربي محي الدين :29-44-48-49
130-إبن عرفة :165
131-إبن أبي عروبة :5
132- العسال أحمد :320
133إبن عبد العزيز عمر:216
134-إبن عطية عبد الحق :129-199-200
135-عكرمة :122
136-العلاف أبو الهذيل :18
137-العلواني طه جابر :18
138- عمارة محمد :39-62-65-90-322
139-إبن عمر عبد الله :41-
140- إبن عوف عبد الرحمان :204
141- عوف ابن مالك الأنصاري :242
142-عويس عبد الحليم :320-323
143-عيسى -عليه السلام -:88-89-105-108-125-126-127-128-
144-الغامدية :2
145-الغرباوي إبراهيم :318
146-الغزالي أبو حامد :28-29-197-220-258-261-262-263-264
-265-266-267-268-269-270-271-273-274-275-276-
277-283-284-285-286-288-289-291-292-293-294-

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

305-304-303 302-301-300-299-298-297-296-295
312-311-309-308-307-306
147-الغزالي ضياء الدين :325
148-الغزالي عصام :326
149- الغزالي علاء محمد 324
150-الغزالي محمد :17-25-48-314-315-317-318-319-320-
321-322-323-324-325-326-327-328-329-332-336-
337-338-339-340-341-342-343-344-345-346-347
349-350-351-352-353-355-357-358-360-362-363
364-366-367
151-الغفاري أبو ذر :241
152-إبن الفارض :29-32
153- فاروق :326
154-فرعون :207-246
155-فضل الله محمد حسين :25-143-150-151-197-221-237
156-فودة فرج :75-76-366
157-فارون :207
158-إبن قدامة :138
159-القرافي شهاب الدين :126-127
160-القرضاوي يوسف :64-80-314-319-323
161-القرطبي محمد بن أحمد :111-224
162-قرمط حمدان :287
163-القشيري :29-33-34-265

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

164 قطب سيد :14 17 25-96 97 113 117 121 124 134
152-153-189-196-200-201-206-207-209-228 231
232-235-239-246
165 قطب محمد 31-128-148
166-القنوجي صديق بن حسن :4
167-إبن القيم محمد بن أبي بكر :18-39-180-358
168- قبصر-65-85
169-الكسر محمد:47
170-إبن كثير محافظ عماد الدين :96-160-180-226-227-237
171-الكرخي معروف :28
172-الكلاباذي محمد أبو بكر :33
173-الكوين فيتور :65
174-كيلاني قمر :29
175-ابن لهيعة :5
176-لوط عليه السلام :108-246
177-ليفاري جي آي :213
178-إبن مالك ماعز:2
179- مبارك حسني :326
180-المبارك محمد :6-20-25-90-181-184-188-190-258
181- مجاهد :111-233
182-المحاسبي الحارث :28-264
183-ماهان :211
184-محمد علي :69
185-محمود عبد الحليم :265-320
186-المدرسي محمد تقي :25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

187-المراغي :263
188-مريم:- 109 192
189-المزي :264
190-ابن مسعود عبد الله :222
191-المسيري عبد الوهاب :63
192-المطيعي محمد بخيت :74
193-المقدسي مرعي بن يوسف :40-42
194-المقريزي :15
195-ابن منصور سعيد :227
196-ابن منظور محمد بن بكر :146-147
197-المودودي أبو الأعلى :25-110-181
198-موسى -عليه السلام -:35-36-41-42-88-89-105-109-115-
116-117-109-120-196-
199-الميداني عبد الرحمان حسن حبنكة : -183-189-198-199
200- عبد الناصر جمال :326-327
201-نافع : 112
202-النجار عبد المجيد : 21-25-155-175-176
203-النديم عبد الله :57
204-نظام الملك-الحسن بن علي بن العباس:260
205-نوح -عليه السلام -:96-99-100-101-177
206-النورسي ديع الزمان :24-144-146-158-159-179-188-200
207-هامان :197
208-الهروي إسماعيل :348
209-أبو هريرة :15
210-هلال إبراهيم :255

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

211-ابن الوليد خالد :211

212-ابن وهب :5

213-ابن يسار معقل :234

214-يعقوب -عليه السلام- : -115-123

215-يوسف -عليه السلام -:108-156

216-أبو يوسف :5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

الكتاب المقدس : العهد القديم و العهد الجديد. نشر جمعيات الكتاب المقدس المتحدة . 1966 م. لبنان .

1 – الإبراهيمي(محمد البشير): آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي . جمع و تحقيق :أحمد طالب الإبراهيمي . دار الغرب الإسلامي . ط1 . 1997 م. بيروت .

2 – إدريس محمود إدريس (أبو عبد العزيز) :مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية و أثرها السيئ على الأمة الإسلامية . مكتبة الرشد للنشر و التوزيع . ط1 . 1998م .

3 – إسماعيل (عبد العزيز): الإسلام و الطب الحديث . مطبعه مصر . ط2 . 1959م .

4– الأشعري (أبو الحسن ت.324هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. دار إحياء التراث العربي .ط:3.بيروت.

5 – إقبال (محمد): تجديد الفكير الديني في الإسلام . دار آسيا للطباعة و النشر و التوزيع . 1985م .

6 – الأصفهاني (الراغب): معجم مفردات ألفاظ القرآن . تحقيق :تقديم مرعشلي . دار الكتاب العربي 1972 م .

7 – // // : المفردات في غريب القرآن . دار الكتاب العربي . 1972 م .

8 –// // : الذريعة إلى مكارم الشريعة . مكتبة الكليات الأزهرية . ط1. 1973م.

9 – أمين (أحمد): فجر الإسلام . مكتبة النهضة المصرية.ط1. 1975م.

10– // // :ضحى الإسلام.دار الكتاب العربي .ط:10بيروت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

11-الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب ت : 403هـ) : تمهيد الأوائل ، تلخيص الدلائل . تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . مؤسسة الكتب الثقافية . ط1 . 1987م.بيروت

12 – البخاري (محمد إسماعيل): الجامع الصحيح . دار التراث العربي . بيروت

13 – بدوي (عبد الرحمان): الموسوعة الفلسفية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

14 – البطح (محمد حسنين أحمد): الدعوة الإسلامية في القرن الخامس الهجري . مؤسسة الرسالة .

15 – البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن محمد أبو منصور): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية . دار الآفاق الجديدة . ط2. 1977 م. بيروت .

16 – البقاعي (برهان الدين ت:885 هـ): مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي . تحقيق :عبد الرحمان الوكيل . دار الكتب العلمية . 1980م . بيروت .

17 – // // : نظم الدرر في تناسب الآيات و السور . دار الكتب العلمية . ط1 . 1995 م. بيروت .

18 – البهي (فضل): السلوك و أثره في الدعوة إلى الله . دار ابن حزم . ط1 . 2000 م. بيروت .

19-البوطي(محمد سعيد رمضان): العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر .مطبعة خالد بن الوليد .1988م-1989م.

20 – البيضاوي(ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر . ت:791 هـ): أنوار التنزيل و أسرار التأويل . تحقيق :عبد القادر عرفات العشا حسونة . دار الفكر . 1996م . بيروت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

21 - البيهقي (أحمد بن الحسن بن علي بن موسى .ت:458 هـ): . السنن الكبرى. دار المعرفة . 1413 هـ . 1992 م . بيروت .

22 – الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى) سنن الترمذي . تحقيق :كمال يوسف الحوت . دار الكتب العلمية . بيروت .

23 – التوبة (غازي). في مجال العقيدة . نقد و عرض . مؤسسة الرسالة . ط1. 1986م. بيروت.

24– إبن تيمية (أحمد بن عبد الحليم .ت:728 هـ). مجموع الفتاوى . مكتبة المعارف . الرباط . المغرب.

25 – // // : كتاب الإيمان . مطبوعات ميموني للنشر و التوزيع . 1998م. الجزائر.

26 –// // : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . تحقيق :علي حسين ناصر . عبد العزيز إبراهيم . حمدان محمد . دار العاصمة . ط1 . 1423 هـ . الرياض.

27 – الجزيري (عبد الرحمان): الفقه على المذاهب الأربعة . المكتبة التوفيقية.

28 – إبن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج): تلبيس إبليس . دار الجيل . بيروت.

29-الجويني (أبو المعالي ت 478هـ) : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد .تحقيق :محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد . مطبعة السعادة 1950م مصر .

30 – الحاكم (الحافظ أبي عبد الله النيسابوري): المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي . دار الكتاب العربي بيروت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

31 ابـــن حزم (علي ابن أحمد بن سعيد .ت:754 هـــ): الفصل في الأهواء والملل و النحل . دار المعارف . مصر .

32 // // : الإحكـــام في أصـــول الأحكـــام . تحقيق : أحمد محمد شاكر .مطبعة السعادة . طبعة 1 . 1347 هـــ. القاهرة.

33 – حسين (طه): مستقبل الثقافة في مصر . القاهرة . 1990 .

34 – الحفني (عبد المنعم): الموسوعة الصوفية . أعلام التصوف و المنكرين عليه والطرق الصوفية . دار الرشاد . ط1 . 1412 هـــ . 1992م .

35 – الحمصـــي(نعـــيم): فكـــرة إعجـــاز القرآن . مؤسسة الرسالة . ط2 1980م.

36 – إبن حنبل(أحمد): المسند و بهامشه كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال . دار صادر . بيروت .

37 الخـــوالي(سفر بن عبد الرحمان): العلمانية نشأتها و تطورها و آثارها في الحـــياة الإســـلامية المعاصـــرة . الدار السلفية للنشر والتوزيع . 1987م . بيروت .

38 – // // ظاهـــرة الإرجـــاء في الفكر الإسلامي . توزيع مكتـــب الطيـــب لخدمة التراث الإسلامي و الرسالة العلمية . 1405 هـــ .

39 – الخالدي (صلاح): البيان في إعجاز القرآن . مؤسسة الرسالة . ط1 .

40 – عبد الخالق (عبد الرحمان): الفكر الصوفي في ضوء الكتاب و السنة دار الحرمين للطباعة . ط4 . 1413 هـــ . 1993 م . القاهرة .

41 – حفاجي (محمود أحمد): الإمام الغزالي و دوره في علم الكلام و الفلسفة . رســـالة دكتوراه إشراف: عبد العزيز عبد الله عبيد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأزهر . كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة . 1992 م .

42- إبن خلدون (عبد الرحمان ابن محمد . ت:1406 هـ) :المقدمة . تحقيق :درويش الجودي . المكتبة العصرية . ط 1 . 1415 هـ . 1995 م . بيروت .

43- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت 608هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .مكتبة النهضة المصرية ط 1 . 1948م.

44 – خليل (الجر) مع حنا الفاخوري : تاريخ الفلسفة العربية . دار الجيل . بيروت .

45 – خليل (عماد الدين)هافت العلمانية . مؤسسة الرسالة .

46 – خليل (عماد الدين)و آخرون : الشيخ محمد الغزالي صور من حياة مجاهد عظيم ، و جوانب من فكره. دار الصحوة للنشر و التوزيع . القاهرة .

46- الخميس (محمد بن عبد الرحمان) : أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة .دار الصميعي للنشر والتوزيع ط.1.1996م الرياض

47 – الخن (مصطفى سعيد): دراسة تاريخية للفقه و أصوله . و الاتجاهات التي ظهرت فيها.الشركة المتحدة للتوزيع . ط1 . 1404 هـ . 1984 م .

48 – الدار قطني(أبوالحسن علي بن عمر) سنن الدار قطني . تحقيق :عبد الله هاشم يميني المدني . دار المعرفة . 1966 م. بيروت.

49 – الدارمي(أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان): السنن . دار الفكر . بيروت .

50 – أبـــو داود (ســـلمان بن الأشعث السجستاني): سنن أبي داود . دراسة وفهرســـة: كمـــال يوسف الحوت . مركز الخدمات والأبحـــاث الثقافـــية . دار الجنان . ط1 . 1988 . بيروت .

51 – دراز (محمد عبد الله): الدين . دار حياء التراث. 1997.القاهرة.

52 – الدمشـــقي (عبد الحي بن أحمد العكري):شذرات الذهب في أخبار من ذهب . دار الكتب العلمية . بيروت .

53 – الدهلوي(أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم . ت:1076 هـــ): حجة الله الـــبالغة . دار الكتـــب العلمية . 1415 هـــ . 1995م بيروت .

54 – ديورانت(ويل): قصة الحضارة . تحقيق :محمد بدران . مطـــبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر . 1957 . القاهرة .

55 – الرازي (فخر الدين . ت:606 هـــ): التفسير الكبير . دار إحياء التراث العربي. بيروت .

56 – الـــرازي (محمد أبي بكر بن عبد القادر . ت: 721 هـــ)مختار الصحاح . تحقيق: محمود خاطر . مكتبة لبنان ناشرون . 1415 هـــ . 1995م . بيروت .

57 – عـــبد الرحـــيم (عمـــر عبد الله): فكر الشيخ الغزالي في إطار . مدرسة الإصلاح الإسلامي في مصر . رسائل الأزهر .1998

58 – رضا (محمد رشيد): تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده . مطبعة المنار .ط 1 . 1324هـ .

59 –// // : الوحي المحمدي . دار الكتاب . الجزائر .

60 –// // : تفســـير المنار . مطبعة المنار .ط1. 1353هـــ . مصر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

61 الريسوني (أحمد) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي . المعهد العالمي للفكر الإسلامي . 1401هـ . 1981م .

62 – الزركلي (خير الدين) الأعلام .دار العلم للملايين.ط7. 1986 بيروت .

63 – الزمخشري (محمود بن عمر . ت : 528 هـ) : الكشاف . دار الكتاب العربي . ط 3 . 1407 هـ .

64 – أبو زهرة (محمد): محاضرات في النصرانية . تقديم :عمار طالبي . تصدير محمد: الغزالي . دار الشهاب . 1989. الجزائر .

65- الزهراني (علي بن بخيت) : الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة .دار الرسالة للنشر والتوزيع .مكة المكرمة .

66 أبو زيد (نصر حامد): مفهوم النص . دراسة في علوم القرآن . المركز الثقافي العربي . ط5 . 2000 . بيروت .

67 // // : الخطاب و التأويل . المركز الثقافي العربي . ط1 . 2000 م. بيروت .

68- السبكي (أبو نصر عبد الوهاب بن علي . ت : 771 هـ): طبقات الشافعية . هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان ط2 . 1992 م. الجيزة .

69 – سعد الله(أبو القاسم) :تاريخ الجزائر الثقافي . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . 1981 . الجزائر .

70 – أبو السعود (محمد بن محمد العمادي . ت : 971 هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . دار إحياء التراث العربي . بيروت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

71 - عثمان (محمد صالح): فن التدريس لتربية الذهنية و ارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية . مكتبة الأنجلو المصرية . ط1 . 1378هـ القاهرة .

72 - سيف النصر (عبد العزيز): التأويل الإسماعيلي . مطبعة الجبلاوي .

73 - السيوطي(عبد الرحمان بن أبي بكرات . ت : 911 هـ): تاريخ الخلفاء . تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . ط1 . 1952 م. مصر .

74 - الشاطبي (إبراهيم بن موسى . ت : 790 هـ): الموافقات في أصول الشريعة . دار الكتب العلمية . بيروت .

75 - الشرباصي (أحمد) : الغزالي و التصوف الإسلامي . دار الهلال .

76 - شلبي (أحمد) المسيحية . مكتبة النهضة المصرية . 1988 م. القاهرة .

77 - شلبي (محمد مصطفى) تعليل الأحكام ، عرض و تحليل لطريقة التعليل وتطورها في عصور الاجتهاد و التقليد . دار النهضة العربية . 1401 هـ . 1981 م . بيروت .

78 // // : أحكام الأسرة في الإسلام . دراسة مقارنة بين فقه المذاهب السنية و المذهب الجعفري و القانون . دار النهضة العربية. ط 2 . 1397 هـ . 1977م . بيروت .

79 - شمس الدين(محمد مهدي): العلمانية . المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع .

80- الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت :548هـ) : الملل والنحل . تحقيق محمد سيد كيلاني .دار المعرفة 1404هـ بيروت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

81 – الشـــيرازي (ناصر مكارم): الأمثل في تنزيل كتاب الله المنزل . مؤسسة البعـــثة للطباعة والنشر والتوزيع.ط 1 1413 هـ .

82 – الشيرازي (محمد حسين): تقريب القرآن للأذهان . مؤسسة الوفاء.ط 1 1400 هـ .

83 – الصـــاوي (صـــلاح): المواجهة بين الإسلام و العلمانية . الآفاق الدولية للإعلام . ط2. 1413 هـــ . 1992م . القاهرة

84 – // // : تحكـــيم الشـــريعة و دعاوى العلمانية . دار طيبة للنشر والتوزيع . 1412هـــ . 1991م . الرياض

85 – أبـــو صير (محمد طلعت): الدعاة إلى الله في القرآن الكريم و مناهجهم . المطبعة الحديثة . 1406 هـ .

86 – الطباطـــبائي(ســـيد محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن . دار الكتب الإسلامية . ط3 . 1397 هـــ .

87 – الطـــبري (محمد بن جرير . ت : 310 هـــ) جامع البيان في تأويل آي القرآن . دار الفكر . 1405 هـــ . بيروت .

88 – الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم . ت : 300 ه) :المعجم الكـــبير . تحقـــيق :حمدي عبد المجيد السلفي .ط 2 1404 هـــ . 1987 م .

89 – // // : المعجـــم الأوسط . دار الحرمين . 1415 ه القاهرة .

90 – الطهطاوي (محمد عزت): الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين .مكتبة دار التراث .

91 – إبـــن عاشـــور (محمد الطاهر . ت : 1973م): أليس الصبح بقريب . الشركة التونسية للرسم . ط2 . 1988 . تونس .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

92 - // // : أصـــول النظام الاجتماعي في الإسلام . الشركة التونسية للتوزيع . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . ط2.

93 -// // : نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم . المطبعة السلفية. 1344 هـ . القاهرة .

94 -// // : الـــتحرير و التنوير . دار سحنون للنشر والتوزيع تونس . 1997 م.

95 - العـــالم (يوسف حامد): المقاصد العامة للشريعة الإسلامية . دار الحديث للطـــبع و النشـــر و التوزيع . ط3 . 1417 هـ . 1997م . القاهرة .

96 - عبده (محمد): رسالة التوحيد .مطابع دار الكتاب العربي .1966م.

97 - إبـــن عربي (محي الدين): فصوص الحكم . تعليق :أبو العلا عفيفي . دار الكـــتاب العربي . ط2 . 1400هـ . 1980م . بيروت .

98- // // : الفتوحات المكية . المكتبة التوفيقية .مصر .

99- إبـــن أبي العـــز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية .تحقيق : عبد الرحمان عويرة . مكتبة المعارف ط 2 . 1986م الرياض .

100 -إبـــن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت 471هـ) : تبـــيين كـــذب المفـــتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري .دار الفكر ط2 . 1399هـ دمشق .

101 - عطـــاء (عبد القادر أحمد): التصوف الإسلامي بين الأصالة و الاقتباس في عصـــر النابلسي . دار الجيل . ط1 . 1987م . بيروت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

102 – ابـــن عطـــية (عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان): المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز . تحقيق: المجلس العلمي . طبع وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية . 1400هـ . 1980م . الرباط

103 – العلـــواني (طه جابر): إصلاح الفكر الإسلامي . المعهد العالمي للفكر الإسلامي . 1401 هـ . 1981م.

104 –علوش(مصطفى) : التصوف في الميزان . مكتبة الهلال . بيروت .

105 – إبـــن علي (شهاب الدين أبو الفضل . ت: 852 هـ) :العجاب في بـــيان الأسباب . دار ابن الجوزي . ط 1 . 1997 . الدمام.

106 – عفيفي (أبو العلا): التصوف الثورة الروحية في الإسلام . دار الشعب . بيروت .

107 – عمـــارة(محمد): مسلمون ثوار . دار الشروق . ط3 . 1408هـ . 1988م .

108 –// // : معركة الإسلام و أصول الحكم . دار الشروق . ط1 . 1989 م.

109 –// // الشـــيخ محمـــد الغزالي المؤتمر الفكري و المعارك الفكرية . دار الرشاد . ط1 . 1418هـ . 1998م . القاهرة .

110 –// // : الشـــريعة الإســـلامية و العلمانية الغربية . دار الشروق . ط1 . 1424هـ . 2003م . القاهرة .

111 – عويـــس (عبد الحليم): الشيخ محمد الغزالي تاريخه و جهوده و آراؤه . دار القلم . ط1 . 1421هـ . 2000م . دمشق .

112 – أبو العينين (بدران): تاريخ الفقه الإسلامي و نظرية الملكية و العقود . دار النهضة للطباعة و النشر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

113 غالب(مصطفى): الغزالي . دار و مكتبة الهلال . بيروت .

114 -- الغريب (رمضان حميس): الشيخ محمد الغزالي : حياته و عصره . آر . مسر . بأمر بهم . دار الحرم للتراث . 1423هـ . 2003م.

115 الغزالي(أبو حامد . ت : 505 هـ): إحياء علوم الدين . دار الفكر . ط1 . 1406هـ . 1986م . بيروت .

116 -- // // . منهاج العابدين . دار الثقافة الإسلامية . 1995م . بيروت .

117 -- // // المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى . دار الكتب العلمية . بيروت .

118 -- // // فضائح الباطنية . تحقيق :عبد الرحمان بدوى . مؤسسة دار الكتب الثقافية . الكويت .

119 - // // تهافت الفلاسفة . تحقيق:سليمان دنيا . دار المعارف . ط2 . مصر .

120 - // // إلجام العوام عن علم الكلام . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

121 // // فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

122 - // // المنقذ من الضلال . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

123 - // // القسطاس المستقيم . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

124 - // // رسالة أيها الولد . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

125 - // // الكشف و التبيين . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

126 - // // ميزان العمل . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

127 - // // التبر المسبوك في نصيحة الملوك . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

128 - الغزالي (محمد السقا) :عقيدة المسلم . د. الكتب الحديثة للنشر و مكتبة المثنى ببغداد . ط5 . 1960 .

129 – // // علل و أدوية . دار المعرفة الجزائر .

130 – // // من هنا نعلم . منشورات العالمية للإعلام . دار هومة.

131 – الغزالي (محمد السقا) ليس من الإسلام . مطابع دار الكتاب العربي . ط2 . 1378هـ . 1958م . مصر .

132 – // // كيف نفهم الإسلام . دار الكتب الحديثة . مصر .

133 – // // هذا ديننا . دار المعرفة . الجزائر .

134 – // // الجانب العاطفي من الإسلام . دار الشهاب للطباعة و النشر و التوزيع . باتنة . الجزائر .

135 – // // الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر . دار الهدى . الجزائر .

136 – // // دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين . دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع .. ط5. 2003 م.

137 – // // الإسلام و الاستبداد السياسي . تحقيق و تعليق مسعود فلوسي . دار ريحانة . ط1 . 1420هـ . 1999م

138 – // // المحاور الخمسة للقرآن الكريم . دار المعرفة . الجزائر .

139 – // // سر تأخر العرب و المسلمين . دار البعث . الجزائر .

140 – // // تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل. نشر مشترك : دار المعرفة . دار ريحانة . الجزائر .

141 – أبو الفضل (شهاب الدين): العجاب في بيان الأسباب . تحقيق :عبد الحكيم محمد الأنيس . دار ابن جوزي . ط1. 1997م . الدمام .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

142 فضـــل الله (محمـــد حسين): من وحي القرآن . دار الزهراء للطباعة و النشر و التوزيع . ط3 .

143 – فضـــلية (أحمد مصطفى): الإمام محمد الغزالي و شهادة التاريخ . دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع . ط1. 1422 هـــ . 2002م . الإسكندرية .

144 – الفيروز ابادي : القاموس المحيط . دار صادر بيروت .

145 – القـــنوجي (صديق بن حسين . ت : 1307هـــ): أبجد العلوم الوشي المـــرقوم في أحوال العلوم . تحقيق :عبد الجبار زكار . دار الكتب العلمية . 1978 . بيروت .

146 – إبـــن القـــيم (محمـــد بـــن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله . ت : 751هـــ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين . دار الكتاب العربي . ط2. 1393هـــ . 1973م .

147 – القرافي (شهاب الدين أحمد بن إدريس): الأجوبة الفاخرة . دار الكتب . 1986 م . بيروت .

148 – القـــرطبي (محمـــد بـــن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله . ت : 87هـــ): الجامع لأحكام القرآن . تحقيق :عبد الحليم البردوني . دار الشعب . ط2 . 1372هـــ . القاهرة.

149 – القرضـــاوي (يوسف): الشيخ الغزالي كما عرفته ، رحلة نصف قرن . دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع . ط1 . 1417 هـــ 1997م . القاهرة .

150 – القطـــان(مـــناع): تـــاريخ التشريع الإسلامي (التشريع و الفقه) . مؤسســـة الرسالة . ط2 . 1418هـــ . 1997م . بيروت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

151 – قطب (عبد الحميد قطب): خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة . دار الاعتصام للطبع و النشر . التوزيع . القاهرة .

152 – قطب (سيد): في ظلال القرآن . دار الشروق . ط5 . 1408هـ . 1988م . بيروت .

153 – قطب (سيد) خصائص التصوير الإسلامي و مقوماته . دار الشروق . ط13 . 1995 م. القاهرة .

154 – قطب (محمد): واقعنا المعاصر . مكتبة رحاب . الجزائر .

155 – // // : دراسات في النفس البشرية . دار الشروق . ط7. 1407هـ . بيروت .

156 – // // : مذاهب فكرية معاصرة . دار القلم .بيروت.

157 – // // : لا إله إلا الله عقيدة و شريعة و منهاج حياة . دار الشروق . ط2 . 1414هـ . 1993م . بيروت .

158 – ابن كثير (محافظ عماد الدين أبو الفداء . ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم . دار الأندلس . ط2 . 1400هـ . 1980 م . بيروت .

159 – الكلابادي (محمد أبو بكر): التعرف لمذهب التصوف . دار الكتب العلمية . 1400هـ . بيروت .

160–لاندو (روم) :تاريخ المغرب في القرن العشرين .دار الثقافة .الجزائر.

161 – إبن ماجه(أبو محمد عبد الله محمد بن يزيد): سنن ابن ماجة . كشف و مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . 1395هـ . 1975م .

162 – مالك(بن أنس . ت : 179هـ): الموطأ .تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . 1406هـ . 1985م . بيروت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

163 – مبارك (زكي): الأخلاق عند الغزالي . دار الفكر العربي للطباعة و النشر . القاهرة

164 – المبارك(محمد): ذاتية الإسلام إمام المذاهب و العقائد . دار الفكر .

165 – // // : نظام الإسلام الحكم و الدولة . دار الفكر .

166 – // // : نحو إنسانية سعيدة . دار الفكر .

167 – المبارك (محمد): نظام الإسلام العقيدة و العبادة . دار الفكر . 1401 هـ . 1981م .

168 – // // : المجتمع الإسلامي المعاصر . دار الفكر .

169 – محمد (سيد أحمد عبد الفتاح): التصوف بين الغزالي و ابن تيمية . دار الوفاء . ط1 . 1420هـ . 2000م . المنصورة . مصر .

170 – محمود (عبد الحليم) قضية التصوف ، المنقذ من الضلال . دار المعارف . ط4. القاهرة .

171 – المحاسبي (الحارث): العقل و فهم القرآن . تحقيق :حسين القوتلي . دار الفكر . 1971م.

172 – المدرسي (محمد تقي): من هدي القرآن . دار الهدى .. ط1 . 1406هـ .

173 – مسلم (بن الحجاج): الجامع الصحيح . تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء الكتب العربية .

174 – المسيري (عبد الوهاب): العلمانية الجزئية و العلمانية الشاملة . دار الشروق . ط1 . 2002 م.

175 – المصري (عبد الله): الداعية الشهيد . دار الاعتصام . 1996م .

176 – المقدسي (مرعي بن يوسف الحنبلي): رفع الشبهة و الغرر عمن يحتج على فصل المعاصي بالقدر . تحقيق :أسعد محمد المغزي . دار حراء . 1414هـ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

177 – المقريزي . الخطط . مكتبة الثقافة العربية . القاهرة .

178 – إبن منظور (محمد مكرم ابن منظور): لسان العرب . دار صادر.ط 1 . بيروت .

179 – عبدالمنعم (فؤاد) : أبحاث في الشرائع اليهودية و المسيحية و الإسلام دار النهضة الحديثة . 1997م . مصر .

180 – المودودي (أبو الأعلى): المصطلحات الأربعة في القرآن ، الإله ، الرب ، العبادة ، الدين . الدار الكويتية للطباعة و النشر و التوزيع .

181 - // // : مبادىء الإسلام .الدار الكويتية للنشر والتوزيع

182 – الميداني (عبد الرحمان حسن حبنكة) العبادة في الإسلام أسسها وفلسفتها و مفهومها و حكمها و ذكر الله فيها . مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع . ط 1 . 1418هـ . 1997م . بيروت .

183 – // // : كواشف زيوف . دار القلم . دمشق .

184 – النجار (عبد المجيد): في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية دليلا على الواقع الراشن . دار الشروق الدولية للنشر و التوزيع . ط1 . 1994م .الرياض .

185 – // // : الإيمان بالله و أثره في الحياة . دار الغرب الإسلامي . ط 1 . 1997 م. بيروت .

186 – // // : قيمة الإنسان . دار الزيتونة للنشر . ط 1 . 1417هـ . 1996م . الرباط .

187 – // // :عوامل الشهود الحضاري . دار الغرب الإسلامي . ط1 . 1999م . بيروت .

188 // // : في مفهوم التدين فهما و تنزيلا . مؤسسة أخبار اليوم . إدارة الكتب و المكتبات . ط1 . 1410هـ . 1989م . قطر .

189 – النجار (عبد الوهاب): قصص الأنبياء . دار الفكر . بيروت .

190 – النحلاوي (عبد الرحمان): أسس التربية الإسلامية و أساليبها . دار الفكر. ط2 . 1403هـ . دمشق .

191 – الندوي (أبو الحسن): رجال الفكر و الدعوة في الإسلام . دار القلم . الكويت .

192 – النسائي .:سنن النسائي . بشرح جلال الدين السيوطي . تحقيق :مكتب التراث الإسلامي . دار المعرفة . ط1 . 1411هـ . 1991م . بيروت .

193 – نعمان (صالح): منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر (رسالة دكتوراه) . إشراف مولود سعادة 2003م-2004م.

194 – النورسي (بديع الزمان سعيد): الكلمات . ترجمة إحسان قاسم الصالحي . شركة سوزلر للنشر . فرع القاهرة .

195 – // // : المكتوبات . ترجمة إحسان قاسم الصالحي . شركة سوزلر للنشر . فرع القاهرة .

196 – // // : صيقل الإسلام . ترجمة إحسان قاسم الصالحي . شركة سوزلر للنشر . فرع القاهرة .

197 – // // : كلمات صغيرة في العقيدة و العبادة . شركة سوزلر للنشر . فرع القاهرة .

198 – نوفل(عبد الرزاق): صوم رمضان . دار الشعب . 1970م .

199–هلال (إبراهيم): بحوث في العقيدة والتشريع .دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .1994م.القاهرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

200- ابن عبد الوهاب (محمد) : مؤلفات محمد بن عبد الوهاب . تحقيق عبد العزيز زيد الرومي . جامعة الإمام محمد بن سعود .الرياض.

الملتقيات و الدوريات :

1- مهرجان الغزالي في دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب والعلوم الاجتماعية . 1961م.

- أمين (عثمان) : الجوانية الأخلاقية عند الغزالي.
- القطان (إبراهيم) : الإمام الغزالي المعلم و المربي.

2- منظمة المؤتمر الإسلامي : مجمع الفقه الإسلامي. جدة. الدورة الحادية 25-30رجب 1419هـ. 14-19نوفمبر 1998م. البحرين.

- التسخيري (محمد علي) : موقف الإسلام من مسألة الحكم و السيادة.
- القرضاوي (يوسف عبد الله) : العلمانية في مواجهة الإسلام.
- كامل (عبد الله) : الإسلام في مواجهة العلمنة.

3-مجلة إسلامية المعرفة : العدد: الأول السنة الأولى المحرم :1416هـ 1995م.

- النجار (عبد المجيد) : دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية.

4-مجلة إسلامية المعرفة : العدد:7 السابع رمضان 1417هـ يناير 1997م

- طالبي (عمار) : الشيخ الغزالي كما عرفته في الجزائر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية